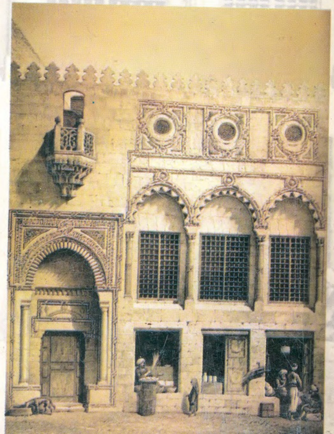




الجزء الثاني



عجائب الآثار في التراجم والأخبار





٢

الجزء الثانى

عجائب الآثار

فى

التراجـــم والأخبـــار

تأليف

عبدالرحمن بن حسن الجبرتى

تحقيق

أ. د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

بالاشتراك مع الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

عجائب الآثار
فى التراجم والأخبار (الجزء الثانى)
تأليف: عبدالرحمن بن حسن الجبرتى
تحقيق: أ. د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم

الغلاف والإشراف الفنى:
الفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ :
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

ذكر من مات فى هذه الأعوام من العلماء والأعيان

مات الإمام العلامة ، شيخ المشايخ ، شمس الدين ، الشيخ محمد القلينى الأزهرى ، وكانت له كرامات مشهورة ، ومآثر مذكورة ، منها أنه كان ينفق من الغيب ، لأنه لم يكن له إيراد ولا ملك ولا وظيفة ، ولا يتناول من أحد شيئًا ، وينفق إنفاق من لايخشى الفقر ، وإذا مشى فى السوق تعلق به الفقراء ، فيعطيهم الذهب والفضة ، وإذا دخل الحمام دفع الأجرة عن كل من فيه ، توفى سنة أربع وستين ومائة وألف [1] .

ومات : الشيخ الإمام الفقيه ، المحدث المسند ، محمد بن أحمد بن يحيى بن حجازى العشماوى ، الشافعى الأزهرى ، تفقه على الشيخ عبده الديوى ، والشهاب أحمد بن عمر الديربى ، وسمع الحديث على الزرقانى ، وبعد وفاته أخذ الكتب الستة عن تلميذه الشهاب أحمد بن عبد اللطيف المنزلى ، وانفرد بعلو الإسناد ، وأخذ عنه غالب فضلاء العصر ، توفى يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة سبع وستين ومائة وألف [2] ، ودفن بتربة المجاورين .

وقال بعض شعراء الوقت وهو السيد حسين الإدكاوى ، قصيدة فأنشدت وقت الصلاة عليه على الدكة مطلعها :

مَا بَينَ حُرقَةِ أدمُعِي وتَولُّهِي … نَارٌ يُؤجِّجُهَا لَهِيبُ تَولُّهِي

وحُشَاشَةٌ ذابتْ وقلْبٌ كلَّمَا … وجَّهتُه لِلصَّبْرِ لمْ يتَوجَّه

يا حَسْرتِى والبَينُ صَالَ ومقلَتِي … فى حِنْدُسِ الغَفَلاتِ لمْ تَتنبَّه

حتى أبادَ القطبَ شَمسَ الدين مَن … مِن بَعْدِه العلَمَاءُ لمْ تَتَفَوه

يَا أمّةَ الإسْلامِ يا أهْلَ الهُدَى … عُلَمَاءُهُ مِنْ مُبتَدِى أو مُنْتَهِى

قدْ مَاتَ عشْمَاوِيُكُمْ تَبًّا لِمَنْ … بالمجْدِ عنْ ثَوبِ التأسّفِ ينْتَهِى

يا حُزنُ دُمْ يا دَهرُ سُمْ رُتَبَ التقَى … مِن بَعْدِه وافعَلْ بهَا مَا تشْتَهِى

يا أرضُ مُدّى يا سَمَاءُ تشَقّقِى … يا شَمسُ نُوحِى يَا نُجُومُ تأوّهِى

يا أعيُنَ الفُضَلاء فى روضٍ لَهُ … مِن بَعْدِه باللهِ لا تَتَنَزّهِى

مَن بَعْدَه لِلترْمِذِيّ ومُسْلمٍ … أو لِلبُخَارِيّ الصِّحَاحِ الأوجُهِ

(1) ١١٦٤ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٥٠ - ١٩ نوفمبر ١٧٥١ م .
(2) ٢٢ جمادى الأولى ١١٦٧ هـ / ١٦ مارس ١٧٥٤ م .

ماتَ الـتقَى والزهدُ مـعه قَدْ انْطَوى	فـــى قَبْره مَنْ رَامَهَ لَمْ يـــشْبِهِ
يَاربٌ عـــوّضْ فـيـــهِ مِلَّة أحْمَدِ	خــيـراً بِهِ يــا مَنْ إلـيــهِ تَوَجُّهِى
فـــالـــشّافِعِى نَادى لِيَومِ مُصَابِهِ	أوّاه ضَـــــــاعَ مَذَاهِبى وتَفَقُّهى
يــا رُوحَهُ فــى جَنَـةِ الـفِردَوسِ مِنْ	نِعَمِ الإلـــهِ تَنــــعَّمى وتَفَكَّهى
فـــى رَوضَةٍ أرخَتُهُ بــــجـــواره	لمحــــمـــدٍ مَهْمَا أحَبَّ ويــشْتَهى

ولما بلغت هذه المرثية الشيخ أحمد الجوهرى ، أنكر هـذا الإطراء البالغ ، وشدد على قوله : « مِنْ بعدِه الـعلماءُ ، لمْ تَتفوّه » وقال : « هو رفيقنـا ، ونعرف ما عنده من البضـاعة » ، وكأنه حصل له فـى نفسه مثل ما يحـصل للمعاصر مـن معاصره ، والله تعالى يعفو عن الجميع بإحسانه .

ومات : الشيخ الإمام العلامة ، سالم بـن محمد النفراوى ، المالكى الأزهرى ، المفتى الـضرير ، أخذ عن الشيـخ العمدة أحمد الـنفراوى الفقه ، وأخذ عـن الشيخ محـمد الزرقـانى ، والشـيخ محـمد بن علاء الـدين البـابلى ، بـبيتـه بالأزبكـية ، والشبرامـلسى وغيرهم ، وكـان مشهوراً بمعرفـة فروع المذهب ، واستحـضار الفروع الفقهيـة ، وكانت حلقة درسه أعظم الحـلق ، وعليه مهابة وجلالـة ، توفى فى يوم الخميس سادس عشرين شهر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف [1] .

ومات : الشيخ الـفقيه المفتى العلامة ، سـليمان بن مصطفى بن عـمر بن الولى العارف الشيخ محمد المنير المنصورى ، الحنفى ، أحد الصدور المشار إليهم ، ولد سنة سبع وثمانين وألف [2] ، بالنقيطة [3] ، إحدى قرى المنصورة ، وقدم الأزهر ، فأخـذ عـن شيـوخ المذهب ، كشاهين الأرمناوى ، وعـبد الحى بن عبد الحق الشـرنبلالى ، وأبى الحسن علـى بن محمد العقدى ، وعـمر الزهرى ، وعثمان النـحريرى ، وفائد الأبيارى ، شـارح الكنز ، فأتقـن الأصول ومهر فى الـفروع ، ودارت عليه مشـيخة الحنفية ، ورغب الناس فى فتاويه ، وكان جليـل القدر عالى الذكر ، مسموع الكلمة

---

(١) ٢٦ صفر ١١٦٨ هـ / ١٢ ديسمبر ١٧٥٤ م .

(٢) ١٠٨٧ هـ / ١٦ مارس ١٦٧٦ - ٥ مارس ١٦٧٧ م .

(٣) النقيطة : قرية قديمة ، أنشئت فى العصر اليونانى ، وسميت (Necitas) ، وهى إحدى قرى مركـز المنصورة ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .

مقبول الشفاعة ، توفى سنة تسع وستين ومائة وألف [1] .

ومات : الشيخ الإمام الفاضل الصالح ، الشاعر الأديب ، عمر بن محمد بن عبدالله الحسينى الشنوانى ، من ولد القطب شهاب الدين العراقى ، دفين شنوان [2] ، قرأ على أفاضل عصره ، وتكمل فى الفنون ، وألقى دروسا بالأزهر ، توفى فى رجب سنة سبع وستين ومائة وألف [3] .

ومات : الأجل المكرم ، الحاج صالح الفلاح ، وهو أستاذ الأمراء المعروفين بمصر ، المشهورين بجماعة الفلاح ، وينسبون إلى القازدغلية ، وكان متمولا ذا ثروة عظيمة ، وشح ، وأصله غلام يتيم فلاح ، من قرية من قرى المنوفية ، يقال لها ، الراهب [4] ، وكان خادما لبعض أولاد شيخ البلد ، فانكسر عليه المال ، فرهن ولده عند الملتزم ، وهو عليّ كتخدا الجلفى ، ومعه صالح هذا ، وهما غلامان صغيران ، فأقاما ببيت عليّ كتخدا حتى غلق أبوه ما عليه من المال ، واستلم ابنه ليرجع به إلى بلده ، فامتنع صالح ، وقال : « أنا لا أرجع إلى البلد » ، وألف المقام ببيت الملتزم ، واستمر به يخدم مع صبيان الحريم ، وكان نبيها خفيف الروح والحركة ، ولم يزل يتنقل فى الأطوار حتى صار من أرباب الأموال ، واشترى المماليك والعبيد والجوارى ، ويزوجهم من بعض ، ويشترى لهم الدور ، والإيراد ويدخلهم فى الوجاقات والبلكات بالمصانعات ، والرشوات ، لأرباب الحل والعقد ، والمتكلمين ، وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة ، كتخداءات ، واختيارية ، وأمراء طبلخانات ، وجاويشية ، وأوده باشية ، وغير ذلك ، حتى صار من مماليكه ، ومماليكهم من يركب فى العذارات فقط نحو المائة ، وصار لهم بيوت وأتباع ومماليك ، وشهرة عظيمة بمصر ، وكلمة نافذة ، وعزوة كبيرة ، وكان يركب حمارا ، ويعتم عمة لطيفة على طربوش ، وخلفه خادمه ، ومات فى سن السبعين ، ولم يبق فى فمه سن ، وكان يقال له صالح چلبى ، والحاج صالح ، وبالجملة فكان من نوادر الزمن ، وكان يقرض إبراهيم كتخدا ، وأمراءه بالمائة كيس وأكثر ، وكذلك غيرهم ، ويخرج الأموال بالربا والزيادة ، وبذلك انمحقت دولتهم ، وزالت نعمهم فى أقرب وقت ، وآل

---

(١) ١١٦٩ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٥٥ - ٢٥ سبتمبر ١٧٥٦ م .

(٢) شنوان : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز أشمون ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٤ .

(٣) رجب ١١٦٧ هـ / ٢٤ أبريل - ٢٣ مايو ١٧٥٤ م .

(٤) قرية الراهب : قرية قديمة من قرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

أمرهم إلى البوار هم وأولادهم ، وبواقيهم لذهاب ما فى أيديهم ، وصاروا أتباعا وأعوانا للأمراء المتأخرين .

ومات : الأمير إبراهيم كتخدا ، تابع سليمان كتخدا القازدغلى ، وسليمان هذا تابع مصطفى كتخدا الكبير القازدغلى ، وخشداش حسن جاويش ، أستاذ عثمان كتخدا ولد عبد الرحمن كتخدا المشهور ، لبس الضلمة فى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف [1] ، وعمل جاويشا ، وطلع سردار قطار فى الحج فى إمارة عثمان بيك ذى الفقار سنة إحدى وخمسين ومائة وألف [2] ، وفى تلك السنة استوحش منه عثمان بيك باطنا ؛ لأنه كان شديد المراس ، قوى الشكيمة ، وبعد رجوعه من الحج فى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف [3] نما ذكره ، وانتشر صيته ، ولم يزل من حينئذ ينمو أمره ، وتزيد صولته ، وتنفذ كلمته ، وكان ذا دهاء ومكر وتحيل ، ولين وقسوة، وسماحة وسعة صدر ، وتؤدة وحزم وإقدام ، ونظر فى العواقب ، ولم يزل يدبر على عثمان بيك ، وضم إليه كتخداه أحمد السكرى ، ورضوان كتخدا الجلفى ، وخليل بيك قطامش ، وعمر بيك ، بسبب منافسة معه على بلاد هوارة ، كما تقدم ، حتى أوقع به على حين غفلة ، وخرج عثمان بيك من مصر على الصورة المتقدمة ، فعند ذلك عظم شأنه ، وزادت سطوته ، واستكثر من شراء المماليك ، وقلد عثمان مملوكه الذى كان أغات متفرقة صنجقا ، وهو أوّل صناجقه ، وهو الذى عرف بالجرجاوى ، ولما قتل خليل بيك قطامش ، وعمر بيك بلاط ، وعلى بيك الدمياطى، ومحمد بيك فى أيام راغب باشا ، بمخامرة حسين بيك الخشاب ، ثم حصلت أيضًا كائنة الخشاب ، وخروجه ومن معه من مصر ، وزالت دولة القطامشة ، والدمايطة ، والخشابية ، وعزلوا راغب باشا فى أثناء ذلك كما تقدم ، فعند ذلك انتهت رياسة مصر وسيادتها للمترجم ، وقسيمه رضوان كتخدا الجلفى ، ونفذت كلمتهما ، وعلت سطوتهما على باقى الأمراء والاختيارية الموجودين بمصر ، وتقلد المترجم كتخدائية باب مستحفظان ثلاثة أشهر ، ثم انفصل عنها ، وذلك كما يقال ، لأجل حرمة الوجاق ، وقلد مملوكيه عليا وحسينا صنجقين ، وكذلك رضوان كتخدا كما سبق ، وصار لكل واحد منهما ، ثلاثة صناجق ، واشتغل المترجم بالأحكام ، وقبض الأموال الميرية ، وصرفها فى جهاتها ، وكذلك العلوفات ، وغلال الأنبار ، ومهمات الحج والخزينة ، ولوازم الدولة والولاة ، وقسيمه رضوان

---

(١) ١١٤٨ هـ / ٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦ م . (٢) ١١٥١ هـ / ٢١ أبريل ١٧٣٨ - ٩ أبريل ١٧٣٩ م .
(٣) ١١٥٢ هـ / ١٠ أبريل ١٧٣٩ - ٢٨ مارس ١٧٤٠ م .

كتخدا مشتغل بلذاته ومنهمك على خلاعاته ، ولايتداخل فى شىء مما ذكر ، والمترجم يرسل له الأموال ، ويوالى بر الجميع ، ويراعى خواطرهم ، وينفذ أغراضهم ، وعبد الرحمن كتخدا مشتغل بالعمائر ، وفعل الخيرات ، وبناء المساجد ، واستكثر المترجم من شراء المماليك ، وقلدهم الإمريات والمناصب ، وقلد إمارة الحج لمملوكه على بيك الكبير ، وطلع بالحج ورجع سنة سبع وستين ومائة وألف [1] ، وفى تلك السنة نزل على الحاج سيل عظيم بمنزلة ظهر حمار ، فأخذ معظم الحجاج بجمالهم وأحمالهم إلى البحر ، ولم يرجع من الحجاج إلا القليل .

ومما يحكى عنه : أنه رأى فى منامه أنَّ يديه مملوءتان عقارب ، فقصها على الشيخ الشبراوى ، فقال : « هؤلاء مماليك يكونون مثل العقارب ، ويسرى شرهم وفسادهم لجميع الناس ، فإن العقرب لدغت النبى ﷺ فى الصلاة ، فقال ﷺ : « لَعنَ اللهُ العقْربَ لا تدَعُ نَبِيا ولاَ غَيْره إلاَّ لَدَغَتْهُ » ، وكذا يكون مماليكك ، وكان الأمر كذلك ، وليس للمترجم مآثر آخروية ، ولا أفعال خيرية يدخرها فى ميعاده ، ويخفف عنه بها ظلم خلقه وعباده ، بل كان معظم اجتهاده الحرص على الرياسة والإمارة التى بخط قوصون بجوار دار رضوان كتخدا ، والدار التى بباب الخرق ، وهى دار زوجته بنت البارودى ، والقصر المنسوب إليها أيضًا بمصر القديمة ، والقصر الذى عند سبيل قيماز [2] بالعادلية ، وزوّج الكثير من مماليكه نساء الأمراء الذين ماتوا وقتلوا ، وأسكنهم فى بيوتهم ، وعمل وليمة لمصطفى باشا ، وعزمه فى بيته بحارة قوصون فى سنة ست وستين ومائة وألف [3] ، وقدم له تقادم وهدايا ، وأدرك المترجم من العز والعظمة ، ونفاذ الكلمة ، وحسن السياسة ، واستقرار الأمور ما لم يدركه غيره بمصر ، ولم يزل فى سيادته حتى مات على فراشه ، فى شهر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف [4] .

ومات : بعده رضوان كتخدا الجلفى ، وهو مملوك على كتخدا الجلفى ، تقلد كتخدائية باب عزبان بعد قتل أستاذه ، بعناية عثمان بيك ذى الفقار كما تقدم ، ولم يزل يراعى لعثمان بيك حقه وجميلته حتى أوقع بينهما إبراهيم كتخدا كما تقدم ، ولما

(١) ١١٦٧ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٧٥٣ - ١٧ أكتوبر ١٧٥٤ م .

(٢) سبيل قيماز : سبيل كان قائما بالعادلية .

(٣) ١١٦٦ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٧٥٣ - ١٧ أكتوبر ١٧٥٤ م .

(٤) صفر ١١٦٨ هـ / ١٧ نوفمبر - ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ م .

استقرت الأمور له ولقسيمه ، ترك له الرياسة فى الأحكام ، واعتكف المترجم على لذاته وفسوقه وخلاعاته ونزهاته ، وأنشأ عدّة قصور وأماكن بالغ فى زخرفتها وتأنيقها، وخصوصا داره التى أنشأها على بركة الأزبكية ، وأصلها بيت الدادة الشرايبى ، وهى التى على بابها العامودان الملتفان ، المعروفة عند أولاد البلد بثلاثة ولية ، وعقد على مجالسها العالية قبابا عجيبة الصنعة ، منقوشة بالذهب المحلول واللازورد ، والزجاج الملوّن ، والألوان المفرحة ، والصنائع الدقيقة ، ووسع قطعة الخليج بظاهر قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة ، وبنى عليها قصرا مطلا عليها ، وعلى الخليج الناصرى من الجهة الأخرى ، وكذلك أنشأ فى صدر البركة مجلسا خارجا بعضه على عدّة قناطر لطيفة ، وبعضه داخل الغيط المعروف بغيط المعدية ، وبوسطه بحيرة تمتلئ بالماء من أعلى ، وينصب منها إلى حوض من أسفل ، ويجرى إلى البستان لسقى الأشجار ، وبنى قصرا آخر بداخل البستان مطلا على الخليج ، وعلى الأملاق من ظاهره، فكان يتنقل فى تلك القصور ، وخصوصا فى أيام النيل ، ويتجاهر بالمعاصى والراح ، والوجوه الملاح ، وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد ، وخرجوا عن الحد فى تلك الأيام ، ومنع أصحاب الشرطة من التعرض للناس فى أفاعيلهم ، فكانت مصر فى تلك الأيام مراتع غزلان ، ومواطن حور وولدان ، كأنما أهلها خلصوا من الحساب ، ورفع عنهم التكليف والخطاب ، وهو الذى عمر باب القلعة الذى بالرميلة المعروف بباب العزب ، وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين ، والزلاقة على هذه الصورة الموجودة الآن ، وقصدته الشعراء ، ومدحوه بالقصائد والمقامات ، والتواشيح وأعطاهم الجوائز السنية ، وداعب بعضهم بعضا ، فكان يغرى هذا بهذا ، ويضحك منهم ويباسطهم ، واتخذ له جلساء وندماء منهم : الشيخ على جبريل ، والسيد سليمان ، والسيد حمودة السديدى ، والشيخ معروف ، والشيخ مصطفى اللقيمى الدمياطى ، صاحب المدامة الأرجوانية فى المدائح الرضوانية ، ومحمد أفندى المدنى ، وامتدحه العلامة الشيخ يوسف الحفنى بقصائد طنانة ، وللشيخ عمار القروى فيه مقامة مدحا فى المترجم ، ومداعبة للسيد حمودة السديدى المحلاوى ، وأجابه بأبلغ منها مقامة وقصيدة من رويها ، أديب العصر الشيخ قاسم ابن عطاء الله ، الأديب المصرى ، والأديب الفاضل الشيخ عبدالله الإدكاوى ، والعلامة السيد قاسم التونسى ، وألف فيه الشيخ عبدالله المذكور كتابا سماه : « الفوائح الجنانية فى المدائح الرضوانية » جمع فيه ما مدح به الأمير رضوان كتخدا من قصائد ولطائف وتواشيح .

فمن ذلك مزدوجة الأديب قاسم ولندرتها ورقتها أوردتها فى هذا المجموع وهى:

احمَدُ مولَى مُستَحِقّ الحمْدِ مُفْتتِحا كتَابَهُ بالحمْدِ
وحيا على تكرَارِ ميمِ الحمْدِ فَهْو الّذى حَازَ لواءَ الحمْدِ
وسيلَتى مدْحى لهُ وحَمْدى

بكَرتُ يومًا والهوَى مُطيعِى أرضَ الربا فى زَمَنِ الربيعِ
إذ بها فى زُخْرُفٍ بَديعِ تزهُو بثوبِ سُنْدُسٍ وَسِيعِ
فى حُسْنِ وصفِها استَمع مَا أبْدى

بكَت بدَمْعِ الطلّ عينُ النرجس فأضْحكَتْ ثَغْرَ الأقاحِ الألعَسِ
والوردُ يزْهُو باحْمِرارِ الملْبَسِ مُفَتّحًا أطواقَهُ بالمجْلِسِ
قد أرَّجَ الروضَ بنشْرِ النَّدِّ

روضٌ به مَاءُ الحياةِ جَارِى خَضِرَ النّبَاتُ منه بالجِوَارِ
فيه خَيالُ الوردِ باحْمِرارِ يُرى لَهُ فى الماءِ زِنْدٌ وَارِى
وعجَبٌ فى الماءِ قَدْحُ الزنْدِ

حديقةٌ بها السّرورُ مُحْدِقُ جَدْولُها مُسَلْسَلٌ منْطَلِقُ
فِى جَوّه نجمُ الزهُورِ مُشْرِقُ والبَانُ ظِلُّه غدا يَستَرِقُ
منْ وجْنَةِ الماءِ احْمِرارَ الورْدِ

ظِلٌّ لِطافٌ قُضبُها يا قَارِى كأنهُ الأقلامُ جَلّ البَارِى
تكتبُ فى طِرسِ الغَديرِ السَّارِى ما حَفِظَتْه مِنْ غِنَا الأطْيَارِ
نقّطَها الطلُّ بدُرّ العقْدِ

أمَا تَرى الدُّرّ بدَا للْحَدَقِ كلَّلَ تيجَانَ رُؤوسَ الورَقِ
وقدْ حكَى النهْرُ بظِلِ الزنْبَقِ خَدَّ السَّما مُوَرّدًا بالشّفَقِ
كلاهُما بالورْدِ زاهِى الخدّ

لما حكَى الغديرُ للسَّمَاءِ لاحَ به السِّمَاكُ فى ضيَاءِ
من فَوقِه صَارتْ يَدُ الهَواءِ تنْصِبُ للصَّيدِ شِباكَ الماءِ
برِقّةٍ لمْ تَستَطِعْها الأيْدى

شِبَاكُ دُرٍّ ولُجَيْنٍ تُنْسَجُ لِجوهَرِ الألبَابِ فيها فرجُ
بَها شَعاعُ الشّمسِ حِينَ يَهجُ بعَسْجَدٍ تَرى اللُّجَيْنَ يُمزَجُ
ليخْطفَ الأبصَارَ عندَ النقْدِ

نَجَائِبَ السُّحْبِ بِجُنْدِ الوَدْقِ أرسَلَهَا الغربُ لحربِ الشرقِ
لِنَحْوِه تَراسَلَتْ بِالسَّبْقِ وكُلّما سَلّت سُيوفَ البرقِ
يَصْهَلُ فى المُلْكِ جَوادُ الرعْدِ

يَجُولُ فى المُلْكِ بأمرِ المَلِكْ كأنه الفُلْكُ بِبَحْرِ الفَلَكْ
وقَسْطَلِ الشُّبورِ لِلْمُعْتَرَكْ مُحْتَبِكٌ مِن تَحتِ ذاتِ الحُبُكْ
والقطرُ موصولُ المدَى بالمدّ

وحُوصِرتْ شمسُ الضُّحى بالأفقِ بِعَسْكَرٍ سَدّ جَمِيعَ الطرُقِ
وبالدمَا غطَّ قَمِيصَ الشَّفَقِ وانْفَلَقَتْ هَامُ الدّجى بالفلَقِ
ومنه حَلّ عقدَها بِبَنْدِ

وابتَهجَ الشّرقُ على الظَّلْمَاء بالصُّبحِ صَاحِب اليدِ البَيْضَاء
أخْرجَهَا مِن حُلّة الدُّجَاء مِن غيرِ سُوءٍ قد بَدَتْ لِلرائى
لِسحْرِ آيَةِ الدُّجى المسْوَدِّ

وقد بَدَا الصّبْحُ ولِلْجوّ صَعَدْ وأصبْحَت قُضْبُ الرياضِ فى مَيَدْ
مُمتَطِياتِ البَرْدِ مِن دُرِ البَرَدْ وكلُ يابسٍ غَدا رَطْب الجسَدْ
وفُتحَتْ عينُ الزُّهُورِ الرُّمْدِ

بَاكِرْ صَبُوحَ رَوضَةِ الزُّهُورِ فأبْرَكُ الأشياء فى البُكُورِ
وَرِدْ على اللَّذاتِ والسُّرورِ واتْرُكْ هَوى وسَاوِسِ الصُّدورِ
فَمنْهلُ اللّذاتِ عَذْبُ الورْدِ

ما أحْسَنَ الصَّبُوحَ فى الصَّباحِ والسكْرَ فى رَوْضِ الرُّبا يا صَاحِ
على خُدودِ الوردِ والتُّفّاحِ والريحُ تُدْنى مَبْسَم الأقَاحِ
لِلَثْمِ هَاتِيكَ الخدودِ الورْدِ

والوُرْقُ مُذْ غَنتْ على العيدَانِ بِلِينِ قَدّ مَاسَ غُصْنُ البَانِ
والآسُ فوقَ وجْنَةِ النّعْمَانِ مَن ذَا رأى الجنّاتِ فى النّيرانِ
عَجِبتُ للتأليف بين الضّدّ

وانظُرْ إلى تَلَهُّبِ الشَّقِيقِ غَيظًا على لِينُوفَرٍ غَرِيقِ
يُومى لِبِنْتِ الكَرْمِ بالتّعْنِيقِ وبَلْ إلى الرُّمّان بالتّحْقِيقِ
تراهُ فى صَدْرِ الربَا كالنهْدِ

أكرِمْ بِبِنْتِ الكَرْمِ والدَّوَالى   مِنَ الهُمُوم غَرسُها دَوَا لى
بِهَا يُطوفُ مُخْجِلُ الغَزالِ   كالشَّمسِ تُجلَى فى يدِ الهِلالِ
تَقَارنَا فى أفْقِ خَانِ السَّعد

يُرى مِن السّاقى ومِنْها عَجَبُ   إذا بدَتْ فى كَاسِها تَلْتَهِبُ
كَأنها مِن خَدّه تنْسكِبُ   وإنْ يكُن لِكُلّ خَمْرٍ حَبَبُ
فَعرقُ الجبينِ دُرّاً يُبدى

لله مَا أبْهَى ومَا أسنَاهَا   فى كَاسِها كالشّمس فى مَرآهَا
يسعَى بها البدْرُ وقدْ أدنَاهَا   مِن شَفَتَيْه اللُّعْسِ مَا أحْلاَهَا
إذْ مُزِجَتْ مِن رِيقِهِ بالشّهْد

شَعَاعُها سَطَا على النُّدْمَانِ   سَاوى شُجَاعَ العَقْلِ بالجبَانِ
وجَالت الحمْراءُ فى المَيْدَانِ   بينَ صُفُوفِ صُحْبَةِ القَنَانى
كأنها مِن الدِّما فى بُرد

مَليكَةٌ لطِيفَةُ المِزاج   تَخْتالُ فى بُردٍ مِن الدّيباجِ
علَى جَوادٍ أشهَب الزُّجاج   بِبَهْجَةِ احْمِرَارِها الوَهَّاجِ
تَحكى خُدودَ قَاتِلى بالصَّدِّ

غُصَينُ بَانٍ خَدُّه نَزِيهُ   فريدُ حُسْنٍ مَالَهُ شَبِيهُ
يمِيسُ فى روضِ البَهَا يَتِيهُ   ظَبْىُ النّقَا مُسْتَيقِظٌ نَبِيهُ
بالمقْلة النعْسَا لِصَيد الأسْد

مِن دَعْجةِ الحورِ سَبَاها الحوَرُ   فى مُهْجَتِى بِهَا أصابَ القَدَرُ
طَلبتُ حِينَ لمْ يُفِدْنِى الحذَرُ   مِنْهم أمانًا فى الهَوَى لى غَدَرُوا
مِن إننى عَنْ غَيْرِهم فى زُهْد

لا تُنكِرُوا بعدَ الحجَا جُنُونِى   تَهَتُّكِى فى ذلك المَصُونِ
وحَدّثوا أن تَصِفُوا شُجُونِى   بِهِ عنِ البَحْرِ وعَنْ عُيُونى
بِدَمْعِها لمْ تُطفِ نَارَ وَجْدى

نُقْطةُ خَالِه سَحِيقُ المِسْكِ   مِن فَوقِ خَدّ للّهيب يَحْكِى
لِلقَلْبِ حتمًا يدَّعى بالملْكِ   واستَعْبَدَتْنى عَيْنُ ذاكَ التُّرْكِى
لما غَزانِى جَفْنُها بِهِنْدى

أبَحتُه قـلبي وجَفْني سكَنـا لمّا أرانـي منه وجهًا حَسَنـا
وطَرْفُه الـسـاحِرُ لمـا أنْ رنَا بـسحْره كَليـمَ قـلْبي فَتَنـا
ولمْ يَجِدْ عن طَوْعه مِن بُد

كَوكَبُ حُسْنٍ مُشْرِقٌ لـمْ يَأفـلِ ألحـاظُه قـدْ جَردَتْ سَيـفَ عَلِي
مُهفْهَفٌ مِن غـيرِه الـقلبُ خَلِي والسـرّ فى السُكّانِ لا فِي المـنزلِ
فأينَما كُنتُ حَبِيبي عِنْدى

مَطْـلَبُ خدّه بَعيـدُ الـطَّلَب فـى كُتبِ الحسْنِ أتَى بـالـعَجَب
مِصْبـاحُه يـتلُو شُذُورَ الـذهَب والـعقْدُ فـى حِلْيـةِ ثـغـرٍ أشْنَب
عِقْيانه لاحَتْ كنجمِ السّعد

أنـعمْ بِلَونِ خدّه المـنِيـرِ مَشْرَبٌ عـنـهُ روَى الحـرِيـرِى
وبـاهْتِزَازِ عِطفِه الـنّضيـرِ يُسْكِرُنـى الـنّسِيـمُ بـالـعَبِيـرِ
لذاكَ أعشقُ الصّبا والنّجْدى

البـارقُ الـنّجْدى الـذى تَبـسَّمْ مِنْ ثَغرِ قَدٍّ ذكَّرَ المـتيّمْ
مَنْ كَحَّل الجـفْنَ لَهُ مَن نَظَّمْ لو تَمّ سَعْدِى فى الهوَى واستَحْكَمْ
كان الزمانُ ما قَضَى ببُعْد

بِخدّه وقَدّه المـرَانِ عـرَّفَنـى ظبـي الـنّقـا والـبَانِ
فـانى الـبَها رَبّ الخـدَيْدِ القَانـى لـيـسَ لـعِطفِه الـفَرِيـدِ ثَانِي
يميلُ مَيلاَنَ الغُصُون الملْد

رَوضٌ زهَا بمشرِق الأزهَارِ واستَبْدلَ الـدّرهَمَ بـالـدّيـنَارِ
سَقَتْهُ مـاءَ المـزْنِ فـى الأسْحَارِ مِنْ دَرهَا فـانْبَتَ الـدّرارى
تباركَ اللهُ المعيدُ المبدِى

جـاءَ الـربـيعُ والـزمـانُ اعتَدَلا والبسَ الـغُصْنَ مِن الـزهْرِ حُلاَ
والـطّيـرُ ضَمَّنَـتْ غِنـاهـا مَثَلا إنـشـادهـا مَولَى لـقَدْ حـازَ عُلاَ
للكتخداَ رِضْوان رَبّ المجْد

امـيـرُ مَجْدٍ أوحَدُ الـزّمَانِ يـفُوقُ مَعْنـى كَامِلِ المـعَانِى
لـوْ شَامَ بـرْقَ سَيـفِه اليـمَانِي عَنـتَرُ فـى آلـفِ مِنَ الـشُّجْعَانِ
قال اللّقا فى الحشْرِ يَا ابنَ وُدِّى

بـحرُ الـنـدى قـدْ ألفَ المزيـدَا		اضْحَى سَرِيــعُ جُودِه مَدِيــدَا
خَلِيــفَةُ الــوقْتِ غَدا فَرِيــدَا		ولـــمْ يزَلْ مُوَفَّقًا رَشِيــدَا
فى كلِّ رأىٍ للصَّواب مهْدى

صَاعَد اهْلَ المجْدِ رِفقــا فَرَقَا		والأسْدُ ولَّت مِنْ سَطــاهُ فَرقَا
مُجَمّعًا مِنْ دَهْرِه مَا فَرَّقــا		أصْبــحَ شَمْلُ حَاسِدِيهِ فــرَقَا
والناسُ بين رِفْقِه والرِّفْدِ

تــراهُ لـلأحْبَابِ فــاقَ الــوَالِدا		ولـــلْعِدَا مُجَادِلاً مُجَالِدَا
أرجُوهُ يـحْيَا فــى الـسُّرورِ خَالدا		فــى الجُــودِ أعْنِى طَارِفًا وتُالِدَا
وكلّ مَنْسُوبٍ لَهُ فى الوُدِّ

رَوْعُ الــعِدا لـــلاصْدِقَا يُراعــى		يــراعــه لـلـعَضْبِ والــيَرَاعِ
هِمَّتُه لـــلـــسَّبْــعِ فـــى ارتِفَاعِ		دعْ عَنْك سَبْع الــقَاعِ بــالصـبِقَاعِ
أعيذُه بالسبعِ كلّ العدِّ

عَالـى الـذُّرا أعْدَاؤُه فـى الـدَّركِ		إذا سَطَا فَمَا الحَيَـــاةُ دَرْكِي
ليثُ الشَّرى فى الحربِ مِثلُ الشّركِ		يُرى الملاَ فى اللطفِ لُطفَ الملْكِ
لحسْنِ وجْهِه برُوحِى أفْدِى

دعْ عِلَّةَ الــتـعْلِيــل بــالأمَانِى		واقصدْ حِمَى المـوصُوف بالأمـانِ
وانفِ لِبَاسَ الــبــؤْسِ والأحْزانِ		واسْألْ عَنِ الـنَّعِيــم مِنْ رِضْوانِ
قلْ ما تُرِيدُ لا تخَفْ من وِرْدِ

لُذْ بِأَبِــى الـــفَوزِ مِنَ المخَافِ		ومَنْ بِجُودِه يُعَانُ الـــعَافِى
تَفُوزُ بـــالأمْنِ وبـــالإسْعَافِ		عَزِيـــز مِصْر كَامِل الأوْصَافِ
بَيت القصِيدِ بَالغا للقَصْدِ

مَلِيـــكُنـــا جَلَّتْ لَنَا أوصَافُه		لــمْ يُبْدِ فـى غيـرِ الـعَطَا إسْرَافُه
ضِيـــاؤُه قَرتْ بِه أضْيَـــافُه		تــفْعَلُ فـى جيْش العِدَا أسـيافُه
ما يفعلُ الصَّرْصَرُ يومَ الحصْدِ

هُمَامُ عــصْرٍ غَيْثُ جُودٍ هَامِى		نَامى الـــعَطَا لِسَائِرِ الأنَامِ
مُواصِلُ الــنَّعِيـــمَ بـــالأنْعَامِ		بِقيَّةُ الـــدَّهْرِ مِنَ الـــكِرَامِ
أحيا وجُودَ الجود بعدَ الفقْدِ

سَادَ الورَى عدلاً لَهُ رُوحِي الفدَا   فكَمْ بِهِ مِنْ شَاهِدٍ لِلْكَتْخَدا

رُوحِي الفِدَا لِلكَتْخَدا بَحْرِ الندَى   ومَنْ غَدا على الكِرَامِ سَيِّدا

في عصْرِه ومالَهُ مِنْ ضِدّ

عَفِيفُ أخلاقٍ عَنِ الجانى عفَا   تَخَافُه الأسْدُ ومَا فِيه خفَا

خَفِيفُ رُوحٍ كالنّسِيمِ مَاهفَا   الذّ للعُشّاقِ مِنْ تَرْكِ الجفَا

ومِنْ وفَاءِ الوعْدِ بَعدَ البعْدِ

كَوكَبُ مَجْدٍ أمَّ نوراً مُشْرِقا   يزْهُو بأفقِ العزّ فى طُولِ البَقا

روضُ النقَا فَلاَ يزالُ مُورِقا   لا بالقِلاَ تَراهُ فى يومِ اللِّقَا

طَلْقَ المحَيا والحِمَى والأيدى

أدامَهُ اللهُ برغْمِ الشَّانِى   عزيزُ جاه وعَلِيُّ الشَّانِ

جَمْعًا بِمن يُحِبّ فى أمَانِ   مُتَابِعًا لِلْحُسْن بالإحْسَانِ

رِضْوانُه مُؤيدٌ بالخلْدِ

يا جَنَّةَ الفنُون والأفنَانِ   مَحْفُوظَةً مِنْ طَارِقٍ وجَانِى

نَسِيمُها بالرُّوحِ والريْحَانِ   يُهْدِى الشَّذا لِلْمِلكِ الرّضْوان

بَهجَة ندٌّ مَا لَها مِن نَدٍّ

مَجْلِسُ أنْسٍ دامَ فى إشْراقِه   تبدُو شُموسُ الحسْنِ فى آفَاقِه

روضٌ تَروضُ الورْقُ فى أوراقِه   قد حَفِظَ الحفْظ على طِبَاقِه

وقدْ حَوى كلّ مُجيدٍ مُجْدى .

مَعْرُوفُه عَمَّ جَمِيعَ الخلْقِ   والجبْرُ لى منْه قبولُ صِدْقِ

كأنهَا يا مَالِكًا للرّقِ   شَمسٌ ولكِنْ لمْ تَزَلْ بالشّرْقِ

برهانُها قال النجومُ جُنْدى

خَريدَةٌ فُريدةٌ فى الآن   شَبَابُها يهزَأ بالشّيبَانِ

فهَاكَها فى مَلْبَسِ التَّهَانِى   واذكُر بِهَا هرونَ وابنَ هَانِى

واعجَبْ لها مِنَ ازدِواجِ الفَرْدِ

شَاهِدَةٌ للمُقْرى بالفَضْلِ   والطَّلُّ منْسُوبٌ لجودِ الوبْلِ

قد تفعلُ العَصَاةُ فِعْلَ النَّصْلِ   والجزءُ أدنَى مِنْ فَوَاتِ الكُلِّ

كم حُسنُ سَبكٍ أذهَبَ التعدّى

حَدِيـــقَةُ الـــسُّرورِ والأسْرارِ   نَضِيــرةُ الــزهُورِ كـــالــنُّضَارِ
جَاءتْ وليس الـشّعرُ مِن شِعَارِى   تَقُول لِلـــزُّجَاجِ لا تُمـــارِى
ماذا تقولُ يا بعيدُ بَعْدى
تَمّتْ مَعَانِيــهـا بــحُسْنٍ أكْمــلِ   مِثل الـزُّهور فى الـرياضِ تَنْجَلِى
قــدْ بَشَّرتْ بِصفْوِ عَيــشٍ مُقْبِلِ   مــذْ أراحَتْ زَاكــى حِفْظ لِعَلــى
احمد مولَى مُستَحِق الحمْدِ

وله فيه توشيح عارض به لسان الدين بن الخطيب الأندلسى ، رحمه الله ومطلعه :

تَركَ الـــــهَجْرَ ووافَى كَرمًا   بـــعْدمَا كـــانَ لــعَهْدى قَدْ نَسِى
اهْيَفُ الـــقَدِّ كـــغُصْنٍ عُلّمَا   مِنْ نَسِيــم الـروْضِ فَنَّ المــيَسِ
مــفْردٌ فــى الحــسْنِ ثَنّى مُعْجبًا   ألفَ الـــقَدّ بـــشِكْلٍ حَسَنِ
غُصْنُ بَانٍ هَزّه رِيـــــحُ صبًا   خَدُّه يـزْهُو عـلى المَوْرِدِ الجـنِى
سَاحِرُ الجــــفْنِ أرانَا عَجَبًا   أسْرُه للأسْدِ حَالَ الـــــوَسَنِ
قَمرٌ فـــى أفُقِ الحــسْن سَمَا   لاحَ مِنْ أطـواقِ أسْنَى المـلْبَسِ
بَدرُ تَمٌّ زادَ حُسْنًا ونَمَا   بـهْجَةً مِن فَوق قُطــبِ الأطْلَسِ
جعلَ الوصْلَ عـلى الحبِّ جَزا   وجَلاَ بـــالأمْنِ قـــلْبًا وَجِلا
لحـظُهُ الـغَزالُ بــالـسّحْرِ غَزَا   كَمْ سَبـــا قـــلْبًا وعَقْلاً عقَلاَ
واهـتِزَاز الـعِطْفِ بـالـغُصْنِ هَزا   ومِنَ الـــغَيـــرَةَ أسْلَى الأسَلا
وجْهُهُ فـاقَ عــلـى بَدْرِ الــسّمَا   وبـــــنَارِ نُورِه لَمْ يُمْسَسِ
أطْلقَ الحـــسْنُ عــلَيـــه عَلَمَا   وزهَتْ وجْنَتُه بـــالـــقَبَسِ
حَرسَ الـــوَرْدَ بـــخَالٍ سَبِجِ   وعـــلَيــــه الآسُ حَرسًا نَبَتَا
وسُطِـــتْ مُقْلَتُه بِالـــدّعَجِ   مُقْبِلاً يَجْرحُ أو مُلْتَفِتَـــــا
عـــابِثُ الـــقَدّ بِحُبِّ المـــهَجِ   شَفَتَاه لـــــفُؤادِى شَفَتَا
رفَعَ الـــــقَطْعَ ووَصْلاً جَزَمَا   بـــانْشِرَاحٍ مـــا بِنـــا مِنْ عَبَس
وتـعَاهَدْنـا عـــلـى رَشْفِ الـلّمَا   إنّ وُدّى عِنْدَه لا يـــــنْتَسِى
نَصَبَ الـــهُدْبَ لِصَيْدى شَرَكًا   لَحــظُهُ المـرْسَلُ فـــى فـتْرته
وبِسَيْفِ الجـــفْنِ لمـــا فَتكَا   فَطَرَ الـقــلْبَ عـــلــى فِطْرَتِه

عَلَّمَ العُشَّاقَ تَرْكُ الشُّرْكَا ... وحَذَارِ النَّارِ مِنْ وجنَتِهِ
مُعْجِزُ الواصِفِ أبْدَى حِكَمًا ... مُذْ بدَا بالحسنِ جَمْعًا مكْنِسِى
فَتَّحَ الوردَ بخَدَّيه كَمَا ... لَينَ الصَّلْدَ مِن القَلْبِ القَسِى
شَرفَ المنْزِلَ والوقْتُ صفَا ... أهيفٌ حَارَ لَهُ مَن وصفَا
تَسْتَعِيرُ الغِيدُ مِنْهُ وطَفَا ... عَادتى مِنْ حَارِ نَارِى وَطفَا
جَاء طَبًّا لجِراحِى وشِفَا ... حينَ قَبَّلْتُ خُدُودًا وشِفَا
كَعْبَةُ الحسْنِ لكَاسِى زَمزمًا ... وازدَرى عِقْد ثُغُور الأكْؤسِ
قُلْتَ لَبَّيكَ حَبِيبى عِندمَا ... طَافَ يَسْعَى بِحيَاةِ الأنْفُسِ
لَبِسَتْ حُلَّةُ ضُوءِ الشُّهُبِ ... أرجُوَانِيَّةَ لَونِ وضَحَا
وبَدَتْ فِى دُرْ تَاجِ الحَبَبِ ... تَتَهَادَى فِى مَقَامِى فَرَحَا
لَيلَةُ الوصْلِ لَهَا واعَجَبِى ... جَمعتْ لى البدرَ مع شمْسِ الضّحَى
وحَلاَ لِى ثَغْرُهُ مُلْتَثِمَا ... فِى عَفَافِ عِرضُنَا لَمْ يُدْنَسِ
واتخَذْنَا جَنَّةَ الروضِ حِمَى ... وهْوَ بالرضْوانِ فِيهَا مُؤْنِسِى
كتخَذا رِضْوان كَنزُ الفقَرا ... بهجَةُ العُمْرِ وشَمسُ الزمَنِ
عنده حَطتْ رِحَال الشُّعَرا ... وصَفُوه كَلَّ وصْفٍ حَسَنِ
فَهْو مَوْلاَهم ومَوْلَى الأمَرا ... وفَرِيدٌ لَيس بالمقْتَرِن
كفّه الغيثُ على الناسِ هَمَى ... فأعَادَ الخِصْبَ بعد اليَبَسِ
اصبح الدهرُ به مُبتَسِمَا ... وهْو فِى فِيهِ مَحَلّ اللَّعَسِ

ومنه :

فِى رِقَاعِ الحربِ للأعْدا رَمَى ... سَطْوَةَ الرُّخِّ وفَرزَ الحرَسِ
اَضْحكَ السَّيفَ وأبكَاهُم دَمَا ... وتخَطّى شَاهَهُم بالفَرَسِ

ومن موشحاته أيضًا فى المشار إليه من عراق :

عَبِيرُ الزّهرِ قدْ نَسّمْ ... ولاحَ الوردُ فِى أفْنَانْ
وسَاقِى المزْنِ قدْ نظَّمْ ... ثَنَايَا الوردِ فِى المرْجَانْ
وغُصْنُ البانَةِ الأقْوَم ... تَحَلّى سُنْدُسَ الرَّيحَانْ
فَمَا أبْهَى ومَا أنْعَمْ ... عِذارَ الآسِ فِى النُّعْمَانْ

دور :

حَبِيـــبِى بـــالّذى ورّد شَقَائِقَ خَدّك الـــتّبْرِى
وثَنى قَدَّكَ المـــفْرَدْ بِخَمْرَةَ ثَغْرِك الـــدُّرِى
ومنْكَ الجـــفْنُ قـــدْ سَوّد علـى هَارُوتَ بـــالسّحْرِ
أدرْ كـــأس الـــطّلا واغْنَمْ زمَانَ الـــفوْزِ بـــالـرضْوانْ

دور :

مَليـــكٌ أوحَدُ الـــعَصْرِ وفِيٌّ صَادقُ الـــوعْدِ
بَدَا فـــى طـــلْعَة الـبَدْرِ وهَيْبَة طَلْعَة الأسْـــدِ
صَدِيـــقُ الـــعزّ والـــنّصْرِ حَليـــفُ الجـــودِ والمجْدِ
لِهَذَا تَرْجَمَ الأعْجَـــمْ بِمدْحِ الـــكَتْخـــدا رضْوان

وقال فى نيرز عجم :

نـــظَمَ الـــطَّلُّ عقُودا حوْلَ أجْيـــاد الـــغُصُون
وتَمَايَسْن قُـــــدُودا فـــى حَلاَ زَهْرِ الـــغُصُون
واجْتـــلَى الـــوَرْدُ خُدُودا نـرجـسٌ غَضٌ الـــعُيون
وشَدَا الـــطيـــرُ غَرِيـــدا هَاجَ بـــلْبَالَ الـــشُّجُونْ

دور :

لَبِسَ الـــــوردُ احْمِرَارا فـى حِمَى رَوضِ الـنَّعِيـم
وعـــلـى الأغـــصَان دَارا سَاقِىَ الـقـــطْرِ الـعَمِيـم
كـــلَّمَا مـــالَتْ سكَارى عـــلّها صِرفُ الـــنّسِيـمْ
عـــانَقَتْ جِيـــدًا وجِيـــدًا واشْتـــفَتْ رُمْدُ الجـــفُون

دور :

كَتْخـــدَا رِضْوانُ ذُخْرِى صَاحِبُ الـــوَجْه المـــنِيـــرْ
وغَنَائـــى عـــنْد فَقْرى جَابِرًا قـــلْبِى الـــكَسِيـــرْ
مـا احْتِيـالى غـيـرَ شِعْرِى وامْتِدَاحِى لِلأميـــــرْ
فـى الورَى أمسَى فَرِيـدًا صَاحـــبُ الـــعِزِّ المـــتِينْ

وقال فى رصد :

ريمٌ فَلاَ حـــين جَلاَ لـــى كـــاسَ طلا شَمـــسٌ وبـــدْرٌ كَمُلاَ
كـــف مَلاَلى ومَلا سِلْســـالِ عقْدُ لآل بـــالحـــسْن اكْتَسَى حُلَلاَ
خِشْف حَلاَ غـــالِى يـــجـــل لـــى فَاقَ عـــلـــى الـــشّمْسِ جَلاَ

دور :

بـــــــدرُ عَلا حـــــــينَ تـــــــلالا واكتَمَلا غُصْنٌ تَهَادى ثَملاَ
مُعْتـــدلاَ فـــيــــه جَلاَ يـختــالُ ذا المـيّال منه الـــغُصْنُ قـــدْ خَجلاَ
زَانَ حَلا سَالِي عُذّالــــى بَدْرٌ عــــــلــــى الــــــغـــــصْنِ عَلاَ

خانة أولى :

كـــمْ فَتَنَّا حُسْن سَنــــاهُ حـــينَ رنَا كـــالـــبـــدرِ يـــعلُو غُصـــنَا
لاح لَنـــــا قَانى مَنْ أعيَانــــى بــــالـــــهجْرانِ مكْحُول الأجْفَانِ
زَادنى شَجَنَا بــــالـــــلّحظِ الــــوسنَان غُصْنُ الـــبَانِ الــــفتّان

خانة ثانية :

وردُ جَنَا عزّ جَنَاهُ قــــــــــــــــــد حَسَنًا إذْ حَازَ وجْهًا حَسَنَا
زادَ سنَا قَانى مَنْ أسَبـــانى بـــالـــعِقيـــان فـــى الـــشــغْرِ المـــرْجَان
لَوْ إلَيّ دنَا مِنْهُ خَمرُ الحَان بـــــــالـــــــــــرّضْوان سَعْدِى آن

دور المديح :

مُتّصِلا مَدح عُلاَ مَن زَادَ ولا طـــــــــــه أمَامُ الـــــــــــفُضَلاَ
والـــــنُّبلاَ خَيْرُ مَلاَ والآل ذِى الإجْلال فــــى فَضْل الـــــكَريم ولاَ
مِنْهُ إلـــــــــــى جَالِى أهْوالِى الـــــــــــفُ سَلامِ وَصَلاَ

وقال فى حجاز :

يــا قَوام الــبَان عَنْك صَبْرِى بَان فُقْتَ بــالـــفَنِ عادلَ الأغْصَان
والخدَيْدُ الـقَان كُلُّ حُسْنِ قـــان ذَاك عَن وسَنى سَلْهُ لِى يَا قـــان

خانة :

ذُو سَنَــا افـــتَنَا مذْ رنَا وانـثنـى قــامــةُ الـغُصْنِ وجنةُ الـنُّعْمَان
الـــقَنــا لِلْقَنـــا مَاثَنــى عن سَنَـا شكْلكَ الحسَنِ راجِىَ الإحْسَان

سلسلة :

أنتَ مُسْبى الوِلْدَان والغُزلاَن بالأجْفَان يا منْصَان هَاتِ بينَ الأفنان
خَمْرَ الحَانِ بالألْحَانِ فى البُستان

دولاب :

حُسْنكُ الـفَتّان مُفْردٌ فى الآن مَالَهُ مِـن ثَـان بـدْرٌ بـان أمْ إنْسَان
آنَ وصْلـى آنَ فاترك الهَجْران لـيـتَه مَا كَان وارْحَمْ فان بالأشْجَان

خانة :

مـنْ عنَّا مَنْعـنَا راعَنـا وارعَنـا أنْ تُعَذّبَنى فـيـكَ بـالحـرْمَان
فَاتنًا أفْتِنَا هـلْ دنَا قُربـنَا سَائـر الـفتن لحـظـك الـوَسْنَان

سلسلة :

فـاشْف قـلْبَ الـولْهَان الـظَّمْآن مِنْ أدنَـان الـنُّدْمـان
أنـتَ عَينُ الأعْيـان فـى الأزْمَان رغْمَ الـشّان يـا ذَا الـشَّان

دولاب :

زُرْ أخَا شَجَنِى فـى هَواكَ ضَنَى لا تـطِلْ هجْرَانـى قَانـى
غـايـةُ المـنَنِ أنْ تَزرْ وطَنِى بـالجـفَا إنـسَانى قَانِى

خانة :

ما صغَتْ أذنى مَن يُعنـفُنُّى فيكَ أو يلْحَانى جَانى
عنك غَيَّرنى لاَ وَلاَ إنسَانى
بَهْجَةَ الـزمَن غالـى الـثمـن ثَغـرَك المرْجَانـى خَانى
لستُ عنْه غَنِى مَطلبُ العِقْيانِ

خانة :

هَا أنَا للـضنَّى كىْ أنـالَ المنَى   نـاحلٌ بـدنـى   فـاقدُ الـسلْوان
كُنْ لـنَا مُحْسِنَا   فالـهَنَـا قَدْ دَنا   حـين بَشَّرنـى   مِنكَ بِالـرضْوان

المديح :

ذوُ الـعَطَـا الـهتَّان   والــسُّلْطـان   فــى الميَدان   لــلـشَّجْعَان
حَسْبُــه ذو الـتِّبيَان   بـنــالـقُرآن   والــبُرهــان   مِن عــدنَان

وغير ذلك كثير ، وسنذكر بعضها فى تراجمهم .

عـــود وانعطـــاف

ولم يزل رضـوان كتخدا وقَسِيمُهُ على إمارة مصـر ورئاستهـا حتى مات إبـراهيم كتخدا كـما تقدم ، فتداعـى بموته ركن المترجـم ، ورفعت النيام رُؤوسـها ، وتحركت حفائظها ونفوسها ، وظهر شأن عبد الـرحمن كتخدا القازدغلى ، وراج سوق نفاقه ، وأخذ يعضـد مماليك إبراهيـم كتخدا ، ويغريـهم ويحرضهم عـلى الجلفية ، لـكونهم مواليه فيـخلص له بهم ملك مـصر ، ويظن أنَّهم يراعون حق ولائ ه وسيادة جده ، فكـان الأمر علـيه بخـلاف ذلك كمـا ستـراه ، وهم كذلـك يظهـرون له الانقـياد ، ويرجعون إلى رأيه ومشورته ليتم لهم به المـراد ، وكل من أمراء إبراهيم كتخدا متطلع للرياسة أيضًا ، وبالـبلدة أيضًا من الأكابر والاختيارية ، وأصحـاب الوجاهة ، مثل : حسن كتخدا أبى شنب ، وعلى كتخدا الخـربطلى ، وحسن كتخدا الشعراوى ، وقرا حسن كتخدا ، وإسماعيل كتخدا التبانة ، وعثمان أغا الوكيل ، وإبراهيم كتخدا مناو، وعلى أغا توكلى ، وعمر أغا متفرقة ، وعمر أفندى محرم اختيار جاويشان ، وخليل جاويش حيضان مصلى ، وخليل جاويش الـقازدغلى ، وبيت الهياتم ، وإبراهيم أغا ابن السـاعى ، وبيت درب الشمـسى ، وعمر جاويـش الداودية ، ومصطفـى أفندى الشريف اختيارية متفرقة ، وبيت بلفية ، وبيت قصبة رضوان ، وبيت الفلاح ، وهم كثيـرون اختيارية وأوده باشـية ، ومنهم أحـمد كتخدا ، وإسـماعيل كتخـدا ، وعلى كتخدا ، وذو الـفقار جاويش ، وإسمـاعيل جاويش وغيـرهم ، فأخذ أتباع إبـراهيم كتخدا ، يدبرون فى اغتيال رضوان كتخـدا ، وإزالته ، وسعت فيهم عقارب الفتن ، فتـنبـه رضوان كتـخدا لـذلك ، فاتـفق مع أغـراضه ، ومـلك الـقلعـة والأبواب ، والمحمودية ، وجامع السلطان حسن ، واجتمـع إليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم ،

ومن انضم إليهم ، وكاد يتم له الأمر ، فسعى عبد الرحمن كتخدا ، والاختيارية فى إجراء الصلح ، وطلع بعضهم إلى رضوان كتخدا ، وقالوا له : « هؤلاء أولاد أخيك ، وقد مات وتركهم فى كنفك مثل الأيتام ، وأنت أولى من كل أحد ، وليس من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخاصمهم ، فإنك صرت كبير القوم ، وهم فى قبضتك أى وقت ، فلا تسمع كلام المنافقين » ، فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم ، واعتقد نصحهم ، لأنه كان سليم الصدر ، ففرق الجمع ، ونزل إلى بيته الذى بقوصون ، فاغتنموا عند ذلك الفرصة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا القلعة والأبواب والجهات ، والمترجم فى غفلته آمن فى بيته مطمئن من قبلهم ، ولايدرى ما خبئ له ، فلم يشعر إلاً وهم يضربون عليه بالمدافع ، وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن إليهم ، فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحى ، فحارب فيهم إلى قريب الظهر ، وخامر عليه أتباعه فضربه مملوكه صالح الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة ، فأصابته فى ساقه ، وهرب مملوكه إلى الأخصام ، وكانوا وعدوه بأمرية إنْ هو قتل سيده ، فلما حضر إليهم وأخبرهم بما فعل ، أمر علي بيك بقتله ، وقال هذا خائن ، وليس فيه خير ، فشفعوا فيه ، وأمروا بنفيه ، وعندما أصيب المترجم طلب الخيول ، وركب فى خاصته وخرج من نقب نقبه فى ظهر البيت ، وتألم من الضربة ، لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار إلى جهة البساتين ، وهو لايصدق بالنجاة ، فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره ، ثم ركب وسار إلى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى [1] ، ودفن هناك ، فكانت مدته بعد قسيمه قريبا من ستة أشهر ، ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه فى البلاد ، وسافر بعضهم إلى الحجاز من ناحية القصير [2] ، ثم ذهبوا من الحجاز إلى بغداد واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما ، فكانت مدتهما نحو سبع سنوات ، ومصر فى تلك المدة هادية من الفتن والشرور ، والإقليم البحرى والقبلى أمن وأمان ، والأسعار رخية ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله

---

(١) شرق أولاد يحيى : أصلها من نواحى بنى هميم ، فصلت فى العصر العثمانى ، باسم أولاد يحيى شرق ، وفى ١٨٨٨ م قسمت إلى ناحيتين ، أولاد يحيى بحرى ، وأولاد يحيى قبلى وهى الأصلية ، إحدى قرى مركز البلينا ، محافظة سوهاج .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٠٥ .

(٢) القصير : من الثغور المصرية القديمة على البحر الأحمر ، وهى موضع قريب من عيذاب ، والمسافة بينها وبين قنا ١٥٥ كيلو مترا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٧١ .

بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفا واقل، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفا ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ، ويصب على ساحل بولاق ، مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأرادب ، والأرز أردبه بأربعمائة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفا ، وشمع الدهن بأربعة أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفا ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف ، وقس على ذلك .

يقول جامعه : إنِّى أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أنَّ مولدى كان فى سنة سبع وستين ومائة وألف [1] ، ولما صرت فى سن التمييز ، رأيت الأشياء على ما ذكر إلا قليلا ، وكنت أسمع الناس ، يقولون : « الشىء الفلانى زاد سعره عما كان فى سنة كذا » ، وذلك فى مبادى دولة إبراهيم كتخدا ، وحدوث الاختلال فى الأمور ، وكانت مصر إذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدائها قاهرة ، يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير .

مطلب[2]

وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق [3] ، لاتوجد فى غيرها

منها : أنَّ فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين أحدهما : أسفل رجالى ، والثانى : فى الحريم ، فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدره أمير المجلس ، وحوله الضيفان ، ومن دونهم مماليكه وأتباعه ، ويقف الفراشون فى وسطه ، يفرقون على الجالسين ، ويقربون إليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات ، ولايمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أنَّ ذلك من المعايب ، حتى أنَّ بعض ذوى الحاجات عند الأمراء ، إذ حجبهم الخدام ، انتظروا وقت الطعام ، ودخلوا ، فلا يمنعهم الخدم فى ذلك الوقت ، فيدخل صاحب الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير ، لأنه إذا نظر على سماطه شخصا لم يكن

---

(١) ١١٦٧ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٧٥٣ - ١٧ أكتوبر ١٧٥٤ م .

(٢) العنوان كتب بهامش ص ٢٠٣ ، طبعة بولاق .

(٣) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٠٣ ، طبعة بولاق « كان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق » .

رآه قبل ذلك ، ولم يذهب بعد الطعام عرف أنَّ له حاجة ، فيطلبه ويسأله عن حاجته، فيقضيها له ، وإنْ كان محتاجا واساه بشىء ، ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل : أيام أوّل رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى رمضان ، والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملأون من ذلك قصاعا كثيرة ، ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين ، ويجتمع فى كل بيت الكثير من الفقراء ، فيفرقون عليهم الخبز ، ويأكلون حتى يشبعوا من ذلك اللبن والزردة ، ويعطونهم بعد ذلك دراهم ، ولهم غير ذلك صدقات ، وصلات لمن يلوذ بهم ، ويعرفون منه الاحتياج وذلك خلاف ما يعمل ويفرق ، من الكعك المحشو بالسكر والعجمية والشريك ، على المدافن والترب فى الجمع والمواسم ، وكذلك أهل القرى والأرياف ، فيهم من مكارم الأخلاق ما لايوجد فى غيرهم من أهل قرى الأقاليم ، فإن أقل ما فيهم إذا نزل به ضيف ولو لم يعرفه اجتهد وبادر بقراه فى الحال ، وبذل وسعه فى إكرامه ، وذبح له ذبيحة فى العشاء ، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير من كبار العرب والمقادم ، فإنَّ لهم مضايف واستعدادات للضيوف ، ومن ينزل عليهم من السفار والأجناد ، ولهم مساميح وأطيان فى نظير ذلك ، خلفا عن سلف إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، ويعسر استقصاؤه ، وبموت رضوان كتخدا ، لم يقم لوجاق العزب صولة .

ومات : الأجل المكرم ، والملاذ المفخم ، الخواجا الحاج أحمد بن محمد الشرايبى ، وكان من أعيان التجار المشتهرين كأسلافه ، وبيتهم المشهور بالأزبكية بيت المجد والفخر والعز ، ومماليكهم من أعيان مصر جربجية وأمراء ، ومنهم يوسف بيك الشرايبى ، وكانوا فى غاية من الغنى والرفاهية ، والنظام ومكارم الأخلاق والإحسان للخاص والعام ، ويتردّد إلى منزلهم العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة والتغيير ، وانتفاع الطلبة ، ولايكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها فى مواريثهم ، ويرغبون فيها ، ويشترونها بأغلى ثمن ، ويضعونها على الرفرف ، والخزائن والخورنقات [1] ، وفى مجالسهم جميعا ، فكل من دخل إلى بيتهم من أهل العلم إلى أى مكان بقصد الإعارة أو المراجعة ، وجد بغيته ومطلوبه فى أى علم كان من العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ، ولايمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه ، فإن رده فى مكانه رده ، وإن لم يرده واختص به أو باعه لا يسأل عنه ، وربما بيع الكتاب عليهم ، واشتروه مرارا ، ويعتذرون عن الجانى

(١) الخورنقات : الأماكن المعدة لحفظ الكتب .

بضرورة الاحتياج ، وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والإتقان والكثرة ، وهو مبذول للقاصى والدانى مع السعة والاستعداد ، وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم ، وأخلاقهم جميلة وأوضاعهم منزهة عن كل نقص ورذيلة ، ومن أوضاعهم وطرائقهم أنهم لايتزوّجون إلا من بعضهم البعض ، ولاتخرج من بيتهم امرأة إلا للمقبرة ، فإذا عملوا عرسا أولموا الولائم وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه ، وتنزل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنساء الخلص ، والمغانى والجنك تزفها ليلاً بالشموع ، وباب البيت مغلوق عليهن ، وذلك عندما يكون الرجال فى صلاة العشاء بالمسجد الأزبكى المقابل لسكنهم ، وبيتهم يشتمل على اثنى عشر مسكنا ، كل مسكن بيت متسع على حدته ، وكان الأمراء بمصر يترددون إليهم كثيراً من غير سبق دعوة ، وكان رضوان كتخدا يتفسح عند المترجم فى كثير من الأوقات مع الكمال والاحتشام ، ولايصحبه فى ذلك المجلس إلا اللطفاء من ندمائه ، وإذا قصده الشعراء بمدح لايأتونه فى الغالب إلا فى مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين ، وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم ، وتحت يده الكاتب[1] ، والمستوفى [2] ، والجابى [3] ، فيجمع لديه جميع الإيراد من الالتزام والعقار الجامكية، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل إنسان راتبه على قدر حاله ، وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء فى الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب فى كل شهر ، وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده ، ويقسمه على كل فرد بقدر إستحقاقه وطبقته ، واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة ، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الإيراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار كل حزب بما لديهم فرحون ، وكان مسك ختامهم صديقنا ، وأخانا فى الله اللوذعى الأريب ، والنادرة المفرد النجيب ، سيدى إبراهيم بن محمد بن الدادة الشرايبى الغزالى ، كان رحمه الله تعالى مَلَكِيّ الصفات ، بسام العشيات ، عذب المورد ، رحيب النادى ، واسع الصدر للحاضر والبادى ، قطعنا معه أوقاتا كانت لعين الدهر قرة ، وعلى مكتوب العمر عنوان المسرة ، وكان لسان حاله يقول :

إذا مَا مَضَى يَومٌ ولـمْ أصْطَنِع يـدًا ولمْ أقْتَبِسْ عِلْمًا فما ذَاكَ مِنْ عُمْرِى

---

(١) الكاتب : انظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (٣) .

(٢) المستوفى : هو الشخص الذى يستوفى كامل الحسابات ويتممها ويتسلمها ، ويقوم بتحصيلها الجابى.

(٣) الجابى : هو الموظف الذى يقوم بجمع الإيراد من المستحق عليهم .

ومازال يشترى متاع الحياة بجوهر عمره النفيس ، مواظبا على مذاكرة العلم ، وحضور التدريس ، حتى كدر الموت ورده ، وبدد الدهر الحسود بنوائبه عِقده ، كما يأتى تتمة ذلك فى سنة وفاته ، وانمحت بموته من بيتهم المآثر ، وتبدد بقية عِقدهم المتناثر .

ومات : أحمد چلبى ابن الأمير عليّ ، والأمير عثمان ، ولم يبق منهم إلا كما قال القائل :

ذهَبَ الذين يُعَاش فى أكْنافِهم ... وبَقِيتُ فى خَلَفٍ كَجِلْد الأجْربِ

وتزوّج مماليك القازدغلية نساءهم ، وسكنوا فى بيتهم .

ومنهم : سليمان أغا صالح ، وتقلد الزعامة وصار بيتهم بيت الوالى ، ووقف ببابه الأعوان والزبانية ، ويحبس به أرباب الجرائم ، فيعذبون ويعاقبون ، لايسئل عما يفعل ، وكثيراً ما أتذكر بذكرهم ، قول القائل :

سقَى اللهُ عيشًا فى ظِلالِ رُبُوعهم ... حَلاَ ذكْرُه فى الذَّوقِ وهو مُدَامُ
لَيَال لَنا فى مِصْرَ وصْلٌ كأنَّها ... على وجنَةِ الدهْرِ الممَنَّع شَامُ
يَحِينُ حِمَامِى مِن حَنِينِى ولَوْعَتى ... إذَا نَاح فَوقَ الأيْكَتَيْنِ حَمَامُ

توفى المترجم فى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : سلطان الزمان ، السلطان محمود خان العثمانى ، وكانت مدته نيفا وعشرين سنة ، وهو آخر بنى عثمان فى حسن السيرة والشهامة والحرمة ، واستقامة الأحوال والمآثر الحسنة ، توفى ثامن عشر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف [2] .

وتولى السلطان عثمان بن أحمد ، أصلح الله شأنه .

ومات : النبيه النبيل ، والفقيه الجليل ، والسيد الأصيل ، السيد محمد المدعو حمودة السديدى ، أحد ندماء الأمير رضوان كتخدا ، ولد بالمحلة الكبرى [3] ، وبها

---

(١) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م . (٢) ١٨ صفر ١١٦٨ هـ / ٤ ديسمبر ١٧٥٤م .

(٣) المحلة الكبرى : مدينة قديمة ، اسمها الأصلى (Didouseya) ديدوسيا ، واسمها القبطى (Dakala) ، ووردت فى المصادر العربية باسم « المحلة الكبرى » ، ثم وردت بدون إضافة ، وهى من المدن الكبيرة ، وهى قاعدة مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٦ - ١٨ .

نشأ، وحفظ القرآن ، واشتغل بطلب العلم ، فحصل مأموله فى الفقه والمعقول ، والمعانى والبيان والعروض ، وعانى نظم الشعر ، وكان جيد القريحة ، حسن السليقة فى النظم والنثر والإنشاء ، وحضر إلى مصر ، وأخذ عن علمائها ، واجتمع بالأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفى المشار إليه ، وصار من خاصة ندمائه ، وامتدحه بقصائد كثيرة طنانة ، وموشحات ، ومزدوجة بديعة ، والمقامة التى داعب بها الشيخ عمار القروى ، وأردفها بقصيدة رائية بليغة فى هجو المذكور ، سامحهما الله ، وكل ذلك مذكور فى : « الفوائح الجنانية » ، لجامعه الشيخ عبدالله الإدكاوى حج رحمه الله ، ومات وهو آيب بأجرود ، سنة ثلاث وستين ومائة وألف [1] ، ورثاه الشيخ عبدالله الإدكاوى بقصيدة طويلة أولها :

مَن نَصِيرى على الفِراقِ الأشَقّ | أوْ مِنَ الدهر آخذ لى بِحَقِّى

وبيت تاريخها :

ولـهُ الحورُ بالدُّعَاءِ تُؤرخْ | جود رحما تُرب السّديدى يَسْقِى

ومات : الأجل المكرم ، محمد چلبى ابن إبراهيم چربجى الصابونجى ، مقتولا ، وخبره أنَّه لما توفى أبوه ، وأخذ بلاده ، وبيتهم تجاه العتبة الزرقاء [2] ، على بركة الأزبكية ، فتوفى أيضًا عثمان چربجى الصابونجى بمنفلوط [3] ، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة وألف [4] ، ومات غيره كذلك من معاتيقهم ، وكان محمد چربجى مثل والده بالباب ، ويلتجئ إلى يوسف كتخدا البركاوى ، فلما مات البركاوى ، خاف من عليّ كتخدا الجلفى ، فالتجأ إلى عبدالله كتخدا القازدغلى ، وعمل ينكجرى ، فأراد أنْ يقلده أوده باشة ، ويلبسه الضلمة ، فقصد السفر إلى الوجه القبلى ، وذلك فى سنة أربع وخمسين [5] ، ، فسافر واستولى على بلاد عثمان چربجى ومعاتيقه وقام هناك ، وكان رذلا بخيلا طماعا شرها فى الدنيا ، وكان مماليكه يهربون منه ، وكانت أخته زوجا لعمر أغا خازندار أبيه ، ولم يفتقدها بشىء.

واتفق : أنَّ رجلا من كبار هوارة بحرى توفى ، فأرسل المترجم إلى وكيله أحمد أوده باشة ، فأخذ له بلاد المتوفى بالمحلول ، ودفع حلوانها إلى الباشا ، فأرسل أولاد

---

(١) ١١٦٣ هـ/ ١١ ديسمبر ١٧٤٩ - ٢٩ نوفمبر ١٧٥٠ م .

(٢) العتبة الزرقاء : حارة تقع على ميدان العتبة تتصل بشارع الموسكى .

(٣) منفلوط : انظر ، ص ٤٩ ، حاشية رقم (٧) .

(٤) ١١٤٧ هـ/ ٣ يونيه ١٧٣٤ - ٢٣ مايو ١٧٣٥ م . (٥) ١١٥٤ هـ/ ١٩ مارس ١٧٤١ - ٧ مارس ١٧٤٢ م .

المتوفى إلى هوارة قبلى ، عرفوهم أن بلاد أسلافهم أخذها ابن الصابونجى ، ونازل يتصرف فيها ، وطلبوا منهم معونة حتى يرسلوا إلى إبراهيم كتخدا القازدغلى ، ويدفعوا الذى دفعه فى الحلوان ، ويخلص لهم بلادهم ، فأرسلوا لهم هوارة ، وعبيدا ، وسيمانية ، فحاربوه وغلبوه ، فعدى إلى البر الغربى ، فوقفوا فى مقابلته ، فخاف منهم أنْ يعدوا خلفه ، فنزل إلى المراكب ، واخذ معه صندوق الأوراق والتقاسيط ، وحضر إلى مصر ، ودخل إلى داره بالأزبكية ، ثم إنَّ هوّارة أرسلت إلى إبراهيم كتخدا ، فأحضره وتكلم معه ، وترجى عنده ، فلم يمتثل ، واستمر على عناده ، فلم يزل ابن السكرى يلاطفه ، فلم يتحول عن ذلك ، فأرسل إبراهيم كتخدا، وأخذ فرمانا بنفيه إلى الحجاز ، فأخذوه إلى السويس ، ومن شدة حرصه أخذ صحبته صندوق الأوراق والتقاسيط والحجج والتذاكر ، فلما وصل إلى السويس أرسل خلفه إبراهيم كتخدا فرمانا ، صحبة جاويش بقتله فقتلوه ، وأحضروا الصندوق إلى إبراهيم كتخدا ، وترك ثلاث بنات ، زوّج بنتا منهنّ إلى خازنداره ، وسكن بها فى بيت بحارة الضبيبة [1] عند سوق أمير الجيوش ، وأخذ بيت الأزبكية إبراهيم كتخدا ، وزوج زوجته خازنداره محمود أغا ، فأقام معها أياما ومات ، فزوّجها إلى حسين أغا ، وولاه كشوفية المنصورة ، وبعد تمام السنة عمله أمين الشون، وأعطاه رضوان كتخدا ولاية البحر ، وعمله كتخداه مدة أيام ، ثم تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه ، وهو حسين بيك المقتول الآتى ذكره .

فصل

ولما مات إبراهيم كتخدا القازدغلى ، ورضوان كتخدا الجلفى ، بدأ أمر أتباع إبراهيم كتخدا فى الظهور ، وكان المتعين بالإمارة منهم عثمان بيك الجرجاوى ، وعلى بيك الذى عرف بالغزاوى ، وحسين بيك الذى عرف بكشكش ، وهؤلاء الثلاثة تقلدوا الصنجقية والإمارة فى حياة أستاذهم ، والذى تقلد الإمارة منهم بعد موته ، حسين بيك الذى عرف بالصابونجى ، وعلى بيك بلوط قبان ، وخليل بيك الكبير ، وأمّا من تأمّر منهم بعد قتل حسين بيك الصابونجى ، فهم : حسين بيك جوجة ، وإسماعيل بيك أبو مدفع ، وأما من تأمّر بعد ذلك بعناية على بيك بلوط قبان ، عندما ظهر أمره ، فهو إسماعيل بيك الأخير ، الذى تزوّج ببنت أستاذه ، وكان

(١) حارة الضبيبة : حارة تتفرع من شارع أمير الجيوش .

خازنداره ، وعلى بيك السروجى ، فلما استقر أمرهم بعد خروج رضوان كتخدا ، وزوال دولة الجلفية ، تعين بالرياسة منهم على أقرانه عثمان بيك الجرجاوى ، فسار سيرا عنيفا من غير تدبر ، وناكد زوجة سيده بنت البارودى وصادرها فى بعض تعلقاتها ، فشكت أمرها إلى كبار الاختيارية ، فخاطبوه فى شأنها ، وكلمه حسن كتخدا أبو شنب ، فردّ عليه ردا قبيحا ، فتحزبوا عليه ونزعوه من الرياسة ، وقدموا حسين بيك الصابونجى وجعلوه شيخ البلد ، ولم يزل حتى حقد عليه خشداشينه وقتلوه .

وخبر موت حسين بيك المذكور : أنه لما مات إبراهيم كتخدا ، قلدوا المذكور إمارة الحج ، وطلع سنة ١١٦٩ [١] ، وسنة ١١٧٠ [٢] ، ثم تعين بالرياسة ، وصار هو كبير القوم والمشار إليه ، وكان كريما جوادا وجيها ، وكان يميل بطبعه إلى نصف حرام ، لأن أصله من مماليك الصابونجى ، فهرب من بيته وهو صغير ، وذهب إلى إبراهيم جاويش ، فاشتراه من الصابونجى ورباه ، ورقاه ثم زوّجه بزوجة محمد جربجى ابنُ إبراهيم الصابونجى ، وسكن بيتهم وعمره ووسّعه ، وأنشأ فيه قاعة عظيمة ، فلذلك اشتهر بالصابونجى ، ولما رجع من الحجار قلد عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان ، وهو عبد الرحمن أغا المشهور ، فى شهر ربيع من السنة المذكورة ، وهى سنة ١١٧٠ [٣] ، وطلع بالحج فى تلك السنة محمد بيك ابن الدالى ، ورجع فى سنة إحدى وسبعين [٤] ، ثم إنَّ المترجم أخرج خشداشه على بيك المعروف ببلوط قبان ، ونفاه إلى بلده ، النوسات [٥] ، وأخرج خشداشه أيضًا عثمان بيك الجرجاوى منفيا إلى أسيوط ، وأراد نفى عليّ بيك الغزاوى ، وأخرجه إلى جهة العادلية ، فسعى فيه الاختيارية بواسطة نسيبه على كتخدا الخربطلى ، وحسن كتخدا أبى شنب ، فألزمه أن يقيم بمنزل صهره على كتخدا المذكور ببركة الرطلى [٦] ، ولايخرج من البيت ، ولايجتمع بأحد من أقرانه ، وأرسل إلى

---

(١) ١١٦٩ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٥٥ - ٢٥ سبتمبر ١٧٥٦ م .

(٢) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .

(٣) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .

(٤) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

(٥) النوسات : قرية صغيرة وردت بصيغة المثنى وبصيغة المفرد ، كانت تابعة لـلفيوم ، وهى الآن إحدى قرى مركز الواسطة ، محافظة بنى سويف .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ .

(٦) بركة الرطلى : بركة كانت قائمة غربى جامع الظاهر ، كانت من جملة أرض الطبالة ، كان شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد ، التى تزن بها الناس ، فسماها الناس بركة الرطلى ، نسبة لصانع الأرطال .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

خشداشه حسين بيك المعروف بكشكش ، فأحضره من جرجا ، وكان حاكما بالولاية ، فأمره بالإقامة فى قصر العينى ، ولايدخل إلى المدينة ، ثم أرسل إليه بالسفر إلى جهة البحيرة ، وأحضروا إلى جهة البحيرة ، وأحضروا إليه المراكب التى يسافر فيها ، ويريد بذلك تفرق خشداشينه فى الجهات ، ثم يرسل إليهم ويقتلهم لينفرد بالأمر والرياسة ، ويستقل بملك مصر ، ويظهر دولة نصف حرام ، وهو غرضه الباطنى ، وضم إليه جماعة من خشداشينه ، وتوافقوا معه على مقصده ظاهرا، وهم : حسن كاشف جوجة ، وقاسم كاشف ، وخليل كاشف جرجى ، وعلى أغا المنجى ، وإسماعيل كاشف أبو مدفع ، وآخر يسمى حسن كاشف ، وكانوا من أخصائه وملازميه ، فاشتغل معهم حسين بيك كشكش واستمالهم سرا ، واتفق معهم على اغتياله ، فحضروا عنده فى يوم الجمعة على جرى عادتهم ، وركبوا صحبته إلى القرافة ، فزاروا ضريح الإمام الشافعى ، ثم رجع صحبتهم إلى مصر القديمة ، فنزلوا بقصر الوكيل ، وباتوا صحبته فى أنس وضحك ، وفى الصباح حضر إليهم الفطور فأكلوه وشربوا القهوة ، وخرج المماليك ليأكلوا الفطور مع بعضهم ، وبقى هو مع الجماعة وحده ، وكانوا طلبوا منه أنعاما ، فكتب إلى كل واحد منهم وصولا بألف ريال ، وألف أردب قمح ، وغلال ، ووضعوا الأوراق فى جيوبهم ، ثم سحبوا عليه السلاح وقتلوه وقطعوه قطعا ، ونزلوا من القصر وأغلقوه على المماليك والطائفة من خارج ، وركب حسن كاشف جوجة ركوبة حسين بيك ، وكان موعدهم مع حسين بيك كشكش عند المجراة ، فإنه لما أحضروا له مراكب السفر تلكأ فى النزول ، وكلما أرسل إليه حسين بيك يستعجله بالسفر يحتج بسكون الريح ، أو ينزل بالمراكب ، ويعدى إلى البر الآخر ويوهم أنه مسافر ، ثم يرجع ليلا ويتعلل بقضاء أشغاله ، واستمر على ذلك الحال ثلاثة أيام حتى تمم أغراضه ، وشغله مع الجماعة ، ووعدهم بالإمريات ، واتفق معهم أنَّه ينتظرهم عند المجراة ، وهم يركبون مع حسين بيك ويقتلونه فى الطريق إنْ لم يتمكنوا من قتله بالقصر ، فقدر الله أنهم قتلوه وركبوا حتى وصلوا إلى حسين بيك كشكش ، فأخبروه بتمام الأمر ، فركب معهم ، ودخلوا إلى مصر ، وذهب كشكش إلى بيت حسين بيك بالداودية ، وملكه بما فيه ، وأرسل بإحضار خشداشينه المنفيين ، وعندما وصل الخبر إلى علىّ بيك الغزاوى ببركة الرطلى ركب فى الحال مع القاتلين ، وطلعوا إلى القلعة ، وأخذوا فى طريقهم أكابر الوجاقلية ، ومنهم حسن كتخدا أبو شنب ، وهو من أغراض حسين بيك المقتول ، وكان مريضا بالأكلة فى فمه ، وقالوا لبعضهم : « إن لم يركب معنا أو أنَّه اعترض على فعلنا قتلناه » ، فلما دخلوا إليه ، وطلبوه نزل إليهم من الحريم ،

فأخـبروه بقتلـهـم حسين بـيك ، فلم يجبـهـم إلا بقوله هـو أخوكم وفيكـم الخلف والبركة ، فـطلبوه للركوب معـهـم فاعتذر بالمرض ، فـلم يقبلوا عذره ، فتـطيلس ، وركـب معهم إلـى القلعـة ، وولوا عليّ بـيك كبيـر البلد عوضـا عن حسين بـيك المقتول، وكان قتله فى شهر صفر إحدى وسبعين [1] ، ثم إنّ مماليكه وضعوا أعضاءه فى خرج ، وحملوه على هجين ، ودخلوا به إلـى المدينة ، فأدخلوه إلى بيت الشيخ الشبراوى بالرويعى ، فـغسلوه وكفنوه ، ودفنوه بالقرافة ، وسكـن عليّ بيك المذكور بيت حسـين بيك الصابونجـى الذى بالأزبكية ، وأحـضروا عليّ بيك مـن النوسات ، وعثمان بيك الجرجاوى من أسيوط ، وقلدوا خليل كاشف صنجقية ، وإسماعيل أبو مدفع كـذلك ، وقاسم كاشـف قلدوه الزعامـة ، ثم قلدوا بـعد أشهر حسـن كاشف المعروف بجوجة صنجقية أيضًا ، وكان ذلك فـى ولاية عليّ باشا ابن الحكيم الثانية ، فكان حال حسينْ بيك المقتول مع قاتليه ، كما قال الشاعر :

وإخْوانٌ تَخذْتُهُمُو دُروعًـا ... فـكَانُوهـا ولـكِنْ للأعَادِى

وخلْتُهـمُو سِهـامًا صَائـبـات ... فـكَانُوهـا ولـكِنْ فـى فُؤادِى

وقَالُوا قـد صَفَتْ منَّا قُلـوبٌ ... لـقـد صَدَقُوا ولـكِنْ من وِدَادِى

وقـالُوا قـد سَعَيْنَا كُلَّ يَوم ... لـقـد صَدَقُوا ولـكِنْ فـى فَسَادِى

ولأبى إسحقْ التلمسانى :

الـغَدْرُ فى الـنـاس شيـمةٌ سلَفَتْ ... قـد طَالَ بـين الـوَرَى تَصرّفُهـا

مـا كُلُّ من قـد سَرتْ لـه نِعَمٌ ... منْك يَرَى قَدْرَهـا ويـعْرِفُهـا

بـل رُبَّمَا أعـقَبَ الجـزَاءَ بهـا ... مـضَرَّةً عَزّ عَنْكَ مَصْرِفُهـا

أما تَرى الشمسَ كـيفَ تَعطِفُ بالنُّـ ... ـورِ علـى البـدْرِ وهو يـكْشِفُهـا

وأما من مات فى هذا التاريخ من الأعيان ، خلاف حسين بيك المذكور

فالشيـخ الإمام الفقيه ، المحدث الأصولـى ، المتكلم الماهر ، الـشاعر الأديب ، عبد الله بن مـحمد بن عامر بـن شرف الدين ، الشبراوى الـشافعى ، ولد تقـريبا فى سنة اثنتين وتسعين وألف [2] ، وهو من بيت العلم والجـلالة ، فجده عامر بن شرف الدين ، ترجمـه الأمينى فى الخلاصة ، ووصفـه بالحفظ والذكاء ، فأول من شـملته

(١) صفر ١١٧١ هـ / ١٥ أكتوبر - ١٢ نوفمبر ١٧٥٧ م . (٢) ١١٩٢ هـ/ ٢١ يناير ١٦٨١ - ٩ يناير ١٦٨٢ م .

إجازته سيدى محمد بن عبدالله الخرشى ، وعمره إذ ذاك نحو ثمان سنوات ، وذلك فى سنة ألف ومائة [١] ، وتوفى الشيخ الخرشى المالكى فى سابع عشرين الحجة سنة واحد ومائة وألف [٢] ، وتولى بعده مشيخة الأزهر الشيخ محمد النشرتى المالكى ، وتوفى فى ثامن وعشرين الحجة سنة عشرين ومائة وألف [٣] ، ووقع بعد موته فتنة بالجامع الأزهر ، بسبب المشيخة والتدريس بالأقبغاوية [٤] ، وافترق المجاورون فرقتين ، فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوى ، والأخرى تريد الشيخ عبد الباقى القلينى، ولم يكن حاضرا بمصر ، فتعصب له جماعة النشرتى ، وأرسلوا يستعجلونه للحضور ، فقبل حضوره تصدّر الشيخ أحمد النفراوى ، وحضر للتدريس بالأقبغاوية، فمنعه القاطنون بها ، وحضر القلينى ، فانضم إليه جماعة النشرتى ، وتعصبوا له فحضر جماعة النفراوى إلى الجامع ليلا ، ومعهم بنادق ، وأسلحة وضربوا بالبنادق فى الجامع ، وأخرجوا جماعة القلينى ، وكسروا باب الأقبغاوية ، وأجلسوا النفراوى مكان النشرتى ، فاجتمعت جماعة القلينى فى يومها بعد العصر ، وكبسوا الجامع ، وقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوى ، فقتلوا منهم نحو العشرة أنفار ، وانجرح بينهم جرحى كثيرة ، وانتهبت الخزائن ، وتكسرت القناديل ، وحضر الوالى ، فأخرج القتلى ، وتفرق المجاورون ، ولم يبق بالجامع أحد ، ولم يصل فيه ذلك اليوم ، وفى ثانى يوم طلع الشيخ أحمد النفراوى إلى الديوان ، ومعه حجة الكشف على المقتولين ، فلم يلتفت الباشا إلى دعواه لعلمه بتعديه ، وأمره بلزوم بيته ، وأمر بنفى الشيخ محمد شنن إلى بلده الجدية [٥] ، وقبض على من كان بصحبته وحبسوهم فى العرقانة ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، وتطاول حسن أفندى نقيب الأشراف على الشيخ النفراوى ، والشيخ شنن فى الديوان بحضرة الباشا ، ومن جملة ما قال له : « جماعتك المفاسيد الذين هم عاملون طلبة علم يصعدون على المنارة » ، ويقولون فى محل الآذان : « يا آل حرام ، ويضربون بالرصاص فى المسجد » ، واستقر القلينى فى المشيخة والتدريس ، ولما مات تقلد بعده الشيخ محمد شنن ، وكان النفراوى قد مات ، ولما مات الشيخ شنن تقلد المشيخة الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى المالكى .

---

(١) ١١٠٠ هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٦٨٨ - ١٤ أكتوبر ١٦٨٩ م .

(٢) ٢٧ ذى الحجة ١١٠١ هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٥٩٣ م .

(٣) ٢٨ ذى الحجة ١١٢٠ هـ / ١٠ مارس ١٧٠٩م .

(٤) الأقبغاوية : مدرسة أنشأها الأمير آقبغا عبد الواحد ، إستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٠ هـ / ٩ يوليه ١٣٣٩ - ٢٧ يونيه ١٧٤٠ م ، وهى ملتصقة بالجامع الأزهر ، وفى حدوده .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٥.

(٥) الجدية : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز رشيد ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

ولما مات : فـى سنة سبـع وثلاثين [1] انتقلت المـشيخة إلى الشافعـية ، فتولاها الشيخ عبدالله الشبراوى المترجم المذكور فى حـياة كبار العلماء بعد أن تمكن ، وحضر الأشياخ : كالشيخ خليل بن إبراهيم اللقانى ، والشهاب الخليفى ، والشيخ محمد بن عبد الباقى الزرقانـى ، والشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ منصـور المنوفى ، والشيخ صالح الحنـبلى ، والشيخ محمـد المغربى الصغيـر ، والشيخ عيد النمـرسى ، وسمع الأولية ، وأوائل الـكتب من الشيخ عبـدالله بن سالم البصرى أيام حـجه ، ولم يزل يترقى فى الأحـوال والأطوار ، ويفيد ويملى ويدرس حتى صـار أعظم الأعاظم ، ذا جاه ومنزلـة عند رجال الدولة والأمـراء ، ونفذت كلمتـه ، وقبلت شفاعتـه ، وصار لأهل العلـم فى مدته رفعة مـقام ومهابة عند الخـاص والعام ، وأقبلت عـليه الأمراء وهادوه بـأنفس مـا عندهـم ، وعَمّر داراً عظيـمة عـلى بركـة الأزبكيـة بالقـرب من الرويعى، وكذلك ولـده سيدى عامر ، عمر دارا تجاه دار أبيه ، وصـرف عليه أموالا جمة ، وكـان يقتنى الظـرائف والتحائف مـن كل شىء ، والكتب المـكلفة النفـيسة بالخط الحـسن ، وكان راتب مطبـخ ولده سيدى عمر فـى كل يوم من اللحـم الضّأن رأسين من الغنم الـسمان يذبحان فى بيته ، وكـان طلبة العلم فى أيام مشـيخة الشيخ عبدالله الشبراوى ، فى غاية الأدب والاحتـرام ، ومن آثاره : « كتاب مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف» ، و « شرح الصدر فى غزوة بدر » ، ألفها بإشارة على باشا ابن الحكـيم ، وذكر فـى آخرهـا : نبذة مـن التاريـخ ، وولاة مصـر إلى وقت صـاحب الإشارة، وله « ديـوان » يحتوى على غـزليات ، وأشعار ، ومـقاطيع مشهـور بأيدى الناس وغير ذلك كثير ، وأوردت فى هذا المجموع كثيرا من كلامه بحسب المناسبات ، توفى فـى صبيحة يـوم الخميس سادس ذى الحـجة ختام سـنة إحدى وسبعـين ومائة وألف[2] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل عن ثمانين سنة تقريبا .

ومات : الشيخ الإمام الأحق بالتقديم ، الفقيه المحدث الورع ، الشيخ حسن بن على بن أحمد بن عبدالله الشافعى الأزهرى المنطاوى ، الشهير بالمدابغى ، أخذ العلوم عن : الـشيخ منـصور المنوفـى ، وعمر بن عـبد السـلام التطاونـى ، والشيخ عـيد النمرسـى ، والشيخ محمـد بن أحمد الوزازى ، ومحمـد بن سعيد التنـبكتى [3] ،

(1) ١١٣٧ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ - ٨ سبتمبر ١٧٢٥ م ، كتـب أمامها بهامش ص ٢٠٩ ، طـبعة بولاق « انتقال مشيخة الأزهر إلى الشافعية » .

(2) ٦ ذى الحجة ١١٧١ هـ / ١١ أغسطس ١٧٥٨ م .

(3) تنبكتو : مدينة تقع فى غرب أفريقيا فى دولة مالى .

وغيرهم ، خدم العلم ، ودرس بالجامع الأزهر ، وأفتى وألف ، وأجاد منها : « حاشيته على شرح الخطيب على أبى شجاع » ، نافعة للطلبة ، وثلاثة شروح على الأجرومية ، وشرح الصيغة الأحمدية ، وشرح الدلائل ، وشرح على حزب البحر ، وشرح حزب النووى شرحا لطيفا ، واختصر شرح الحزب الكبير للبنانى ، ورسالة فى القراءات العشر ، وأخرى فى فضائل ليلة القدر ، وأخرى فى المولد الشريف ، وحاشيته على جمع الجوامع المشهورة ، وحاشيته على شرح الأربعين لابن حجر ، واختصر سيرة ابن الميت ، وحاشية التحرير ، وحاشية على الأشمونى ، وشرح قصيدة المقرى التى أولها سبحان من قسم الحظوظ ، وحاشية على الشيخ خالد ، وغير ذلك ، ومن إملائه أو لبعض مشايخه فى أقسام الجملة الحالية :

ولَزِمَ الواوُ مُضَارِعًا بِقَد وانفَرَدَ الضَّمِيرُ فى سَبع تُعَد
ماضٍ تَلاَ إلاّ ومَتْلُو بِأوْ كَذَا مُضَارِعٌ بِمَا أوْلا نَفَوْا
أو مُثْبتٌ أو اكدت جُمْلَة أو مَعْطُوفةٌ والبَاقِى مُطلَقًا رَوَوْا

توفى فى عشرين شهر صفر سنة سبعين ومائة وألف [1] ، ورثاه الشيخ عبدالله الإدكاوى بقصيدتين ، إحداهما غينية : مطلعها :

مضَى عالمُ العصرِ الإمامُ لِرَبه حَميدُ المسَاعى فاندبنه وبَالغِ

وبيت تاريخها :

ولما قَضَى ذاك المهَذبُ نحبَهُ وآب برِضْوانٍ مِنَ اللهِ سَابغِ
دعَوتُ أحِبّائى وقلتُ لهم قِفُوا مَعِى عندَ ذاَ التاريخِ نبكِى المدَابغِى

والثانية نونية : مطلعها :

صَبرًا فذا الدهرُ مِن عَاداته المحَنُ وفى تَلَوّنه قد حَارَت الفِطنُ

وبيت تاريخها :

والحورُ جَاءتْك بالبُشْرى مؤرخةً حُلّيت مِن حُلَلِ الأبرارِ يا حَسَنُ

(١) ٢٠ صفر ١١٧٠ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧٥٦ م .

ومات : العلامة القدوة شمس الدين ، محمد بن الطيب بن محمد الشرفى الفاسى ، ولد بفاس [1] سنة عشر ومائة وألف [2] ، واستجاز له والده من أبى الأسرار حسن بن على العجمى من مكة المشرفة ، وعمره إذ ذاك ثلاث سنوات ، فدخل فى عموم إجازته ، وتوفى بالمدينة المنورة سنة سبعين ومائة وألف [3] ، وتاريخه مغلق عن ستين عاما ، رحمه الله تعالى .

ومات : الشيخ داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بن خضر الشرنوبى البرهانى المالكى الخربتاوى ، ولد سنة ثمانين وألف ، وحضر على كبار أهل العصر ، كالشيخ محمد الزرقانى ، والخرشى وطبقتهما ، وعاش حتى ألحق الأحفاد بالأجداد ، وكان شيخا معمرا مسندا ، له عناية بالحديث ، توفى فى جمادى الثانية سنة سبعين ومائة وألف[4] .

ومات : الشيخ القطب الصالح العارف الواصل ، الشيخ محمد بن على الجزائى القاسمى ، الشهير بكشك ، ورد مصر صغيرا ، وبها نشأ وحج وأخذ الطريقة عن سيدى أحمد السوسى ، تلميذ سيدى قاسم وجعله خليفة القاسمية بمصر ، فلوحظ بالأنوار والأسرار ، ثم دخل المغرب ليزور شيخه ، فوجده قد مات قبل وصوله بثلاثة أيام ، وأخبره تلامذة الشيخ أنَّ الشيخ أخبر بوصول المترجم ، وأودع له أمانة ، فأخذها ، ورجع إلى مصر ، وجلس للإرشاد ، وأخذ العهود ، ويقال إنَّه تولى القطبانية ، توفى سنة سبعين ومائة وألف [5] .

ومات : الشيخ الفقيه ، الفاضل العلامة ، محمد بن أحمد الحنفى الأزهرى ، الشهير بالصائم ، تفقه على سيدى على العقدى ، والشيخ سليمان المنصورى ، والسيد محمد أبى السعود ، وغيرهم ، وبرع فى معرفة فروع المذهب ، ودرس بالأزهر ، وبمشهد الحنفى [6] ، ومسجد محرم فى أنواع الفنون ولازم الشيخ

---

(١) فاس : إحدى مدن المغرب الأقصى .   (٢) ١١١٠ هـ / ١٠ يوليه ١٦٩٨ - ٢٨ يونيه ١٦٩٩ م .
(٣) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .
(٤) جمادى الثانية ١١٧٠ هـ / ٢١ فبراير - ٢١ مارس ١٧٥٧ م .
(٥) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .
(٦) مشهد الحنفى : أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود الحنفى بجوار داره سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، وجعل له سبيل وكُتاب لتعليم الأطفال ، ويقع بشارع خليل طينة ، ويعلوه قبة مرتفعة ، وأوقف عليه أوقافا كثيرة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٨ .

العفيفى كثيرا ، ثم اجتمع بالشيخ أحمد العريان ، وتجرد للذكر والسلوك ، وترك علائق الدنيا ، ولبس زى الفقراء ، ثم باع ما ملكت يداه ، وتوجه إلى السويس ، فركب فى سفينة ، فانكسرت فخرج مجردا بساتر العورة ، ومال إلى بعض خباء الأعراب ، فأكرمته امرأة منهم ، وجلس عندها مدة يخدمها ، ثم وصل إلى الينبع على هيئة رثة ، وأوى إلى جامعها ، واتفق له أنه صعد ليلة من الليالى على المنارة ، وسبح على طريقة المصريين ، فسمعه الوزير إذ كان منزله قريبا من هناك ، فلما أصبح طلبه ، وسأله ، فلم يظهر حاله سوى أنَّه من الفقراء ، فأنعم عليه ببعض ملابس ، وأمره أنْ يحضر إلى داره كل يوم للطعام ، ومضت على ذلك برهة ، إلى أنْ اتفق موت بعض مشايخ العربان ، وتشاجر أولاده بسبب قسمة التركة ، فأتوا إلى الينبع يستفتون ، فلم يكن هناك من يفك المشكل ، فرأى الوزير أن يكتب السؤال ، ويرسله مع الهجان بأجرة معينة إلى مكة ، يستفتى العلماء ، فاستقل الهجان الأجرة ونكص عن السفر ، ووقع التشاجر فى دفع الزيادة للهجان ، وامتنع أكثرهم ، ووقعوا فى الحيرة ، فلما رأى المترجم ذلك ، طلب الدواة والقلم وذهب إلى خلوة له بالمسجد ، فكتب الجواب مفصلا بنصوص المذهب ، وختم عليها ، وناوله للوزير ، فلما قرأه تعجب ، وقال له لِمَ تُخْفِ نفسك وأنت من علماء الإسلام والمسلمين ؟ فاعتذر بأنه لو قال كذلك ، لم يصدقه أحد لرثاثة حاله ، فحينئذ أكرمه الوزير وأجله ، ورفع منزلته ، وعين له من المال والكسوة ، وصار يقرأ دروس الفقه والحديث هناك ، حتى اشتهر أمره ، وأقبلت عليه الدنيا ، فلما امتلأ كيسه ، وانجلى بوسه ، وقرب ورود الركب المصرى ، رأى الوزير تفلته من يده فقيد عليه ، ثم لما لم يجد بدا عاهده على أنه يحج ويعود إليه ، فوصل مع الركب إلى مكة ، وأكرم وعاد إلى مصر ، ولم يزل على حالة مستقيمة ، حتى توفى عن فالج جلس فيه شهوراً ، فى سنة سبعين ومائة وألف [1] ، وهو منسوب إلى سقط الصائم [2] ، إحدى قرى مصر من أعمال الفشن بالصعيد الأدنى، ولم يخلف فى فضائله مثله ، رحمه الله .

ومات : الإمام الأديب ، الماهر المتفنن ، أعجوبة الزمان ، عليّ بن تاج الدين محمد بن عبد المحسن بن محمد بن سالم القلعى الحنفى المكى ، ولد بمكة ، وتربى فى حجر أبيه فى غاية العز والسيادة والسعادة ، وقرأ عليه وعلى غيره من فضلاء

---

(١) ١١٧٠ هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .

(٢) سقط الصائم : قرية قديمة ، وردت فى تاريخ ١٢٣٠ عـ/ ١٨١٣ م ، باسم « سقط العرفا » ، وهى إحدى قرى مركز الفشن ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٩١ .

مكة ، وأخذ عن الواردين إليها ومال إلى فن الأدب ، وغاص فى بحره ، فاستخرج منه اللآلئ والجواهر ، وطارح الأدباء فى المحاضر ، فبان فضله وبهر برهانه ، ورحل إلى الشام ، فى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف [١] ، واجتمع بالشيخ عبد الغنى النابلسى ، فأخذ عنه ، توجه إلى الروم ، وعاد إلى مكة ، وقدم إلى مصر سنة ستين [٢] ، ثم غاب عنها نحو عشر سنين ، ثم ورد عليها ، وحينئذ كمل شرحه على بديعيته ، وعلى بديعيتين لشيخه الشيخ عبد الغنى وغيره ، ممن تقدم ، وهى عشر بديعيات ، وشرحه على بديعيته ثلاث مجلدات ، قرظ عليه غالب فضلاء مصر ، كالشبراوى ، والإدكاوى ، والمرحومى ، ومن أهل الحجاز الشيخ إبراهيم المنوفى ، وهذا تقريظ الشبراوى ، ونقلته من ديوانه :

أذاك ثـغرٌ تَبَسّمْ ... أمْ ذاك لـطفٌ تَجسّمْ
أمْ رَوضَةٌ قـد تَغَنّى ... شَحْرُورُهَا وتَرَنّـمْ
أمِ الصَّبَا حِينَ هَبّتْ ... أزالَت الـهَمّ والـغَمّ
أم بَرقُ نُعْمَان لَمّا ... بـدَا مِن الـغَوْرِ أوْهَمْ
أمْ ذاك بُلْبُلُ فَضْـل ... عـنِ المحَاسِنِ تَرْجَم
أم ذَاك عهْدُ المصَلّى ... نحو الـعَذِيب ويَمّم
قـد كنتُ أعتِبُ دَهْرِى ... وأحْسِبُ الدهْرَ أعقَم
وطَالمَا سَاء ظَنّى ... وقـلْتُ يـا دهْرُ كَمْ كَمْ
كـمْ جَاهِلٍ يتَألّى ... وفَاضِلٍ يتَألّم
وكـمْ طلَبْتُ عَليمًا ... فـقَالَ لالا وصَمّم
وقُلْتُ يـا دهرُ مَهْ مَهْ ... فـصَدّ عـنّى وهَمْهَمْ
فـقُلْتُ دَهْرِى بَخيلٌ ... بـالـفَضْلِ واللهُ أكرَم
وكَادَ فِكْرِى يُنَادِى ... ربْعُ المعَالى تَهدّم
حتى رأيتُ عَجيبًا ... من فَضْلِكَ الباهِرِ الجَم
فـقَالَ لِى مَدْحُ هَذَا ... فَرضٌ عـلَيْك مُحتّم
وفى امْتداحِ سِوَاهُ ... لُزُومُ مَـا لَيس يَلزم
هـذا هُوَ الـفَضْلُ هـذا ... مقَـام مَن رَام يَغنَم
وعِقْدُ دُرّ فَرِيد ... نَمَاهُ بيتٌ مُحرَم

---

(١) ١١٤٢ هـ / ٢٧ يوليه ١٧٢٩ - ١٦ يوليه ١٧٣٠ م . (٢) ١١٦٠ هـ / ١٣ يناير ١٧٤٧ - ١ يناير ١٧٤٨ م .

مَرْبَاهُ بَانَـــاتُ نَجْدٍ ... وسَرحُ ذاك المخَيَّـــم

مَحَاسِنٌ لَـيسَ تُحصَى ... وحَدُّهَـا لَـيس يُعلَم

وإنْ تَرِدْ مُنْتَهَاهَـــا ... أعيتك والصَّمْتُ أسْلَم

يَـا واحِدَ العَصْرِ لُطفًا ... يَـا ابْنَ المَقَامِ وزَمْزَم

أنتَ الهُمَامُ المفَدّى ... إنْ سَلّم الضِّدُّ أوْ لَمْ

أنت التى حُزت مَجْدًا ... يكفِى الوَرَى لَوْ تَقَسّم

أنتَ الذى لَوْ رآه ... بَدِيـعُ هَمَذان سَلّم

أو كَانَ لِلسَّعْدِ سَعْدٌ ... لـكَانَ مِنْكَ تَعَلّم

فَيَارَعَى اللهُ خَطًّا ... بالحَظِّ مَعْنَاه قَدْ عَمّ

أفديه خَطًّا ولَفظًا ... أتَى مِن اليَدِ والفَمّ

إنْ قُلْتُ خَطّ عَلِيّ ... فالحَظّ أعْلَى وأعظَم

أو قُلتُ حِفظ قَوِى ... فالفَهْم أقوى وأقوَم

أو قُلت فَرعٌ زكِى ... فالأصْلُ تَاجٌ مكرَّم

لا واخَذَ اللهُ دهرًا ... فيمَا مَضَى كَان أجْرَم

سَامَحْتُ دهرِىَ لَمّا ... رأيتُه بك أنعَم

وقد وجَدتُك تُبْدى ... لفظًا كَدُر مُنَظّم

لله دَرك حَبْرًا ... أعْطِيتَ فى الفَضْلِ مَالَم

فكُلٌّ لفظك لُطفٌ ... وكُلُّ مَعْنَاك مُحكَم

فإنْ تَفُهْ بِبَدِيعِ ... فَهُو البَدِيعُ المتَمَّم

وإنْ أتَيتَ بنَظْمٍ ... أشْجَيْتَ كُلَّ مُتَيَّم

وإنْ تكَلَّمْتَ نَثْرًا ... أعْرَبْتَهُ وهْو مُعْجَم

وكُلّمَا قُلْتَ قَولاً ... فَذاك قَولٌ مُسَلَّم

وإنْ أقَمْتَ دليلاً ... فَهو الدّلِيلُ المقَومّ

مَاذَا أقُولُ إذا مَا ... أردتُ أنْ أتكلَّم

أوصَافُك الغُرّ فَاقَتْ ... عمّا أحِيطُ وأعْلَم

يَا دهرُ أنعَمْتَ فَاغفِر ... مَا كَان مِنّىَ وارْحَم

ويَا لسَانِى تأخّرْ ... ويَا بَنَانِى تَقَدّم

فَمَا لَهُ مِن نَظِيرٍ ... فى الذاتِ والكَيفِ والكَم

وكُلُّ وصفِ جَميـــــلٍ لِغَيرِه فيـــــه قَدْ تَم
وكـــيفَ أثني عَلَيـــه وفَضلُه أَجَمَ الــــفَم
وغـــــايَةُ الأمرِ أنّى عَجزتُ واللهُ أعْلَـــم

وكان للمترجم بالوزير المرحوم على باشا ابن الحكيم التام زائد ؛ لكونه له قوة يد ومعرفة فى علم الرمل ، وكان فى أوّل اجتماعه به فى الروم أخبره بأمور ، فوقعت كما ذكر ، فازداد عنده مهابة وقبولا ، ولما تولى المذكور ثانى توليته ، وهى سنة سبعين [1] ، قدم إليه من مكة من طريق البحر ، فأغدق عليه ما لايوصف ، ونزل فى منزل بالقرب من جامع أزبك [2] بخط الصليبة ، وصار يركب فى موكب حافل تقليدا للوزير ، ورتب فى بيته كتخدا وخازندارا ، والمصرف والحاجب على عادة الأمراء ، وكان فيه الكرم المفرط ، والحياء والمروءة ، وسعة الصدر فى إجازة الوافدين مالا وشعرا ، ومدحه شعراء عصره بمدائح جليلة ، منهم الشيخ عبدالله الإدكاوى له فيه عدة قصائد ، وجوزى بجوائز سنية ، ولما عوِّل مخدومه توجه معه إلى الروم ، فلما ولى الختام ثانيا ، زاد المترجم عنده أبهة ، حتى صار فى سدة السلطنة أحد الأعيان المشار إليهم ، واتخذ دارا واسعة فيها أربعون قصرا ، ووضع فى كل قصر جارية بلوازمها ، ولما عزل الوزير ونفى إلى إحدى مدن الروم ، سلب المترجم جميع ما كان بيده ، ونفى إلى اسكندرية ، فمكث هناك حتى مات فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف [3] ، شهيدا غريبا ، ولم يخلف بعده مثله ، وله ديوان شعر ورسائل منها : « تكميل الفضل بعلم الرمل » ، و « متن البديعية » ، « سماه الفرج فى مدح عالى الدرج » ، اقترح فيها بأنواع منها ، وسع الاطلاع والتطريز والرث والاعتراف ، والعود والتعجيب والترهيب والتعريض ، وأمثلة ذلك كله موضحة فى شرحه على البديعية ، ومن مقاطيعه ، وفيه التذييل :

بـــوجْهِكَ الحـــسْنُ زَاهْ وأنـــتَ بـــالحـــسْنِ زَاهِرْ
ومِنْ سَنَائـــــكَ وَافْ وأنـــــــت يَا بَدْرُ وافِرْ
وإنّ طـــــرفِىَ سَاهْ وجَفْنُه منْك سَـــــاهِرْ
ومِنْ صُدُودِكَ شَـــاكِ ومِـــــنْ وِصَالِك شَاكِرْ

---

(1) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .

(2) جامع أزبك : أنشأه الأمير أزبك اليوسفى ، يقع بشارع العتبة الخضراء .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١١٥ - ١١٦ . .

(3) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩ م .

وله وفيه الجناس المعنوى المضمر :

كَلامُ هــــذَا الـــثّغر مِثْل الـــرّقَى يــذْهبُ عـنِّى يــا حَبِيبِى الــكَلاَمْ
فــقُلْتُ مَالَوْ قــالَ خَالِى عــلــى لامِ عِذَارٍ قُلْتُ هَــــذَاكَ لاَمْ

وله وفيه الجناس اللفظى :

ضَنّتْ بـوصْلِى وظَنَّتْ أنْ سَلَوتُ ومَا ظَنّ الـعَذُولِ بمــنْ لاضَنّ بالمَالِ
غـاظَتْ عـلـىّ ومـا غَاضَتْ مَحَبّتُهـا وعـاضَدَتْ غَيـظَهـا مـع قَولِ عُذّالِى

وله فيه الجناس المطلق والتام المستوفى :

أنّ الـظّرِيـفَ الـذى أهْواهُ قـد ذَهَبـا وَصِرْت فــى فَرقٍ مُذْ فــرّق الــذّنَبا
وجُدتُ بالـرُّوحِ كيْ يرضَى بِهَا فـأبى وقــالَ بَلْ هى فــى مِلْكِ الـذى وَهَبَا

وله وفيه الجناس المفروق :

بوَادِى الــصّالحِيّةِ بَدْرُ تَمّ فــديْتُ جَمَالَهُ من صَالحِىّ
إذا مَا صَالَ مِنْ وَادِيــه قَومٌ وجَالُوا قــالَ لِى قَدْ صَالَ حَيّ

وله فى مدح أستاذه الشيخ عبد الغنى وفيه المدح بما يشبه الذم :

ولا عَيبَ فى عَبدِ الغَنِى سَوِى غِنَى الْعُــ ــلُومِ وتَقْوى الله مــع نُصْحِ خَلْقِه
ومــعْرِفــةُ الـدنْيــا جَمِيــعًا لِكَشْفِهِ فــمــنْ ذَا يَقُمْ حَقّا بــواجِبِ حَقّه

وقال : الشيخ عبدالله الإدكاوى فى مجموعته المسماة بضاعة الأريب من شعر الغريب ، ما نصه : « ولما كان عام ثمان وخمسين ومائة وألف [1] ، قدم علينا محروسة القاهرة ذات المزايا الباهرة المولى الفاضل ، والهمام الكامل ، الأديب الألمعيّ، والأريب اللوذعيّ ، نور الدين على بن تاج الدين ، الحنفى المكى القلعى ، عالم مكّة ومفتيها كان تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأظهر من بدائعه الغريبة ، وروائعه المطربة العجيبة ، بديعته الغراء ، وفريدته العذراء ، المسماة الأنواع العجيبة الاختراع ، وابتدع أنواعا لم يسبقه إليها سابق ، ولا لحقه فيها لاحق ، منها نوع سماه وسع الاطلاع ، بديع الأوضاع ، وقدر الله باجتماعى على ذلك الفاضل ، وأسمعنى من بديع ألفاظه ، وألفاظ بديعه ما غدا القلب به والها ، وأهلاً وشنف سمعى من نوع وسع الاطلاع ، بقصائد هى للعقول مصايد ، تطَفَّلْتُ حينئذ على فصاحته

(1) ١١٥٨ هـ / ٢٠ فبراير ١٧٤٥ - ٢٣ يناير ١٧٤٦ م .

الناصعة ، وعزمت على السباحة فى تلك اللجة الواسعة ، فمدحته بهذه القصيدة :

صبٌّ بوعْدِك كمْ مَطلْتَه ... هَاجَرْتَهُ هَـلاّ أجَرْتَه
سَهْرانُ نامُ مُسَامِرُو ... ه هُجَّعًـا هَلا أنمْتَه
كَمِدٌ دَواعِي يـأسُه ... هـاجَتْ تَحكُّم مَا أثَرْتَه
عَان نَـواهُ كَرَاهُ هَـ ... ـلاّ أنت تكريمًا أرحتَه
يَشْكُو ومنْ نيـرَانه ... هُو واردٌ دمْعًـا أسلْتَه
أضْحَى يُؤكَـدُ داءَهُ ... هَيَمَانُه هَـلاّ أزلْتَه
يـا مـحنـة تـصبى يـحـ ... ـل لديك كم مشق قتلته »

إلى آخرها ، وهى طويلة ، قال : « فحين قدمتها إليه ، وتشرفت بلثم يديه ، أجاز وتطول ، ومدح وطوّل ، وأوقفنى مما اقترحه على نوع ثان سماه العود ، يعجز لب الفاضل عن البدء فيه والعود ، ورأيته نظم منه بيتين أطرب من المثانى والمثالث ، وقال فى عبارة لأعز عندى من عزهما بثالث ، فعملت له من هذا النوع قصيدة مدحته بها وهى :

عَقيقُ دمْعى غَدا فى الجذْعِ كَالدِّيَم ... مُذْ بَانَ سُكّانُ بَانِ الحيّ والعَلَمِ
وانْهَلّ مـنْسَجِمًا مِنْ نَارِ مُضْطَرِم ... مَلآن وجْدا إلـى خِشْفٍ بذِى سلَمِ
ظَبْيٌ نَفُورٌ أنيسٌ نَاعِسٌ يَقِظٌ ... بالـلَّيلِ متَّشِحٌ بالصُّبحِ مُلْتَثِمِ
أحْوى أغَنٌّ رشيقٌ أحْورٌ غَنِجٌ ... نَشْوانُ صَاحٍ ظَلُومٌ عـادلٌ حكَمِ
إنْ أرْضَ يغْضبْ وإنْ أقربْ نأى صَلَفًا ... وإنْ أذلّ يَتِهْ بـالْعزّ والشَّمَمِ
مُهَفْهَفٌ مـا بـدَتْ للـغُصْنِ قَامتُه ... إلاّ انْثَنَى ذَابِلَ الأوراقِ ذَا ضَرَمِ
وإنْ تَبَسَّمَ مَا بَرْقٌ بِكَاظمَة ... لَهُ وَمِيضٌ يُجَلّى دَاجِيَ الظُّلَمِ
مَا فـيه عَيـبٌ سوَى تَفْتِيرُ مُقْلَتِه ... وفَتْكِهَا فى فُؤاد المُدْنَف السَّقِمِ
حَلا ابْتِسَامًا جَلاَ وجْهًا سَبَى قَمَرا ... لانَ انْعطَافًا قَسَا قَلْبًا عـلى الأمَمِ
ابـن الطـفـيـل يُحَيّيه الفُؤادُ فَدَعْ ... أبـا مُعَاذ مَلاَمى وارْعَ لى ذِممَى
لسْتَ الرشِيدَ ولا المأمونَ فى عَذَلى ... عـن العَزِيـز المليك البَارِعِ الفَهِمِ »

ثم أوْرَدَ أبياتا فى العود كما تقدم ذكره فى ترجمته ، ثم قال :

وعُذْ ولُذْ واحتَـرِزْ بـالمفْرَدِ الـعَلَمِ ابـــ ـــنِ المـفْرِدِ العَلَمِ ابـنِ المـفْردِ الـعَلَمِ
هـو الـهُمَامُ الـــذى أضحَتْ فَضائـلُه بينَ الـورَى وهْى كَالأمْثالِ فـى الكَلِمِ
يَمِّمْ حِماهُ وبَاعِد مَن سِواهُ تَنَلْ نـدًى يـعُمّك ذا فَيـضُ الحيَا الـعَمَمِ
فالعِلْمُ والحلْمُ والأفـضَالُ والحسَبُ الصّـ ـــمِيـــمُ فـيـهِ مـع الــعَلْيَاءِ والـهِمَمِ

ثم قال :

أيَا عـلـــيّ بـن تَاج الـدّيـــن يـا عَلَمَ الآداب يَا طاهـــرَ الأعْراق والــشّيَم
اسْمَع فَرائِدَ دُر من مُحِبّك الاد كـاوىٌّ فـى قَدرِكَ المَوْصُوفِ بـالـعِظَمِ
فـى سِلْكِهـا نَوعُ عـودِ انـت سَيـدُنـا حَقًّا أبـو عُذرةٍ إذْ كـان فـى الــقِدَمِ
نـوعٌ عـجِيـبٌ غريـبٌ انـت سَيـدُنـا يَحَارُ كـلُّ فَصيـحٍ فـى المـقَالِ كَمِى
نـوعٌ عـجِيـبٌ غـرِيـبٌ فـى مَهَامِهِـهِ بِدْعٍ إذَا فَاقَ دُرَّ الـعِقْد فـى الـقِيَـمِ
مِنْ بحرِك الرائقِ العـذبِ اغترفتُ فلا أمْ جَاء وِفْق الـذى أبـدَعْتَ مِن حِكَمِ
واسـلَمْ ودُمْ مـا شَدَتْ ورقَاءُ فـى فَنَنٍ وازْدَانَ طِرسٌ بِتَنْمِيـــقٍ مِن الـــكَلِمِ

فلما وقف على هـذه بعد الأولى ، قال : « أنت بالتقريظ على بـديعيتى من كل أحد أولى » ، فقلـت له : « لست أهلا لذلك » ، فقال : « بـل أنت أقوى من كل أحد فـى سلوك هـذه المسـالك ، فلـما رأيت وابـل إلحاحـه أوردت هاطل نجـاحه ، فافتتحت قائلا :

قِفْ لَدى ذا الـروضِ وانْتَشِق عَبَقًا نَاهِيــــكَ مِن عبَقِ
روضُ آداب بَدَائِــــعُهُ نُزْهَةُ الآذان والحَـــدَقِ
حَفِظَ الــرحــمنُ مُنْشِئَــهُ ذا الـكـمَالِ الـطيّبِ الخـلُقِ
الـــعَلـــيُّ اسمًا ومُنْتَســبًا مَنْ سَمَا بـــالــتَّاج للأفُقِ

إلى أن قال :

دَامَ مَوْلانـــــا يُنَزِّهُنَا فـى مـعَانـى حُسْنِهـا الأنِقِ
مـا شَكَا الأشـجَانَ ذُو شَجَنٍ أو شَدَتْ ورقَاءُ فـى الـوُرْقِ »

ثم تمم نثر الـتقريظ بما هو مذكور فى مجـموعته - لم أكتبه خوفـا من الملل - ثم قال : « فلمـا أمعن النظر فيـما رقمته ، وتأمـل ما قلته » ، قال : « هذا مـن مثلك لايكفـى ، ولايطفئ الـغليل ولايـشفى ، بل لابـد من تقريـظ آخر على نـوع وسع الاطلاع من جنسه الأنيق » ، فقلت: « اعفنى من الخوض فى هذا البحر العميق » ،

فقال : « لابد من القول ، واستعن بذى الطَّوْل ، فمددت القلم ، واستعنت بارئ النسم ، وقلت يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، أبدعت نظام هذا العالم ، وعلم هذا النظام . . . إلى آخره ، وفيه قصيدة عينية أوّلها :

بديعٌ حبَانا به ذا البَدِيع ... بعيدٌ عِلى غَيْرِه لا يُطِيعْ
بديعُ لَبِيد لَدَيْه بَلِيدْ ... وليسَ بِدانٍ إليه مُطِيعْ

وهى طويلة وفى آخرها التقريظ :

لَئِنْ كان ما أهدَيتُ نَحْوك سَيِدىّ ... غَدا قاصِراً عن قَدْرِ دُرٍّ نَظَمتَهُ
فَعذْرا فذَا جُهدُ المقِلّ ووسْع الاطّـ ... ـلاع عَزِيزٌ يا عَزِيز عَلمتَه
فإنْ راقَ مَعنَاهُ فبأثْبِته فالذى ... حَبَاك به المدَّاحُ قَبْلى رقَمتَه
وإلا فَدَعْه فى الزوَايَا وقُلْ هُنا ... أقِمْ وادِعا واكتُمْه فيمَا كَتَمتَهُ

وختمه بعد الدعاء بقصيدة لامية مطرزة ، وبعدها جواب عن اعتراض ناقشه فيه بعض المعاصرين ، وقد نظم الجواب والنقل والدليل فى سبعة عشر بيتا .

ومات : على بن جبريل ، المتطبب شيخ دار الشفاء بالمارستان المنصورى ، رئيس الرؤساء ، والماهر الذى طود فضله رسا ، أتقن فى فن الطب ، وشارك فى غيره من الفنون .

ومن كلامه يمدح مجلس السادات ، وكان السيد عبد الرحمن العيدروس حاضرا فيه :

والله لمْ يحْو هذا فى الورَى أحَدٌ ... ممن تَقَدّم فى عصْرٍ لنَا سَلَفَا
إذْ أبْصَرت مُقْلَتى قُطْبينِ قَدْ جُمعا ... العَيْدَرُوسَ وعبدَ الخالقِ بنِ وَفَا

وكان : أحد جلساء الأمير رضوان كتخدا الجلفى ، ونديمه وأنيسه وحكيمه ، وعندليب دوحته ، وهزار روضته ، وكان أحد من منحت له يمين ذلك الأمير بالألوف، حتى أصبح بنعمته فى جنات دانية القطوف ، فمن بعض هباته الواصلة إليه، وصلاته الحاصلة لديه ، أن وهب له بيتا على بركة الأزبكية ، رؤيته تسر النفوس الزكية ، وصفه عجيب ، ورونقه بديع غريب ، زجاجى النواحى والأرجاء ، من حيث التفت رائيه رأى منظرا بهجا ، وقد مدحه أحبابه ، منهم الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى ، ومنهم الشيخ عبدالله الإدكاوى بما هو مذكور فى الفوائح الجنانية فى المدائح الرضوانية ، ومن شعر المترجم فى ممدوحه المشار إليه :

يَا شــــادنًا دنَا ومَرّ	وراح يَهْزُو بـــالـــقَمَرْ
ومُخَجلا بَانَ الـــربُـــا	والـــسَّمْهَرِيّ إنْ خطَرْ
يَا بَابِلِيّ الـــلَّحظ يــا	مَن لـــلْعُقُول قـــدْ سَحَرْ
يَا مَنْ بِإشْرَاكِ الـــهوَى	للْعَاشقِينَ قـــدْ أَسَرْ
الـــلّيْثُ أنـــتَ إنْ سَطَا	أنْتَ الـــغَزالُ إنْ نَفَرْ
يَتِيـــه فـــى عُشّاقه	تيـــهَ الملُوكِ بـــالـــظّفَرْ
عِذَارهُ لمـــا بَدَا	سَبْيٌ لربَّات الحـــجَرْ
رَأيْنَـــهُ أكْبرْنَه	وقُلْنَ مَا هَـــذا بَشَرْ
وخَـــدّه لَمّا اختَشَى	بِأن يُصـــابَ بـــالـــنَّظَرْ
أرخَى الـــعذار سَاتِرًا	فـــصَارَ يـــخْطفُ الـــبَصَرْ
لـــمْ يُبْقِ مِن حُسْنٍ يُرى	لِغَيْـــرِه ولَمْ يَذَرْ
حَازَ الـــبَدِيـــعَ حُسْنَه	وجـــامـــعًا حُسْنَ الـــصّوَرْ
فَشعْرُه مُطَـــوّلٌ	والخـــصْرُ منه مُخْتَصَرْ
فـــى مصْر أضْحَى مُفْردا	مِثْل الـــعَزِيـــزِ المـــعْتَبَرْ
غـــيثُ الـــنّدى رِضْوانُ مَن	زمَانُنَا بـــه افْتَخَرْ
لَوْ رَامَ جَعْفَر يكُـــو	نُ مِثلـــهُ لمَا قَدرْ
يُعْطِى الـــنّوال بـــاسمًا	ولـــمْ يـــشُبْه بـــالـــكَدَرْ
فـــاللهُ واقِيـــه لِمَا	يَخشَاه مِنْ بـــأسٍ وضرُ

وقد : شَطَّر هذه القصيدة الشيخ عبدالله الإدكاوى بما هو مذكور فى ديوانه ، وله أيضًا تشطير أبيات صفوان بن إدريس ، ويخلص منه إلى مخدومه وهى :

يـا حُسْنـه والحـسْنُ بـعْضُ صفَاته	رشَأ يُدِيـرُ الـرّاحَ مِنْ لحـظـاته
فـالـلّينُ مُنـحَصِر بِقَامَة قَدّه	والـسّحْرُ مـقْصُورٌ عـلـى حَرَكـاته
بَدرٌ لَوَ انّ الـبَدْرَ قِيـلَ لَهُ اقْتَرِحْ	شَيـئـا يـحَاكِى فِيـه بـعـضَ سِمَاته
أوْ قِيـلَ مَاذَا أنْ تـكُونَ مُؤمّلاً	أمَلا لَقَال أكُونُ مِـن هَالاَته
وإذَا هِلاَلُ الـشَّك قـابَلَ وجْهَه	بـأقَلّ مـا يُعْطَاه مِن دَرجَاته
ولَحـظْتَ صَفْحَة خَدّه بـلَطَافـة	أبْصَرتَه كـالـشكْلِ فـى مِرآته
والخـالُ نـقّط فـى صَحِيـفَة خَدّه	مِسكًا عـلـى وَرْدٍ زهَا بـنَبَاته

عجزَ ابنُ مُقلةَ أنْ يكونَ مُصورا ... مَا خطَّ حبرُ الصدغِ مِنْ نُونَاتِه
ركبَ المآثمِ فى انتهابِ نُفوسنا ... لمْ يخشَ يومَ العَرْضِ مِنْ عَرصَاتِه
وهوَ المُعذّبُ انفُسًا ذلّتْ له ... فاللهُ يجعلُهن من حسَنَاته
ما زلتَ أخطُبُ للزمَانِ وِصَالَه ... والمرءُ مَجبُولٌ بحُبِّ حيَاته
وأبثّه الشّوقَ الذى وهَنَ الحشَا ... حتى دنَا والبُعْدُ من عَاداته
فغفرَتُ ذنبَ الدهرِ منه بليلةٍ ... فَطَرَتْ بما أبدَتْه قلْبَ وُشَاتِه
نُسخَ البعَادُ بحكْمِها فهى التى ... غطّتْ على مَا كَان مِنْ زلاّته
بتنا نُشَعْشِعُ والعفَافُ نَديمُنا ... وأُريه مِن كنْزِ التُّقَى آيَاته
وغدًا السّرورُ يديرُ فيمَا بيْننا ... خمْرين مِن غزلى ومِنْ كلِمَاته
ضَاجعتُه والليلُ يُذْكى تحتَه ... حرًا توقّد من مَدى جفَواته
سَامَرتُه والقربُ يُشْعِل بيْنَنَا ... جمْرين من ولَهى ومنْ وجنَاته
حتى إذا ولَعَ الكرَى بجفُونه ... وأزالَ مَا يُبْديه من حركَاته
وغَدا يرنّحُ كالقَضيبِ قَوامَه ... وامتدَّ فى عَضُدَىّ طوعَ سنَاته
أوثقتُه فى ساعدَىّ لأنّه ... شىءٌ يعزّ علىّ وقتَ فَواته
أودعتُه شرَكَ الشُّعورِ فإنّه ... ظبىٌ خَشيتُ عليه مِنْ نَفَراته
وضَمَمْتُه ضَمّ البَخيلِ لماله ... يخشَى عليه الدهرَ من فلَتَاته
مُغرى به لا يستَطيعُ فراقَه ... يحنُو عليه مِنْ جَميعِ جِهَاته
عزمَ الغرامُ علَىّ فى تقبيله ... فنهَاهُ داعى النُّسْكِ عن همّاته
وقضَى اشتياقِى فيه لَثْمَ أكفّه ... فنفَضْتُ أيدى الطَّوعِ من عزمَاته
وأبَى عفَافِى أنْ يقبّلَ ثغرَه ... أوْ أجتنى ما طَابَ مِن لَذّاته
وأرى العوَاذلَ عزةً وتجلُّدًا ... والقلْبُ مجبولٌ على حسَراته
فاعْجَبْ لملتهب الجوانحِ غُلّةً ... يقضِى أسًى والبُرءُ فى رَاحَاته
أنفَتْ خلائقُه الإسَاغةَ حيثُما ... يشكُو الظمَا والماءُ فى لَهواته
لا يستطيعُ تخلُّصًا ممّا به ... إلا بمدحِ أخى العُلاَ وحيَاته
رِضوان أوحَدُ مَن تفرّدَ بالعطَا ... فمَنَائحُ الأجْوادِ بَعضُ هِبَاته
المانحُ الإحسَانَ كفًّا نَزيله ... والمانعُ اطمِئنَان قلْبَ عدَاته
فَنداهُ كالبحرِ العُبَابِ تدَفّقا ... وصِلاتُه تَحكى لفرضِ صلاَته
والفَارسُ المقدامُ فى يومِ الوغَى ... والمرهِبُ الآسَادَ فى وثَبَاته

لازالَ بِشْرُ السَّعْد فى أبوابه | يهْدِى الهَنَا والعز فى سَاحَاتِه
يُمسِى ويصبحُ والعُيونُ قَرِيرةٌ | منه بِمَنْ بِهِمْ حَلاَ رَوْضَاتِه
أقمَارُ عِزّ فى سَمَاء سِيَادة | أشبَالُ لَيْث فى ذُرا غَابَاتِه
أبقَاهُم رَبُّ العِبَاد بِعزَّةٍ | بِبقَاه فى حَالِ الزَّمان وآنِه
مُتَنَعِّمين بِرَوْضِ أنسٍ نَاضِرٍ | يهْدِى الصّفَا لَهُمُ صبًا نفَحَاتِه
أهْدِى إليه قَصِيدةً حَسْنًا زَهَتْ | مَيّاسَةً كالبَانِ فى عَذَبَاتِه
لو أسْمَعُوا صَفْوانَ حُسْنَ مَدِيحه | وبَدِيعَ ذى التّشْطِير مِنْ أبْيَاته
لَيقُول مِن فَرطِ السُّرورِ مُؤرخًا | حَقًّا بِهِ تزْهُو بحُسْنِ صِفَاتِه

وقال : يمدحه بهذه الأبيات الثلاثة ، التى معانى سحرها فى ذوى العقول نفاثة ، وهى :

وأبِيكَ مَا رِضْوانُ إلا آيةٌ | شَهِدتْ بذاكَ شَهَامَةُ الأفعَالِ
يهَبُ المواهِبَ جَمَّةً بِسَمَاحةٍ | مُتَرفِّعًا عنْ مِنَّةٍ ومَلالِ
حتى يَصِيرَ المُعْدَمُون بِرِفْدِهِ | مُتَرفِّعِينَ على ذَوِى الأمْوالِ

وقد شطرها جملة من أدباء العصر ، كما هو مذكور فى تراجمه ، وقال مهنئا بشفائه ومؤرخا :

وجهُ الزمَانِ بِكَ ابتَهجْ | وبَدَا بِجَبْهَتِه البَلَجْ
يا واحِدَ العَصْرِ الذى | فيه لقَدْ جَاءَ الفَرجْ
وبِهِ الهَنَا أرخْ لَنَا | صَحَّتْ بِصِحَّتِه المُهَجْ

وله فى هذا المعنى مؤرخا :

هَلَّ السّرورُ فثَغْرُ الدهْرِ مُبتَسِمٌ | وزالَ عَن وجْهِه الإغضَاءُ والغَمَمُ
واقبلَ البِشْرُ يثْنِى عطفَهُ مَرَحًا | وجَيشُ عزِك فى مضْنَاك يزْدَحِمُ
وصَامَت الناسُ حتّى كَلّ ناظِرُهُم | ومُذْ ظهَرتَ هِلالا عمّهُم نِعَمُ
أحْيَيْتَ بالبُرءِ رُوحَ المكرمَاتِ كمَا | أمَتَّ بالجودِ فَقرا وجْهُه كَظِمُ
فاهنَأ بِبرءٍ لَقدْ عَادَ السُّرور به | واستَبْشَرَت أممٌ مِن بَعْدهَا أمَمُ
مُذْ صَحّ جِسْمُك فالتّاريخُ ينْشِدُنا | قدْ عُوفِى المجْدُ والإسْداءُ والكرمُ

ولما تغيرت : دولة مخدومه ، وتغير وجه الزمان ، عاد روض أنسه ذابل الأفنان ذا أحزان وأشجان ، لم يطب له المكان ، ودخل اسمُ عزه فى خبر كان ، وتوفى فى نحو هذا التاريخ .

ومات : العمدة الأجل ، النبيه الفصيح ، المفوّه الشيخ ، يوسف بن عبد الوهاب الدلجى ، وهو أخو الشيخ محمد الدلجى ، كلاهما ابنا خال المرحوم الوالد ، وكان إنسانا حسنا ، ذا ثروة وحسن عشرة ، وكان من جملة جلساء الأمير عثمان بيك ذى الفقار ، ولديه فضيلة ومناسبات ، ويحفظ كثيرا من النوادر والشواهد ، وكان منزله المشرف على النيل ببولاق مأوى اللطفاء والظرفاء ، ويقتنى السرارى والجوارى، توفى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [1] عن ولديه : حسين ، وقاسم، وابنة اسمها فاطمة موجودة فى الأحياء إلى الآن .

ومات : الشيخ النبيه الصالح على بن خضر بن أحمد العمروسى المالكى ، أخذ عن السيد محمد السلمونى ، والشهاب النفراوى ، والشيخ محمد الزرقانى ، ودرس بالجامع الأزهر ، وانتفع به الطلبة ، واختصر المختصر الخليلى فى نحو الربع ، ثم شرحه ، وكان إنسانا حسنا منجمعا عن الناس ، مقبلا على شأنه ، توفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : الأستاذ المبجل ، ذو المناقب الحميدة ، السيد شمس الدين ، محمد أبو الأشراق بن وَفَى ، وهو ابن أخى الشيخ عبد الخالق ، ولما توفى عمه ، فى سنة إحدى وستين ومائة وألف [3] ، خلفه فى المشيخة والتكلم ، وكان ذا أبهة ووقار ، محتشما سليم الصدر ، كريم النفس ، بشوشا ، توفى سادس من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [4] ، وصلى عليه بالأزهر، وحمل إلى الزاوية ، فدفن عند عمه ، وقام بعده فى الخلافة ، الأستاذ مجد الدين محمد أبو هادى بن وَفَى ، رضى الله عنهم أجمعين .

ومات : الإمام العلامة ، الفريد الفقيه الفرضى الحيسوبى الشيخ حسين المحلى الشافعى ، كان وحيد دهره ، وفريد عصرهُ ، فقها وأصولا ومعقولا ، جيد الاستحضار والحفظ للفروع الفقهيه ، وأما علم الحساب الهوائى والغبارى ،

---

(١) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

(٢) ١١٧٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٧٥٩ - ١٢ أغسطس ١٧٦٠ م .

(٣) ١١٦١ هـ / ٢ يناير ١٧٤٨ - ٢١ ديسمبر ١٧٤٨ م . (٤) ٦ جمادى الأولى ١١٧١ هـ / ١٦ يناير ١٧٥٨ م .

والفرائض ، وشباك ابن الهائم ، والجبر والمقابلة والمساحة ، وحل الأعداد فكان بحرا لاتشبهه البحار ، ولايدرك له قرار ، وله فى ذلك عدة تآليف ومنها : « شرح السخاوية » ، و « شرح النزهة » ، و « القلصاوى » ، وكان يكتب تآليفه بخطه ، ويبيعها لمن يرغب فيها ، ويأخذ من الطالبين أجرة على تعليمهم ، فإذا جاء من يريد التعلم ، وطلب أن يقرأ عليه الكتاب الفلانى ، تعزز عليه ، وتمنع ، ويساومه على ذلك بعد جهد عظيم ، ويقول : « أنا لا أبذلُ العلْمَ رَخِيصًا » ، وكان له حانوت بجوار باب الأزهر يتكسب فيه ببيع المناكيب لمعرفة الأوقات ، والكتب وتسفيرها ، وألف كتابا حافلاً فى الفروع الفقهية على مذهب الإمام الشافعى ، وهو كتاب ضخم فى مجلدين ، معتبر مشهور ، معتمد الأقوال فى الإفتاء ، وله غير ذلك كثير ، وبالجملة فكان طوداً راسخًا ، تلقى عنه كثير من أشياخ العصر ، ومنهم شيخنا الشيخ محمد الشافعى الجناجى المالكى وغيره ، توفى سنة سبعين ومائة وألف [1] ، رحمه الله .

ومات : الشيخ الإمام المعمر القطب ، أحد مشايخ الطريق ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأنوار الساطعة الباهرة ، عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازى بن عبد القادر بن أبى العباس بن مدين بن أبى العباس بن عبد القادر بن أبى العباس بن شعيب بن محمد بن القطب سيدى عمر المرزوقى العفيفى ، المالكى البرهانى ، يتصل نسبه إلى القطب الكبير سيدى مرزوق الكفافى المشهور ، ولد المترجم بمنية عفيف [2] ، إحدى قرى مصر ، ونشأ بها على صلاح وعفة ، ولما ترعرع قدم إلى مصر ، فحضر على شيخ المالكية فى عصره الشيخ سالم النفراوى أياما فى مختصر الشيخ خليل ، وأقبل على العبادة ، وقطن بالقاعة بالقرب من الأزهر ، بجوار مدرسة السنانية [3] ، وحج فلقى بمكة الشيخ إدريس اليمانى ، فأجازه وعاد إلى مصر ، وحضر دروس الحديث على الإمام المحدث ، الشيخ أحمد بن مصطفى الإسكندرى ، الشهير بالصباغ، ولازمه كثيرا حتى عرف به ، وأجازه مولاى أحمد

---

(١) ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م .

(٢) منية عفيف : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « منية عفيف » ، وبه وردت فى المصادر العربية ، ثم حرف اسمها من « منية عفيف » إلى « ميت عفيف » ، فوردت به فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز منوف ، محافظة المنوفية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣) مدرسة السنانية : جامع ومدرسة أنشأه سنان باشا ، والى مصر ، ببولاق القاهرة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٩ - ٥١ .

التهامى ، حين ورد إلى مصر بطريقة الأقطاب والأحزاب الشاذلية [1] ، والسيد مصطفى البكرى بالخلوتية ، ولما توفى شيخه الصباغ لازم السيد محمد البليدى فى دروسه من ذلك : تفسير البيضاوى بتمامه ، وروى عنه جملة من أفاضل عصره ، كالشيخ محمد الصبان ، والسيد محمد مرتضى ، والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى ، وسمعوا عليه صحيح مسلم بالأشرفية ، وكان كثير الزيارة لمشاهد الأولياء ، متواضعا لايرى لنفسه مقاما ، متحرزا فى مأكله وملبسه ، لا يأكل إلا ما يؤتى إليه من زرعه من بلده ، من العيش اليابس مع الدقة ، وكانت الأمراء تأتى لزيارته ، ويشمئز منهم ، ويفر منهم فى بعض الأحيان ، وكل من دخل عنده ، يقدم له ما تيسر من الزاد من خبزه الذى كان يأكل منه ، وانتفع به المريدون ، وكثروا فى البلاد ، وانجبوا ، ولم يزل يترقى فى مدارج الوصول إلى الحق حتى تعلل أياما بمنزله الذى بقصر الشوك ، وتوفى فى ثانى عشر صفر سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف [2] ، ودفن بجوار سيدى عبدالله المنوفى ، ونزل سيل عظيم ، وذلك فى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [3] ، فهدم القبور ، وعامت الأموات ، فانهدم قبره ، وامتلأ بالماء ، فاجتمع أولاده ومريدوه ، وبنوا له قبرا فى العلوة على يمين تربة الشيخ المنوفى ، ونقلوه إليه قريبا من عمارة السلطان قايتباى ، وبنوا على قبره قبة معقودة ، وعملوا له مقصورة ، ومقاما من داخلها ، وعليه عمامة كبيرة ، وصيروه مزارا عظيما ، يقصد للزيارة ، ويختلط به الرجال والنساء ، ثم أنشأوا بجانبه قصرا عاليا عمره محمد كتخدا أباظه ، وسوروا له رحبة متسعة مثل الحوش ، لموقف الدواب من الخيل والحمير ، دثروا بها قبورا كثيرة ، بها كثير من أكابر الأولياء والعلماء والمحدّثين ، وغيرهم من المسلمين والمسلمات ، ثم إنهم ابتدعوا له موسما وعيدا فى كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية ، فينصبون خياما كثيرة ، وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم ، وفلاحين الأرياف ، وأرباب الملاهى ، والملاعيب ، والغوازى ، والبغايا ، والقرادين ، والحواة ، فيملأون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور ويوقدون عليها النيران ، ويصبون عليها القاذورات ويبولون ويتغوطون ، ويزنون ويلوطون ، ويلعبون ويرقصون ، ويضربون بالطبول والزمور ليلا ونهارا ، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر ، ويجتمع لذلك أيضًا الفقهاء والعلماء ، وينصبون لهم خياما

---

(١) الشاذلية : طريقة صوفية ، كانت منتشرة فى مصر آنذاك ولا تزال .

(٢) ١٢ صفر ١١٧٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٧٥٨ م . (٣) ١١٧٨ هـ / ١ يوليه ١٧٦٤ - ١٩ يونيه ١٧٦٥ م .

أيضًا ، ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار ، بل ويعتقدون أنّ ذلك قربة وعبادة ، ولو لم يكن كذلك لأنكره العلماء ، فضلا عن كونهم يفعلوه ، فالله يتولى هدانا أجمعين.

ومات : الشيخ الأجل المعظم ، سيدى محمد بكرى بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أبى السرور محمد ابن القطب أبى المكارم محمد أبيض الوجه بن أبى الحسن محمد بن الجلال عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن محمد بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى ابن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، وكان يقال له سيدى أبو بكر البكرى ، شيخ السجادة بمصر ، وكان نقش خاتمه :

أبو بكْرٍ الصّدّيقُ جَدى وأننى لسِبطُ رَسُولِ اللهِ طَـهَ مُحَمدِ

ولاه أبوه الخلافة فى حياته لما تفرس فيه النجابة ، مع وجود إخوته الذين هم أعمامه ، وهم أبو المواهب ، وعبد الخالق ، ومحمد بن عبد المنعم ، فسار فى المشيخة أحسن سير ، وكان شيخا مهيبا ذا كلمة نافذة ، وحشمة زائدة ، تسعى إليه الوزراء والأعيان والأمراء ، وكان الشيخ عبد الله الشبراوى يأتيه فى كل يوم قبل الشروق ، يجلس معه مقدار ساعة زمانية ، ثم يركب ويذهب إلى الأزهر ، ولما مات خلف ولده الشيخ سيد أحمد ، وكان المترجم متزوجا ببنت الشيخ الحنفى ، فأولدها سيدى خليلا ، وهو الموجود الآن تركه صغيرا فتربى فى كفالة ابن عمه السيد محمد أفندى ابن علىّ أفندى الذى انحصرت فيه المشيخة ، بعد وفاة ابن عمه الشيخ سيد أحمد مضافة إلى نقابة السادة الأشراف كما يأتى ذكر ذلك إن شاء الله ، وكانت وفاة المترجم ، فى أواخر شهر صفر سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : أيضًا فى هذه السنة السلطان عثمان خان العثمانى[2] ، وتولى السلطان مصطفى بن أحمد خان[3] ، وعزل على باشا ابن الحكيم ، وحضر إلى مصر محمد سعيد باشا ، فى أواخر رجب سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [4] ، واستمر فى

---

(١) أخر صفر ١١٧١ هـ / ١٢ نوفمبر ١٧٥٧ م .

(٢) السلطان عثمان : هو عثمان الثالث (١٧٥٤ - ١٧٥٧ م) .

(٣) السلطان مصطفى الثالث إبن أحمد الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤ م) .

(٤) أخر رجب ١١٧١ هـ / ٩ أبريل ١٧٥٨ م .

ولاية مصر إلى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [1] ، وفى تلك السنة أعنى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [2] ، نزل مطر كثير سالت منه السيول .

ومات : أفضل النبلاء ، وأنبل الفضلاء ، بلبل دوحة الفصاحة وغريدها ، من انحازت له بدائعها طريفها وتليدها ، الماجد الأكرم ، مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى ، وهو أحد الأخوة الأربعة ، وهم : عمر ، ومحمد ، وعثمان ، والمترجم ، أولاد المرحوم أحمد بن محمد بن أحمد بن صلاح الدين اللقيمى الدمياطى ، الشافعى ، سبط العنبوسى ، وكلهم شعراء بلغاء ، ومن محاسن كلامه وبديع نظامه ، مدامته الأرجوانية ، فى المقامة الرضوانية ، التى مدح بها الأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفى ، وهى مقامة بديعة ، بل روضة مريعة ، وقد قال فى وصفها ، وبديع رصفها ، شعر :

نَسجْتُ بمنْوالِ البَديعِ مَقَامةً ... وتَزَرْكَشَتْ بالحسْنِ والإبداعِ
رَقّتْ حَواشِيها ووشْيُ طُرُوزهَا ... بجَواهِرِ الترْصِيعِ والإبْدَاعِ
وغدَتْ بحَلْى مَدِيحِ رِضْوان العُلا ... طولَ المدى تُجلَى على الأسْمَاعِ

وابتدأها بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حمدا لمن أنهج مناهج مباهج الإسعاد ، وسلك بنا سبل معارج مدارج الإرشاد ، والصلاة والسلام على صفوته من العباد ، سيدنا ومولانا محمد ، ملجأ الخلائق يوم المعاد ، القائل وقوله الحق يهدى إلى الرشاد ، « اطلُبوا الحوائجَ عندَ حِسَانِ الوُجُوه » ، فيا نعم ما أنعم به وأفاد ، وعلى آله وأصحابه السادة الأمجاد ، والتابعين لهم والسالكين مسالك السداد ، ما لَبّى الكريم دعوة الوفود والقصاد ، وأتحفهم ببلوغ المنى وحصول المراد ، وبعد : فقد حكى البديع بشير بن سعيد ، قال حدثنى الربيع بن رشيد ، قال هاجت لى دواعى الأشواق العذرية ، وعاجت بى لواعج الأتواق الفكرية إلى ورود حمى مصر المعزية البعديعة ، ذات المشاهد الحسنة ، والمعاهد الرفيعة ، لأشرح بمتن حديثها الحسن صدرى ، وأروّح بحواشى نيلها الجارى روحى وسرى ، واقتبس نور مصباح الطرف من ظرفائها ، واقتطف نَوْرَ أدوَاح الظرف من لطائفها ، واستجلى عرائس بدائع معانى العلوم ،

---

(1) ١١٧٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٧٥٩ - ١٢ أغسطس ١٧٦٠ م .
(2) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

على منصات الفكر محلاة بالمنثور والمنظوم ، واستمد من حماتها السادة أسرار العناية ، واسترشد بسراتها القادة أنوار الهداية ، وأمتع الطرف بغرر دولتها العلية ، وأشنف السمع بدررسيرتها السنية ، فنشر عرف علاها قد عطر الآفاق ، ولواء وصف حلاها فى الخافقين خفاق ، فامتطيت طرف العزم مسرجا بالحزم ، وبنيت بعد السكون على الحركة مع الجزم ، واتخذت حادى الجوى فى السير دليلى ، وباعث الهوى سميرى فى مسرحى ومقيلى ، ووصلت السرى بالغدوّ والرواح ، وهجرت الكرى فى العشى والصباح ، فأسعفتنى مع الرعاية فاتحة الألطاف ، وأسعدتنى مع الوقاية خاتمة المطاف ، بوصولى إلى حماها الزاهى المحروس ، والحلول برباها الزاكى المأنوس ، فلما أذنت لى حماتها بالدخول من بابها ، وأزهرت عن وجهها الأزهر برفع نقابها ، فإذا هى مدينة جمعت متفرقات المحاسن ، ذات رياض بهجةَ ، وماء غير آسن ، غرة المدن بل عروسة البلدان ، عليها تعقد الخناصر فما صنعاء [1] ، وما عبادان [2] ، لقد حلت من الحسن بمكان مكين ، وتحلت بحلى الزينة بأحسن تزيين ، غياضها تروح الأرواح القدسية ، وتسر النفوس ، ورياضها تنفحّ الأرواح المسكية ، ولا عطر بعد عروس ، تنادى أفياء ظلها الظليل ، هلموا إلى طيب مقال وحسن مقيل، تتيه على غيرها من الأمصار مائسة الأعطاف ، بما تحويه من عيشها الهنى ، وثمارها الدانية القطاف شعر :

إنْ يكُن فى البلادِ طِيبُ نَعيمٍ ... أو رِياضٌ لَهَا بِهَا إعْزازُ
فَبِمصرْ حَقِيقَةَ عَن يَقِينٍ ... مستَعَارٌ بِغَيْرِهَا ومَجَازُ

فجعلت : أطوف بخلال المسالك والشوارع ، وأرمق أفلاك القصور التى هى للبدور مطالع ، وتأملت فى زيج لامع سيرها القويم ، وقومت طالع عزها بأحسن تقويم ، فأنتج أنّ كوكب سعدها مُشْرِق ، وناظر مجدها له السيادة مَشْرِق ، فهى بعزة أمرائها ، وقوة عساكرها ، قاهرة لأضدادها ظافرة على مناظرها ، قد حفظت بهم الثغور والقرى والضياع ، وأمنت السراة فى مسالكها ، فلا خوف ولا ضياع ، فهم الكماة فى الحروب فوق متون الضوامر ، وهم الكفاة للضروب فى الهيجاء وبدور العساكر ، أنفوا الخضوع للأعداء ، فعزت منهم النفوس ، وألفوا الولوع بعوالى الأسلحة ، فاتخذوها وشاحا والدروع لبوس ، فكم خفقت لهم فى الغزوات رايات نصر وفتح ، وتليت فى وصفهم بمجامع العزمات آيات ثناء ومدح ، شعر :

(١) صنعاء : مدينة يمنية قديمة ، وهى عاصمة الجمهورية اليمنية .

(٢) عبادان : ميناء إيرانى على شط العرب .

مِصرُ زهتْ بينَ البلادِ بمعْشَرٍ　　　خَفَقَت لهُم بِسَمَا العُلا رَاياتُ
فَهُمُ الأعِزةُ طابَ نَشْرُ حَديثِهِم　　　وبِمَدْحِهِم تُتْلى لَنَا آيَاتُ

ولما : حللت بواديها المشرق الباهر ، ونزلت بناديها المورق الزاهر ، استوطنت فى أعاليها شرفا ، وتبوأت من مغانيها غرفا ، وبسطت لى من الأنس والسرور نمارق ، ونصبت علىّ من الإيناس والحبور سرادق ، ووافتنى الأحبة الأذكياء ، إخوان الصفاء ، وصافتنى الأعزة الأتقياء لا أخدان الوفاء ، مجمع أفراحنا رياض الأدب واللطائف ، ومربع أرواحنا غياض الطلب والمعارف ، نحتسى كؤوس الهنا بحانات التهانى ، ونجتلى عرائس المنى ، بنغمات المثالث والمثانى ، كوكب المسرة بأفق الإسعاد مزهر ، وقمر المبرة بمطلع الإسعاف مبدر .

فبينما : نحن على هذه الحالة التى وصفت ، ومشارع مواردنا الحالية راقت وصفت ، إذ نظر الدهر الىّ نظرة عابث ، ورمانى من كنانته بأعظم حادث ، نضبت به حياض معاشى ، وذبلت منه رياض انتعاشى ، حرمت منه مفروض حتى الواجب ، وصار حظى المنع ، وليس ثم حاجب ، فقيدت عن التصريف فى وقفى المطلق ، وأصبح باب الوصول إليه دونى مغلق ، فتكدرت عند ذلك صافيات المشارب ، وتنكرت بعد تعريفها واضحات المآرب ، وحرمت ما بين دائرتى الإشتباه والإختلاف ، واعترانى مع العلل جميع أنواع الزحاف ، وعز التوسل للتوصل بحسن الخلاص ، والقضاء ينادى ، ولات حين مناص ، مفرد :

عَزَّ الخلاصُ ولاتَ حِينَ تَصبُّرٍ　　　مِنْ حَادثٍ قدْ قلَّ فيه المسْعِفُ

فبينما : أنا حائر فى فيافى الافتكار ، تائه فى مهامة الحيرة الشاسعة القفار ، إذ هتف بى هاتف من سماء الانتباه ، أزال ما بقلبى من واردات الوهم والاشتباه ، وقال أيها السابح فى لجج أحزانه ، السائح بفجاج قلقه وأشجانه ، إلى كم تحيد عن طرق معالم التدبير ، ولا تجيد الهمة فى طلب المغيث ولا النصير ، أين أنت من المنجد عزيز الجار ، أين أنت من المسعد حامى الذمار ، حرم الأمن والالتجاء ، وكعبة القصد وركن اليمن والنجاء ، وطيبة الوفد قدس المنتمى ، ونزهة المستملح ، وطور سينا المحتمى وبغية المستمنح ، مدينة الآمال ، ومدين المآرب ، وعرينة الإقبال ، وصنعاء المطالب ، ذى المجد السامى مقامه على الفرقد ، ومن كوكب عزه بمطلع السعد يتوقد: شعر :

أميرٌ به عينُ المعَالى قَريرةٌ ... وكَوكَبُه الزاهى يَتِيهُ على البدْرِ
فَلُذْ بحماه تلْقَ عِزا فإنّهُ ... غدًا كَعْبَةَ الآمَالِ والأمْنِ فى مصْرِ
لهُ هِمَّةٌ تعلُو على كُلِّ هِمّةٍ ... وهمّتهُ الصغْرَى أجَلُّ مِن الدهْرِ

فقلت : مَنْ هذا الأمير الحائز لهذه الأوصاف ، فزدنى من حديثك يا سعد عنه بلسان الإنصاف ، فقال : هو فى الكرم أسمح من حاتم ، ومنتهى من تنسب إليه مآثر المكارم ، ففضل عطاياه أنسى هبات الفضل وجعفر ، ومن ساواهما به فعن كمال وصفه قصر ، وفى الشجاعة أقدم من عنترة المشهور ، وأثبت من قسورة الأسد الهصور ، أذكى من إياس فى نباهته ، وأبلغ من المأمون فى فصاحته ، وله فى حسن التدبير كمال انتظام ، وجمال انتساق ، وهو فى حلبة السبق يوم الرهان حائز قصب السباق ، ولله درّ الشاعر اللبيب فى الوصف الجليّ ، حيث أشار إلى بديع هذا الوصف العليّ :

ومَا خُلِقَت كَفَّاه إلا لأربَعٍ ... عقَائِل لَم يُخْلَق لَهُن ثوانِ
لِتَقْبِيلِ أفواهٍ وإعْطَاءِ نَائِلٍ ... وتَقْلِيبِ هِنْدىٍّ وحَبْسِ عِنَانِ

فقلت : أقسم بمن خصه بهذه الأوصاف السنية ، وَتوَّجَهُ بتاج المواهب اللدنية ، وبمن أسمى قدره الأسمى على كيوان ، لاتكون هذه المزايا المعدودة ، والسجايا المحمودة ، إلا لأمير الندى ، وفريد الأوان ، حضرة الكتخدا رضوان ، فقال : لله درك من عارف بوصفه السَّنِيّ ، وغارف من مشرع نعته الحالى ومورده الهنيّ ، وها أنا اتحفك بمعمى فى اسمه العزيز ، فاستخرجه بضوء نار مصباح قلبك ، وميزه بأحسن تمييز ، وهو :

هو الإمامُ فى النَّدَى ... والالتِجَا فَلُذْ به
فكَمْ سَمَا على العُلاَ ... وضَاءَ نُورُ قَلْبِهِ

فقلت : أحسنت فى لطف الإشارة ، وأجدت فى ظرف العبارة ، ولقد أسمعنى فى وصف جنابه الكريم ، مادحه المولى اللبيب الجارى على أسلوب الحكيم ، أبياتا مخترعة لنفسه دقيقة المعانى ، رقيقة الألفاظ حالية بديعة المبانى ، فشطرتها أحسن تشطير ، وها أنا ببعضها مشير ، وهى :

وأبيـــكَ مَا رِضْوَانُ إلا آيـــةٌ سَمـحَتْ بهـا جُودًا يـدُ الإفْضَالِ
صَدقَتْ قَضَـايَا فَضْلِه وكَمَالِــهِ شَهِدَتْ بِذَاكَ شَـــهَامَةُ الأفْعَالِ

ثم : أطلقت فى الحال عـنان المسير ، ممتثلا أمر المشير ، وبالله الـتيسير ، ويممت الحمى مترجيا حصول النجاح ، تخفق بطريق الإجتماع راية الأفراح ، فعندما وصلت لنَاديه الـرحب البـهيج ، وروض واديـه الخصب الأريـج ، ولاح ضياء بـوارق أنوار رحابه ، وقفـت متيمنا مـستبشرا بفـتح بابه ، فقلـت جدير بهذا البـاب الأسعد ، أن يسطر عليه بمداد اللجين والعسجد :

بَابٌ تَلا الإسْعَادُ آيـــــةَ فَتْحِه ورَوَى بشيـرُ السعْدِ مـسْندَ نُجْحِه
وغَدتْ حواشِى الرُّوحِ زاهـيةٌ بما تَرْويـــه نَصًّا عـن بـــدائعِ شَرْحِه
والـعـزُّ لِــــلرضْوانِ قَال مُؤَرخًا سَعْـدٌ بـبـابٍ قـدْ حُبِيـتَ بِفَتْحِه

ولما : صدقت قضايا الوصول ، وقامت بـراهين الإذن بالدخول ، سرحت الناظر فى مناهج بدائع مغانيه ، وشرحت الخاطر بمباهـج صنيع معانيه ، فرأيته منزلا محكم البناء ، رفيع العمـاد ، محفوفا بالممالك ، متحوفا بأبـدع الخدم والأجناد ، فما صغدُ سمرقـند وما شِعبُ بَوّان ، ومـا الخورْنَقُ والسديـرُ وذاتُ العمَاد والإيوان ، معـاهده مشاهد جمال زاهية مشرقة ، ومشاهده معاهد كمال باهية مونقة :

أنـعِمْ بمـنــزلِ عزٍ طـابَ مَنْظـرُهُ وفاقَ فـى صنعَة الإتـقانِ إيـوَانا
به بـدائعُ حُسْنٍ قط مَا اجْتـمعَت فى مُلك قَيصرَ أو كسْرَى ونُعْمَانا
فالسـعْدُ والمجْدُ فى أرجَاءِ دوْحَتِه قـــــد أرخُوه حُبِى عِزًّا ورِضْوانًا

قد زينت : سماؤه بمصابيح نجوم من النقـوش العسجدية ، وكسيت أرضه بديباج مرقوم من الفرش الجوهرية ، أحاطت به الرياض كالمناطق بالخصور ، وزهت مناظرها الباهـرة بالمنظوم والمنـثور ، أينع بهـا النرجس الغـض والورد الجنيّ ، وأزهر الشـقيق القانى ، والسوسـن السنيّ ، يتبسم فيها النـسيم فرحا لبكاء الغمام الهـتان ، ويتنفس بالبنفسج ترحا لضحك ثغور الأقحوان ، تنفح كمائمها بعرف الكبا والطيب ، وتصدح حمائمها بوصف الربا والحـبيب ، فأغصانها بلطيف الصبا تتثنـى ، والعندليب كما قال الشاعر بالإنشاد يتغنى :

روضـــةٌ زُيِّـــنَتْ بـــحُسْنِ زُهُورٍ　　عـطرَ الـكَونَ نـشرُهَا والمسَالِكْ
رقصُ بـانٍ لـــعَنْدلـيـــبِ تـغنّى　　وثَنَايـا الـنَّسِيم فـيـهـا ضَواحِك

قد ابتهجـت به قاعة أنس عالية القـباب ، حالية بوشْى النقوش المـدبّجة، والتبر المذاب ، مشيدة البنيان على أرفع وضع غريب ، جيدة الإتقان بأبدع صنع عجيب :

يـا حَبذا قَاعَةَ الـعـزّ الـتى ابـتَهَجَتْ　　أرجَاؤهـا وزهَت بـالمـنـظَرِ الـعَجَبِ
يرْوِى لنا نقشُها الزاهى حديثَ حلى　　مُسلـسلا بـالضّيـا نصًّا عـن الذهَبِ
نفـائسُ البِشْرِ بـالرضْوان قـد كمُلَت　　بـحَانِهـا ودَواعِى الأنسِ والـطـرَبِ
بهـا الأحبـةُ تسْرِى كـالكَواكـبِ فى　　أفـلاكِها وضـيـاءُ الـبدْرِ لـمْ يـغبِ
لـو أمَّ شَيـطـانُ هـمّ أفقَ دَوحَتِهـا　　رمَتْه أفـراحُهـــا نـبْلاً مِن الـــشُّهُبِ
رَوضٌ لآدَابِ أربَابِ الــكَـــمَالِ فَلا　　زالَ الهنَا مزْهرا فى روضِها الخصِبِ
بُشْرَى لـــهَا حَيـثُ نَاداهَا مـؤرخُهَا　　يـــا قَاعـةٌ تَزدَهِى بـــالـعزِّ والأدبِ

فالظباء تسرح آنسة بربع مرابعه ، والمهـا تمرح مائسة بسوح مراتعه ، والغزلان آمنة فى سربه والآرام ، والغزالة تـرمقهم بعين الغيرة من تحت سجف الـغمام ، تشير إلى عيون إبن الجهـم جفونها ، وتثير حرب البـسوس مع السلم عيونها ، يـخجل أعطاف الأغصان ميل قدودها ، وتَفْضَحُ شقائق النعمان صبغة خدودها ، وتنسى بالخفر أخبار عزة وسعاد ، وتنشئ بالحور للنساك صبوة وسهاد كما قلت :

مِن كُلّ ظَبْى رشـيقِ الـقَدِ ذِى هَيَفٍ　　يزْرى سَنَـاهُ بدُورَ التّم فى الـسُّحبِ
حَالى المـرَاشِف معْسُول الـرّضَاب له　　لحـظٌ يصُول بِهِ فـى مَعْرِض الـلّعبِ
رقـيـــقُ خَصْر كَديـنِ الــصَّبِّ رقتُه　　فعنه حَدّث فكـمْ يحْوى مِن العجَبِ

وحين لمحت ما سرنى وأبهجنى ، ولحظت ما أبهتنى وهيجنى ، قضيت مما شهدته العين طربا ، وكاد القلب أن يتخذ سبيله فى بحر الهوى عجبا ، لكنى غضضت طرف ناظرى حياءً وأدبا ، وأمـسكت طرف خاطرى رهبا ورغبا ، وتـقدمت إلى صدر ذلك المجلـس الرفيـع الحـاوى لكـل بديع حسـن ، وحسن بديـع ، فرأيت إيوانـا زاهى النقوش ، تحار العـقول فى وصفه ، وشممت أرْجًا يروّح النفـوس بعَرْفِه ، فاذكرنى روضات الربيع الزهية ، ونفح كمائم أزهارها المسكية ، فقلت :

بادرْ إلى الأنسِ واستجلِ المحَاسِنَ مِن إيوانِ حُسْنٍ زَهَا فى نقشِه العَجبِ
كأنهُ الروضُ إبَّانَ الربيعِ حَلاَ يبدُو شذًا عَرْفه كالمندلِ الرطبِ
وسَاجِعاتُ الهنى أضحَتْ بدَوحَته تشدُو بطيبِ عُلاَ الرضوانِ فى طَرَبِ
قد زُخرفت بمذَابِ التبرِ قُبتُهُ وَوُشِّيَتْ بنُضَارٍ غيرِ منْسكبِ
فاسْمع أحاديثَها تُرْوى مُؤرخَة مسلسلاً حَلْيها زهوا عن الذهَبِ

وشاهدت : شمس الإسعاد مشرقة بأفق ذلك الايوان ، وقد كسيت أرجاؤه بحلل الرضا والرضوان ، وفى صدره الصدر الأمير المنصور المؤيد ، صاحب المجد السامى ، والسعد النامى ، والعز المؤيد ، أدام الله بهجة مصر المعزية بدوام حضرته ، ووالى تجديد أفراحها ببقاء غرة نضرته ، وجدير بمن يحظى بمشاهدة جنابه المجيد ، أن يترنم بما توجته ، وهو قول الشاعر المجيد :

حَقِيقٌ لمصْرَ أنْ تَتِيهَ تفَاخُرا برِضْوَانِهاإذ كانَ عَيْنُ حلاَهَا
هلالُ لياليها وإنْسَانُ عينها وبدْر دَيَاجِيها وشَمسُ ضُحَاهَا
مؤيدُها منْصُورُها وجَوادُها وجامِعُ شَمْلِى مَجْدِهَا وعُلاَهَا

ورأيت : بمجلسه جملة خاصته ، سمراء مسايرته ، وندماء مسامرته ، ما بين أنيس أريب ، ورئيس لبيب ، وعليم أديب ونديم رقيق ، وكاتب نسيق ، فالأنيس الأريب يهدى الأنس بحديثه المستطاب ، جليس نجيب ، يبدى غرائب التحف مع اللطف والآداب ، له من المعارف أكمل زينة ، وأجمل حلا ، وفى التقدم عند أعيان الأمراء ، حائز رتب العلا ، والرئيس اللبيب ، حاذق لطيف المزاج ، خبير بأنواع الطبائع ، وأجناس العلاج ، قد جبلت طباعه السليمة على قانون الوفاء ، وجلبت ألفاظه لقلب من يخاطبه بهجة الشفاء ، والأديب العليم ، فصيح الإنشاء والإبداع ، محلى المعانى باستخدام التورية والإبداع ، لايجارى فى ميدان البراعة ، ولايبارى إذا مد فى مضمار البلاغة يراعه ، والنديم الحاذق رقيق المعانى والأوصاف ، يتوج هامات المجالس بجواهر درر الإتحاف ، معروف بنهاية النباهة ، وحلاوة المنادمة ، له فى رتبة الآداب مقاسمة ومساهمة ، والكاتب الصادق يا قوتى الخط ، حسن الإتقان فى معرفة الشكل والضبط ، بصير بإصلاح أرباب الأقلام ، وكم رفعت له بين أهل النهى أعلام ، فكل فريد غدا نزهة الظرفاء ، بطيب المسامرة ، وتحفة مجامع اللطفاء ، بحسن المحاضرة ، فقلت لعمرى هذا مجلس الخلفاء ، وروض آداب البلغاء والنظراء والحنفاء ، وبالجملة فأوصاف رونقه لاتحد ، وأصناف تأنقه لا تحصى ولا تعد ، فهو

فوق ما حدثت عنه الركبان ، وليس الخبر فى الحقيقة كالعيان ، فقلت :

وافيتُ مَجْلِسَهُ المعظَّمَ كيْ أرى ... ما حدثَتْ عن وصْفه الركْبَانُ
فرأيتُ حِلْمًا ما لأحْنفَ مثْلُه ... وشَهِدْتُ بأسًا هابَهُ الشجْعَانُ
يحْمِى الجوارَ بعزْم صَولته كَما ... يحْمِى شَقَائِقَ دوحه النعْمَانُ
فلهُ السّعادةُ والسيادةُ والثَّنا ... والمجدُ والإسعادُ والرّضْوانُ
ما قَام فى شَرْعِ المدائحِ مُدّعٍ ... فقَضَى بصِدْق مقَالِه البُرهَانُ

وعند : مُواجَهتى ذلك الجناب العالى ، ومشاهدتى سنا أنوار وجهه المتلالى اعترانى وارد هيبة وجلال ، وصرت مندهشا بين جمال وكمال ، شعر :

واجَهْتُه فَمُلِئْتُ مِنه مَهَابةً ... تَدعُ الفتَى بِمقَامِه مَبْهُوتَا

ثم أدركنى وارِدُ الطمأنينة ، وتلا على آية السكينة ، وقال خفض عليك ودع خجل الدهشة ، واصرف عنك بالإستئناس وجل الوحشة ، فإنَّ سيد هذا الحمى والمقام ، وإنْ كان ممن يحذر سطوته الضرعام ، وتهابه أبطال الأقيال والملوك الصيد ، وتود لو كانت له من جملة العبيد ، فهو ممن خطت معانى لطفه بنان الكتاب ، ونطق بمبانى ظرفه لسان الآداب ، متبسم الثغر ، طلق المحيا ، يتلقى بالبشر من أم جنابه وحيا ، فتقدمت مع الأدب والتعظيم ، وحييته بتحية تليق بمقامه الكريم ، فتهلل وقال مرحبا أهلا وسهلا ، صادفت ملجأ حصينا وروضا خصيبا ، فحييت أمنا وظلا ، فقدمت إليه قصيدة تترجم عن قصتى ، وتشعر بثبوت براهين حجتى ، وهى :

نُجحُ المقَاصِدِ من عَلَيْكَ مأمُولُ ... ومَا سواكَ لمَا أرجُوه مَقْبُولُ
سَرتْ لحيِّك آمَالى عَلى نُجبٍ ... مِن الرجَاءِ ومَالى عَنْك تَحويلُ
لما استَقَرتْ لبابِ العزّ أنشَدَها ... هذا حِمى فيه للحَاجَاتِ تَحصيلُ
هذا حِمى تزْدَهى عِزًا مشَاهدُه ... به لمَنْ أمَّهُ المقْصُودُ والسُّولُ
هذ حِمى قد حلَتْ شَهدًا مَشَارِعُهُ ... وَورْدُه الكَوثَرِيُّ العذبُ منْهُولُ
هذا حِمى بحلَى الرضْوانِ فى شَرَفٍ ... حامِى ذُراه على الإسْعَافِ مجبُولُ
هذا حِمى الملتَجِى نادت بشَائرُهُ ... يا مَنْ يرومُ النَّجا فى حيِّه قيلُوا
فانزلْ به واشْكُ ما تلْقى فقلْتُ لقد ... ضَاقَ الخنَاقُ فعقْد الصبْرِ محْلُولُ

كَـمْ ذَا يُحَارِبُنى دَهْرى الـعَنِـيدُ فَـلا ... والـفكرُ فـى ساعـةِ الهَيْجَاءِ مـعْقُولُ
يَجُرُّ بـحْرَ خَمِيــسٍ فـوقَ سَابِــحَةٍ ... والسَّـيفُ والـسهْمُ مـشْهُور ومسْلُولُ
وقـصّتِى بـوجيـزِ الـلـفْظ مـجْمَلَةٌ ... فى شـرحِ حَالى والتـفْصيلُ تطـويلُ
بـاحَ اللّسـانُ بما أخـفَى الجَنَانُ وقـد ... عِيـلَ اصْطِبَارِى وأفْنَتْهُ الـتـعَالِيــلُ
يُنْبِيـكَ حَالـى عــنْ أخبَارِ مـصْدَرِه ... لا العطفُ يـبْدُو ولا الإشفاقُ مَوصُولُ
حُرِمْتُ واجِبَ حَقّى وهـو مُفْتـرَضٌ ... كـرهًا فَهَلْ يَنْسَخُ الـتـحْرِيمَ تحْـليـلُ
قـضـيةٌ سـلَبـتْ بـالنـقْصِ مُوجَبـةٌ ... عكـسُ القِيـاسِ أما لـلحُكَمْ تَبـديلُ
طَالتْ مراجعـتى فى حُسْنِ مَخْلَصِها ... بمـنْ لَهـم بِحَلـى التـدْبـيـج تَعْلِيـلُ
كُلٌّ غـدا بِبُلُوغ الــقَصْد يمـطـلُنـى ... ومَا مَواعِيــدُهَــا إلاّ الأبــاطِيــلُ
وصِدْق وعْدك بـالإسْعَاف مــنـجزُه ... لـهُ بــفَضْلـك تحـقـيــقٌ وتَعْجِيـلُ
فــأنـت أعــظَمُ مــن تُرجَى إغَاثَتُه ... وذُو المــكَارِمِ مَرْجُوٌّ ومَسْئــولُ
وسِيـلَتـى نجـلُك المـسْعُودُ طـالعُه ... عَلـيّ سَعْـد لـهُ فـى المجْد تـأهِيـلُ
رَيْـحَانَةُ الـعَصْر فـرعُ الـنَّيِّريـن بـه ... طـرفُ المعَالـى قريـرُ العَيْن مـكْحُول
لا زالَ فى حفظ مَولاه العَلِيّ من الأسْـ ... ـــواءِ تحـــرسُه طــه وتَنْزِيـــلُ
فاسْعفْ حُبِيـتَ بما تَهـوى وقُلْ كَرما ... بِنَا وصَلْتَ ومــا تَرجُوه مَبــذُول
دامَتْ مآثِرُك الــــعُلْيَا مُسَطّرَة ... وعـنكَ تُروى لَهَا فـى الـذكْرِ تَنزِيـلُ
ولا بَرِحْتَ عليـكَ الـسَّعدُ فـى رَغَد ... يُزِيــنُه بِدَوام الـعزّ تــكْمِيــلُ
ونعْمـةٌ تُجـتَلَى فيـهـا شُمُـوسُ عُلا ... حيـثُ الهَنـا لكَ مَضْمُون ومـكْفُولُ
فى دَولـة بحُلَى الإسْعاد قـد جُلِيتْ ... ومن عُلاك لَهـــا تَاجٌ وإكْلِيـــلُ
مـا مُصْطَــفَى اسْتَعَد أمَّ الحِمَى ولـه ... فى سَيْب عَطْفِك يـاذَا البِشْر تـأميـلُ
لـهُ الـبِشَارةُ حَيـثُ الـفكْرُ أنـشَدَهُ ... نجْحُ المـقَاصِد مِن علْيَاك مــأمُولُ

فنظر إليها بعين متأمل لبيب ، وجال فيـها بجودة فكر المتوقد المصيب ، ثم رمقنى مع البشاشة بطرفه ، ولاحظنى بعين لطفه وعطفه ، وقال أبشر بنجح القصد والإسعاد ، فستظفر إن شاء الله تعالى بحصول المراد ، فدعوت له بدوام العز والسعد ، ونجاح التدبير المنتج ببلوغ القصد ، وانصرفت حامدا عاقبة أمرى ، مادحا علاه بلسان ثنائى وشكرى ، طيب القلب مستبشرا بوعده الجميل ؛ لعلمى أن وعد الكريم واجب التحصيل ، فقلت :

إنَّ وعْدَ الـــكَرِيم قَرتْ بِه الـــعَيْـــنُ لِمـــا فِيـــه من تحقُّق صدْقه
فَهَنِيـــــــــا لأسْعَد بِنَجَاحٍ حَيْثُ بِــــــــشْرتهُ وفَاءً بِحَقِّه

وقد أحببت أنْ أذكره بـالحديث الحسن ، الحاث على اصطناع المـعروف ، وتقليد المنن روينـا بالســـنـد العالـى الإسناد ، الخالـى عن العـلل والانتقـاد أنَّ رسول الله ﷺ ، لما عـرض عليه سَبْى هـوزان ، كان ممن عرض عـليه بنـت حـاتم الطـائى ، فقالت : يارســول الله أنا بنت مَن كان يحمِلُ الكَلَّ ، ويُكْسِبُ المعـدوم ، ويُعينُ على نوائـب الزمان ، أنا بـنت حاتم الطـائى ، فقال رســول الله ﷺ : « لو كَانَ أبُوك مُسْلِمًا لَتَرحَمنا عليه ، فَمَنّ عليها ﷺ ورد لها مالها ، وقال أكْرِمُوا عَزِيزَ قَومٍ ذُل ؛ وغَنِيّ قوم افتقر ، فقالت يا رسول الله : وصُوَيْحباتى ، فقال وصُويْحباتك كريمةٌ بنتُ كَرِيم ، فقـالت يارسول الله ، أتـأذن لى أنْ أدعوَ لك بـدعوات ، فأذن لهـا ، وقال لأصحابه أنـصتوا وعوا ، فقالــت : أوقع الله برك مواقعه ، ولا زالــتْ عن ذِى نِعمة نِعمةٌ إلا كـنت سببا فـى ردها . . . الحديث » وحسبـك هذا فى اصطنـاع المعروف ، وإعانة المنتمى ، وإغاثة الملهوف .

ولما انتهى : حـديث الربيع بن رشيد ، قال لـه صاحب البديع بشيـر بن سعيد : بشراك بشراك قد ظفرت بالنجح ، فأطلـق عنان يراعك فى ميدان المدح ، فقال الربيع أحسنـت بإرشادك إلىّ ، فلـك الفضل والمنة عـليّ ، لكننـى أعترف بقصـور باعى ، واتحقق تقـصير لسان يراعى ، عـن استيفاء أوصاف محاسـنه العلية ، وشيـم مكارمه الجليلة ، وأخلاقه السنية ، شعر :

لـوْ أنـظُم الـزُّهـــرَ الـنُّجُومَ قَلاَئـداً فـــى مَدْحِه لـــمْ أقْضِ حَقَّ صِفَاتِه

على أننى أنشد مـا جادت به قريحة الفكر الكليل ، وإنْ لـم أكن أهلا لهذا المقام الجليل ، فقلت :

روضُ الـسَّعـادة قـد طـابَتْ نَوافحهُ وهـاتـف العـزّ بـالـرضْوانِ صَادحُهُ
هـــو الأمينُ الـــذى أوصَافُه كَمُلَت وزينَّت قـــلَمَ المـــنْشِى مَدَائـــحُهُ
فاقَ الورَى فى العُلاَ حتى استبَان لَهُم بـدْرا يـلُوح عـلـى الأكْوان لائـحُهُ
أعْلَت به شُرفاتِ الـسّعد فـانتـظَمَتْ أحْكـــــامُه وزَهَتْ أمْنًا مَسَارِحُهُ
حِصْنُ المـعَالـى به شيـدَتْ دَعَـائـمُه فـجَيشُ تـدْبِيـرِه المـنْصُورُ فَاتِحُهُ
وقـــد حَلاَ بـحُلَى الإســعَادِ وارِدُه يـلْقَى المـسَرة غَادِيـــهِ ورَائـــحُهُ

حَديثُه في العُلاَ إنْ رُمْت تَحفَظُه ... فاسْمَعْ فإسْنادُه رَاويه راجحُهُ

وخــــذه عنّيَ مَرفُوعًا ومتّصَلاً ... مُسَلْسَلا بِصِفات الحسْنِ واضحُهُ

تقاسَمتْ وصفَه الخمسُ الحواسُّ حلَى ... حيثُ استَبانَ من التقْسيمَ رائحُه

فَعَرْفُه عَطَّر الأرجَاءَ مــن أرجٍ ... وشَنَّف السّمْعَ مَا يُهديه مادحُه

وقُرةُ العَينِ فــي رُؤيَا مَحَاسنه ... والسّعدُ في راحَة وافتْ تُصَافحُه

وذكْرُه قــد حَلاَ ذَوقًا وَمِنْ يَدِه ... فاضَ النوالُ كبَحْرٍ عمَّ طافحُه

وذاك مُجْمَلِ قولِ فــي تَصَوُّره ... لِسُان حَالـيَ بالتصْديقِ شَارِحُه

دَامتْ معَاليه ما غَنّى الهزَارُ[1] وما ... روضُ السَّعادة قدْ طَابَتْ نَوافِحُه

وقصارى الأمر أن مادحَهُ مقصر ولو أطرى ، فالاعتراف بالعجز عن إدراك ذلك أحقُّ وأحْرى ، كيف وقد خُلق أهلا للمعالى وكفؤا للعلا ، واختُصَّ بإبداع أوصافٍ حميدة تُنشَرُ وتذكَرُ بين الملا ، شعر :

أيَا مَولاَيَ قــد أصبَحْت فَردًا ... مَليكَ عُلاَ لَكَ الخلُقُ الحميدُ

فمَدْحُك لا تحيطُ به القَوافي ... ووصفُك ليس يدْرِكُه مُجِيدُ

خُلِقتَ كمَا أرادتْكَ المعَالِي ... وكُنْتَ لمنْ رجَاك كمَا يُريدُ

ولما أنهى القلم بعض حق خدمته ، وبيَّضَ بمداده وجه صحيفته ، وقف فى مقام الأدب والخضوع والاعتراف ، وطلب الإذن من مولاه بالرجوع والانصراف ، داعيًا له بتوالى النعم المحمودة العواقب ، وثبات الهمم الجليلة الذكر والمناقب ، لازال ملحوظًا بعين عناية حَماية مولاه ، محفوظًا بوقاية كفاية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾ ، ما أبدع منشىء فى النثر والنظام ، وزها التاريخ بأحسن ختام .

تهْدى إلى عَالى الجنَاب مَقَامَهُ ... تَزْهو كبَدْرٍ في غَيَاهِبِ جُنْحِه

لما سَمَتْ حُسْنًا بدَا تَاريخُها ... لمقَامِهِ أبدَتْ بدائعَ مَدْحِه

وقال يتنجز وعده أدام الله سعده :

عَطفًا لبابِ الرجَا بالنّجحِ ما فُتحَا ... ومَتْن قَصْدى بالإسْعَاد ما شُرِحَا

وشَمس فُلك المنَى فى الحجْبِ ما طَلَعتْ ... وبرق أفقِ الهَنَا للعَين ما لمحَا

ففكْرتى بفِجَاج الوهْمِ سائحَةٌ ... واللبُّ فى لُججِ الأشْجانِ قَدْ سَبَحَا

(١) الهزَار : بفتح الهاء طائر مغرد .

وراحتــي فُقدَت والأنــسُ تَابعَهــا ... ونــاظري بـغيُوثِ الـدمْع قـد سَفَحَا
هلْ ذَاك مِن سُوءِ حَظٍّ قد خُصِصْتُ به ... وأنّ مَولاَى لِلإغــضَاء قَدْ جَنَحَا ؟
مَولَى سَمتْ بِسَمَا العَلْيـا عَزائمُهُ ... وعَنْ مَبَـاهِجِ عِزّ قَطُّ مـا بَرِحَا
سَارتْ بِسِيــرَته الــرّكْبَانُ راويــةً ... عـنـهُ احاديثَ فـضْلٍ عِطْرُهَا نـفَحَا
وفــيم جُودُك قــدْ سَحّت مَوَارِده ... ومـوجُهُ بفُيُـوض الـفَضلِ قَد طَفَحَا
وروضُ مَجْــدِك قَد فَاحَتْ ازاهِرُه ... وهـاتفُ الـسعْد فـى أدواحه صَدَحَا
فـلاحِظِ المـنْتَمِى عَطـفًا بـعينِ رِضَا ... لا زلـتَ فـى نِعْمَةٍ بـالـعزّ مـتَّشِحَا

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر :

عــيدُ الــهنَا بــالــسّعْدِ اقْبَل ... والــوقتُ من بِشْرٍ تَهَلّلْ
وافَى عــلــى طَرْفِ أغــ ... ــرّ بــيُمْنِ إعزازٍ مُحَجّل
يَرْوى حَديــثَ مَسَرّةٍ ... يــسْمُو بــإسْعَادٍ مُسَلْسَل
فـــتَأرجَتْ منه الـــربُّا ... وتــعَطّرت مسكًا ومَنْدَل
فَاسْعَدْ بِعيــدِ سيّدى ... عيــدًا حَلاَ وِردًا ومَنْهَل
واقْمْ بِـــرَوضِ سَعَادة ... بزُهُورِ إنعَامٍ تجــمّل
وابْشِرْ حُيِيــتَ بِنــصْرةٍ ... عِزًا ومَــن أقصَيْتَ يُخذَل
يُثْنِى عَلَيْك لِسَــانُ حَا ... لِ الــدهرِ تــفْصيــلا ومُجْمَل
تَبْقَــى كَــمَا تــخْتَارُ من ... عُمْرٍ قَويمِ الــغُصْنِ أعدَل
مَا آبَ شَــهْرُ الــصّوم أوْ ... عــيدُ الـهنَــا بــالــسّعْد أقبَل

وقال : يمدحه بهذه المزدوجة الفريدة المزرية ببديعها كل قصيدة ، وكتب عليها قوله :

« مُزدَوجةٌ بالثّناء طيبةُ العِطْر ، مُبتهجَةٌ بالتّهْنئة بعيدِ الفِطْرْ »

يــا سَعْدُ عَرّجْ بــالحــمَى والــرنْدِ ... وطُفْ بِأكــنــافِ الــرّبّا من نَجْدِ
وانــزِلْ بِحَيٍّ فــيـــهِ أهْلُ وُدّى ... فــهُم مُنَى عَيْنِى وجُلّ قــصْدى
وحُبُّهُم أثارَ نَارَ وَجْدى

واشْرَحْ لـــهُم حَالِى ومَا الاقِى ... مِنْ لاعــجِ الــغَرَامِ والأشْواقِ
ومــا جَرى مِنْ دمْعِى المــهْرَاقِ ... واذكُر عَليـلاً بـاتَ فـى احــتـراقِ
يشكُو تباريحَ الجوَى والسُّهْد

حَلــيــفُ شَوقٍ جِسْمُه نَحيــلُ ... الــيــفُ تَوقٍ شَفّه الــغَلِيــلُ
سُلْوانُه والــصّبرُ مُسْتَحِيــلُ ... يـقـولُ هـلْ لِى فــى الـلّقَا سَبِيـلُ

لأستريحَ مِنْ عنا ووَجْد

قــد هَاجَ شَوقًا فــى دُجَى الأسْحَارِ　　والـصّبـحُ مـحْجُوبٌ عـن الإسـفَارِ
والـــبَرْقُ بـــادٍ مِن خِبَا الأسْتَارِ　　وقـــد شَجَاهُ صَادِحُ الأطـــيَارِ

يشدُو حنينًا فى الربَا بنَجْد

فـيــا نَسِيـمًا سَارِيًا عــن الــرُّبــا　　يــعــطِّر الأرجاءَ مِنْ نَشْرِ الـكـبَا
روّح فُؤادِى بِحَدِيـــث أونبَا　　عـمـن صَبَا الـصَّبُّ إلـيـهِم وصبَا

فذكْرُهم سَجيتى ووِرْدى

بـالـعَهْد حَدّث عـن حِمـىً بَهِيج　　يَزهُو حَلّى بَروضِه الـبَهِيــج
مَروِّحًا بـــعَرْفِهِ الأريـــج　　لـــعَلّ يُطفِى ذكْرُه وَهِيـــجى

كمْ طابَ فيه مَصْدَرِى وَوِرْدى

حيـثُ الـشّبـابُ غـصنُه رَطِيبُ　　حـيـثُ الـزمــانُ رَوضُه خَصِيبُ
حيـثُ الـهنَا دَانِى الـوفَا مُجِيبُ　　حـيـثُ الـذى أهْوَاهُ لـى رَقِيـبُ

فى راحةٍ مِن هَجْرِهِ والصَّدّ

ظَبْىٌ أغَنُّ رائـــقُ الألفـــاظِ　　عَذبُ الـثّنـايـا فَاتِرُ الألْحـاظِ
بـــاهِى المحَيـــا فَاتِنُ الـــوُعّاظِ　　مُوكَّلٌ لِلـــطّرْف بـــالإيـــقَاظِ

يدْعُوا إلى الهوَى بسَيف الحدّ

رخيـــمُ دَلّ قَدُّه رَشِيـــقُ　　وسِيـــمُ شـــكلٍ حُسْنُه يُشِيـــقُ
فـــى خَدّه الـــتُّفّاحُ والـشّقِيـــقُ　　فـى ثَغرِه الأقـــاحُ والـرّحِيـــقُ

يفْترُّ عن دُرّ وطَعْم الشّهد

فـثغــرُه الـعَذْبُ الـهنِى لايُرشَفُ　　ووَرْدُ خَدّه الجنـــى لا يُقْطَفُ
يــحــرسُه عـــن مُقْلَتيـــه مُرهَفُ　　بـــه الـعُيـــونُ والـعقُول تُخْطَفُ

إذا بدَا مجَردَا من غِمْد

يـــا حـــسْنَه لمـــا وفَى يـــختَالُ　　فـــى حُلّةٍ طِرازُهـــا الـــدَّلاَلُ
وبـــهْجَةٌ جمَالُهـــا كمَالُ　　يـــهتَزُّ تيـــهًا قـــدُّه الـــعَسّالُ

يزْرى الغصُونَ مَيلُ ذاك القَدّ

ذُو غُرةٍ لـــهـــا الـــهِلالُ يَحْكِى　　وطُرةٍ تُبْدى سَوادَ الحـــلْك
وشـامــةٍ تـروِى عـــن ابـن مِسْكَ　　ومـــبْسَمٍ قـــد ضَاعَ فِيـــه نُسْكِى

وصَار غَيّى فيه عَينَ الرشْدِ

لله مَا أحلَى ظبًا ذَاك الحمَى وما ألَذّ الوصْل من تلك الدُّمَى
هيّجتَ شَوقى والنسيمَ عندَما ذُكرتَ فاسعِفْ بالحديثِ مُغرمًا
يشُوقُه تذكارُ ذاك العَهدِ

وهَات لى حَديثَ الأزبكيّةْ وما حوتْ أدواحُهَا الزكيّهْ
حُسْنًا زهتْ أرجاؤها السّنية إذْ لاحَ فى غرّتِها البَهِيّهْ
قُصورُ رِضْوان العلاَ والمجْد

يا حبّذَا مَعَاهدٌ حسَانُ يُغْنيكَ عَن وصفِى لَهَا العِيَانُ
قد حلّ فِيها الحورُ والوِلْدانُ حَصْباؤهَا اليَاقُوتُ والمرْجَانُ
فانظُر تَراها جَنّةَ كالخلْد

فكَم بِها مِنْ دَوحَة أنِيقَهْ ورَوضَة أغصَانُها وَرِيقَهْ
ورَبْوةٍ أنهَارُها غَدِيقَهْ ومَرْجَة أزهَارُها عَبِيقَهْ
مِن نَرجس وسَوْسَنٍ وَوَرْدِ

تَزهُو بهَا حَدائقُ الأزهَارِ يَجرى بِها مُسَلْسَلُ الأنهَارِ
تبْدُو بِها لَطَائفُ الأسْرارِ عن طِيبِ نَفْحِ عَرْفِها المِعْطَارِ
تُعيدُ طيّ نشرِها وتُبدِى

حَيّ الصَّبَا حمًى سَمَا إتْقَانَا وفَاقَ فِى إبْداعه الإيوَانَا
جَرّ المُنَى فى دَوْحه أرْدَانَا هزّ الهنَا فى رَوْضِه أفْنَانَا
غَنتْ عليها صَادحَاتُ السّعْد

معَاهِدٌ قد أشرقَتْ جَمَالا وأعجَبَتْ فى حُسْنِها دَلاَلا
إذْ حَلّ فِيها كَوكَبٌ تَلاَلاَ بأوْجِ عزٌ وازدَهَى كمَالا
فطابَ ذِكْر مدْحه والحمْد

مَلِيكُ سَعْد قد سَمَا فى عَصْرِه مُؤَيّدٌ مَعَظّم فى مِصْرِه
مُعَزّز كيُوسُف فى قَصْرِه عليه مَنْشُورٌ لِواءُ نَصْرِه
بموكب العزّ السّنِى والجدّ

أعظِمْ بِه مِن مَاجِد وشَهْمِ مَولَى شَدِيدُ البَأسِ وافِى الحِلْمِ
فى الحرْبِ نَارٌ جَنّةٌ بِسِلْمِ مُعتّفٌ مَن غَابَ يَوم الغُنْمِ
وعاذرٌ مَن غَابَ يومَ الطّرْد

صِلاتُه قَبلَ الرّجاء سَابِقَهْ نِصَالُه لِلْمُبْغضين لاحِقَهْ

هِمتُه إلى المعَالي رامِقَه   آراؤه فِيمَا يـرُومُ صَادِقَهْ

كمْ نَجحتْ فى حلّها والعقَد

كَرِيمُ صـدقٍ وعدُه لايُخلَفُ   رَفِيعُ جَاهٍ بالسُّمُوّ يُعرفُ

حامِى الـدّمَارَ بالوفَا يُؤلّفُ   عزِيزُ جَاهٍ فى الخطُوبِ مُسْعِفُ

راجيه لمْ يخطِئْ بلُوغَ قَصْدِ

فكَمْ لَهُ فى مَنهَجِ الأمْجَادِ   حَدِيث وصفٍ عَالِى الإسْنَادِ

يَرْوِيه كُلُّ حَاضرٍ وبَادِى   مِنْ سَاكِنِ الأغْوارِ والأنْجَادِ

صَحِيح نَقْلِ مَا به مِنْ نقْدِ

فلِى رَجَاءٌ فى جَمِيل صَفْحِه   لأنّنى مُقَصّرٌ فى مَدْحِه

ولا أطيقُ بَعْضَ وصفِ شَرحِه   حَباهُ ذُو العُلاَ جزِيلَ مَنْحِه

فى دَولَةٍ سَعِيدةٍ وجُند

بُشْراهُ قَدْ وافَاهُ عِيدُ الفِطْرِ   مُمتَطِيًا طَرفَ الهَنَا والبِشرِ

يختَالُ تِيهًا فى رِداءِ الفَخْرِ   يُعَطِّرُ الأرجَا بِطِيبِ النَّشْرِ

مُهنأ بِطيبِ عَيشٍ رَغْدِ

مُبشّرا بالنّصرِ والتّأييدِ   وطُولِ عُمْرِ نَجْلِهِ السَّعِيدِ

عَلِيِّ قدرٍ نَاجِبٍ فَرِيدِ   عَوَّذْتُه بربّه المجِيدِ

يقيه كلّ حَاسِدٍ وضِدّ

تُهْدَى لـه لَطائِفُ الإنعَامِ   تحمِلُها نجائِبُ الإكرامِ

مَحفُوفةً بالعِزّ والإعظَامِ   مَحفُوظَةً مِن حَادِثِ الأيّامِ

يُديمهَا فضلُ الكَرِيم الفَردِ

وعِزّةٌ احكَامُها لا تنْسَخُ   ورِفعَةٌ عهُودُها لا تُفْسَخُ

ومُتْعَةٌ على الدّوامِ تَرْسَخُ   يُهْدى الهنّا فعِيدُه المؤرخُ

عيدٌ به بدتْ شُموسُ السعْدِ

وقال يمدحه بهذه القصيدة :

زهَتْ مِن رُبا رَوضِ السُّرورِ مَعاهِدُه   وأشْرقَ نَادِيه وراقَتْ مَوَارِدُه

وفَاحَتْ بأدْواحِ التّهانى أزاهِرٌ   وغَرّدَ قُمْرِيُّ السُّعودِ ونَاشِدُه

وأضْحَتْ مَغَانيه الحِسَانُ نواضِرا   برضْوانِ هذا العصْرِ دامتْ محَامِدُه

أميرٌ زَها بالعِزّ كَوكَبُ سَعْدِه   لـهُ طَارِفُ المجْد الأثيلِ وتَالِدُه

مَحامِدُه تَشفِى الصُّدُورَ ومدْحُه يُحلِّى بِه جِيدُ الزمَان وَسَاعِدهُ
مَلاذٌ لِراجِيه وكَهْفٌ لمحتَمٍ يروُحُ ويغدو بالمسَرّة وافدُه
لجأتُ إليه عندَما الدهْرُ راعنِى فأمّننى إسعَافُه وعوائدُه
ولاَ حَظنِى عَطفًا فأنتَجَ مَطلَبِى وقدْ كان فى أقصَى المرامِ مَرَاصِدُه
وبلّغ آمَالِى المنَى بعدَ يأسِهَا فوافَى الهَنا بالبِشر والنجْحِ قائدُه
وقلّدَ جيدى مُسْعفًا عقدَ نعمَة تسَامَت على دُرّ العقُود فَوائدُه
وأسْعفَ بالإقبال أسْعد مَدْحِه فسَرّ مُحبِيه وغيظَتْ حَواسدُه
فأكرِمْ بمولَى يُخجِلُ الغَيثَ رفدُه وأعظِمْ بِشهَمٍ يُبلغ السؤلَ قاصِدُه
فَيالَيْتَ أنّى بالبَدائع شَاكرٌ ومُثْنٍ عليه ما حَيِيتُ وحَامدُه
فَيا سَيداً حَازَ الشّجَاعةَ والنّدَى فَشيدَت مَعَاليه وعمّتْ فَوائدُه
نَهجْتَ سَبيلاً ما سُبقت بِمثْله سَبيلَ غياثٍ أنتَ بالفَضْلِ شَائدُه
وكَمْ مَشرَعٍ لِلفضْلِ عَذبٍ مُسلْسَلٍ وأنتَ على طَرَفِ السّيادة واردُه
تفردتَ مَجْدا حيثُ إنكَ جَامعٌ كَمَالَ عُلاَ تقضى بذاك شَواهدُه
والبسْتَ هذا العصرَ ثَوبَ مَفَاخرٍ وتَوّجْتَه عزا فطابَتْ مَشاهدُه
فبالحكْمِ والجدْوى مَلكْتَ نهايةً لكلّ وبالسَّطوة انقَادتْ إليك أسَاودُه
لكُلّ زمانٍ واحدٌ يُقتَدى به وهَذَا زمَانٌ أنتَ-لاشَكّ واحدُه
فدُم فى عُلا أوجِ السيادةِ راقيًا يَروقُك مِن رَوضِ السرُورِ مَعَاهدُه

وقال مشطرا هذين البيتين :

(يا غَار سَالى رياضَ مَجْد) أشْجَارُها الزهرُ من نَوالكْ
زهتْ وَطابَ الريَاضُ لَمّا (سقَيتها العذبَ مِن زُلالكْ)
(أخَافُ مِنْ زهرهَا ذُبولاً) إنْ فاتَها الفَيءُ مِن ظلالكْ
أوان يُرى نَبتُهَا هَشِيمًا (ما لَمْ يكُن سَقْيها بِبَالكْ)

وقال يمدحه وفيها بيتان مضمنان :

رَوحُ النّسِيم يُروّح الأنفَاسَا ويمِيدُ غُصنًا بالهَوى مَيّاسَا
ويُهيجُ نِيرانَ الغَرَامِ بمُهجَة فقَدتْ لفَرط شُجُونها الإينَاسَا
ويُذيعُ أسْرارَ الغَرام بمغرَمٍ قَدْ كابدَ الوجْدَ الشّديدَ وقَاسَى
صَبٌّ له كَبد يَذُوبُ صَبابةً وصَبيبُ جَفْنٍ لايذُوق نُعاسَا

كَمْ هام فى عصر التصابى واحتَسَى ... فــى حَان ريــحَان المحَبــة كَاسَا
وجَرى بمــيدَان الـــهيَام مُسَابــقًا ... حيــثُ امــتَطى من لَهْوه أفــراسَا
لبسَتْ جــلابيــبَ الولُوع جَمُوحــةٌ ... لــمْ يَستَطــع لعنَانــهـــا أحبْــاسَا
واهًا لأيـــام الـــشّبيـــبَة إنــهـــا ... تــكْسُو الــنُّهـــاة بــغَيّهـــا إلبَاسَا
ومُهــــفْهَف حُلو الـــدّلال عَلقتُه ... ظــبــيًا قــد اتّخَذَ الــقُلُوبَ كُنَاسَا
أنــواعُ كــلٌ الحـــسْنِ فيــه تجَمَّعَتْ ... فَتَقَسّمَتْ عُشّاقُه أجنَاسَــــــا
مَا جَال طَرْفــى فى ريــاضِ خُدُوده ... إلا اجتَنَى وردًا وشَــــاهَدَ آسَا
فَبجَمرِ وجْنَته وخَمرِ رضَابــــه ... يــحْوى منَ الحسْنِ الــبَديـع جنَاسَا
مَا الصّعدةُ الــسَّمْرا ومَا غُصْنُ النقَا ... إنْ هزّ عَاملَ قَدّه أو مَاسَــــا
قـــمرٌ إذا مَا افتَرّ بَارقُ ثَغره ... أبـــكَى الــعُيُونَ ونَورَ الأغلاَسَا
كم بتُّ أضربُ فى انتــظار وعُوده ... بــالــوصْلِ فــى أسْدَاسىَ الأخمَاسَا
وأبيـــتُ وسْنَانَ الـــلّواحظ لاهيًا ... عــن ذى سِقَام بـــالــشُّجُون مُؤاسَا
رَشَأ أضعتُ الــعمرَ فيــه صَبابــةً ... وعــدِمتُ من أسَفى عليــه حوَاسَا
يــزدادُ وجْدى عـــند فــقْد تَصبُّرى ... وأطـــيــــلُ من شَغَفى به وسْواسَا
فكَأنّ بـــالألــــبَابِ من الـــفَاظه ... سُكرًا ومن سحْرِ الــعُيـــون مَسَاسَا
ولعَتْ به لولُوعهـــا بمـــديـــح مَن ... مَلَك الـــعَليّين الـــنّدَى والـــبَاسَا
إنــسانُ عــينِ الــدّهر رضْوان الــعُلا ... فَردُ الأوان لـــــطَافَةً وحمَاسَا
شَهْمٌ تـــدينُ لـــهُ الأسُودُ مَهابــةً ... وتُفَاخرُ الـــعَليَا به الأكيَاسَا
عزّتْ بــــه أمــراءُ دولـــة عَصْره ... إذْ كَان للــــرّؤساء منْهُم راسَا
أفديـــه من فَطِنٍ تكَامَلَ حَزمُهُ ... ومُدبّرٍ عَرفَ الأمُورَ وسَـــاسَا
لــم يَرْم عــن قَوسِ الــفَراسة سَهْمُهُ ... إلا أصَابَ برَأيـــه الـــقرطَاسَا
إنْ اذكُرُ الــلّيــثَ الــهَصُورَ فَحلمُهُ ... وذَكَـــاه أنـــسَى أحنَفًا وإيَاسَا
فَالــــدرُّ يـــنثرُ بـــانتظَام مَقَاله ... وذَوُو الــبَلاغة يُطرِقُون الــراسَا
لــمْ يــثْنه فـــى الجُود لَومةُ لائــمٍ ... كــالــبحْرِ جَاوزَ فَيْضُه المــقيَاسَا
حُفظَتْ صنَــائعُه وأينَعَ روضُهـــا ... بــــالاحتكَام إشَادةً وغرَاسَا
وَرِثَتْ خلائقهُ أجلَّ مكارمٍ ... عَن خيرة الــدّهرِ الكَريم أنــاسَا
قـــومٌ إذا غرَسُوا سقَوْا وإذا بــنَوْا ... لايـــهْدمُون لمـــا بَنوْهُ أسَاسَا
وإذا همُوا صنَعُوا الصّنائعَ فى الورَى ... جعَلُوا لـــهـــا طُولَ الــبقَاء لبَاسَا

لَهَجَ الـزمَانُ بـذكْرِهـم حـتـى بَدَا ... هـذا الأميـرُ إلـى الـعَيان تـنـاسَى
فَغـدَتْ بـه غُرُرُ الـزّمـان مَواسِمًا ... وبعِزّ دولَةِ مَجْدِه أعْراسًا
رَوِّحْ فـؤادَ المسْتَهَام بِذِكْرِه ... وانـعشْ بِطـيـبِ حَديـثها الجُلاّسَا
فَحَدِيـثُه يَروِى الـغَليـلَ كـأنـهُ ... رَوْحُ الـنّسِيـم يُرَوِّحُ الأنـفَاسَا

وقال يمدحه :

أبيـاتُ نَظْمِى بِهَا جَمـالٌ ... من امـتـداحِى عـلـى جَنَابِكْ
وافـتْ تجُر الـذُّيولَ فَخرًا ... تَهيـمُ شَوقًا إلـى رِحَابِكْ
لـعَلَّ أنْ تَحـتَظِى قَبُولا ... وتَبْلُغُ الـعِزَّ والـسَّنَابِكْ
مَولاَى طَالَ انـتظـارُ عَبْدِ ... لـهُ وُثُوقٌ بـعِزّ بَابِكْ
فَادْرِكْ فـتًى كَادَ فـى انْتِظَارٍ ... يَطِيـرُ وَجْدًا عـلـى السَّنَابِك

وقال مادحا له بهذه المقـامة ، مهنئا له بالبرء والسلامة ، وسمـاهاً : « نشر نفحة الصفاء ببشر الصحـة والشفـاء » وفيهـا لزوم ما لايلزم ، يظهر لمن أمعن نظره وأنعم ، وهى :

حكى أبو النجاح بـشر بن حبيب ، قال حدثنى ابن الصلاح نـصر الطبيب ، عنِ أبى الطيب الطيبى الماهر الأريب ، حديثا بقانون الشفاء محرر ومسطور ، أنَّ ما أنتجته قضايا البـراهين ، وشهدت التجربة به عـن يقين ، وقضت بصحته أحـكام القوانين ، فى علاج الأمزجـة اللطيفة ، وشرح الصـدور حمية الخاطر عن شـواهد المكدرات ، وتحلية الـروح بأطايب المنعشـات ، وترويح النفس بـعجائب المطربات ، وفـى اعتباق الأصائل ، واغتباق الـبكور ، وتسريح العيون ، وإطلاق النواظـر ، فى حدائق الربا والرياض النواضر ، واسـتجلاء عرائس أدواحها الزواهر ، واستنـشاق شذى معطرات الزهـور ، والإصغـاء لـنغمـات ساجعات الحـمائم ، والاستـرواح لنفحـات ذاكيات النسائم ، والاستشراق لنسمات يانعات الكمائم ، بالمعانى الزاهية على شاطئ النهور ، ومفاكهة الأحباء الأدباء الظرفاء ، ومنادمة الألباء الـنجباء اللطفاء ، ومحادثة الفصحاء البلـغاء الحنفـاء ، على سُرر التهـانى وبُسُط الزهور ، واستـماع ألحان المثـانى ورنات الأوتار ، مع مـطرب يشدو بـبدائع الأشعـار ، ومجَامِرِ الندّ نـافحة بعَرْفِهَـا المِعْطار ، بمجلس الأنس ، ونادى الهنا والحبور ، فإذا توفر هذا التدبير نجح العلاج ، وتراجعت القُوى ودام الابتهـاج ، واعتدلت الطبـائع وصح المزاج ، ورُقِمَت بشائـر الشفاء برَقٍّ

منشُور ، فأقسم يمينا صدقا أبو النجاح ، أنَّ هذا هو فى الحقيقة منعش الأرواح ، وطارد الهموم وجالب الأفراح ، وتقوى الأبدان الإنسانية سقنقور ، فوصفه لمولى عز قدرا وسَمَا ، ووضَعه على الطف قانون وسما ، فَصَحَّ مزاجه اللطيف بعدما كان صدر الزمان بشكايته مصدور ، وزال عن الدهر الترح والعنا ، ولبس ملابس الأمن والمنى ، وسكن روعه بوفود البشر والهنا ، وأصبح بصحة الرضوان مستبشرا ومسرورا ، وتلا آيات الشفاء بألواح التهانى ، وروى أحاديث الصفاء بمسند الأمانى ، ونشر ألوية الدعاء مفتتحا بالسبع المثانى ، لجناب سيد عليه لواء السعد منشور ، سيد لايحاط بأوصاف قدره ، عين المجد وغرة أعيان مصره ، ودرة التاج وواسطة العقد بعصره ، المتحلى ببدائع مدحه المنظوم والمنثور ، لازالت ثغور المسرة بواديه بواسم ، ورياض المبرة بناديه العاطر بواسِم ، ولياليه وأيامه الزاهرة أعياد ومواسم ، تختال تيها وفخرا على سالفات الدهور ، قد أظلك سيدى هذا العام الجديد مبشرا بتوارد وافر النعم والعيش الرغيد ، فلك البشرى بهذا الفأل الحسن الحميد ، إذ يؤرخ بحصول الشفاء به عام السرور ، وختمها بقوله :

روضُ التَّهانى أينَعَتْ أزهَارهُ ... وبِدَوحِه نهْرُ المسَرّة قد صَفَا

والدّهْرُ أهدَى مِن عُلاه بشَائرا ... وبعَهْدِ إسْعَادٍ وإيناسٍ وَفَا

والمجدُ قد عُوفى وصَحّ مِزاجُهُ ... حيث القُوى اعتدلَتْ بقَانونِ الشّفا

وتلا الهنَا آيَ السّرورِ بصِحّةٍ ... قد سُطِّرَت مِنا بألْوَاحِ الصّفَا

والعامُ أقبلَ بالسّرورِ مُهَنّئا ... ومُؤرخا يَرْوى حَدِيثا بالشّفا

وقال فى سفينة أنشأها ذلك الأمير :

فُلْكُ السّعادةِ بالأفراحِ جَارِيةٌ ... ببَحْرِ عزّ وجُودٍ طَابَ مَسْراهَا

ورايةُ السّعد فى أعلَى الشّراع زَهَتْ ... بمجدِ رِضْوان سرّ العَين مَرآها

ومُطربُ الأنس بالألحانِ أرخَها ... سَفِينة بِنَسِيم اللُّطفِ مَجْراهَا

وقال والمعنى يظهر من الأبيات :

يا سيّداً حازَ الثّنَا ... ولهُ المعَالى تَصْطَفِى

انجِزتَ وعْدك مُنعِمًا ... وقَضَيْتَ لى بِتَصَرُّفِ

ووكَلْتَنِى لمبَاشِرٍ ... كَمْ ذَا أراه مُسَوّفِى

فانعِمْ بإلْزَامٍ لَه ... يَقْضِى بِغَيرِ تَوَقُّفِ

لازلتَ تُسْعِفُ راجيًا ... وتجودُ بالوعْدِ الوَفِى

وقال : يصف قصرا نمقه بالنقوش الزهية ، وهو المعروف بالحلى ، وذلك لقدوم الصدر الكبير ، وزير مصر أحمد باشا :

قَصْرٌ لـه بِبَديع الحكْم إتقَانُ ... قد قَام منه على الإبْدَاعِ بُرهَانُ
قصرٌ تقَاصَرَ عنهُ قصرُ ذِي يَزَنِ ... فمَا السّدِيرُ وما أنْشَاهُ نُعْمانُ
قصرٌ حكَى لِقُصور الخلْد طابَ حلَى ... يقْضِي لهُ بِحلَى التشْبيه عُنوانُ
قصرٌ زهَا تحتَهُ الأنهَارُ جَارِيةٌ ... يميسُ فى سَرحِهِ الزّاهىّ وِلْدانُ
قصرٌ على النيلِ قد أبدَى الفخَارَ به ... على الفُرات وما يحْويه سَيْحَانُ
قصرٌ به نفَحَت رُوحُ الهنَا وشَدَتْ ... وُرْقٌ لها بِفُنُونِ الأنسِ ألحانُ
قصرٌ به السعدُ إذ حَلّ الوزيرُ به ... فَهو العزيزُ وهذا القصرُ إيوَانُ
قصرٌ بِهِمّةِ مُزْهِيهِ شَوَاهِدُه ... قامتْ وحسْبُك هذا الحكْمُ تِبْيَانُ
قصرٌ تَسامَى فإنْ شَاهدْتَ منْظَرَهُ ... فَأرّخْنَهُ حَلاَ مُزهِيه رِضْوانُ

وقال يمدحه ، ويهنئه بمولود جديد : مقدما أمام نظمه منثورا يزرى بنظم الدر النضيد ، وهو قوله : بشرى لنا بالتهانى بشرى ، فمن أفق السعادة شهدنا بدرا ، قدم اليمْنُ والسعد بوروده ، ووافى السرور والأنس بوجوده ، فقرت النواظر بحديثه الحسن ، وقرأت بمصاحف النعم آيات المنن ، فياله مولودا روح الأرواح ، وأقام بمولده مواسم الأفراح ، فلنا بعواطف الرضوان موانح ، ومن لطائف الامتنان أعطر نوافح ، فالله يقر عين السيد بحياته ، ويحوطه وإخوته الأمجاد بعظيم آياته ، ويطيل عمر حياته ويحْييه ، حتى يرى ولد ولد ولده يحَييه :

آمِينُ آمِينُ لا أرضَى بِواحِدَةٍ ... حتى أقولَ لَدَيها ألفَ آمِينَا

والنظم هو قوله :

لاحَتْ لنا شمسُ السّرورِ عَيَانَا ... فغدَا الحجَا بشُهودهَا نَشْوانَا
شمسٌ لها فلكُ التّهانى مَطلعٌ ... بوفُود مَن يَسْمُو علَى كيوانَا
يا حَبذَا يوم السُّعُود بمولِدٍ ... اضْحَى لأعيادِ الهنَا عُنْوانَا
وغدا يُنَادِى والزمَان مُهَنّئا ... داعِى الصّفا بِبِشَارة إعلانَا
بُشْرى لقدْ جادَ الزمانُ بِمِنْحَةٍ ... أرّخْ حبَا بمحَمّدٍ رِضْوانَا

وقال يمدحه ويهنئه بمولود جديد :

بشْرى بِها وُرقُ السّعودِ تُغَرِدُ ... وهنّا بِهِ شَادِى المسَرّةِ يُنْشِدُ

والسّعدُ بالعَلْيا أقامَ مَواسِمًا | بشُهُودِها عيدُ المُنَى يتَجَدَّدُ
وبدَا صَباحُ الحظِّ يزهُو مُسْفِرًا | يَرْوِى أحَاديثَ الصَّفاء ويُسْنِدُ
وأضَاءَ من أفقِ الحبُورِ مَطالِعٌ | إذْ لاحَ مِن فَلَكِ المعَالى فَرْقَدُ
وتَهلّلَت غُرَرُ الزمَانِ مولد | وزهَتْ بمولُود عُلاَهُ أوحَدُ
لاحَت بغُرته البَهِيةِ بَهْجَةٌ | بُشْرى السعَادة من حلاَها تشْهدُ
مولَى سَعيدٌ بالذكاء مُوشَّحٌ | وبجيده عقدُ السُّعُود مَنضّدُ
زاكى الموَارِد للمَحَامِدِ جَامِعٌ | زاهى المشَاهد فى المحَاسِنِ مُفْرَدُ
بُشْراه فالسِّرُّ المصُون يَحُوطُهُ | ولهُ على دَرَجِ المعَالِى مصْعَدُ
يُربى عَزِيزا فى جُحُور كَواعب | بسُهُود إسْعَاد سَناهَا أسْعَدُ
ولهُ مِن المجْدِ المؤثّلِ رفعَةٌ | تسْمُو عُلا ومنَ المآثرِ سُؤدَدُ
صدقَتْ فراسَةُ ذى الحجَا بنَجَابة | فعَلَى نَجابَته الخناصِرُ تُعْقَدُ
أنعِمْ بمولود لرِضْوانِ العُلا | سَامِى العَلاَء فسَعْدُه يتَوقَّدُ
يُهْدَى لَه العُمْرُ المديدُ بصحّة | يحْلُو بها العَيشُ الهَنِىُّ الأرْغَدُ
حيثُ التهَانِى مُقْسِم ومُؤَرخٌ | بسَمَا الهنَا هذا السّعيدُ مُحَمدُ

وقال مادحا ومهنئا بعيد وشفاء :

لك البشْرُ يا عيدَ السّرور بسَيد | سمَا وعَلا فى سَعْدِه فوقَ كيوَان
فهَاكَ مُنَادِى العزّ فى بابِ مَجْدِه | يُنَادى بتاريخ زَهَى عِيدُ رِضْوان[1]

وقال مهنئا بشفائه :

مقدما أمام شعره الرائق ، نبذة من نثره الفائق ، قوله : لقد أسمعنى سعد حديث الشفاء ، بمحضر الأنس ومجمع إخوان الصفاء ، فشنف الأسماع بدرره ورنح الأعطاف ، إذا أرشفنى من كؤس المسرة أطيب سلاف ، فَطَفِقْت من فرط السرور الذى جل عن الحد ، أنادى فديتك زدنى من حديثك يا سعد ، فهناك نفحت نوافح الأفراح ، فعطرت الأرجاء ، وأنعشت الأرواح ، وأزهر روض التهانى بزهور الامتنان ، فنعمنا منه بروح وريحان ورضوان ، وجعلنا فى دوحه الزاهى البهيج رواه ، وتغنينا بدوحه الذاكى الأريج رباه ، وجلسنا على بسط البسط ، وسرر

(١) كتب أمام هذا البيت بهامش ، ص ٢٣٧ ، طبعة بولاق « قوله : « زهى » الرسم أن يكون بالألف ، وأبدل فى التاريخ الآتى حقه أن يكون بالياء ، ولكن عكس ، لأجل استقامة التاريخ أ . هـ مصحح » .

السرور ، والتحفنا بمطارف الطرف وحبر الحبور ، وتفكهنا من جنى جناه بفواكه الإيناس ، وشربنا من رحيق سلساله المروّح الأنفاس ، وأطربتنا وُرقَه الصادحة بنغمات المثانى ، فوق أغصان المسرة فما مطربات المثالث والمثانى ، وعطفت علينا عواطف العطف بالصفا ، وروحتنا مراوح الراحة بنسيم الشفا ، فانشرح الصدر طربا وقرت العيون ، وزال عن القلب ما به من ران الغيون ، فلله الحمد على نعمة انجاب بها سحاب الغموم ، وهزم بشيرها بوفود أعلامه جيش الهموم ، فأعظم بها منحة عمت جميع الناس ببشرها ، وأذهبت عنهم البأس والعناء بلطائف سرها ، وأعادت أعياد التهانى تختال مرحا ، وثغر الزمان يتبسم سرورا وفرحا ، فحق لهذا المحب أن يرفع أكف الابتهال ، إلى سماء الإجابة تجاه قبلة الإقبال ، أن يديم الله لجناب المولى الصحة والعافية ، وأن يورده من مناهلها الموارد الصافية ، لابسا من المجد الحلل المعلمة الطراز ، متوجا بتاج السعادة والإعزاز ، وأنْ يمد له من سرادق العلياء الأطناب، ويرفع له فى أعلاها الأعلام والقباب ، ما أهدته الطروس من طى طيبها نشرا ، وما وافى البشير مؤرخا ، حباه صدق الشفاء بأطيبها بشرا ، وشعره المشار إليه، هو قوله :

وافَى السُّرورُ فأذْهَبَ الأتْرَاحَا ... وأقامَ فى نَادى المنَى الأفْرَاحَا

وأعَادَ أعيادَ التَّهَانِى عندَمَا ... بدرُ العُلاَ بعْدَ التَّحَجُّبِ لاَحَا

فُتحَتْ لهُ أبوابَ أنسٍ أغلقَتْ ... وغَدا حمَاهَا روضُهُ فيَّاحَا

نُشرتْ بآفَاقِ البلادِ بَشَائرٌ ... نشْرُ المنَى مِن طِيبِهَا قد فَاحَا

بُشْرى روَى عنهَا أحاديثَ الشِّفَا ... وتَلاَ لَهَا من آيِهَا الْوَاحَا

والعيدُ وافَى بالشِّفَاءِ مُبشِّرًا ... قد البسَتْه يدُ الجمَالِ وشَاحَا

يزهُو برضْوانِ العُلا متَهلِّلاً ... إذْ حَازَ مِن لُطفِ العلاَجِ نجَاحَا

صَحَّتْ بِصِحَّتِه النفوسُ وأوضَحَتْ ... شرْحَ الصُّدُورِ بمتْنِهَا إيضَاحَا

وتألقَتْ أرجاءُ مصرَ وأزهَرتْ ... أدواحُهَا بمسَرَّةٍ أفرَاحَا

أنعِمْ به مولَى تَسَامَى قَدْرُهُ ... عمَّتْ مَدائحُهُ ربًا وبطَاحَا

ذُو مَظْهَرٍ بالعِزِّ أشرقَ عَصْرُهُ ... يحكِى سَنَاهُ كَوكبًا وضَّاحَا

دامَتْ مَعَاليهِ ودَامَ سُرُورُهُ ... وحَوى بمسْعَاهُ الجميلِ فَلاَحَا

ونَوافِح الأنسِ الذَّكِى شَميمُهُ ... تغشَى حِمَاهُ عَشيَّةً وصَبَاحَا

فَلَهُ الهنَا ولنَا السُّرورُ بصحةٍ ... أهدَتْ إلى روحِ العَلاءِ صَلاَحَا

والحقُّ مانِحُ والسُّعودُ مؤرخٌ ... بِسَنَا شِفَاءٍ أنعَشَ الأروَاحَا

واستنسخ : الأمير الممدوح ، كتاب روض الآداب ، لكاتبه إبراهيم البلبيسى الذى هو عمدة لفنون هذا الباب ، فعند إتمامه ، واختتام نظامه ، طلب من مولانا صاحب الترجمة ، أن ينشئ له مقامة ، تكون للكتاب ومحاسنه تميمة ومتممة ، فأنشأ هذه المقامة ، وسماها : « سَحّ سُحُب الأدبِ البديعِ المعَانى ، بِسَوْح رَوْض الآداب البديع الرضْوانى » ، مبتدئا فيها بقوله هذه الأبيات :

بُشْرى حَبِيب بِروْضِ آداب زَهَا ... بَاهَى الرّيَاضَ بنشْرِه ونظَامِهِ
يختَالُ فَخْرا إذ تملّك رِقّهُ ... رِضْوانُ عِزّ عَزّ فى أحْكَامِهِ
وحَلاَ لإبْراهِيم نَسْخًا أرخُو ... فَزهَتْ مَبَادِيه وحُسْنُ تمَامِهِ

حبذا : روض الآداب الحسن البديع ، المثمر بالبلاغة والمزهر بأنواع البديع ، جرت مياه البراعة خلال سطوره ، وتفيأت اليراعة تحت ظلال مسطوره ، وتفتح زهر الفصاحة من كمائم مبانيه ، ونفح أرج البيان من نسائم معانيه .

روض : ابتهج بلآلئ المنظوم والمنثور ، وتدبج بأحمر الشقيق ، وأصفر المنثور ، فهو بحالى الترصيع والتوشيع بهيج ، وبغالى الترشيح والتوشيح أريج ، فلله در سحائب قرائح أظهرت نوره ، وأضحكت من أقاح أدواحه الزاهية ثغوره .

روض : قامت على أغصان ألفاته خطباء الأقلام ، وصدحت على أفنان همزاته حمائم الإفهام ، فغدا نزهة الناظر ، وفاكهة الخلفاء ، ومرح الخاطر ، ومفاكهة الأدباء والظرفاء ، فمن ظفر بهذا الروض وحل حماه ، حُبِى ظرف السرور من مغانيه ورُباه .

روض : من ارتقى على أرائكه السنية الرفيعة ، وتأمل فى أوصاف محاسنه البهية البديعة ، رأى بيوتا سمت بالمحل الأرفع ، وشرفت حيث أذن الله لها أن ترفع ، ووجد فى كل دوحة ثمارا يانعة مختلفة الأنواع ، وأزهارا شذى نوافحها مختلفة الأضواع .

روض : حوى فى زوايا خباياه كنوز ذخائره درا منثورا ، ولؤلؤا منظوما ياقوتا وجواهر ، وبه مسارح آرام ، ومراتع غزلان ، ومعاهد أنس وُشُحَت بحسن وإحسان، وفيه صادحات أطيار بألحان الهنا تترنم ، تذكر أيام الصبا وتهيج أشجان الصب المغرم .

روض : رويت أحاديث جماله بمحاضر السرور ، وتليت آيات كماله بمجامع الحبور ، فهو لعمرى مفرد جمع لجميع الفنون فيه تنافست ذوو الحجا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، فروح الروح فى بهجة حواشيه ، ووجه وجه الثناء لمالكه وحاويه .

روض : الرياض الزاهية المثمرة الوريقة ، ومنبع الغياض الذاكية المزهرة الأنيقة ، من تنسم أرواح الصبا طيبا بربع علاه ، وتبسم ثغور الحدائق إذا جرى حديث حلاه ، حضرة الأمير الكبير رضوان كتخدا لا زال بالسبع المثانى محفوظا من العدا .

روض : أمر جناب حضرته العلية باستكتابه ، فنسخت له هذه النسخة الجلية ، وزفت إلى بابه تحرى الناسخ فى نسخها ونمق أى تنميق ، فجاءت مبدعة على وجه حسن أنيق ، تروح الروح بنشرها وتجلى الناظر ، وتشرح الصدر ببشرها وتحلى الخاطر .

روض : تحلى عقود الانتهاء حالية الانتظام ، وتطيب من نوافح طيب مسك الختام ، فى ابتداء غرة ربيع الأول المستطاب ، عام تاريخه يزهو بكمال روض الآداب ، فما أبدع هذا الاتفاق الحسن البديع ، حيث جلى الروض علينا فى ربيع .

روض : أذكرنى بهذه المناسبة النفيسة ، زمان الربيع وموارده المنعشة الأنيسة ، إذ فيه تنفح الزهور ، وتصدح الحمائم ، وتسلسل النهور ، وتضحك الكمائم بطيب الوقت ، وتعتدل القوى ، وتنبسط نفوس أهل الصبابة والهوى ، شعر :

زَمَانُ الربيع زمَانُ السُّرور ... زمانُ التَهانِى وشَرحِ الصُّدورْ
مُهِيجُ النفوس بنفْحِ الزهُور ... وصَدْح الطيورِ وجَرْى النُّهورْ

روض : حق له أن يفوح بطيب عرفه ، ويفتخر ببديع جماله وكمال وصفه ، حيث كان اسمه مجتنى من اسم الرضوان ، فله مع التشريف والعزة روح وريحان ، وكم اشتمل على نكات ظريفة ، يفهمها أهل الذكاء والقرائح اللطيفة .

روض : تشرف الناسخ بتحريره ، ممتثلا أمر سيده حيث أمر بتسطيره ، داعيا له بدوام عزه ، وعلو مجده ، وتلألؤ كواكب علاه بمشرق سعده ، مصليا على من أوتى الكتاب المحكم ، وآله وأصحابه الذين طراز كمالاتهم بالفصاحة معلم ، شعر :

(روضٌ) زهَا أبْدا الـبَدِيعَ بـهيـجُ　　وحَمَاهُ من طِيـبِ القَريـضِ أريـجُ
(روضٌ) بـه رُوح البَرَاعَة قـدْ سَرَى　　بـلَطِيـف سر بـالسُّرور نسيـجُ
(روض) بـه وُرْقُ الـفـصَاحَةِ غَردَتْ　　بـلُحُون نَظْمٍ زانَهَا الـتَّهْزِيـجُ
(روضٌ) حُلَى الآداب وشَّـى طِرازَه　　بـبـدائـعٍ منهـا لَهَا تـضْرِيـجُ
(روضٌ) حـلاَ وتـفَتَّحَتْ أكـمَامُه　　عـن زهر إبـداع بـه تـبـهيـجُ
(روض) زهَا بالافْتِنَان تَلَوُّنـا　　فـحَلاَهُ من تَلْويـنه تَدْبِيـجُ
(روض) بـأنوَاعِ الـفُنُون مُفَوَّفٌ　　ولـهُ بـتَوْشِيـحِ الحـلَى تَبْرِيـجُ
(روض) بـه لِذَوِى الـغَرَامِ تَرَوُّحٌ　　لـكنَّه نَارَ الـغَرام يَهيـجُ
(روض) حَدِيـثُ الحسْنِ عَنْه مُسـلْسَلٌ　　ولـهُ بمـسْنَدِ ذى الـهوَى تَخْرِيـجُ
(روض) حَوَى أوصَافَ حُسْنٍ قَد سَمَتْ　　حَالِى المـوارِدِ بـالـبَيَان مَرِيـجُ
(روض) الـرِّيـاضِ حُبِى بِعِزٍّ رِفْعَةً　　فـسَمَـا فَمَا لِعُلاه قَطُّ نَسِيـجُ
(روض) سَمـا إنْ قـدْ تـفَيَّأ ظِلَّه　　رضْوانُ عِزٍّ منْ سَنَاه بَليـجُ
(روض) الشَّجـاعة والـسَّماحَة والـندَى　　مِنْهُ لِتِيـجَانِ الـعُلاَ تَتْوِيـجُ
(روض) تَروحَت الـنُّفُوسُ بطِيـب عطْـ　　ـرِ مَدِيـحه ولسُوقه تَرْوِيجُ
(روض) نَضِيـرٌ والـنُّضَارُ ثِمَارُه　　فـيـه يُرى الـتَّفْرِيـحُ والـتَّفْرِيـجُ
(روض) نَعِمْنَا بـاجْتِنَاء زُهُوره　　وبـظلّه الـضَّافِى يَزُولُ وَهِيـجُ
(روض) لَهُ بـالمـدحِ أسْعَد بُلْبُلٍ　　دَومًا لـهُ حُسْنُ الـثَّنَاء هَزِيـجُ
(روض) نَدَى مُهْد لَه تَارِيـخُه　　روضٌ زَهَا أبـدَا الـبَدِيـع بَهِيـجُ

متع الله جنابه بروض العز والتهانى ، مقتطفا منه ثمار الأنس وأزهار الأمانى ، يُروِّحُه فيه الصفاء بنسائم الارتياح ، ويشرحه البشر منه بصدح حمائم الأفراح ، ممتدا عليه من الصحة سرادق ، منشورا له فى آفاق العلا ألوية بالثناء خوافق ، بجاه من اختاره المولى ، وله اصطفى سيد الأولين والآخرين ، طه المصطفى ، صلى الله عليه صلاة تليق بمقامه الأسنى ، وعلى آله وأصحابه الناهجين مناهجه الحسنى ، مع سلام موشى ببدائع النثر والنظام ، ما زهت المطالع بأحسن ابتداء ، مؤرخة فطاب الختام ، انتهت المقامة وما يليها ، وفيهما تواريخ خمس كل منهما يشرح الصدر ، ويسر النفس .

وقال مؤرخا بناء باب العزب الذى جدده الأمير المشار إليه ، وضمنه بيتا من كلام السموأل :

لقد أشرقت شمس السعود ببابنا ... فلا يعتريها بعد ذاك أفول
لنا المجد إرثا والسيادة منصبا ... ودولتنا العلياء ليس تزول
(إذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول)
وسيد أهل العصر رضوان كتخدا ... أشاد علاء ما إليه وصول
فلذ بالحمى مذ أرخوا وببابه ... فهذا حمانا ملجأ ومقيل

وقال : يمدحه بهذه القصيدة الربيعية ، بل الدوحة المثمرة الشهية ، وسماها نشر نوافح البديع ، ببشرى مقدم الربيع :

بشرى الربيع الزهي وافت بشائره ... وعن حلاه البهي نمت سرائره
ونشر روح الصبا أهدى لنا خبرا ... من طيبه فاح في الآفاق عاطره
ومالت القضب والأطيار قد صدحت ... وقد تبسم من عجب أزاهره
وجاء في حلة الإبداع مبتهجا ... يختال تيها به حفت عساكره
فسر مقدمه الحالي أخا شجن ... يهيجه من معاني الدوح ناضره
وروحه بمعاني الحسن قد علقت ... وفي صفاه فكم تسعى خواطره
وروضة لنجوم الزهر جامعة ... وزهرها مفرد في الحسن سائره
قامت بها أمراء الدوح خاطبة ... مقام عز تسامى منه فاخره
رام الخلافة كل إذ علا وسما ... من فوق منبره الزاهي منابره
فالورد قام بدعواها فشوكته ... قوية حيثما سلت خناجره
والبان وافى بتاج الملك منتصبا ... وقال من رامه حكما أناظره
والأقحوان بدا يزهو ببهجته ... وحوله زمرة قامت تناظره
والنرجس الغض يرنو نحوها شزرا ... لأنه طالب للملك ناظره
قال الشقيق حويت الفخر أجمعه ... والملك حق الذي تسمو مفاخره
وطال بينهما دعوى الخلاف إلى ... أن قام سنبلها الزاكي عواطره
وقال سلطاننا الورد السني وله ... دعوى الخلافة لا تعصى أوامره
فكم له طيب نشر عم عابقه ... بمجلس الأنس إذ فاحت مجامره
وكم روينا أحاديثا مسلسلة ... في مدحه وبه طابت مخابره
فعندها سلموا للحق واعترفوا ... بملكه المرتضى والله ناصره

فاعلنت ورقها بالبشر قائلة ... سقى رباك من الوسمى باكره
والدوح قد بسطت فيه مطارفه ... والروض قد رنّحت حسنًا قياصره
والزهر من فرح أهدى النثار بها ... لما سما الورد واستعلت مظاهره
حكى بمنظره الحالى ومخبره ... صفات رضواننا السامى زواهره
أمير مجد لنا تتلى مدائحه ... مدى الزمان كما تروى مآثره
شهم وما غير آساد فريسته ... من فرّ يوم لقاه فهو عاذره
تخاله الليث والمريخ فى يده ... إذا بدا جائلاً والسيف شاهره
تعطل الجود من أزمان قد سلفت ... والآن حقًا به قامت شعائره
روض نضير ولكن مثمر أبدًا ... غيث ولكن ندى عمّت مواطره
وكم له من علا كالشمس مشرقة ... لها يشاهد باديه وحاضره
فكل ذى أدب أقلامه عجزت ... عن مدحه بل وما وفّت محابره
يا سيدًا قد علت بالمجد رتبته ... عزًا فما أحد فيها يناظره
انعم بأنّ ربيع[1] حان مورده ... تسعى إلى بابك السامى بشائره
واجلس حييت بمغنى الحظ منتشقًا ... طيب الصفا فصبا الإسعاد ناشره
وسرّح الطرف فى ميدان نضرته ... ترى من الحسن ما يلهيك ناضره
واجمع حمائم أفراح به صدحت ... عن لحنها الموصلى كلّت مزامره
واشهد لرناته السبع التى اشتهرت ... من يجتليها بها تزهو محاضره
واغنم زمان ربيع بالسرور أتى ... صاف موارده حال مصادره
ولا تضع فرصة مهما ظفرت بها ... واصغى لمن قال والممدوح ناصره
خذ من زمانك ما أغناك مغتنمًا ... وأنت ناه لهذا الدهر آمره
ودم بروض العلا والعز منبسطا ... بمطربات الهنا يشدوك طائره
تجنى به ثمرات الأنس يانعة ... مع السرور ومن تهوى تسامره
منعّمًا ببقا نجليك من بهما ... هذا الزمان لقد قرّت نواظره
فذو المعالى علىّ مصطفى حفظا ... يهدى لكلّ من الأعمار وافره
لا زال كلٌّ بأوج المجد مرتقيًا ... بطالع العز والإسعاد ناظره
واهنأ بعام سرور إذ تؤرخه ... ربيعه المزدهى فاحت عواطره

(١) كتب أمام هذا البيت بهامش ص ٢٤١ ، طبعة بولاق « قوله : « ربيع » ، هكذا فى النسخ بالرفع فإسم إنّ ضمير الشان » .

وهذا : آخر ما انتقيته من كلامه ، ونقلته من المدائح الرضوانية ، ومن مؤلفات المترجم رحلته المسماة « بموانح الأنس ، برحلتى لوادى القدس » ، توفى المترجم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : أديب الزمان ، وشاعر العصر والأوان ، العلامة الفاضل شمس الدين الشيخ ، محمد سعيد بن محمد الحنفى الدمشقى ، الشهير بالسمان ، وورد إلى مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة وألف [2] ، فطارح الأدباء ، وزاحم بمناكبه الفضلاء ، ثم عاد إلى وطنه ، وورد إلى مصر أيضًا ، فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف [3] ، وكان ذا حافظة وبراعة ، وحسن عشرة ، وصار بينه وبين الشيخ عبدالله الإدكاوى محاضرات ومطارحات ، وذكره فى مجموعته ، وأثنى عليه ، وأورد له من شعره كثيرا ، ومما انتقيته من مختار أقواله قوله :

وليْلٍ نَامَت الرُّقَبَاءُ فِيهِ ... وقَدْ أمِنُوا الوِصَالَ لِطُول هَجْرِى
وزارَ مُعَذِّبِى مِنْ دُون وعْدٍ ... ولَمْ يَكُ وَصْلُهُ مِنّى بِفِكْرِ
فَقُمْتُ لِمَلْعَبِ الهَيَمَان أخْطُو ... لأهْصُرَ غُصْنَه مِنْ دُون صَبْرِ
فَلَمْ تَرَ مُقْلَتِى إلا وِشَاحًا ... تَراءى حَائِلاً مِنْ دُونِ خَصْرِ

وله أيضًا :

ومَا أنَا بالنَّاسِى وقدْ خيَّمَ الدُّجَى ... ووَافَى الذى أهْوى ولَمْ يُثْنِه ذُعْرُ
وبِتْنَا بِحَالٍ لَمْ يَرُعْنَا مُؤنِّبٌ ... وراحَ يُعَاطِينى وما ابْتَسَمَ الفَجْرُ
سُلافَةَ ألْفَاظ وجِرْيَالَ مَبْسَمٍ ... وخَمْرَةَ ألْحَاظ لذا التَبَسَ الأمْرُ
فلَمْ أدرِ أيٌّ أسْكَرَ العقْلَ رَشْفُهَا ... ولمْ أدرِ أيٌّ غَابَ عَنى بِها الفكر

وله هذا المعنى الذى لم يسبق إليه :

يقُولُون لِى لما بَدَا العَارِضُ الذى ... به غيضَ مَاءُ الحسْنِ من وردْة الخَدِّ
نَراكَ أطلْتَ الصَّمْتَ فِينا ولَمْ تكُنْ ... مَعَانِيكَ إلا الدرُّ يَرْفَضُّ مِن عقْد
أمَا عَلِمُوا أنّ العَنَادِلَ فى الرُّبا ... سُكُوتٌ إذَا ما فَاتَهُم زمنُ الوَرْدِ

وله أيضًا :

---

(1) ١١٧٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٧٥٩ - ١٢ أغسطس ١٧٦٠ م .
(2) ١١٤٤ هـ / ٦ يوليه ١٧٣١ - ٢٣ يونيه ١٧٣٢ م .
(3) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩ م .

الا رُبَّ لَيْـلَى عَلَـى غَفْلَة … مِنَ الـدَّهرْ جَادتْ بـرغْمِ الخَلى
فَتَاةٌ سَبَـتْني بِحكْم الهَوَى … بـجَفْنٍ عَـن الفَتْك لَمْ يغْفَلِ
إلَى أنْ بَدَا الفَجرُ مِنْ شرْقِه … يَلُوحُ لَدى الأفق كَالمُنصَلِ
فَأرْخَتْ أثيثًا عَلَى بَانَة … أعَادَ لِيُلِى مِنَ الأول

وله أيضًا :

ولَيلٍ تعَاطَينَا به أكؤس اللِّقا … ومدّ على ما بيننا حُلَلَ السّترِ
يلاصِقُ منا الكَشحُ كشحًا منَعمًا … ونقرعُ مِن فَرطِ الهوَى الثغرَ بالثغرِ
ومَا راعَنا فيه حَديثُ وُشَاتنَا … وما نظرتْ شزراً سوى أعينُ الزهرِ
فأفنيتُه ضَمًّا ولَثْمًا ولمْ تزَلْ … يداىَ بما أبغِى نِطَاقًا على الخصْرِ
إلى أنْ بدَتْ مِن مَفرِق الشَّرقِ غُرةٌ … أطارتْ غُرابَ الليلِ عن ذلك الوكْرِ
فكَفَّ يَدَى عن خَيْزرانَة قَدِّه … وولّى وفى أعْطافه نشأة السُّكْرِ
وقَالَ وقَد أتبَعتُه نَظْرَةَ الأسَا … والقَيْتُ كَفًّا للْودَاعِ على الصَّدْرِ
الا لابَدَا صبحٌ يُرِيعُ متيَّمًا … ولا انْجابَ ليلٌ فى الورَى كَاتِم السّرِّ
فلَسْتُ أرى كالّليلِ استَرُ للهَوى … ولستُ أرى شيئًا أنمّ مِن الفَجْرِ

وله مضمنا :

كمْ قلتُ للْبدْرِ والأجفانُ تلْعَبُ بى … أهلُوكَ بالفتْك كَمْ بَسطُوا على المهَجِ
فقَالَ والدُّر يبْدُو مِن مَبَاسِمه … هُمْ أهلُ بدْرٍ فَلاَ يخْشَوْنَ مِن حرجِ

وله من قصيدة :

أأشكُوكَ الغَرامَ ومَا أقَاسى … وقَلْبُك يا مُذيقى الهجْرَ قَاسى
وفِى طَيِّ الجَوانِح جَمْرُ وجْدٍ … يُؤجّجُه التّذكُّرُ والتّناسى
أبانَات اللّوي عن سُحْب عَيْنى … سقاكِ الرِيُّ مِن دُون احتبَاسِي
فكَمْ لى فى ظِلاَلكِ مِنْ مَقِيل … تُفَدّى أهْلُه منّى حَواسى
أقَمْتُ بِه وشَاطِئ وادييْه … مَلاَعِبُ جؤذَر وظبَا كُنَاسى
فمَا للْعينِ لَمْ تنْظُرْ طُلُولاً … ولا رسْمًا يَدُلّ على أسَاسى
أمَا هذى الدّيَارُ ديَارُ سَعْدَى … أمَا هَذى المعَالِمُ والرّواسى
أأحْلامٌ أرى أمْ عَنْ حَقِيقٍ … تَقَوّضَت الخيَامُ بلاَ الْتبَاسِ
نعَم هَذى المعَاهِدُ والمغَانى … فأينَ بُدُورُ هاتِيكَ الأنَاسى

فإنْ أقوَتْ فَهَلْ لي مِن سَبيلٍ ... إلى صَبْرٍ يُعَلِّلُ مَا أقاسِي

وإنْ عَهْدِي على اللأوَا تَنَاسَوْا ... لعَمْرِي لستُ عَهْدَهُمُ بِنَاسِي

أأبْكِي أمْ أُجَوِّبُ في أنِيني ... حَمائمَ في الدَّيَاجِي لِي تُؤاسِي

أسَاجِلُها فتُعْرِبُ عن شُجُونٍ ... وتَبْرِيحٍ على غَيْرِ القِيَاسِ

أتَعْجَبُ أنْ قَضَيْتُ هوًى ووَجْدًا ... وجانَبْتُ المُؤانسَ والمُوَاسِي

وإنّي فُزْتُ بالقَدَحِ المُعَلَّى ... وبُلِّغْتُ المُنَى مِن بَعْدِ يَاسِي

وقال يمدح السيد على أفندى المرادى مفتى الشام :

بَرِحَ الخَفَاءُ فلا الغَيُورُ يَقِيكَ ... كَلاّ ولا بِيضُ الحِمَى يَحْمِيكَ

ألا الذي مِنْ سُقْمِ جَفْنِكَ يَنْتَضِي ... وتَراه يُغْمِدُ فيس حَشَا داعِيكَ

أيِسَ الهَوَى مِن أنْ يُجِنَّ بخَاطِرِي ... ذِكْرَ السُّلُوِّ فَعَادَ بي يُغْرِيكَ

فَتَحَكّمي في مُهْجَتِي وتَهَكَّمِي ... فِيمَنْ غَدَا بِعُيُونِهِ يَفْدِيكَ

إنْ كُنتِ عَالِمَةً بما فَعَلَ النّوَى ... عِنْدَ الوَدَاعِ بِهِ فَذَا يَكْفِيكَ

دَنِفٌ إذا ضَرَبَ الدُّجَى أطْنَابَهُ ... وَصَلَ الأنِينَ بِرَنّةٍ تُشْجِيكَ

وإذا انتَضَى بَرْقُ العَقِيقِ حُسَامَهُ ... هَاجَتْ لَوَاعِجُهُ لِمَبْسَمٍ فِيكَ

وإذَا الهَدِيلُ تَجَاوبَتْ أصْدَاؤُهُ ... جَزَعًا على مَا نَالَهُ يَبْكِيكَ

لَبِسَ الجَوَى بُرْدًا فأخْلَقَهُ جَوًى ... حتّى رثَى لِسقَامِه واشِيكَ

فَإلامَ يَكْتُمُ لَوعَةً في ضِمْنِهَا ... جَمْرٌ يُشَبُّ بِدَمْعِهِ المَسْفُوكِ

ويرى ركُوبَ الصّعْبِ في نَهْجِ الهَوى ... هَيْنًا ولا التّمْوِيهِ عن نَادِيكَ

فَسَلِي جَوَانِحَهُ التي قَدْ صُيِّرَتْ ... مَثْوَاكِ هَل في ذَاكَ مِنْ تَشْكِيكِ

كَمْ وقفَةٍ دونَ الكَثِيبِ رمَى بهَا ... نَظَرًا أطَالَ بِهِ التَّفَكُّرَ فِيكِ

حَيْرَانُ مِن أسَفٍ يَعُضُّ بَنَانَه ... حَذَرًا عَلَيْكِ مَوَاقِعَ المَأفُوكِ

لَم يُثْنِه عن رَشْفِ ذيَاكَ اللَّمَى ... إلا اجْتِنَابُ الظَّنِّ من أهْلِيكِ

حَجَبُوكِ لا بالرغْمِ عنه ولو دَرَوْا ... أن الحَشَا مأواكِ ما حَجَبُوكِ

أوقَاتُ صَفْوِكِ لَوْ بأيّامِ الصِّبَا ... والرُّوحِ تُشْرَى مَا أبَى وأبِيكِ

أيَّانَ مِن طَرَبٍ يَصُونُ مَسَامِعًا ... عن غَيرِ حَرَسِ الحَيِّ مِن هَادِيكِ

والبِيضُ مِن فَوقِ الخُدُودِ طَوَالِعٌ ... والحَيُّ مأهُولُ الحِمَى بذَوِيكِ

مَرَّتْ فَمَرّتْ بَعْدَهُن حَيَاتُه ... بَلْ شَمْسُهَا قد آذَنَتْ لِدُلُوكِ

يا سَالمًا ممَّا يكَابِدُ في الهَوَى ... لا تَسْألَنْ عن حيرَةِ المَنْهُوكِ

وصَلُّوا ومنْ خَلْفِ المَطِيّ فُؤاده يستَنُّ قصدَ سُبِيلِها المسْلُوكِ
فَبِكُلّ وادٍ مِن نَوافحِ طِيبِهم أرجٌ وكُلّ قرارة وسموكِ
فكأنهُم بِثنَا المرَادِيّ قدْ غَدَوا يتَضرَّعُون إليهِ بالتَّبرِيكِ

إلى آخر ما قال .

وله من قصيدة :

سَلُوا طَيفَها أينَ استقَلّتْ نَواحِيها غداةَ النّوَى لما تَرنَّم حَادِيهَا
وحَيْعَل دَاعِي البَين خَلْفَ رِكَابِها وباتَتْ بنَاتُ الشّوق تحمى مآقِيهَا
واعْرضَ بِشْر دُونَنَا وهضَابُه وأوغَر صَدرَ الصّبّ جَمْرُ تَنَائِيهَا
فلاَ تُنكِرِي يا بَثْنُ مَوقِفَ ذِلّتِي بَدَارٍ عفَتْ أطْلالُها ومَغَانِيهَا
على مِثْلِها المفْؤودُ مِن حَرَقِ النّوى يذِيلُ مَصُونَاتِ الدُّمُوعِ بِوادِيها
تَنكّرَ بَعْدَ الظّاعِنِين نَسِيمُها وأقْفَرَ مِنْ ذِكْرِ السّوَاجِعِ نَادِيها
فلَمْ يبقَ إلا رسْمُهَا فكأنّهُ سُطُورٌ عنِ الأفهام دقت مَعَانِيهَا
ومَغْنِي عِنَاقٍ فِي هُمُودٍ دَوارسٌ وشِسْعٌ غَدا قَلْبُ المتَيّمِ يحْكِيهَا
فحَيّيتُ داراً بِالأوابِدِ آنسَتْ مِنَ الآنِسَاتِ الغِيدِ زهرَ رَوابِيهَا
تكَادُ علَى الإقواءِ تَزْدادُ بهْجَةً لِزَائِرِها لَولاَ تَرَحّلِ أهْلِيهَا
لَئِنْ انهَجَتْ آثارَها راحَةُ البِلَى فَمِن مُهْجَتِي لَمْ يُمحَ كُنْهُ مَعَانِيهَا
ولَيلَةَ أعمَلْتُ الرواسِمَ لِلسّرَى كأنّي سَمَاهَا والنّوَاحِي دَرارِيهَا
أخُوضُ الدّجَى والدّجْنُ يَطفُو عُبَابُه فَيرقُم أطرافَ السّبَاسِبِ هَامِيهَا
إلى أنْ رمَتْ أحْداجَ حَزْوى بنَظْرةٍ ولاحَتْ لها أطْلالُها ومَغَانِيهَا
طرحْتُ خِبَاءَ الحَيّ والقومُ شرَّعَتْ مَخَافَةَ إلمامِي صُدُورَ عَوالِيهَا
ولستُ بمذْعُورِ الجنَانِ من القَنَا ولَمْ أخْشَ آسادَ الشّرَى وضَوارِيهَا
سِوَى لحظَاتِ الغِيدِ يَحتبِلُ الفَتَى ولَيسَ يُذُودُ الصّبْرَ غَيرُ تَجَنّيهَا
ولَولاَ مَقَالُ الكَاشِحِين يُرِيبُنَا مَحَوتُ اللّمى الممنُوعَ باللّثمِ من فِيهَا
ومَا راعَنِي إلا الوَدَاعُ وقَولُهَا اتعتَاضُ عَن ذِكرِ الظّبَا بِتَنَاسِيها
أمَا بابنَةِ الطّائِي ومَوقِف سَاعَةٍ بِمنْعَرَجِ الجرْعَاءِ مَا زِلتُ أبْكِيهَا
سَأذكُرهَا حتّى المَمَاتِ وإنْ أمُتْ فَعظْمِيَ فِي الأجْدَاثِ يَنْدُبُ هَامِيهَا
فمنْ مُبلِغٍ قَومِي وَجِيرَانَ أسرَتِي إذَا هَدَأتْ لَيلاً عُيُونُ أعَادِيهَا

بـــأنّى بِحَمْدِ اللهِ فـــى ذُروةِ الـــعُلاَ   بِكَفّ المـــنَا أجْنِى زُهُورَ تَهَانِيـــهَا

وله من أخرى ، يمدح بها بعض الأعيان ، وهو على أفندى المرادى :

لِمَنْ فـى سُرَاهـا أنحلَتْها الـدكَادكُ   يـحِنُّ اشْتـيـاقـى والـنُّجُومُ شَوابِكُ
إذا ادْلَجـــتْ قَاد الـــهَوى بزِمَامِهَا   وإنْ صَوبـت هَانَتْ لـديْهـا المسَالكُ
وإنْ انجَدَتْ طَارَت بِغَيْرِ قَوَدامٍ   وإنْ أتهَمَتْ فـهـى الريَاح السَّوابـك
فَمَاذَا عـلـى تِلْكَ الحَداة لـو انـهُم   أنـاخُوا بِهَا حَيـثُ السُّيـوفُ البَواتك
وحيـثُ الحِمى يـحْمُون بيـضةَ خدْره   أسُودٌ بـــأيْديهــا تُهَزّ الــنَّيـــازِكُ
وكـــلُّ كَمِىّ لايَرى الـــغُمْرَ مَغْنَمًا   وكـــلٌّ أبِىّ لَمْ تَرُعْهُ المـــهَالك
يـخُوضُ مـثَارَ الـنّقْع والـعزْمُ عَابِسٌ   ويُطـعَنُ ما بـينَ الـكُلا وهْوَ ضَاحِكُ
ويـغْدو عَلَـيـهِ مِنْ دمِ الـقَوم حُلَـةٌ   لـهَا الـسّمْهَرِيـات الـدّقَـاقُ حَوابِكُ
ولـكِنّ فـيـهِ من ظِبَا ذَلـك الحِمَى   ظُبًا جَردتُهـن الجـفُون الـسَّوافكُ
فـمنْ كل رؤد لـو بـدَتْ فـى نِقَابهَا   لأبْهَتَ ذُو رُشْد وأفْتَن نَاســـــكُ
تُلاعِبُ فـــى أعْطَافِهـا نَشْوة الـصّبَا   كـمـا لاعَبَتْ غُصْنًا ريـاحٌ ركَائـكُ
وتُبْـــدى مُحَيًا فـــى أثيـــث مُجعَّد   كـمَا البَدرُ أبـدتْه الـلّيـالى الحوالـكُ
فَتـفتِكُ منـهـا فـى الخـدُود عُيـونُنـا   وفـــى قَلْبنَا الحـــاظُهـــا لَفوَاتكُ
عـلـى أنـهَا لَوْ رامَ طيـفَ خَيـالِهَا   أخُو وهـــم عَزّتْ عـلـيـه المـدارِكُ
مـن الـلاء لـولا قـرطُهـا ووشَاحُهـا   لـقُلْتَ مَهَاةً اذعَرتْها الـــسَّنَابكُ
تَمــلكْنَ حبّاتِ الـــقُلُوبِ كَأنّمـــا   عَلِىٌّ لـهَا بـينَ الـبَريـة مَالـكُ
أغرّ غَدا يــــغْنيـــكَ لألاءُ وجْهِه   عن الشَّمْسِ حـتى تَنْثَنى وهـىَ دالكُ
ذنــوب كـــأن المجـدَ ذاتٌ ورُوحُهُ   مَعَاليـــهِ والـصّيـدُ الـكِرامُ حَوارِكُ

وقال يمدح الأستاذ محمد بن سالم الحفنى قدس الله سره :

عُجْهـا عـلـى تلـك الـرُّبـوع الـهُمَّد   واسْألْ مَعَالمـــهَا لــــعَلّك تَهتَدى
وقِفِ الـرَّواسِمَ بـالـرُّسُوم مُعَلّلاً   قَلْبًا لَوَاعِجُ شَوقِه لـــــمْ تَبْرُدِ
وانـــثُر لآلـــى ادمُعٍ ضَنَّت بِهَا   عَيْنَاك إلا للْخَلــيـــط المـــنْجد
فَلَـطَالَمَا فيــه أطـعْتُ صَبَابتـى   ونَبَذْتُ ظِهْرِيًّا مَقَالَ الحـــسّد
طَلَـلٌ وقـفتُ عـلى صَوى أربـاضِه   أبْدى الحـنينَ إلـى ظبَاه الـشُّرَّدِ
وأدرتُ طـرْفِى وامِقِ لَعـبَتْ بـه   بَرحُ الـبـعَادِ إلـى أسًى لَمْ يُعْهَدِ
وبكَيـتُ مِن حُزنٍ بِمـقْلَةِ خَائـرٍ   أسِفٍ إلـى أحبَابِه لـــمْ يُرْشَدِ

ولثمتُ آثارَ الظّعائنِ ريثمَا ... أطفأتُ بعضَ غليلِيَ المتوقّدِ
وطفقتُ اختبطُ الدّجنّة والهوَى ... يقتادُنى نحوَ المقيمِ المقعدِ
لا صبْرَ لى عنهُم يقينى حسْرةً ... أخفيتُها خوفَ اطلاعِ مُفنّدِ
ناشدتُكُم يا زاجريها أنتُم ... سرتُم بهاتيكَ الظّبَاء الخُرّدِ
كيفَ استطعتُمُ أنْ تروا مثلى علَى ... مَا تعْهدون وتذهبوا فى الفدْفدِ
وتُضيّعُوا وداً عليه عقدتُم ... عقدَ الخناصرِ أنّه لَمْ يُجْدَدِ
هلاّ رثيتُم واصطنعتُم عنده ... قبلَ الرّحيلِ يدىْ شفيقٍ مُسْعِدِ
ارايتُكُم اين استقرُّوا بعدمَا ... سلكُوا خُروقَ مَواقفٍ لم تُسْدَدِ
ضَربوا الخيامَ على ثنيّةِ ضارجٍ ... ورضُوا بجرْعاها وذاك المعهَدِ
حتى استطابَ تُرابُها فتخذتُه ... لجفوننا كُحلاً مكان الاثمدِ
ومنَ العجائب أنْ أرى مُستخبرا ... عمّن ثوى بصميمِ قلبِى المكمَدِ
وإذا أرادوا يكتُمون مَسيرَهم ... نمّتْ نَوافحُهم ولم أسترْشدِ
يا مُودعا بسلامه جمْرَ الغضا ... بجوانحى فاقصر مَلامَك أوْ زدِ
أنا مَنْ علمْتَ ومَن إذا ذُكر الهوَى ... فاربطْ يديكَ على ولاهُ واشدُدِ
سَلْ عن فؤادى أعينَ العينِ التى ... أسيافُهُن بغيْره لم تُغمَدِ
مُذْ سار خلفَ ركابهم يومَ النّوَى ... وبقيتُ مبهُوتًا وأُسقطَ فى يدَى
كيفَ التصبّرُ والحياةُ لمدْنفٍ ... لَمْ يبْقَ غيرَ ذمائه[1] المتردّدِ
ما كُنتُ يا ذاتَ الجناحِ بعالمٍ ... أن السّوَداع لِلَوعتى وتسهّدى
وأراكِ تبكى فى الغصُون وتشتكى ... ألمَ النّوى إنْ كُنت مثلى فاسعدِ
افتندبى شجنًا وإلفُك حاضرٌ ... فلقدْ أسأت وإنْ أسأتُ فعدّدِ
مَا أنتِ ممنْ قدْ أطارَ فؤادَه ... داعى النّوى وجفَاهُ طيبُ المرقَدِ
أينَ النّحُولُ وأينَ أحمرُ أدمعٍ ... تجرى وجمْرةُ مُهْجةٍ لم تخمدِ
دعْنى فإنّى لستُ أولَ عاشقٍ ... قتلَ الغرامُ ولا قتيلٍ لمْ يَدِ
حزنى عليكِ يزيدُنى قلقًا على ... ما أودعَ التّبريحُ فى القلبِ الصّدى
حتى الجناحِ فأنتِ خيرُ طليقةٍ ... وأنَا الذى بالوجْدِ خيرُ مُقيّدِ
ودَعى الصّبابةَ جانبًا وترنّمى ... بحديثِ مَن أهْوى ومَدْحِ مُحمّدِ

(١) كتب أمام هذا البيت بهامش ص ٢٤٦ ، طبعة بولاق ، قوله : « ذمائه » من جملة معانيه بقية النفس كما فى القاموس » .

العَالِم اللَّسِن الذى أوصَافُه ... بعَبِيرِها تُغْنِى عن الروضِ النَّدِى
ومَن ارتدى بُردَ المحَامد يَافعًا ... وتَلَفَّع الحُسنَى بأزكى مَحْتِد
وسَرَى على النهْج القويمِ ولَمْ يزِغْ ... حتى ارتَوى عن عذب ذاك الموْرِد
وصَفَتْ مَواقِعُ ذِكْرِه فَتَقاصَرتْ ... عنها النُّهى مِن كلِّ نَدب أحْيَدِ
وحَوى خصَائلَ نافسَتْ زهرَ العُلا ... حتى علَت نجمَ السُّهَا والفَرقَدِ
وسَمَا على الأعلام مِن أهلِ الهُدى ... بمآثرٍ غرًا وحُسْنِ تودَدِ
كَمْ مُشْكِلٍ قد فَكّ رِبقَةَ عُسْرِه ... بِبَداهَةٍ تُزرى بحَدّ مُهَنَّدِ
ولَكَمْ دَقِيقةِ مُعْضِلٍ وافَى بها ... شَنْفًا لأذن السّامِع المسْتَرشِدِ
ولَكَمْ لَه فى كُلّ عِلْمٍ غَامِضٍ ... سِفر تَنَاهى فى الكَمَال المفردِ
أدبٌ عَلَى النُّقَّادُ دَر حَدِيثَه ... مُتَنَاسقًا كاللُّؤلؤ المتَنَضّد
ومباحِثٌ ما السّعدُ فى إتْقَانها ... ومَقَاصِدٌ تُزْرِى بِقَولِ السَّيِّدِ
فإذا عَلَيْنَا قَدْ أدار مُدَامَه ... أغْنَى عن البِكْرِ الشَّمُولِ الصّرْخَدِ
خلَع الدنَا مُتَمَسكًا بعُرا التقَى ... وبكُلّ أمرِ بالشّريعة مُقْتَدى
وسَرَى على سُبل الهِدَايةِ مُرشِدًا ... مَن أمّه بوَسَائل لَمْ تَبْعُدِ
فبوجْهِه يُغْنِيك عن شَمس الضُّحى ... وعنِ الغُيوث بِبَحْرِ كفٍّ مُزبِدِ
فالفضْلُ منْحَصِر به أمّا السّوى ... فمُقَلّدٌ لعُلاه فاسْمع تَسْعَدِ
والجودُ مِن جَدْواهُ يُعْرَفُ كُنْهُهُ ... والدّينُ والتقْوى بِدُون تَرَددِ
فانظرْ إلى رجلٍ تجَسّم مِن عُلا ... ورفيعِ مَجْدٍ فى الأنامِ وسُؤْددِ
يا مَالكًا منّا الأنامَ بلُطفه ... وبحُسْنِ ما يَرْوى وأنضرَ مَشْهَدِ
لك ما تَرومُ منَ الزّمَانِ وبِرّه ... فوقَ المرادِ وكُلّ عَيْشٍ أرغَدِ
ما فيكَ إلا مَا يُقِرّ قُلُوبَنا ... وعُيُونَنا ويَسُرّ كُلَّ مُسَوّدِ
وإليكها ممن غَدَت أفكَارُه ... نَهْبى التّنائى والزّمان الأنكَدِ
جَاءتْك تَعثُرُ فى ذُيولِ خَجَالةٍ ... وتُديرُ طَرْفَ الحائرِ المستَنْجِدِ
فلئن رأتْ منْك القَبولَ فحَسْبُها ... فَخرًا وطيبَ تودد وتَعَهُّدِ
حُوشيتَ أنْ تَغضُض وشِيمتُك التى ... غيرَ الكمالِ الصّرفِ لمْ تَتَعَودِ
وأبيكَ لَوْ وزنُوك عِندى فِى الورَى ... لوزنْتَهُم وإذا شككْتَ تَعَمّدِ

ومن كلامه :

لا أريدُ الوصَالَ بالمَنّ ممنْ ... أنْحَلَ الجسمَ بالجفَا والدَّلالِ
إنمَا دائمًا لَهُ أتمنَّى ... فتَمنَّى اللقاءَ نِصفُ الوصَالِ

وله :

لا تُكَرِرْ لحَظًا إذا خـــــلْت وجْهًا ذا جمَال وبــــــــهْجَة وبَهَاءِ
واغضُض الـطرْفَ مـثل مَا أمـرَ اللـــ ـــهُ فـتـكْرِيـــرُ الـلحْظِ نِصفُ الـزّنَاءِ

ثم : توجه إلى الشام ، وبها وافاه الحمام ، ودفـن بالصالحية سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : الشـيخ الصالح الشـاعر اللبيب الـناظم الناثـر ، الشيخ عامر الأنـبوطى الشافعى ، شاعر مـفلق هَجّاء لهيب شراره محرق ، وكان يأتى من بـلده يزور العلماء والأعيان ، وكـلما رأى لشاعر قـصيدة سائرة قلـبها وزنا وقافـية إلى الهزل والطـبيخ فكانـوا يتحامـون عن ذلك ، وكان الشيخ الشبراوى يكرمه ، ويكسبه ، ويقول له : « يا شيخ عـامر ، لاتزفر قصيـدتى الفلانية ، وهـذه جائزتك » ، ومن بعـده الشيخ الحفنـى ، كان يكرمه ويغـدق عليه ، ويستـأنس لكلامه ، وكـان شيخا مسنـا صالحا مكحل العيـنين دائمًا ، عجيبا فى هيئتـه ، ومن نظمه ألفية الطعـام ، على وزن ألفية ابن مالك ، وأولها :

يــقــولُ عـامــرٌ هــو الأنـبُوطِى أحـمَدُ ربّى لـســتُ بـالــقنُوطِى

ويقول :

واستَعينُ اللهَ فـــى الـــفــيّة مَقـــاصِدُ الأكـــلِ بِهَا مَحْوِيّه
فـيــهَا صنُــوفُ الأكْلِ والمـطَاعِمِ لــذّت لـــكُلِّ جَائــعٍ وهَائِمِ

إلى أن يقول :

طــعَامُنـا الـضَّانـى لَذِيـذٌ لِلـنَّهِم لحـمًا وسَمْنًا ثـم خبْزا فـالْتَقِمْ
فــإنّهـا نَفِيـــسَةٌ والأكـــلُ عَم مَطـاعِمًا إلـى سَنَاهـا الـقـلـبُ أمّ

ومنها :

والأصـــلُ فـــى الأخبَارِ انْ تُقَمّرا وجَوّزُوا الـــتَّقْدِيـــدَ إذ لا ضَرَرَا
فامنعهُ حينَ يَستَوِى الخرفَان

ومن كلامه قصيدة أيضًا على وزن لامية العجم منها :

---

(1) ١١٧٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٧٥٩ - ١٢ اغسطس ١٧٦٠ م .

أنَاجِرُ الـضَّأنِ تِـرِيَاقٌ مِن الـعِلَلِ ... وأصْحُن الرز فـيـهـا مُنْتَهَى أملِى
أكْلِى غَدَاءً وأكْلِى فـى الـعَشَاء عـلـى ... حـدٍّ سَوى إذا اللَّحْمُ السَّمِينُ قُلِى
فـيـمَ الإقـامـةُ بـالأريـاف لاشَبَعى ... فـيـهـا ولا نُزهَتـى فيـهـا ولاَ جَذَلِى
ناءٍ عـن الأهْل خَالى الجـوفِ مُنْقَبِضٌ ... كَمُعْـدِمٍ مَات مِـنْ جُوع ومِن قَشَلِ
فَلاَ خَلـيـلٌ بـدَفْع الجـوعِ يـرحَمُنِى ... ولا كَرِيمٌ بِلَحْمِ الـضـان يَسْمَحُ لِى
طَال الـتـلَهُّفُ لـلـمَطْعُوم واشتَعلَتْ ... حشَاشَتِى بـحَمام البـيـتِ حـين قُلِى
أريـدُ أكـلاً نَفيـسًا أسـتَعِينُ بـهِ ... عـلى الـعِبَادات والمطـلُوبِ من عَمَلِى
والـدهْرُ فـجّعَ قـلـبـى من مَطَـاعِمِه ... بالعـدَس والكشْك والبِيسَار والـبصَلِ
نـاديـتُ هـيـا ولا تُبـطِى بِغَرْفِكِ لـى ... فـإنـهُ خُلِقَ الإنْسَانُ مِن عَجَلِ

إلى آخرها :

وله : على وزن لامية ابن الوردى ، ومنها :

اجْتَنِبْ مَطْـعُوم عَدَسٍ وبـصَلْ ... فـى عَشَاءٍ فـهُوَ لـلـعقْل خبَلْ
وعَن الـبِيـسَارِ لا تُغْن بِهِ ... تُمسِ فـى صِحـة جِسْم من عِلَلْ
واحتَـفِلْ بـالـضَّأن إنْ كُنـتَ فَتَى ... زَاكِيَ الـعقْل ودَعْ عَنْكَ الـكَسَلْ
مِنْ كَبـابٍ وضُلُوعٍ قـدْ زكَتْ ... أكـلُهـا يَنْفِى عـن الـقَلْبِ الـوَجَلْ

إلى آخرها :

ومن كلامه على وزن كلام ابن عروس :

أكْلَك مِن الـضَّأن رطْلـين ... يـزيـد قـلْبك نَفَاسَه
وابـعدْ عـن الكِشْك يَا زِين ... دا الأكْـل منّه تَعَاسَه

وأيضًا :

أكْل المـطَبّق مـع الـفَجْر ... بـالـشَّهْد والـسَّمْن سَائـحْ
إلـلـى يـجِيـبُه لـهُ أجْر ... فـى جَنّة الخـلْد رَائـحْ

وأيضًا :

يـا طـابـخَ الـضَّأن اشتَد ... واغرفْ أوانى وسيـعَه
عـامِر أتـى لَك ولُه يَد ... فى الأكْل ديمًا سَريـعَه

وأيضًا :

وأيضًا :

الـعَدس والـكشك والـفُول ... الأكل مِنهُم شَمَـاتَه
يـصبّحُوا الـشّب مـخبُول ... قـطِعُوا الجـمِيـع الـتّلاتَه

وأيضًا :

أوصيـك لا تَأكُل الـفُول ... يُورث لـقَلْبك قَسَاوه
تـقْطَع نـهَارَك كَمَا الـغُول ... تَائـه وعِنْدَك غـشَاوه

وأيضًا :

خُـشَاف مشْمش وعنّابْ ... الـشُّرب مِنْهُم دَوايَه
مِنْ بـعْد مَأكَل كَبَاب ... يـارب حَقّقْ رَجَايَه

ومات : الأمير الكبير عمر بيك ابن حسن بيك رضوان ، وذلك أنَّه لما قلد إبراهيم كتخدا تابعه على بيك الكبير إمارة الحج ، وطلع بالحجاج ، ورجع فى سنة سبع وستين ومائة وألف [1] ، ونزل عليهم السيل العظيم بظهر حمار ، وألقى الحجاج أحمالهم إلى البحر ، ولم يرجع منهم إلا القليل ، تشاوروا فيمن يقلدونه إمارة الحج ، فاقتضى رأى إبراهيم كتخدا تولية المترجم ، وقد صار مسنا هرما ، فاستعفى من ذلك ، فقال له إبراهيم كتخدا : « إما أن تطلع بالحج ، أو تدفع مائتى كيس مسعدة » ، فحضر عند إبراهيم كتخدا ، فرأى منه الجد ، فقال : « إذا كان ولابد فإنى أصرفها وأحج ، ولو أنى أصرف ألف كيس » ، ثم توجه إلى القبلة ، وقال : « اللهم لاترنى وجه إبراهيم هذا بعد هذا اليوم ، إما أنى أموت أو هو يموت » ، فاستجاب الله دعوته ، ومات إبراهيم كتخدا فى صفر ، قبل دخول الحجاج إلى مصر بخمسة أيام ، وتوفى عمر بيك المذكور سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتفنن المتقن ، الفريد الأوسطى ، إبراهيم السكاكينى ، كان إنسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة ، ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة ، والسقىْ والتطعيم ، والبركارات للصنعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة ، وغير ذلك ، وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة

---

(١) ١١٦٧ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٧٥٣ - ٧ أكتوبر ١٧٥٤ م .

(٢) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

معـروفة من دون الخـطوط لاتخفـى ، وكتب بـخطه ذلـك كثيرا ، مـثل : مقـامات الحريرى ، وكتـب أدبية ، ورسائل كثيرة فـى الرياضيات والرسميـات ، وغير ذلك ، وبالجملة فقد كان فريدا فى ذاته وصفاته ، وصـناعته ، ولم يخلف بعده مثله ، توفى فى حدود هـذا التاريخ ، وكان حـانوته تجاه جامـع المردانى [1] ، بالقـرب من درب الصباغ .

وصـــل

وفى تلك السنة أعنى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [2] ، نزل مطر كثير سالت منه السيـول ، وأعقبه الطاعون المسمى بـقارب شيحة ، الذى أخذ المليـح والمليحة ، مات به الكثير من الناس المغرَوفين وغيرهـم ، ما لايحصى ، ثم خف وأخذ ينقر ، فى سنة إثنتين وسبعين ومائة وألف [3] ، وكان قوة عمله فـى رجب وشعبان [4] ، وولد للسلطان مصطفـى مولود فى تلك السنة [5] ، وورد الأمر بالـزينةِ فى تـلك الأيام ، فكانت أبرد من بـخ ، وهذا المولود هو : السلطان سلـيم المتولى [6] الآن ، ولما قتل حســين بيـك القازدغـلى المعروف بالصـابونجى ، وتعين فى الـرياسة بعده علـيّ بيك الكبير ، وأحضر خشداشينه المنفيـين ، واستقر أمرهـم ، وتقلد إمارة الحج سنة ثلاث وسبـعين ومائـة وألف [7] ، فبـيت مع سـليمـان بيك الـشابورى ، وحـسن كتـخدا الشعراوى ، وخليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبـد الرحمن كتخدا فى غيبتـه ، وأقام عِوضه فى مشيخة البلـد خليل بيك الدفتردار ، فلمـا سافر استشعر عبد الرحـمن كتخدا بذلك ، فشرع فى نـفى الجماعة المذكورين ، فأغرى بهم على بيك بلوط قبن ، فـنفى خليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش إلـى الحجاز ، من طريق السويـس على البحر ، ونفى حـسن كتخدا الشعراوى ، وسليمان بيك الشابورى ، ممـلوكَ خشداشه إلى فارسكور ، فلما وصل على بـيك ، وهو راجع بالحج إلـى العقبة ، وصل إلـيه الخبر ، فكتـم ذلك ، وأمر

---

(1) جامعْ المردانى : انظر ، ص ٥٩ ، حاشية رقم (٢) .
(2) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .
(3) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ اغسطس ١٧٥٩ م .
(4) رجب وشعبان ١١٧٢ هـ / ٢٨ فبراير - ٢٧ أبريل ١٧٥٩ م .
(5) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩ م .
(6) السلطان سليم : هو السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م) .
(7) ١١٧٣ هـ / ٢٥ اغسطس ١٧٥٩ - ١٢ أغسطس ١٧٦٠ م .

بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار ، ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى قلعة نخل ، فانحاز إلى القلعة ، وجمع الدويدار ، وكتخدا الحج والسدادرة ، وسلمهم الحجاج ، والمحمل وركب فى خاصته ، وسار إلى غزة ، وسار الحجاج من غير أمير إلى أن وصلوا إلى أجرود ، فاقبل عليهم حسين بيك كشكش ومن معه ، يريد قتل على بيك ، فلم يجده ، فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل إلى مصر ، واستمر عليّ بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ، وكاتب الدولة بواسطة باشة الشام ، فأرسلوا إليه واحد أغا ، ووعدوه ومنوه ، وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك ، ثم حضر إلى مصر بسعاية نسيبه على كتخدا الخربطلى ، وأغراضه ، ومات بعد وصوله إلى مصر بثمانية أيام ، يقال إنَّ بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة [١] ، حضر مصطفى باشا واليا على مصر ، واستمر إلى أواخر سنة أربع وسبعين ومائة وألف [٢] ، ونزل إلى القبة متوجها إلى جدة فأقام هناك ، وحضر أحمد باشا كامل ، المعروف بصبطلان ، فى أواخر سنة أربع وسبعين ومائة وألف [٣] ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ، ويكشف على الأنبار والغلال ، فتعصبت عليه الأمراء ، وعزلوه ، وأصعدوا مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه إلى الدولة ، وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ، ووجه مصطفى باشا خازنداره إلى جدة ، وكيلا عنه ، ولما وصل العرض إلى الدولة ، وكان الوزير إذ ذاك محمد باشا راغب ، فوجهوا أحمد باشا المنفصل إلى ولاية قندية [٤] ، ومصطفى باشا إلى حلب ، ووجهوا باكير باشا والى حلب إلى مصر ، فحضر وطلع إلى القلعة ، وأقام نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة سنة خمس وسبعين ومائة وألف [٥] ، وحضر حسن باشا فى أواخر سنة ست وسبعين [٦] ، ثم عزل ، وحضر حمزة باشا فى سنة تسع وسبعين ومائة وألف [٧] ، وسيأتى تتمة ذلك ، واستقر الحال ، وتقلد فى إمارة الحج حسين بيك

---

(١) ١١٧٣ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ م ، كتب أمامها بهامش ص ٢٥٠ ، طبعة بولاق « ولاية مصطفى باشا ، ومن ذكر بعد على مصر » .

(٢) أخر ١١٧٤ هـ / ١ أغسطس ١٧٦١ م . (٣) أخر ١١٧٤ هـ / ١ أغسطس ١٧٦١ م .

(٤) قندية*: إحدى الأقسام الإدارية الثلاثة التى كانت تقسم إليها جزيرة كريت ، وبهذه المدينة قلعة قندية التى كانت تسمى بـ « الحصن الكبير » "Megalo Castro" .

ابن عبد الغنى ، أحمد شلبى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٥) ١١٧٥ هـ / ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليه ١٧٦٢ م . (٦) أخر ١١٧٦ هـ / ١١ يوليه ١٧٦٣ م .

(٧) ١١٧٩ هـ/ ٢٠ يونيه ١٧٦٥ - ٨ يونيه ١٧٦٦ م .

كشكش ، وطلع سنة أربع وسبعين ومائة وألف [1] ، ووقف له العرب فى مضيق ، وحضر إليه كبراؤهم ، وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة والصراف ، وأمرهم بدفع مطلوبات العرب [2] ، فذهبوا معه إلى خيمته ، وأحضر المال ، وشرع الصراف يعد لهم الدراهم ، فضرب عند ذلك مدفع الشيل ، فقال لهم حينئذ لايمكن فى هذا الوقت ، فاصبروا حتى ينزل الحج فى المحطة ، يحصل المطلوب ، وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق إلى الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب وفيهم كبيرهم هزاع ، فأمر بقتلهم ، فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم ، وفيهم نيف وعشرون كبيرا من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور ، وأمر بالرحيل وضربوا المدافع ، وسار الحج ، وتفرق قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثار ، فتجمعت القبائل من كل جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج ، وفى المضايق ، وهو يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه ، حتى وصل إلى مصر بالحج سالما ، ومعه رؤوس العربان محملة على الجمال، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورا مؤيدا ، فاجتمع عليه الأمراء من خشادشينه وغيرهم ، وقال له على بيك بلوط : « إنك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومَن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها ؟ » ، فقال : « أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب ، أصطفل » ، فطلع أيضًا فى السنة الثانية [3] ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا فى كل طريق ومضيق ، وعلى رؤوس الجبال ، واستعدو له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة فصادمهم وقاتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ويحلّق عليهم من أمام الحج ومن خلفه ، حتى شردهم وأخافهم ، وقتل منهم الكثير ، ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة ، فإنَّه لم يكن معه إلا نحو الثلثمائة مملوك ، خلاف الطوائف ، والأجناد وعسكر المغاربة ، وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ، ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ، فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف [4] ، ورجع سنة سبع وسبعين ومائة

---

(١) ١١٧٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٦٠ - ١ أغسطس ١٧٦١ م .

(٢) مطلوبات العرب : هى العوائد السنوية المقررة للعربان الواقعة مضاربهم على طريق الحاج ، وصرر الأموال المقررة لهم من ريع الأوقاف .

(٣) ١١٧٥ هـ / ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليه ١٧٦٢ م .

(٤) ١١٧٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٧٦٢ - ١١ يوليه ١٧٦٣ م .

وألف [١] ، ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وإيابا بعد ذلك ، وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ، ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ، ويسلبون الناس ، فكان يخرج إليهم على حين غفلة فيقتلهم وينهب مواشيهم ، ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم فى أشناف على الجمال ، فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم، وأمنت السبل ، وشاع ذكره بذلك .

وفى : هذه المدة ، ظهر شأن عليّ بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد إسماعيل بيك الصنجقية ، وجعله إشراقه ، وزوّجه هانم بنت سيده ، وعمل له مهما عظيما ، احتفل به للغاية ببركة الفيل ، وكان ذلك فى أيام النيل سنة أربع وسبعين ومائة وألف [٢] ، فعملوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء ، يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل ، وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع ، وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة ، وغالبها سكن الأمراء والأعيان، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ، ومماليك إبراهيم كتخدا أبى العروس ، وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات ، وآلات وجمعيات ، واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهاراً ، للحظ والفرجة من جميع النواحى ، ووردت على عليّ بيك الهدايا والصلات من إخوانه الأمراء والأعيان ، والاختيارية والوجاقلية ، والتجار والمباشرين ، والأقباط ، والإفرنج والأروام ، واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رخية ، والقرى عامرة ، وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس ، والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الإبراهيمية ، كأنه صاحب الفرح والمشار إليه من بينهم صاحب الفرح عليّ بيك ، وبعد تمام الشهر ، زفت العروس فى موكب عظيم شَقُّوا به من وسط المدينة ، بأنواع الملاعيب والبهلوانات ، والجنك ، والطبول ، ومعظم الأعيان، والجاويشية والملازمين ، والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة وكذلك المهاترة [٣] ، والطبالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية [٤] ، والعروس فى عربة ، وكان

---

(١) ١١٧٧ هـ / ١٢ يوليه ١٧٦٣ - ٣٠ يونيه ١٧٦٤ م .

(٢) ١١٧٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٦٠ - ١ أغسطس ١٧٦١ م . (٣) المهاترة : انظر ، ص١٨٨، حاشية رقم (٤) .

(٤) الركبدارية : هو الشخص الذى يتبع بيت الركائب الذى تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها ، وجمعها ركبدارية .
دهمان ، محمد أحمد : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

الخازندار لعلى بيك فى ذلك الوقت محمد بيك أبو الذهب ماشى بجانب العربة ، وفى يده عكاز ، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والخود واللثامات الكشميرى ، مقلدين بالقسى والنشاب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن : ذلك الوقت اشتهر أمر عليّ بيك وشاع ذكره ، ونمى صيته ، وقلد أيضًا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية ، ولما كان عبد الرحمن كتخدا ابن سيدهم ، ومركز دائرة دولتهم ، انضوى إلى ممالأته ، ومال هو الآخر إلى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه ، حتى أن عبد الرحمن كتخدا، لما أراد نفى الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين ، وصوروا على أحمد جاويش المجنون ما يقتضى نفيه ، ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتخدا ، فمانع فى ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح فى ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع ، تكلم عبد الرحمن كتخدا ، فقال : « إنَّ عليّ بيك سافر إلى الحجاز ، ولابد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « الرأى ما تراه » ، فقال : « عليّ بيك هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أوّل من أطاعه ، وآخر من عصاه » ، فقالوا : « سمعنا وأطعنا ، ونحن كذلك » ، وأصبح عبد الرحمن كتخدا غاديا إلى بيت عليّ بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية ، وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك اليوم ، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك ، ثم إنَّهم طلعوا أيضًا فى ثانى يوم إلى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجرية ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاويش ، وخليل جاويش ، وسليمان بيك الشابورى ، فقال عبد الرحمن كتخدا : « واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوى أيضًا » ، فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونفوهم كما ذكر ، واستمروا فى نفيهم ، وعمل أحمد جاويش وقّادًا بالحرم المدنى ، وخليل جاويش أقام أيضًا بالمدينة ، والشابورى ، وحسن كتخدا ، جهة فارسكور[١] ، والسرو[٢] ، ورأس

---

(١) فارسكور : انظر ، ص ٢٦ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) السرو : قرية قديمة ، اسمها المصرى « بججا » ، وفى عهد العرب عرفت بـ « السرو » ، ووردت فى المصادر العربية بهذا الاسم ، ومعنى السرو : الأرض المرتفعة التى لايعلوها ماء النيل إلا بواسطة الآلات ، وهى إحدى قرى مركز فارسكور ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٧٨ .

الخليج ، وأخذ عليّ بيك يمهد لنفسه ، واستكثر من شراء المماليك ، وشرع في مصادرة الناس ، ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة ، والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وإدخال الوهم على البعض ، بمثل النفى والتعرض إلى الفائظ ببعض المقتضيات ، ونحو ذلك .

ومن الحوادث السماوية : أن فى يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى[1] ، هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية ، غرق منها بالإسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا فى مرسى المسلمين ، وثلاثة مراكب فى مرسي النصارى ، وضجت الناس ، وهاج البحر شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .

وطلع عليّ بيك أميرا بالحج ، فى سنة سبع وسبعين ومائة وألف[2] ، ورجع فى أوائل سنة ثمان وسبعين ومأتة وألف[3] ، فى أبهة عظيمة ، وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم ، فلما رجع قلده الصنجقية ، وهو الذى عرف بأبى الذهب ، ثم قلد مملوكه أيوب أغا ، ورضوان قرابته ، وإبراهيم شِلاق بلفية ، وذا الفقار ، وعلى بيك الحبشى ، صناجق أيضًا ، وانقضت تلك السنة ، وأمر عليّ بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات ، والجامكية ، والصرة ، وغلال الحرمين ، والأنبار ، وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان ، ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع عليّ بيك ، وخشداشينه ، وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرمانا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا ، وعلى كتخدا الخربطلي ، وعمر جاويش الداودية ، ورضوان چربجى الرزاز ، وغيرهم منفيين ، فأما عبد الرحمن كتخدا ، فأرسلوه إلى السويس ليذهب إلى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله إلى السويس ، ونفوا باقى الجماعة إلى جهة بحرى ، وارتجت مصر فى ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فإنه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجرية على العزب ، وكان له عزوة كبيرة ، ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم ، فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهتة والتعجب ، ثم أرسل إلى صالح بيك فرمانا بنفيه إلى غزة ، فوصل إليه الجاويش فى

---

(1) ١٩ جمادى الأولى ١١٧٤ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٥٣ ، طبعة بولاق « ذكر حادثة سماوية » .

(2) ١١٧٧ هـ / ١٢ يوليه ١٧٦٣ - ٣٠ يونيه ١٧٦٤ م

(3) أول ١١٧٨ هـ / ١ يوليه ١٧٦٤ م .

اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا فى المركب وسافر ، وذهب صالح بيك إلى غزة ، فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة ، وحضروا به إلى ناحية بحرى ، وأجلسوه برشيد ، ورتب له عليّ بيك ما يصرفه ، وجعل له فائظا فى كل سنة عشرة أكياس ، فأقام برشيد مدة ، فحضرت أخبار وصول الباشا الجديد ، وهو حمزة باشا إلى ثغر سكندرية ، فأرسلوا إلى صالح بيك جماعة يغيبونه من رشيد ، ويذهبون به إلى دمياط ، يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا ، فلما وصلت إليه الأخبار بذلك ، ركب بجماعته ليلا وسار إلى جهة البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم إلى جهة قبلى ، فوصل إلى منية ابن خصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم فى البلاد ، وبنى له أبنية ومتاريس ، وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام ، وأكابر الهوارة ، وأكثر البلاد الجارية فى التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقادم والذخيرة ، وما يحتاج إليه ، ووصل المولى حفيد أفندى القاضى ، وكان من العلماء الأفاضل ، ويعرف بطرون أفندى ، وكان مسنا هرما ، فجلس على الكرسى بجامع المشهد الحسينى [1] ، ليملى دروسا ، فاجتمع عليه الفقهاء الأزهرية ، وخلطوا عليه ، وكان المتصدى لذلك الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن البراذعى ، فصار يقول لهم : « كلمونى بآداب البحث أما قرأتم آداب البحث » ، فزادوا فى المغالطة ، فما وسعه إلا القيام فانصرفوا عنه ، وهم يقولون : « عكسناه » .

وفى شعبان من السنة المذكورة [2] : شرع القاضى المذكور فى عمل فرح لختان ولده ، فأرسل إليه عليّ بيك هدية حافلة ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية والتجار والعلماء ، حتى امتلأت حواصل المحكمة : بالأرز ، والسمن ، والعسل ، والسكر ، وكذلك امتلأ المقعد بفروق البن ، ووسط الحوش بالحطب الرومى ، واجتمع بالمحكمة أرباب الملاعيب ، والملاهى ، والبهلوانات وغيرهم ، واستمر ذلك عدة أيام ، والناس تغدو وتروح للفرجة ، وسعت العلماء والأمراء والأعيان والتجار لدعوته ، وفى يوم الزفة أرسل إليه عليّ بيك ركوبته ، وجميع اللوازم من

---

(١) جامع الحسين : يقع بالقرب من الجامع الأزهر ، بجوار خان الخليلى ، أنشأه الفاطميون سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م . على يد الصالح طلائع بن رزيك فى خلافة الفائز بنصر الله ، جدده عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ / ٦١/١٧٦٢ م ، ثم جدده الخديو إسماعيل سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م . وهو جامع كبير شهير عامر .

(٢) شعبان ١١٧٨ هـ / ٢٤ يناير - ٢١ فبراير ١٧٦٥ م .

الخيول ، والمماليك وشجر الدر ، والزرديات ، وكذلك داقم الباشا [1] ، من الأغوات والسعاة والجاويشية والنوبة التركية ، وأركبوا الغلام بالزفة إلى بيت عليّ بيك ، فألبسه فروة سمور ، ورجع إلى المحكمة بالموكب ، وختن معه عدة غلمان ، وكان مهما مشهودا ، واتحد هذا القاضى بالشيخ الوالد ، وتردد كل منهما على الآخر كثيراً ، وحضر مرة فى غير وقت ، ولا موعد فى يوم شديد الحر ، فلما صعد إلى أعلى الدرج ، وكان كثيراً فاستلقى من التعب على ظهره لهرمه ، فلما تروّح وارتاح فى نفسه ، قال له الشيخ : « يا أفندى لأى شىء تتعب نفسك ، أنا آتيك متى شئت » ، فقال : « أنا أعرف قدرك ، وأنت تعرف قدرى » ، وكان نائبه من الأذكياء أيضًا .

ولما حضر : حمزة باشا ، سنة تسع وسبعين ومائة وألف المذكورة [2] ، واليا على مصر ، وطلع إلى القلعة ، فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنَّه قاطع الطريق ، ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذ فرمانا بالتجريد عليه ، وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة ، وشرعوا فى التشهيل والخروج ، فسافر حسين بيك كشكش وصحبته محمد بيك أبو الذهب ، وحسن بيك الأزبكاوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى إلى شرق أولاد يحيى ، وكان حسين بيك شبكة مملوك حسين بيك كشكش نفاه على بيك إلى قبلى ، فلما ذهب صالح بيك إلى قبلى انضم إليه وركب معه ، فلما توجه حسين بيك بالتجريدة ، وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى انفصل عنه ، وحضر إلى سيده حسين بيك ، وانضم إليه كما كان ، ورجع محمد بيك ، وحسن بيك إلى مصر ، وتخلف حسين بيك عن الحضور ، يريد الذهاب إلى منصبه بجرجا ، وأقام فى المنية ، فأرسل إليه عليّ بيك فرمانا بنفيه إلى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتباعه ، وأمرائه ، وحضر إلى مصر ليلا ، فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فطرقه فلم يفتحوه فكسره ، ودخل وذهب إلى بيته ، وبقى الأمر بينهم على المسالمة أياما ، فأراد عليّ بيك أن يشغله بالسم بيد عبدالله الحكيم ، وقد كان منه معجونا للباءة ، فوضع له السم فى المعجون ، وأحضره له فأمره أن يأكل منه أوّلا فتلكأ واعتذر ، فأمر بقتله ، وكان عبدالله الحكيم هذا نصرانيا روميا يلبس على رأسه قلبق

---

(١) داقم : تركية ، أصلها « طاقم أو طاقيم » ، وتطلق فى التركية على مجموعة الآلات أو الأدوات المتعلقة بعضها ببعض والتى تستعمل بترتيب خاص ، وتطلق كذلك على مجموعة الأشخاص الذين يؤدون معا عملا واحدا. سليمان ، أحمد السعيد : ص ٩٤ .

(٢) ١١٧٩ هـ/ ٣٠ يونيه ١٧٦٥ - ٨ يونيه ١٧٦٦ م .

سمور ، وكان وجيها جميل الصورة ، فصيحا متكلما يعرف التركية والعربية والرومية والطليانيـة ، وعلم حسين بيك أنّها من غريمـه عليّ بيك ، فتأكدت بينـهما الوحشة ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء ، وتوافق على بيك مع جماعته على غدر حسين بيك أو إخراجه ، فوافقوه ظاهرا ، واشتغل حسـين بيك على إخراج عليّ بيك ، وعصب خشـداشينه وغـيرهم ، وركبـوا عليه المـدافع ، فكرنـك فى بيتـه ، وانتظر حـضور المتوافقين معه ، فلـم يأته منهم أحد ، وتحقق نفاقهم عليه ، فـعند ذلك أرسل إليهم يسألهم عن مرادهم ، فحضر إليه منهـم من يأمره بالركوب والسفر ، فركب وأخرجوه منفـيا إلى الشـام ومعه مماليـكه وأتباعـه ، وذلك فى أواخر شهـر رمضان سنـة تسع وسبعين ومـائة وألف [1] ، وأقام بالعـادلية ثلاثة أيام ، حـتى عملوا حسـابه وحساب أتباعه ، وهم محيطون بهم من كل جهة بـالعسكر والمدافع ، حتى فرغوا من الحساب واستخلصوا ما بقى على طرفهم ، ثـم سافروا إلى جهة غزة ، وكانت العادة ، فيمن ينفى مـن أمراء مصر ، أنّه إذا خرج إلى خارج ، فـعلوا معه ذلك ، ولايـذهب حتى يوفى جميع ما يـتأخر بذمته من ميرى وخلافه ، وإن لم يكن مـعه ما يوفى ذلك باع أساس داره ومتاعه وخيـوله ، ولايذهب إلا خالص الذمة ، وسافر صحـبة عليّ بيك أمراؤه ، وهم : محـمد بيك ، وأيوب بيـك ، ورضوان بيك ، وذو الفقـار بيك ، وعبدالله أغا الوالى ، وأحمد جاويش ، وسليمان جاويش ، وغيطاس كتخدا ، وباقى أتباعه ، واسـتقر خليل بـيك كبير البـلد ، مع قسيمـه حسين بيك كشـكش ، وباقى جماعتهم ، وحسن بيك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان ، وورد الخبر من الجهة الـقبلية ، بأنّ صالح بيك ، رجع من شرق أولاد يحيى إلى المنية ، واستقر فيها وحصنها ، فعند ذلك شرعوا فى تشهيل تجريدة ، وبرزوا إلى جهـة البساتين ، وفى تلك الأيـام رجع عليّ بيك ومن معـه ، على حين غفلـة ودخل إلى مصر ، فنـزل ببيت حسـين بيك كشكـش ، ومحمد بيك نـزل عند عثمان بيك الجرجاوى ، وأيوب بيك دخل منزل إبراهيم أغا الساعى ، فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعـملوا مشـورة فى ذلك ، فاقـتضى الرأى بـأنْ يرسلوه إلـى جدة ، وقال بعضـهم : « اسمعـوا نصحى واقـتلوه وارتاحـوا منه ، فإنّه إنْ دام حـيا أتعبـكم ، ولايبـقى منـكم أحدا » ، فـقالوا : « لايـصح إنّه أخـونا ، ودخل إلـى بيوتـنا » ، فأرسلوا له بذلك ، وقال « لا أخرج من بـيت سيدى ، إلا أن يكون جهة بحرى » ، فاجـتمع الـرأى بأن يعطـوه النوسـات ، ويذهب إلـيها فرضـى بذلك ، وذهـب إلى

---

(١) آخر رمضان ١١٧٩ هـ / ١٢ مارس ١٧٦٦ م .

النوسات ، وأقام بها ، وأرسلوا محمد بيك ، وأيوب بيك ، ورضوان بيك ، إلى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها ، وكان هناك خليل بيك الأسيوطى ، فانضموا إليه وصادقوه ، وسفروا التجريدة إلى صالح بيك ، فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى ، وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا فلم يقع بينهم إلا بعض مناوشات ، ورجعوا أيضًا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركبة ، فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك ، بعد أن اصطلحوا مع صالح بيك أن يذهب إلى جرجا، ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ، ويمكث بها ، ويقوم بدفع المال والغلال ، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ثمانين ومائة وألف [١] ، وفى ثانى شعبان [٢] منها ، اتهموا حسن بيك الأزبكاوى ، أنه يراسل عليّ بيك ، وعليّ بيك يراسله ، فقتلوه فى ذلك اليوم بقصر العينىّ ، ورسموا بنفى خشداشينه وهم : حسن بيك أبو كرش، ومحمد بيك الماوردى ، وسليمان أغا كتخدا الجاويشية ، سيد الثلاثة ، وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، وكان مقيما بمصر القديمة ، وقد صار مسنا ، فسفروهم إلى جهة بحرى ، وتخيلوا من إقامة عليّ بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران ، فأخذه وذهب به إلى السويس ، ليسافر إلى جدة من القلزم ، وأحضر له المركب لينزل فيها .

وفى ثانى شهر شوّال من السنة [٣] ، ركب الأمراء إلى قراميدان ، ليهنئوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة ، أنَّ كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد ، وكذلك أرباب العكاكيز ، فيطلعون إلى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية ، إلى جامع الناصر بن قلاوون [٤] ، فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنئونه ، وينزلون إلى بيوتهم ، فيهنئ بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم ، وينزل الباشا فى ثانى يوم [٥] إلى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا : بالتطلى ، والقهوة ، والشربات ، والقماقم ، والمباخر ،

---

(١) جمادى الأولى ١١٨٠ هـ / ٥ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٧٦٦ م .

(٢) ٢ شعبان ١١٨٠ هـ / ٣ يناير ١٧٦٧ م .

(٣) ٢ شوال ١١٨٠ هـ / ٣ مارس ١٧٦٧ م .

(٤) جامع الناصر بن قلاوون : جامع مدرسة يقع بشارع النحاسين ، بجوار القبة المنصوبة ، والمارستان المنصورى ، وضع الملك العادل زين الدين كتبغا أساسه ، وارتفع بناؤه ، ولما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر سنة ٧٠٣ هـ / ١٥ أغسطس ١٣٠٣ - ٣ أغسطس ١٣٠٤م ، اشترى المبنى وأمر بإتمامه ، وهو من أجمل مبانى القاهرة ووقف عليه أوقافا كثيرة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ص ٣٠٢ .

(٥) ٣ شوال ١١٨٠ هـ / ٤ مارس ١٧٦٧ م .

ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم ، قبل كل أحد ، ثم يأتى الدفتردار ، وأميرّ الحاج ، والأمراء الصناجق ، والاختيارية ، وكتخدا الينكجرية ، والعزب ، أصحاب الوقت ، والمقادم ، والأوده باشية ، واليمقات ، والجربجية ، فيهنئون الباشا ، ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ، ثم ينصرفون ، فلما حضروا فى ذلك اليوم المذكور ، وهنأ الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا إلى دهليز القصر ، يريدون النزول ، وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف فى وجهه ، وحسين بيك كشكش ، أصيب برصاصة ، نفذت من شقه ، وسحب الآخرون ، سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم مماليكهم ، ونط أكثرهم من حائط البستان ، ونفذوا من الجهة الأخرى، وركبوا خيولهم وهم لايصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه ، وهو يقول : « باب العزب باب العزب » ، وقد قطع السيف وجهه وحنكه ، وذهبوا به إلى باب العزب ، وأنزلوه ، فمكث هنيهة ، ومات فشالوه إلى بيته ، وغسلوه وكفنوه ، وخرجوا بجنازته ودفنوه ، وانجرح أيضًا إسماعيل بيك ابو مدفع ، ومحمود بيك ، وقاسم أغا ، ولكن لم يمت منهم إلاّ عثمان بيك ، وباتوا على ذلك ، فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا إلى الأبواب ، وأرسلوا إلى الباشا يأمرونه بالنزول ، فنزل إلى بيت أحمد كشك بقوصون ، وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش ، وأسمعه كلاما قبيحا ، ثم إنّهم جعلوا خليل بيك بلفية قائمقام ، وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بيك صنجقا عِوضا عن سيده ، ونسبت هذه النكتة إلى حمزة باشا ، وقيل إنها من عليّ بيك الذى بالنوسات ، ومراسلاته إلى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام ، وتواعدوا على ذلك اليوم ، وذهبوا إلى الكشك بقراميدان ، وكانوا نحو الأربعين ، فاختلفوا واتفقوا على ثانى يوم بدهليز بيت القاضى ، وتفرقوا إلا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الإتفاق ، وفعلوا هذه الفعلة ، وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم ، وتهدم القصر ، وخرب ، وكذلك الجنينة ماتت أشجارها ، وذهبت نضارتها ، ولما حصلت هذه الحادثة ، أرسلوا حمزة بيك إلى عليّ بيك ، فوجده فى المركب بالغاطس ، ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فرده إلى البر وأركبه بمماليكه واتباعه ، ورجع إلى جهة مصر ، ومر من الجبل ، وذهب

ى جهة شرق أطفيح ، ثم إلى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك إلى مصر ، ثم إنَّ عليّ بيك اجتمعت عليه المنافى وهوارة وخلافهم ، وأراد الانضمام إلى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه ، وكان عليّ كتخدا الخربطلى هناك منفيا من قبله ، وجعله سفيرا فيما بينه وبين صالح بيك ، هو وخليل بيك الأسيوطى ، وعثمان كتخدا الصابونجى ، فأرسلهم ، فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم ، فعند ذلك أرسل إليه محمد بيك أبو الذهب ، فلم يزل به حتى انخدع له ، واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام ، وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبا بذلك حجة ، واتفق مع عليّ بيك أنَّه إذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى ، قيد حياة واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة ، وأرسلوا بذلك إلى شيخ العرب همام ، فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك ، وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجناد والهوارة والشجعان ، ولموا جموعا كثيرة ، وحضروا إلى المنية ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ارتحل منها ، وحضر إلى مصر هاربا ، واستقر عليّ بيك ، وصالح بيك ، وجماعتهم بالمنية ، وبنوا حولها أسوارا وأبراجا ، وركبوا عليها المدافع ، وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين ، وأرسل عليّ بيك ذى الفقار بيك ، وكان بالمنصورة ، وصحبته جماعة كشاف ، فارتحلوا ليلا ، وذهبوا إلى المنية ، فعمل الأمراء جمعية ، وعزموا على تشهيل تجريدة ، وتكلموا وتشاوروا فى ذلك ، فتكلم الشيخ الحفناوى فى ذلك المجلس ، وأفحمهم بالكلام ، ومانع فى ذلك ، وقال : « أخربتم الأقاليم والبلاد فى أى شئ فى هذا الحال ، وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ، عليّ بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شئ يحصل إذا أتى وقعد فى بيته ، واصطلحتم مع بعضكم ، وأرحتم أنفسكم والناس » ، وحلف أنه لايسافر أحد بتجريدة مطلقا ، وإنْ فعلوا ذلك ، لايحصل لهم خير أبدا ، فقالوا : إنَّه هو الذى يحرك الشر ، ويريد الإنفراد بنفسه ، ومماليكه ، وإن لم نذهب إليه أتى هو إلينا ، وفعل مراده فينا ، فقال لهم الشيخ : « أنا أرسل إليه مكاتبة فلا تتحركوا بشئ حتى يأتى رد الجواب » ، فلم يسعهم إلا الامتثال ، فكتب له الشيخ مكتوبا ووبخه فيه ، وزجره ونصحه ووعظه ، وأرسلوه إليه ، فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أياما ، ومرض ورمى بالدم ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فيقال : إنَّهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم .

وفى أثناء ذلك ورد الخبر بوصول محمد باشا راقم إلى سكندرية ، فأرسلوا له الملاقاة وحضر إلى مصر وطلع إلى القلعة ، فى غرة ربيع الثانى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [١] .

وفى حادى عشر جمادى الأولى [٢] ، اجتمعوا بالديوان ، وقلدوا حسن بيك رضوان دفتردار مصر .

وفى خامس عشره [٣] ، قلدوا خليل بيك بلفية أمير الحاج ، وقاسم أغا صنجقا ، وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة إلى قبلى ، ولبس سارى عسكرها ، حسين بيك كشكش ، وشرعوا فى التشهيل ، واضطرهم الحال إلى مصادرة التجار ، وأحضر خليل بيك النواخيد ، وهم : ملا مصطفى ، وأحمد أغا الملطيلى ، وقرا إبراهيم ، وكاتب البهار ، وطلب منهم مال البهار معجلا ، فاعتذروا فصرخ عليهم وسبهم ، فخرجوا من بين يديه ، وأخذوا فى تشهيل المطلوب ، وجمع المال من التجار ، وبرز حسين بيك خيامه للسفر ، فى منتصف جمادى الأولى [٤] ، وخرج صحبته ستة من الصناجق ، وهم : حسن بيك جوجو ، وخليل بيك السكران ، وحسن بيك شبكة ، وإسماعيل بيك أبو مدفع ، وحمزة بيك ، وقاسم بيك ، وأسرعوا فى الارتحال .

وفى عشرينه [٥] ، أخرج خلفهم أيضًا خليل بيك ، تجريدة أخرى ، وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة ، وسافروا أيضًا فى يومها ، وبعد ثلاثة أيام ، ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة [٦] ، تجاه بنى سويف ، فكانت الهزيمة على حسين بيك ، ومن معه ، وقتل على أغا الميجى وخلافه ، وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بيك ، ورجع المهزومون فى ذلك ثانى يوم الكسرة ، وهو يوم السبت رابع عشرينه [٧] ، وهم فى أسوأ حال ، وأصبحوا يوم الأحد طلعوا إلى أبواب القلعة ،

---

(١) غرة ربيع الثانى ١١٨١ هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٦٧ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٥٧ ، طبعة بولاق « ولاية محمد باشا راقم على مصر » .

(٢) ١١ جمادى الأولى ١١٨١ هـ/ ٥ أكتوبر ١٧٦٧ م . (٣) ١٥ جمادى الأولى ١١٨١ هـ/ ٩ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(٤) ١٥ جمادى الأولى ١١٨١ هـ/ ٩ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(٥) ٢٠ جمادى الأولى ١١٨١ هـ/ ١٤ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(٦) بياضة : قرية قديمة إسمها الأصلى « بياض » ، وردت به فى المصادر العربية، وفى تاريخ ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٥ م ، وردت باسم « بياض النصارى » ، وهو اسمها الحالى ، وهى إحدى قرى قسم بنى سويف ، محافظة بنى سويف .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٧) ٢٤ جمادى الأولى ١١٨١ هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٦٧ م .

وطلبوا من الباشا فرمانا بتجريدة على عليّ بيك ، وصالح بيك ، ومن معهم ، وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفوها فى اللوازم ، فامتنع الباشا من ذلك ، وحضر الخبر يوم الإثنين [1] ، بوصول القادمين غمازة [2] ، وكان الوجاقلية ، وحسن بيك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين ، فارتحلوا ليلا ، وهربوا وتخبل غزل خليل بيك، وحسين بيك ، ومن معهما ، وتحيروا فى أمرهم ، وتحققوا الإدبار والزوال ، وأرسل الباشا إلى الوجاقلية ، يقول لهم : « كل وجاق يلازم بابه » .

وفى سابع عشرينه [3] ، حضر عليّ بيك ، وصالح بيك ، ومن معهم إلى البساتين ، فازداد تحيرهم ، وطلعوا إلى الأبواب ، فوجدوها مغلوقة ، فرجعوا إلى قراميدان ، وجلسوا هناك ، ثم رجعوا وتسحب تلك الليلة كثير من الأمراء والأجناد ، وخرجوا إلى جهة عليّ بيك ، وكان حسن بيك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ، ويراسل عليّ بيك ، وصالح بيك سرا ، ويكاتبهما ، وضم إليه بعض الأمراء مثل : قاسم بيك خشداشه ، وإسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم ، وعلى بيك السروجى ، وجن عليّ ، وهو خشداش إبراهيم بيك بلفية ، وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق فى داخل الأقصاب التى يشربون فيها الدخان ، ونحو ذلك .

وفى ليلة الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى [4] ، هرب الأمراء الذين بمصر ، وهم خليل بيك شيخ البلد ، وأتباعه ، وحسين بيك كشكش ، وأتباعه ، وهم نحو عشرة صناجق ، وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة ، وأصبح يوم الخميس [5] ، فخرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين ، ودخل فى ذلك اليوم عليّ بيك ، وصالح بيك ، وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم ، وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك ، من أمراء ووجاقلية وغيرهم ، وحضر صحبتهم عليّ كتخدا الخربطلى ، وخليل بيك الأسيوطى، وقلده عليّ بيك الصنجقية مجددا ، وضربت النوبة فى بيته ، ثم أعطاه كشوفية الشرقية ، وسافر إليها .

(1) ٢٦ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(2) غمارة : قرية قديمة ، وفى تربيع ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م ، قسمت إلى ناحيتين ، فعرفت الأصلية بالكبرى ، والثانية الصغرى ، وهى إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة .

(3) ٢٧ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(4) ٢٩ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٧٦٧ م .

(5) ٢٩ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٧٦٧ م .

وفى يوم الأحد ثانى شهر جمادى الثانية [1] ، طلع عليّ بيـك ، وصالح بيك ، وباقى الأمراء القـادمين ، والذين تخلفوا عـن الذاهبين مثل : حسن بـيك جوجو ، وإسمـاعيـل زوج هانم ، وجـن عليّ ، وعـليّ بـيك السـروجى ، وقـاسم بـيك ، والاختيارية والوجـاقلية وغيرهـم إلى الديـوان بالقلعة ، فخلع الباشا على عليّ بيك، واستقر فـى مشيخة البلـد كما كان ، وخلع على صـناجقه خلع الاستـمرار أيضًا فى إماراتـهم كما كـانوا ، ونزلـوا إلى بيوتـهم ، وثبت قـدم عليّ بـيك فى إمارة مـصر ورئاستـها فى هذه المرة ، وظهر بعـد ذلك الظهـور التام ، وملـك الديار المصـرية ، والأقطار الحجازيـة ، والبلاد الشامية ، وقتـل المتمردين ، وقطع المعـاندين ، وشتت شمل المنافقين ، وخرق القواعد ، وخرم الـعوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التى كانت مستقيمة ، ثم إنَّه حضر سـليمان أغا كتخدا الجاويشية ، وصناجقه إلى مصر ، وعزم على نفى بعض الأعيان ، وإخراجهم من مصر ، فعلم أنَّه لايتمكن من أغراضه مـع وجود ، حسن بيك جوجـو ، وأنه ما دام حيا لايصـفو له الحال ، فأخد يدبر عليّ قتله ، فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسَن بيك جوجو ، وعليّ بيك جن عنـد عليّ بيك ، وجلسوا معه حـصة من الليل ، وقام ليذهـب إلى بيته ، فركب وركب معه جن عـليّ ومحمد بيك أبو الذهب ، وأيوب بيـك ليذهبا أيضًا إلى بيوتهمـا لاتحاد الطريق ، فلما صاروا فى الـطريق التى عند الشابـورى ، خلف جامع قوصون سحبوا سيـوفهم ، وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلـوا معه أيضًا جن عليّ ، ورجعوا وأخبروا سـيدهم عليّ بيك ، وذلك ليـلة الثلاثاء ثامن شهـر رجب من سنة إحدى وثمانـين ومائة وألف [2] ، وأصبح عـليّ بيك مالـكا للأبواب ، ورسم بـنفي قاسم بيك ، وإسماعيل بيك أبى مدفع ، وعبد الرحمن بيك ، وإسماعيل بيك كتخدا عزبان ، ومحمد كتخدا زنور ، ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك إبراهيم كتخدا ، وخليل جاويش درب الحجر .

وفى حادى عشر شهر شوّال [3] ، أخرج أيضًا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان ، ونفاهـم فى البلاد ، وفيهـم ثمانية عشـر أميرا ، من جمـاعة الفلاح ، وفيهـم عليّ كتخدا ، وأحمد كتخدا الفلاح ، وإبراهيم كتخدا منا ، وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبيـر ، وصناجـقه : حـسن بيك أبو كرش ، ومـحمد بيك الماوردى ، وخـلافهم

---

(١) ٢ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٦٧ م .

(٢) ٨ رجب ١١٨١ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م .

(٣) ١١ شوال ١١٨١ هـ / ٢٠ فبراير - ١٩ مارس ١٧٦٧ م .

مقادم ، وأوده باشية ، فنفى الجميع إلى جهة قبلى ، وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية إلى السويس ، ليذهب إلى الحجاز من القلزم ، واستمر هناك إلى أن مات .

وفيه [1] : قبض عليّ بيك على الشيخ يوسف بن وحيش ، وضربه علقة قوية ، ونفاه إلى بلده جناح[2] ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان من دهاة العالم ، وكان كاتبا عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ، وله شهرة وسمعة فى السعى ، وقضاء الدعاوى والشكاوى ، والتحيلات والمداهنات والتلبيسات ، وغير ذلك .

وفى شهر الحجة [3] : وصلت أخبار عن حسين بيك كشكش ، وخليل بيك ، أنهم لما وصلوا إلى غزة ، جمعوا جموعا ، وأنّهم قادمون إلى مصر ، فشرع عليّ بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا ، ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام ، أنهم عرجوا إلى جهة دمياط ، ونهبوا منها شيئًا كثيرا ، ثم حضروا إلى المنصورة ، ونهبوا منها كذلك ، فأرسل عليّ بيك يأمر التجريدة بالذهاب إليهم ، وأرسل لهم أيضًا عكسرا من البحر ، فتلاقوا معهم عند الديرس [4] ، والجراح [5] من أعمال المنصورة عند سمنود ، فوقع بينهم وقعة عظيمة ، وانهزمت التجريدة ، وولوا راجعين ، وقتل فى هذه المعركة سليمان چربجى باش اختيار جمليان ، وأحمد چربجى طنان چراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين الشون ، وكان صدور الوجاقات ، ولم يزالوا فى هزيمتهم إلى دجوة ، فلما وصل الخبر بذلك إلى عليّ بيك ، اهتم لذلك ، ونزل الباشا ، وخرج إلى قبة باب النصر ، خارج القاهرة ، وجمع الوجاقلية ، والعلماء ، وأرباب السجاجيد ، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عتامنة يشهل نفسه ، ويطلع إلى التجريدة ، أو يخرج عنه بدلا ، واجتهد على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ،

---

(١) ١١ شوال ١١٨١ هـ / ٢٠ فبراير - ١٩ مارس ١٧٦٧ م .

(٢) جناح : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز كفر الزيات ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٣) الحجة ١١٨١ هـ / ١٩ أبريل - ١٧ مايو ١٧٦٨ م .

(٤) الديرس : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « تدارس » ، ثم حرف اسمها فى العصر العثمانى إلى « الديرس » ، ووردت به فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز أجا ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

(٥) الجراح : قرية قديمة ، وصحة اسمها « جراح » ، ووردت باسم « منية ابن جراح » ، وهى إحدى قرى مركز أجا ، محافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

وسافروا فى أوائل المحرم [1] ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى ، وسار الجميع خلف حسين بيك ، وخليل بيك ، ومن معهم ، وكانوا عدوا إلى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة ، فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ، ساقوا خلفهم ، كما فعل عليّ بيك ، وصالح بيك ، لدخلوا إلى مصر من غير مانع ، ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .

وانقضت : هذه السنين ، وما وقع بها على سبيل الإجمال ، إذ التفصيل متعذر ، وجمع الشوارِد فى الظلام متعسر ، وذلك بحسب الإمكان ، وما وعاه الفكر والذهن خوان .

ذكر من مات فى هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء

مات الشيخ الإمام الفقيه المحدث ، الشريف السيد ، محمد بن محمد البليدى ، المالكى الأشعرى الأندلسى ، حضر دروس الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم البقرى المقرى الشافعى ، فى سنة عشر ومائة وألف [2] ، ثم على أشياخ الوقت ، كالشيخ العزيزى ، والملوى ، والنفراوى ، وتمهر ثم لازم الفقه والحديث بالمشهد الحسينى ، فراج أمره ، واشتهر ذكره ، وعظمت حلقته ، وحسن اعتقاد الناس فيه ، وانكبوا على تقبيل يده وزيارته ، وخصوصا تجار المغاربة ، لعلة الجنسية فهادوه وواسوه ، واشتروا له بيتا بالعطفة المعروف بدرب الشيشينى ، وقسطوا ثمنه على أنفسهم ، ودفعوه من مالهم ، فلم يزل مقبلا على شأنه ملازما على طريقته ، مواظبا على إملاء الحديث ، كصحيح البخارى ، ومسلم ، والموطأ ، والشفاء ، والشمائل ، حتى توفى ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف [3] .

ومات : الأستاذ المعظم ، ذو المناقب العلية ، والسجايا المرضية ، بقية السلف السيد ، مجد الدين محمد أبو هادى بن وفا ، ولد سنة إحدى وخمسين ومائة

---

(١) ١ محرم ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ م .

كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٥٩ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنين من أكابر العلماء ، وأعاظم الأمراء » .

(٢) ١١١٠ هـ / ١٠ يوليه ١٦٩٨ - ٢٨ يونيه ١٦٩٩ م .

(٣) ٢٩ رمضان ١١٧٦ هـ / ١٣ أبريل ١٧٦٣ م .

وألف[1] ، ومات والده وهو طفل فنشأ يتيما ، وخلف عمه فى المشيخة ، والتكلم ، وأقبل على العلم والمطالعة والأذكار ، والأوراد ، وولى نقابة الأشراف بمصر فى الأثناء ، فساس فيها أحسن سياسة ، وجمع له بين طرفى الرياسة ، وكان أبيض وسيما ذا مهابة لايهاب فى الله ، أمارا بالمعروف ، فاعلا للخير ، توفى يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة ست وسبعين [2] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم ، حضره الأكابر والأصاغر ، وحمل على الأعناق ، ودفن بزاويتهم بالقرب من عمه ﷺ ، وتخلف بعده السيد شهاب الدين أحمد أبو الإمداد .

ومات : أيضًا فى هذا الشهر والسنة [3] ، الصدر الأعظم ، المغفور له محمد باشا المعروف براغب ، وكان معدودا من أفاضل العلماء ، وأكابر الحكماء ، جامعا للرياستين ، حاويا للفضيلتين ، وله تآليف وأبحاث فى المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، وهو الذى حضر إلى مصر واليا ، فى سنة تسع وخمسين ومائة وألف [4] ، ووقع له ما وقع مع الخشاب والدمايطة ، كما تقدم ورجع إلنى الديار الرومية ، وتولى الصدارة ، ثم توفى إلى رحمة الله تعالى فى رابع عشرين شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف [5] ، وكان نقش خاتمه هذا البيت :

بِمحَمدٍ يرجُو الأمانَ مُحَمـدٌ ... مما يخَافُ وفى نَوالِكَ رَاغِبُ

وألف رسالة فى العروض غريبة ، شرحها الشيخ أبو الحسن القلعى المغربى ، وله ثلاثة دواوين تركى ، وفارسى ، وعربى ، وكان له ذوق صحيح ، وفهم رجيح ، يكرم العلماء ، والوافدين ، ويباحث أهل العلم بمبتكراته ، ومن كلامه فى مواجب مصر .

مَواجِبٌ نزلتْ مِن بعدِ تَطوِيل ... كضَرطةِ رُبطتْ فى طَرفِ مِنْديلِ

أوِ صَوتِ ضُفْدعَةٍ فى بركَةِ الفيلِ

وله فى أحد مماليك أمراء مصر وأجاد :

---

(١) ١١٥١ هـ / ٢١ أبريل ١٧٣٨ - ٩ أبريل ١٧٣٩ م . (٢) ٥ ربيع الأول ١١٧٦ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٧٦٢ م .

(٣) ربيع الأول ١١٧٦ هـ / ٢٠ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٧٦٢ م .

(٤) ١١٥٩ هـ / ٢٤ يناير ١٧٤٦ - ١٢ يناير ١٧٤٧ م .

(٥) ٢٤ رمضان ١١٧٦ هـ / ١٦ مارس - ١٤ أبريل ١٧٦٣ م .

حكَى ذا الرشَا المملُوكُ فى الحسْنِ يُوسُفًا وفِيمَا ادعِيه يشْهَدُ العينُ والقَلْبُ
خَلاَ أنّ ذاكَ اغتَالَه الذّئبُ فِرْيَةً وهَذَا حَقِيقًا قدْ تملّكَه كَلْبُ

وسفينة الراغب المشهورة ، وما جمع فيها من المسائل والأبحاث والإيرادات الغريبة ، كبحث الاسم والمسمى ، والمقولات العشرة ، والعقول العشرة ، والحضرات الخمس ، والمعاد الجسيماني ، وجابر قا وجابر صا وغير ذلك .

ومات : الشيخ المجذوب عليّ الهوارى ، كان من أرباب الأحوال الصادقين ، والأولياء المستغرقين ، وأصله من الصعيد ، وكان يركب الخيول ويروضها ، ويجيد ركوبها ولذلك لقب بالهوارى ، ثم أقلع من ذلك ، وانجذب مرة واحدة ، وكان للناس فيه اعتقاد حسن ، وحكى عنه الكشف غير واحد ، ويدور فى الأسواق ، والناس يتبركون به ، مات شهيدا بالرميلة أصابته رصاصة من يد رومى فلتة فى سنة ست وسبعين ومائة وألف [1] ، وصلوا عليه بالأزهر ، وازدحم الناس على جنازته ، رحمه الله .

ومات : الشيخ المسند ، عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى ، المكى الشافعى ، الشهير بالسقاف ابن أخت حافظ الحجار عبدالله بن سالم البصرى ، والسقاف لقب جده الأكبر عبد الرحمن من آل باعلوى ، ولد بمكة سنة اثنتين ومائة وألف [2] ، وروى عن خاله المذكور ، وعن الشيخين العجمى ، والنخلى ، والشيخ تاج الدين المفتى ، وحسين بن عبد الرحمن الخطيب ، ومحمد عقيلة ، وإدريس بن أحمد اليمانى ، والشيخ عيد وعبد الوهاب الطنتدائى ، ومصطفى بن فتح الله الحنفى ، وسمع الأولية عاليا عن الشهاب أحمد البناء بعناية خاله ، سنة عشر ومائة وألف [3] ، ومهر وأنجب ، واشتهر صيته ، وسمع منه كبار الشيوخ ، وأجازهم كالشيخ الوالد ، والشيخ أحمد الجوهرى ، وعندى إجازته للوالد بخطه ، وكذلك إجاز عبد الله بن سالم البصرى ، والشيخ محمد عقيلة ، ومحمد حياة السندى ، وذلك بمكة سنة ثلاث وخمسين [4] ، وبه تخرج شيخنا السيد محمد مَرتضى ، فى غالب مروياته ، وسمعت منه أنّه اجتمع به بالمدينة المنوّرة ، عند باب الرحمة ، أحد أبواب الحرم الشريف ، وسمع منه وأجازه إجازة عامة ، وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائة

(١) ١١٧٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٧٦٢ - ١١ يوليه ١٧٦٣ م .
(٢) ١١٠٢ هـ / ٥ أكتوبر ١٦٩٠ - ٢٣ سبتمبر ١٦٩١ م .
(٣) ١١١٠ هـ / ١٠ يوليه ١٦٩٨ - ٢٨ يونيه ١٦٩٩ م .
(٤) ١١٥٣ هـ / ٢٩ مارس ١٧٤٠ - ١٨ مارس ١٧٤١ م .

وألف [١] ، ولازمه بمكة ، سنة أربع وستين ومائة وألف [٢] ، وسمع منه أوائل الكتب الستة ، وأباح له كتب خاله يراجع فيها ما يحتاج إليه ، وسمع من لفظه المسلسل بالعيد ، بالحرم المكى ، في صحبة سلالة الصالحين الشيخ عبد الرحمن المشرع ، وأجازهما ، توفى فى سنة أربع وسبعين ومائة وألف [٣] .

ومات : العمدة العلامة ، المفوه النبيه الفقيه ، الشيخ محمد العدوى ، الحنفى ، تفقه على كل من الأسقاطى ، والسيد عليّ الضرير ، والشيخ الزيادى ، وغيرهم ، وحضر فى المعقول على أشياخ الوقت : كالمللوى ، والعماوى ، وتصدر للإفادة والإقراء ، وكان ذا شكيمة وشجاعة نفس ، وقوّة جنان ، ومكارم أخلاق ، توفى فى ثالث الحجة سنة خمس وسبعين ومائة وألف [٤] .

ومات : الإمام العلامة ، الفقيه المتقن ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدلجى الحنفى ، وهو ابن خال الوالد ، اشتغل بالعلوم والفقه ، على أشياخ الوقت ، ودرس وأفتى واقتنى كتبا نفيسة فى الفقه ، وجميعها بخّط حسن ، وقابلها وصححها ، وكتب عليها بخطه الحسن ، وكانت جميع كتبه الفقهية وغيرها فى غاية الجودة والصحة ، ويضرب بها المثل ، ويعتمد عليها إلى الآن ، وكان ملازما للإفادة والإفتاء والتدريس والنفع ، على حالة حسنة ، ودماثة أخلاق ، وحسن عشرة ، ولم يزل حتى توفى ، فى شهر رجب سنة سبع وسبعين ومائة وألف [٥] .

ومات : الفقيه الصالح الخير الدين ، حسن بن سلامة الطيبى المالكى ، نزيل ثغر رشيد ، تفقه على شيخه محمد بن عبدالله الزهيرى ، وبه تخرج ، وأجازه محمد بن عثمان الصافى البرلسى ، فى طريقة البراهمة ، وسيدى أحمد بن قاسم البونى ، حين ورد ثغر رشيدَ فى الحديث، ودرس بجامع زغلول ، وأفتى ، ودرسه أكبر الدروس ، وكان لديه فوائد كثيرة ، توفى سنة ست وسبعين ومائة وألف [٦] .

ومات : المفتى الفاضل النبيه ، زين الدين أبو المعالى حسن بن عليّ بن عليّ بن منصور بن عامر بن ذئاب شمه ، الفوى الأصل المكى ، ينتهى نسبه إلى الولى الكامل ، سيدى محمد بن زين النحراوى ، ومن أمه إلى سيدى إبراهيم البسيونى ،

(١) ١١٦٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٧٤٩ - ٢٩ نوفمبر ١٧٥٠ م .
(٢) ١١٦٤ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٥٠ - ١٩ نوفمبر ١٧٥١ م .
(٣) ١١٧٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٦٠ - ١ أغسطس ١٧٦١ م .
(٤) ٣ ذى الحجة ١١٧٥ هـ / ٢٥ يونيه ١٧٦٢ م .
(٥) رجب ١١٧٧ هـ / ٥ يناير - ٣ فبراير ١٧٦٤ م .
(٦) ١١٧٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٧٦٢ - ١١ يوليه ١٧٦٣ م .

ولد بمكة سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف [1] ، وبها نشأ ، وأخذ العلم عن الشيخ عطاء بن أحمد المصرى ، والشيخ أحمد الأشبولى وغيرهما من الواردين بالحرمين، وأتى إلى مصر ، ،فحضر دروس الشيخ الحنفى ، وله انتسب ، وأجازه فى الطريقة البرهامية [2] ، وبلديه الشيخ منصور هدية ، وألف وأجاد ، وكان فصيحًا بليغاً ذكيًا ، حاد الذهن جيداً القريحة ، له سعة إطلاع فى العلوم الغريبة ، ونظم رائق مع سرعة الارتجال ،وقد جمع كلامه فى ديوان ، هو على فضله عنوان .

ومن مؤلفاته : « شرح صيغة القطب سيدى إبراهيم الدسوقى » ، جمع فيه شيئًا كثيراً من الفوائد ، وارتحل إلى الروم ، ثم عاد إلى مصر ، وألف كتابًا فى مناقب أستاذه الحفنى ، وله حاشية على شرح شيخ الإسلام على البردة ، و « حاشية على شرحه على الجزرية » و « رسالة فى خصوص رواية السوسى » عن يحيى اليزيدى عن أبى عمرو ثم نظمها وكتبها ، « وكتاب الحقائق والإشارات إلى ترقى المقامات » ، و « الحلل السندسية على أسرار الدائرة الشاذلية » ، و « كَشْف الرموز الخفية بشرح الهمزية ، و « وسع الاطلاع على مختصر أبى شجاع » ، وهو كتاب حافل يبلغ أربع مجلدات ، و « مسرة العينين بشرح حزب أبى العينين » ، و « قصة المولد النبوى » ، و « نظم الأزهرية فى النحو » ، وعمل منظومة فى تاريخ مصر سماها بالحجج القاهرة ، وغير ذلك رسائل ومنظومات كثيرة ، ومناسك الحج كبيرة ، وسكن فى الآخرة بولاق ، وبها توفى ليلة الجمعة رابع عشرين رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف [3] .

ومات : الشيخ الإمام الفقيه، المحدث المحقق ، الشيخ خليل بن محمد المغربى الأصل ، المالكى المصرى ، أتى والده من المغرب فتدير مصر ، وولد المترجم بها ، نشأ على عفة وصلاح ، وأقبل على تحصيل المعارف والعلوم ، فأدرك منها المروم ، وحضر دروس الشيخ الملوى ، والسيد البليدى ، وغيرهما من فضلاء الوقت إلى أن استكمل هلال معارفه وأبدر ، وفاق أقرانه فى التحقيقات واشتهر ، وكان حسن الإلقاء للعلوم ، حسن التقرير والتحرير ، حاد القريحة جيد الذهن ، إماما فى المعقولات ، وحلالا للمشكلات ، وولى خزنة كتب المؤيد مدة ، فأصلح ما فسد

---

(1) ١١٤٢ هـ / ٢٧ يوليه ١٧٢٩ - ١٦ يوليه ١٧٣٠ م .

(2) الطريقة البرهامية : إحدى الطرق الصوفية القديمة ، وكان لها أتباع فى مصر ، ولها أورادها وأذكارها ولا تزال قائمة فى مصر ، وهى إحدى الطرق الصوفية المعترف بها فى مصر .

طعيمة ، صابر : الصوفية معتقدا ومسلكا ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٥ هـ / ص ٤١ .

(3) ٢٤ رمضان ١١٧٦ هـ / ٨ أبريل ١٧٦٣ م .

منها ، ورم ما تشعث ، وانتفع به جماعة كثيرون من أهل عصرنا ، وله مؤلفات منها : « شرح المقولات العشر » مفيد جدا ، توفى يوم الخميس خامس عشرين المحرم سنة سبع وسبعين ومائة وألف [١] ، بالرى ، وهو منصرف من الحج .

ومات : السيد الأديب الشاعر المفنن ، عمر بن عليّ الفتوشى التونسى ، ويعرف بابن الوكيل ، ورد مصر فى سنة أربع وخمسين [٢] ، فسمع الصحيح على الشيخ الحفنى ، وأجازه فى ثانى المحرم منها [٣] ، ثم توجه إلى الإسكندرية ، وتديرها مدة ، ثم ورد فى أثناء أربع وسبعين [٤] ، وكان ينشد كثيراً من المقاطيع لنفسه ولغيره ، وألف رسالة فى الصلاة على النبى ﷺ ، مزج صيغها بالدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وتولى نيابة القضاء بالكاملية [٥] ، وكان إنسانا حسنا لطيف المحاورة ، كثير التودد والمراعاة ، بشوش الملتقى ، مقبلا على شأنه ، توفى فى ثانى ذى الحجة سنة خمس وسبعين ومائة وألف [٦] .

ومات : الأستاذ الذاكر الشيخ ، محفوظ الفوى ، تلميذ سيدى محمد بن يوسف ، عن ورم فى رجليه ، فى غرة جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [٧] ، ودفن يومه قريبا من مشهد السيدة نفيسة ، رضى الله عنها .

ومات : العالم الفقيه المحدث الأصولى الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى الدنجيهى ، الشافعى ، بدمياط فى سادس شعبان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [٨] .

ومات : الجناب المكرم الصالح المنفصل عن مشيخة الحرم النبوى ، عبد الرحمن أغا ، فى ثامن شوال سنة تسع وسبعين ومائة وألف [٩] ، ودفن بجوار المشهد النفيسى .

ومات : الجناب المكرم ، محب الفقراء والمساكين ، الأمير إبراهيم أوده باشة غانم فجأة ، فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائة وألف [١٠] ، ودفن بمقبرتهم عند السادة المالكية .

---

(١) ٢٥ محرم ١١٧٧ هـ / ٥ أغسطس ١٧٦٣ م . (٢) ١١٥٤ هـ / ١٩ مارس ١٧٤١ - ٧ مارس ١٧٤٢ م .
(٣) ٢ محرم ١١٥٤ هـ / ٢٠ مارس ١٧٤١ م .
(٤) ١١٧٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٦٠ - ١ أغسطس ١٧٦١ م .
(٥) قضاء الكاملية : أى القضاء فى محكمة القسمة العسكرية التى كان مقرها بمسجد السلطان الكامل .
(٦) ٢ ذى الحجة ١١٧٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٧٦٢ م . (٧) غرة جمادى الثانية ١١٧٨ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٦٤ م .
(٨) ٦ شعبان ١١٧٨ هـ / ٢٩ يناير ١٧٦٥ م . (٩) ٨ شوال ١١٧٩ هـ / ٢٠ مارس ١٧٦٦ م .
(١٠) ٨ جمادى الأولى ١١٧٧ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧٦٣ م .

ومات : أيضًا العمدة الشيخ عبد الفتاح المرحومى بالأزبكية ، فى تاسع شوّال سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : الأجل المكرم الحاج ، حسن فخر الدين النابلسى ، عن سن عالية ، وكان من أرباب الأموال ، رابع عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : الأمير الأجل المحترم ، صاحب الخيرات ، والمحبب إلى الصالحات ، على بن عبد الله مولى بشير أغا دار السعادة ، ولى وكالة دار السعادة ، فباشر فيها بحشمة وافرة ، وشهامة باهرة ، وفيه يقول الشيخ عبدالله الإدكاوى :

أقبَلَ الحظُّ والهَنَاءُ السّنىُّ ... ولَنَا أحْسَن الزمَان المسىُّ
وأتَتْ دولةُ السّرورِ فأهْلاً ... بِكِ مِن دولةٍ حَبَاهَا العَلىُّ
لِعَلىٍّ المقام والفِعْلِ والإسْـ ... ـم ومَن جَلَّ فكْرُه الألمعىُّ
والهُمَام الغَمَامُ بأسا وجُودا ... والذى شَاع ذِكْرُه المرْضِىُّ
فأبشِرْ ابشِرْ بدولة لكَ فيها ... مَا به يا رئيسُ يَهْنَى الولىُّ
بحلاها حلاَك سُلْطَانُه الأعْظَـ ... ـمُ عثْمانُ الأمْجَدُ الأفضَلىُّ
دُمْتَ فيها مُهَنا البَال مأمُو ... نًا لَكَ اللهُ حَافظٌ والنّبِىُّ
لَك تَارِيخُها حَلاَ يا هُمَام ... انتَ نِعْم الوَكِيلُ فَاسْعَدْ عَلىُّ

وكان منزله مورد الوافدين من الآفاق ، مظهر التجليات الإشراق ، مع ميله إلى الفنون الغريبة ، وكماله فى البدائع العجيبة ، من حسن الخط وجودة الرمى ، وإتقان الفروسية ، ومدحته الشعراء ، وأحبته العلماء ، وألقت إليه الرياسة قيادها ، فأصلح ما وهن من أركانها ، وأزال فسادها ، ولقد عزل عن منصبه ، ولم يأفل بدر كماله ، واستمر ناموس حشمته باقيا على حاله ، واقتنى كتبا نفيسة ، وكان سموحا بإعادتها ، وكان عنده من جملتها : البرهان القاطع للتبريزى فى اللغة الفارسية ، على هيئة القاموس ، وسفينة الراغب ، وهى مجموعة جامعة للفوائد الغريبة ، ومنها : كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون ، لمصطفى خليفة ، وهو كتاب عجيب ، توفى يوم الإثنين ثامن عشر شهر صفر سنة ست وسبعين ومائة وألف [3] ، وصلى عليه بسبيل

(١) ٩ شوال ١١٧٨ هـ / ١ أبريل ١٧٦٥ م .
(٢) ٢٤ جمادى الأولى ١١٧٨ هـ / ١٩ نوفمبر ١٧٦٤ م .
(٣) ١٨ صفر ١١٧٦ هـ / ٨ سبتمبر ١٧٦٢ م .

المؤمنين ، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعى ، ولم يخلف بعده مثله فى المروءة والكرم ، رحمه الله تعالى ، وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة .

ومات : الإمام العلامة ، والمدقق الفهامة ، الشيخ يوسف شقيق الأستاذ شمس الدين الحفنى ، أخذ العلم عن مشايخ عصره مشاركا لأخيه ، وتلقى عن أخيه ، ولازمه ودرس وأفاد وأفتى وألف ونظم الشعر الفائق الرائق ، وله ديوان شعر مشهور ، وكتب حاشية عظيمة على الأشمونى ، وهى مشهورة يتنافس فيها الفضلاء ، وحاشية على مختصر السعد ، وعلى شرح الخزرجية لشيخ الإسلام ، وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل ، وحاشية على الناصر ، وابن قاسم ، وشرح شرح الأزهريه لمؤلفها ، وشرح على شرح السعد لعقائد النسفى ، وحاشية الخيالى عليه ، وعلى ملا حنفى فى آداب البحث وغير ذلك ، وله مقامتان ، وقصائد طنانة مذكورة فى المدائح الرضوانية وغيرها ، توفى فى شهر صفر سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات : الإمام الفصيح ، المفرد الأديب ، الماهر الناظم الناثر ، الشيخ على بن أبى الخير بن على المرحومى الشافعى ، خطيب جامع الحبشلى [2] ، ومن آثاره تشطير الأبيات الثلاثة للشيخ عليّ جبريل ، فى مدح الأمير رضوان كتخدا الجلفى ، وهى :

(وأبيكَ مَا رِضْوانُ إلا آيةٌ)	مَن أمّه نالَ المنَى فى الحَالِ
مَلَك الأنامَ بعزّه وبجُوده	(شَهِدَتْ بذاك شهامةِ الأفعال)
(يَهَبُ المواهِبَ جَمَّةً بسَمَاحَة)	من غَيرِ تَعْرِيضٍ له بسُؤال
وتَراهُ يغْنى بالعَطَاء مُؤَمِّلاً	(مُتَرفِّعًا عن منّة ومَلال)
(حتى يَصِيرَ المعدَمُون برِفْده)	يسْعَى لثَروتِهِم مُرِيدُ نَوالِ
ويَراهُم زَادوا افتِخَاراً إذ غَدَوا	(مُترفِّعين عَلَى ذَوى الأمْوالِ)

وهو ممن كتب على بديعية على بن تاج القلعى ، ومن كلامه يخاطب به الشيخ العيدروس :

---

(١) صفر ١١٧٨ هـ / ٣١ يوليه - ٢٨ أغسطس ١٧٦٤ م .

(٢) جامع الحبشلى : يقع بدرب سعادة ، وهو مقام الشعائر .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٠ .

مَا يقُولُ البَلِيغُ إنْ رامَ مَدْحًا ... فِى زَكِىٌّ مُقَدّسٍ عَيْدَرُوسِى
نَسْلُ طَهَ ونَجْلُ بِنْتِ عَتِيقٍ ... فَهْوَ واللهِ تَاجُ رَأسِ الرءُوسِ

توفي ليلة الجمعة سادس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [1] .

ومات ، الإمام العلامة ، السيد إبراهيم بن محمد أبى السعود بن عليّ بن عليّ الحسينى ، الحنفى ، ولد بمصر ، وقرأ الكثير على والده ، وبه تخرج فى الفنون ، ومهر فى الفقه ، وأنجب وغاص فى معرفة فروع المذهب ، وكانت فتاويه فى حياة والده مسددة معروفة ، ويده الطولى فى حل الإشكالات العقيمة مذكورة موصوفة ، رَحَل فى صحبة والده إلى المنصورة ، فمدحهما القاضى عبدالله بن مرعى المكى وأثنى عليهما بما هو مثبت فى ترجمته ، ولو عاش المترجم لتم به جمال المذهب ، توفى يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : الفقيه الزاهد الورع العالم المسلك ، الشيخ محمد بن عيسى بن يوسف ، الدمياطى الشافعى ، أخذ المعقول عن السيد على الضرير ، والشيخ العزيزى ، والشيخ إبراهيم الفيومى ، والفقه أيضًا عنهما ، وعن الشيخ العياشى ، والشيخ الملوى ، والحفنى ، وطبقتهم ، واجتمع بالسيد مصطفى البكرى ، وأخذ عنه طريقة الخلوتية ، ولقنه الأسماء بشروطها ، وألف حاشية على المنهج ، ونسبها لشيخه السيد مصطفى العزيزى ، وله حاشية على الأخضرى فى المنطق ، وحاشية على السنوسية ، وغير ذلك ، توفى فى ثامن رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [3] ، وكانت جنازته حافلة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن ببستان المجاورين ، وبنوا على قبره سقيفة يجتمع تحتها تلامذته فى صبح يوم الجمعة يقرءون عنده القرآن، ويذكرون ، واستمروا على ذلك مدة سنين .

ومات : الإمام العلامة الناسك ، الشيخ أحمد بن محمد السحيمى الشافعى ، نزيل قلعة الجبل ، حضر دروس الأشياخ ، ولازم الشيخ عيسى البراوى ، وبه انتفع ، وتصدر للتدريس بجامع سيدى سارية [4] ، وأحيا الله به تلك البقعة ، وانتفع

---

(١) ٦ القعدة ١١٧٨ هـ / ٢٧ أبريل ١٧٦٥ م . (٢) ١٧ جمادى الثانية ١١٧٩ هـ / ١ نوفمبر ١٧٦٥ م .
(٣) ٨ رمضان ١١٧٨ هـ / ١ مارس ١٧٦٥ م .
(٤) جامع سارية : يقع بقلعة الجبل ، ويقربه زاوية الشيخ محمد الكعكى ، وبه منارة ومطهرة ، وله أوقاف دارة ، وينسب الجامع إلى سيدى سارية ، ﷺ ، صاحب رسول الله ﷺ ، كما هو الشائع على الألسنة . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٩ .

به الناس جيلا بعد جيل ، وعمر بالقرب من منزله زاوية ، وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء بإشارته مالا حفيلا ، فنبع الماء ، وعُدَّ ذلك من كراماته ، فإنهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيراً ، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة ، وصنف التصانيف المفيدة فى علم التوحيد والفقه مقبولة بين أيدى الناس ، منها : حاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وجعله متنا وشرحه مزجا ، وهى غاية فى بابها ، وله حال مع الله ، وتؤثر عنه كرامات اعتنى بعض أصحابه بجمعها ، واشتهر بينهم أنه كان يعرف الاسم الأعظم ، وبالجملة فلم يكن فى عصره من يدانيه فى الصلاح والخير ، وحسن السلوك على قدم السلف ، توفى فى ثامن شعبان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [1] ، ودفن بباب الوزير .

ومات : الإمام العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عليّ بن الأستاذ أبى السعود الجارحى ، الشافعى ، ويقال له السعودى نسبة إلى جده المذكور ، حضر دروس الشيخ مصطفى العزيزى ، وغيره من فضلاء الوقت ، وكان إماما محققا له باع فى العلوم ، وكان مسكنه فى باب الحديد أحد أبواب مصر ، وحضر السيد البليدى فى تفسير البيضاوى ، وكان الشيخ يعتمده فى أكثر ما يقول ، ويعترف بفضله ويحسن الثناء عليه ، توفى فى شعبان سنة تسع وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : السيد الأجل المحترم ، فخر أعيان الأشراف المعتبرين ، السيد محمد بن حسين الحسينى ، العادلى الدمرداش ، ولد بمصر قبل القرن بقليل ، وأدرك الشيوخ وتمول وأثرى ، وصار له صيت وجاه ، وكان بيته بالأزبكية ، ويرِدُ عليه العلماء والفضلاء ، وكان وحيدا فى شأنه ، وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر ، ولما تولى الشيخ أبو هادى الوفائى ، رحمه الله تعالى ، كان يتردد إلى مجلسه كثيراً ، توفى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف [3] .

ومات : الشيخ الفاضل الناسك ، الكاتب الماهر ، البليغ ، سليمان بن عبدالله الرومى الأصل ، المصرى ، مولى المرحوم على بيك الدمياطى ، جَوَّد الخط على حسن أفندى الضيائى ، وأنجب وتميز فيه ، وأجيز وكتب بخطه الفائق كثيراً من

(١) ٨ شعبان ١١٧٨ هـ / ٣١ يناير ١٧٦٥ م .
(٢) شعبان ١١٧٩ هـ / ١٣ يناير - ١٠ فبراير ١٧٦٦ م .
(٣) ١١٧٨ هـ / ١ يوليه ١٧٦٤ - ١٩ يونيه ١٧٦٥ م .

الرسائل والأحزاب والأوراد ، وكانت له خلوة بالمدرسة السليمانية [1] ، لاجتماع الأحباب ، وكان حسن المذاكرة لطيف الشمائل ، حلو المفاكهة يحفظ كثيراً من الأناشيد والمناسبات ، توفى سنة تسع وسبعين ومائة وألف [2] .

ومات : السيد العالم الأديب الماهر ، الناظم الناثر ، محمد بن رضوان السيوطى ، الشهير بابن الصلاحى ، ولد بأسيوط على رأس الأربعين ، ونشأ هناك ، وأمه شريفة من بيت شهير هناك ، ولما ترعرع ورد مصر ، وحصل العلوم ، وحضر دروس الشيخ محمد الحفنى ، ولازمه وانتسب إليه ، فلاحظته أنواره ، ولبسته أسراره ، ومال إلى فن الأدب ، فأخذ منه بالحظ الأوفر ، وخطه فى غاية الجودة والصحة ، وكتب نسخة من القاموس ، وهى فى غاية الحسن والإتقان والضبط ، وله شعر عذب يغوص فيهُ على غرائب المعانى ، وربما يبتكر ما لم يسبق إليه ، وقد أجازه الشيخ الحفنى بما نصه : « نحمدك يا عليم يا فتاح يا ذا المن بالعلم والصلاح ، ونصلى ونسلم على أقوى سند، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والمدد ، أما بعد فإن المولى العلامة ، الرحلة الفهامة الحاذق الأديب ، واللوذعى الأريب ، مولانا الشيخ محمد الصلاحى السيوطى ، قد حاز من التحلى بفرائد المسائل العلية أوفر نصيب ، بفهم ثاقب وإدراك مصيب ، فكان أهلا للانتظام ، فى سلك الأعلام ، بإجازته كما هو سنن أئمة الإسلام ، فأجزته بما تضمنته هذه الوريقات ، من العلوم العقلية والنقلية ، المتلقاة عن الأثبات ، وبسائر ما تجوز لى روايته ، أو ثبتت لدىّ درايته ، موصيا له بتقوى الله التى هى أقوى سبيل النجاة ، وأن لاينسانى من صالح دعواته ، فى أويقات توجهاته ، نفعه الله ونفع به ، ونظمه فى عقد أهل قربه ، وأفضل الصلاة والسلام على أكمل رسل السلام ، وعلى آله أئمة الهدى ، وصحبه نجوم الاقتدا ، كتبه محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ، ثامن جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف » [3] ، وللمترّجم مقامة بديعة متضمنة مدح رسول الله ﷺ ، وذيّلها بقصيدة سماها الدرة البحرية والقلادة النحرية ، وهى طويلة تزيد على الثمانين بيتا ، ومن غرر أشعاره قوله :

---

(١) المدرسة السليمانية : تقع ببولاق ، وهى مدرسة وجامع عمّره سليمان باشا الخادم ، الذى تولى ولاية مصر ٩٣١ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٥٢٤ - ١٧ أكتوبر ١٥٢٥ م ، وعمّر بجواره وكائل وأسواقا وربوعا وغير ذلك ، ولما تولى الأمير محرم بيك أمير اللواء ناظرا على أوقاف سليمان باشا ، زاد فى الجامع زيادة حسنة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٧ .

(٢) ١١٧٩ هـ / ٢٠ يونيه ١٧٦٥ - ٨ يونيه ١٧٦٦ م .

(٣) ٨ جمادى الثانية ١١٧٨ هـ / ٣ نوفمبر ١٧٦٤ م .

هـات لى قَهوةَ الشَّفا من شِفَاهكْ ... واسقنيـهَا عـلـى فَخَامَةِ جَاهكْ
عَاطنيـهَا يـا أوحَدَ الـعـصرِ لُطـفًا ... وبَديـعَ المثَال فـى أشبَاهك
يـا غزالا لـو صُورَ البَدرُ شَخْصًا ... لِيُضَاهيك فـى الـبَهـا لَم يُضَاهك
عـاطنيـهَا جَهْرا شـفَاهًا ولا تَخْـ ... ـشَ مَلامـا فـلَذَّتى فـى شفَاهك
عـاطنيـهَا ولـم تَدَعْ لـى حَرَاكًا ... لـسْتُ أقـوى عـلـى كمَالِ انتبَاهك
هـاتِهـا والـرُّخَاخُ فـى غَفَلاتٍ ... لا تـدعهُم فَيـفتكُوا فـى شيَاهك

وقد شطرها الشيخ قاسم الأديب بما هو فى ترجمته :

وله أيضًا :

حُثَّ نُجبَ الكُؤوسِ قَبلَ الصبَاحِ ... واسقنى من يديكَ صِرفَ الـرَّاحِ
واحْدُ لـى حَادى المطىِّ إلـيـهَـا ... فـى غُدُوٌ مُبَادرًا أو رَواحِ
لا تـدَعْنى بِدُون شـربِى فَهَمى ... مِنكَ فـى الاغتبَاقِ والاصْطِبَاحِ
خَمْرةٌ تجـعَلُ الخَلِىَّ شَجِيًّا ... فـهـى مِثْلُ الغذَاء للأرواحِ
عَاطنيـهَا من بـيـنِ آسٍ وبَان ... وشَقيـقٍ ونَرْجِسٍ وأقَاحِ
عـاطنـيـهَا من بَيْنِ إخوان صدقٍ ... قد تـواصَوا علـى التُّقى والصَّلاحِ
عـاطنيهَا من كـفِّ بدرٍ يُطيعُ الـكَـ ... ـاسَ فى أمْرها ويَعْصَى اللَّواحِى
ذى طِبَاع كـريمـة بـينَ أعطَا ... فٍ بمـا تَشتَهى الـنفُوسُ شحَاحِ
كـلَمَا اهـتزَت الشمُولُ بـعطفَيْـ ... ـهِ أغـارَ الـهوَى عـلـى الأرواحِ
صَاحِ خَل الصحَاة حقا وصـح لـى ... لحِمَى الـدّن إنّنِى غيـر صَاحِ
وادعُنى دَعْوة المـشُوقِ فـإنّى ... قـد دَعَانى مِنْ قَبـلِ دَاعِى الـفَلاحِ
قـد دَعَانِى لمـولـدِ السيـد الـكَا ... مِلِ غَوث الـوَرَى أبِى الأفراحِ
قـد دَعـانِى لمـوْسِم الجـود والـفضْـ ... ـلِ وعُرْسِ الـنَدى وعيـد السَّمَاحِ
مَولـدُ السيّـد الـذى تَنـهَضُ النَّا ... سُ إلـيـه بـل للمُنَى والـنَّجَاحِ
عـيـن آل الـنبى كَنْز الأمَانىِّ ... وأنـدَى الأنَام أبطُنَ رَاحِ
قـدْ دَعـانى فـقـلْتُ أهلاً ولَو أسْـ ... ـعَى علـى الـعَينِ أو مُتُون الرِّمَاحِ
مَا دَعَانى إلا وكُلّى مُجيـبٌ ... لـدُعَاه عـلـى اختلاف رِيَـاحِ
قـلْتُ لـكنْ عـلـيـه عَادَةُ برٍّ ... لَيـسَ لـى إنْ تـأخرْتُ من بَرَاحِ
يـقتـضِى الشّوقُ أنْ أطـيـرَ إليـهِ ... وبـسُوء الأحْوالِ قُصَّ جَنَاحِى

لا قـــلــوص تُقِل رِجْلـــى وأفرا س اشتياقى قد أصبَحَت فى جمَاحِ
قـالَ فـاقصُد حمَى خَليـفتَه الحـفْـ ـــــنِىٌّ وانـــزِل به بِغَير جَنَاحِ
قـلْتُ أنصَفْتـنِىَ وهـلْ لِى فـى غَيْـ ــــــرِ حِماهُ مِن راحَة واطّرَاحِ
مِنْ حِمـىً يـسـهُلُ الـعَسِيـرُ لَدَيْهِ ومــقَامِ سَهْل الـنّوالِ مُبَاحِ
كـــمْ أيـــادِ مِن جُودِه وصلَتْنى جَوْهَرِيّات فَائـــقَاتِ صِحَاحِ
مـا قَصَدْتُ الحِمَى وأشفَقْتُ أنـى خَارِجٌ بـــالـسُّؤالِ لــلإلْحَاحِ
فـعَطــايَاهُ كـالــكُـئوسِ فَلا يـحْـ ـتَاجُ فـى نَيْلِهَا إلــى الإفصَاحِ
ارتَجـــى أنه إذا قَصَدَ الــسّيـــ ــرَ لـذاك الحِمَى وتـلـكَ الـنَّواحِى
ولَدَيــهِ أتـــبَاعُه الـــكُلّ انْ يَذْ كُرَ فِيـهـم مُحَمّد بـن الـصّلاَحى
سَيــدى هــذه الـعلاَقَةُ فـاعذُر نَهْبَ شَوقِ أحْشَاؤه فـــى جِرَاحِ
أنـتَ حَكّمْتَ فِيَّ كـاسَك فـاحْكُم بِتَغَاضٍ عـــن سُوء فَرط اقتِراحِى
دُمـتَ فـى نِعمَةِ الـرّضَا مَا تـوالَت مُدَةُ الـدّهـرِ بـالمـسَا والـصّبَاحِ

قلت : ومطلع هذه القصيدة مأخوذ من مطـلع قصيدة خمرية للشريف أحمد بن مسعود الحسنى أحد أشراف مكة ، وهى : حث قبل الصباح نجب الكؤس ، إلا أنه قدم وأخر ومن غرر قصائده قوله :

نَقَلُوا أكَاذِيـــبَ الـــسُّلُوِّ لِهَاجِرِى سَفَهًا ومَا خَطَرَ الـــسُّلُوُّ بِخَاطِرِى
يـالَيْـتَهُم عَلِمُوا بـأسْرَارى الــتـى أودَعـتُهـا يـومَ الـنَّوى بـسَرَائـرِى
لله وقْفَتُنَا بـــــجَرْعَاء الحِمَى والـنّجمُ مَرصُودٌ لــسُهـدِ الـسّاهِرِ
نُمـــلى أحَادِيـــثَ الـغَرَامِ فَتَجتَلِى منْهـــــا سُرورَ مَسَامِعٍ وخَوَاطِرِ
ونُديـــرُ كَاسَاتِ الـوَدَاعِ مَدِيــدَةً فـــى شَقّ أطــواقٍ وشَقّ مَرَائــرِ
وسَوابِـقُ الـعَبـراتِ مِن دَمْعِى ومِن شِعْرى كَعِقْد لآلـــــئ وجَواهِرِ
ادعُو سُرَاة الـــظّاعنِينَ كَأنمــــا أرجُو الـوصَالَ مِن الـغَزال الـنّافِرِ
مِنْ كُل بَدرِ دُجَى وغُصْنِ أراكَةٍ فــــــى عِزّ آسَادِ وذُل جآذِرِ
يُعْطِى طِلا الـــفَاظِه ولحـــاظِه فـــى كـأسِ مَخْمُور وكـــأسِ مُسَامِرِ
لله أيّامٌ سَلَفْـــــنَ بِوَصْلِه والــدّهــرُ مُمـتَثِلٌ لأمــرِ الآمرِ
إنْ فَاتَنـى طِيـبُ الـزّمـانِ بـه فَلِى عِوضٌ بِطِيـبِ حَديـث عَبدِ الـقـادرِ
مَوْلَى نَرَاهُ نَتَقِيـــــهِ مَهابَـــــةً مِن حُسْنِ آثـــارِ وطِيـــبِ مَآثــــرِ

يُرْضِيــــــكَ مِن أخلاقِه وخَلاَقِه … بــريـــاضِ آدابٍ وكـــنْزِ مَفَاخِرِ
وفَضَائــلٍ زيــنَت بــحُسْن فَواضِلٍ … ومَحَاسِنٍ رَاقَتْ لــعَينِ الــنَّاظِرِ
اللهُ أكــبَرُ إنّ آيــــةَ فَخْرِه … كُبْرى ورَاثَةُ كَابِرٍ عــــن كَابِرِ
مَولاَىَ لـمْ أخْطِر مَديـحَكَ خَاطِرا … إلاّ لأنــك ثَابِتٌ فـــى الخَاطِرِ
فـاقـبـلْ هُديـتَ هَديـةً مِن شَاعـرٍ … إنّ اقــتـراحَ الـشِّعرِ مَنْحُ الــشّاعِرِ
مـا قَصَّرَ الـعَبْدُ الـصّلاَحِى وزنُهـا … إلا لِفَهْمٍ عَـــــن جَنَابِك قَاصِرِ

وله أيضًا :

اسْقنَا مــــن يَدَيْك قَهْوةَ بُن … وأدِرْهَا مَمْزُوجَة بِرِضَــــابِكْ
لا تحـــكّم سِوى كُئــوسِكَ فِيــنَا … أنـــتَ كُفْءٌ ونَحْنُ مِنْ خُطَّابِكْ

وله أيضًا :

اتّخذْ سَاقِيًا وإنْ تَعْدَمِ الــــرّا … حَ فَمِنْ رِيــقه الــشّهِىّ أدِرْهَا
وإذَا لَمْ تَجِدْ لِسَاقٍ سَبِيــــــلاً … فـــاطِّرِحْهَا هَمَلاً لاَ تَعْتَصِرْهَا

وله أيضًا :

بالأشرفـــــيّةِ شَادِنٌ … ظَبْى الــكُنَاس لَه الــفِدَا
يَهْدِى الـــسّراةَ جَبِيـــنُه … فَجَبِيــنُه صُبْحُ الــهُدَى
فِى عِطفِه هَيــفُ الــصّبَا … وبِلَحْظِه سُبُلُ الـــرَّدَى
لَولاَ الحـــياءُ ومَا أرا … قَبُ مِن مُرَاقَبَة الــعِدَا
لــتَسَاقَطــتْ بِخُدُودِهِ … قُبَلــى مُسَاقَــطَةَ الــنَّدَى

وله أيضًا :

جَاءَ داعِى الحبيــبِ يـدعُو لـوصْلِى … فــى مَحَلّ شَدَتْ عـلــى الماءِ وُرْقُه
فـــتَعَثّرتُ مِن سُرُورِى ومَا وَا … فَيــت حــتّى مَضَى وأومَضَ بَرقُه

وله أيضًا :

ربيعُ هــذَا الروْضِ قَدْ شَاقَنَا … بمَنْظَرٍ راه وعَـــرْفِ نَدى
لما كَسَتْه الــشّمْسُ حاكَى لَنـا … زُمُرّدًا مُوّهَ بالــعَسْجَدِ

وله يخاطب بعض إخوانه :

مَا غاضَ هذا الرّوضُ من مَائه وصَار لـــــــلأنداء مُسْتَمْطِرَا
إلا وقَدْ أنبَتَ إحْسَـــــانُكُم فيـــهِ رَبِيعًا بـــالـنّدى مُثْمِرَا

وله أيضًا :

أفْدِى بـرُوحـى ذلك الـغَالِى الـذى وافَى فـــأحْيَا رَسْم جِسْمِى الـبَالـــى
عــانـقْتُه فـشَمَمْتُ غــالـيـةَ الـشّذا مِنْه فَيَاللهِ شَمّ الـــــــــــغَالِى

وله أيضًا :

سَرَيـنـا واعـطـافُ الـنـسيـمِ تَهُزُّنَا نـديرُ مِن الصّهـبـا حَديـثَ شُجُونِ
فَخِفْنَا عُيـُـونَ الحـَـاسِدِيــنَ لأنـــنَا سَرَيــــــنَا مِن الأزهَارِ فَوقَ عُيُونِ

ووجدت بخطه ، ما نصه : « وقلت اختراعا لهذا المعنى ، ولا أعلم أنى سبقت إليه » :

جَزَى اللهُ أنـفَاسَ الـنـسيـمِ فـإنـهَا لِتَعْلَمُ سِراً فــى الـنــفُوسِ لَطِيــفَا
أسَرتْ إلـى الأغصَانِ عــنـدَ قُدُومِنَا حَديــــثًا فَمَدّت لِلـــسّلاَمِ كُفُوفَا
وهَزت سُروراً بـــالــتّدانِى مَعَاطِفًا وأهْدَت لَنَا مِنْهــــــا شَذا وقُطُوفَا

وله أيضًا فى الاكتفاء وقد أحسن :

بـــالله سَلا عـن حَالِ قَلْبــى وسَلا إنْ كَان صَبـــا إلـى سِوَاكــم وسَلاَ
والــــبُعْدُ كَوى الحــــشَا بِنَارٍ وسَلاَ يـــا نَارُ كُونـى الـيَوْمَ بـــرداً وَسَلاَ

وله أيضًا :

الـلـــيـلُ أمَا يُطـلـعُ لَيــلٌ صُبـحَا والـصّبـحُ أمـا يَطـلُبُ صُبْحٌ صُلْحَا
إنْ كــانَ مـع الــصّبَاحِ يـأتـى فَرجٌ يــا عـينُ تَســهدِى وبِيــتِى فَرَحَا

وله أيضًا :

ألْقَاكَ وفـــى حُشَاشَتــــى الأشْواقُ بـــدْرا شَخَصَتْ لحـــسْنه الأحْدَاقُ
لا يــــسْعِدُنِى إلـــيْكَ إلاّ كُتُـــبِى يـــا غُصْنُ أمـــا تَرُوقُكَ الأوْرَاقُ

وله أيضًا :

خَدّى لخُيــــولِ أدمُعــــى مَيْدَان والــــشَّوق رِجَالُ عــــزْمه فُرسَانُ
يـــا مَن وقَدْت لحــرْبِهِم نِيــرانُ مَهْلاً فـــلَكَمْ بـــفِكْرتِى دِيــوَانُ

وكتب إلى بعض الإخوان وقد أهدى إليه منديلا :

يـــا كـــاملاً أحيَتْ مكَارِمُه الـــنّدى نَعَدا لأمْراضِ الــــقُلـــوب طَبِيـــبَا
وردَتْ هَدِيــــتُك الــتـــى كـــانَتْ لَنَا كَقَمِيــــــــصِ يُوسُفَ إذْ أتَى يَعقُوبَا

منديـــلُ سِرك حينَ جاءَ مُبَشّرًا ... بالـــودُ سرّ خواطرًا وقُلُوبَا

كـانَتْ دُمُوعــى للـنَّوى مَسفُوحـةً ... فَحَفظْتُ فـيـه مَدْمَعًا مَسْكُوبَا

أوَدعتُه دُرا وعَنْهُ مَسَامعــى ... منكُمْ وصَوْنُ الـدُّر لَيـس عَجِيـبَا

لَكِن تَعَلّمتُ الـنَّدَى فـوهَبْتُ بـعـ ... ـضَ أحِبَّتى ممـا وهَبْتَ نَصيـبَا

لا زال رَبْعُك بـالمـكَارِمِ آهِلاً ... ورَبِـيـعُ كَفّكَ بـالـنّوال خَصِيـبَا

وله أيضًا :

رُبّ شَخْصٍ يـظُنّ فيـنَا قَبيـحًا ... لَوْ تَروّى رأى الـقَبِـيـحَ شِعَارَه

قِيـلَ لى مَالَهُ سِوى الـرجْمُ بالـغيـ ... ـبِ سَبِيـلٌ فَقـلْتُ بَلْ بـالحِجَارة

وله أيضًا :

لقـد حَرَكَتْ نفْسـى إلى ذَلكَ الحِمَى ... مَنَازلُ تَمّتْ لـى بِهِنّ مَنَارُهُ

انـفسِى مَهْلاً ليـسَ بـالـسَّعْى يُبْتَغـى ... مَكارِمُ أخـلاقٍ بِهِنّ مكَارِهُ

وله مطرزا باسم أحمد :

أمَانًا قَدْ أضرَّ بنَا الجـفَاءُ ... فـقَدْ فَعَلَتْ لحَاظُكَ مـا تَشَاءُ

حَلا فِيـكَ الـغَرامُ لِكُلّ صَبّ ... وحُبّـكَ مَا لأوله انْتِهَاءُ

مُلُوكُ الـعَاشقِين لَدَيـكَ جُنْدٌ ... وأنـتَ لـشَمْسِ دَولَتِهِم ضِيَاءُ

دُمُوعُهُم قَد انْسَكَبَتْ لِكَىْ مَا ... تُظلّلك مِن سَحَائِبِهـا سَمَاءُ

وله أيضًا فى ألثغ :

وألثغُ حلْوَ الـثّغْرِ مَنّ بـقُبْلَةٍ ... فـنَمـتْ بـه أصْدَاغُه وهى واواتُ

فـقـلـتُ أما لِلْحـربِ عِنْدك غـايـةٌ ... فـقـالَ ذُوابَا تـى لحـرْبكَ غَايَاتُ

وله أيضًا :

مُذْ أتـى مـنكُم بَشِيـرٌ يُحَاكى ... بُلْبُلَ الـرّوضِ مُعْرِبًا ألْحَانَهْ

هزَنـا الـشّوقُ لـلـصّبُوحِ صبَاحًا ... فَسَبـقْنَاكُمُ لبَابِ الْحَانَهْ

وله أيضًا :

بنـفسِى نَحـوٌ يـا سُيـوفَ لحاظه ... غدتْ عُمدَتى فـى الفِعْل وهى ضِعَافُ

يُضـاف إلـيه كُلّ معْنَى وإنّهُ ... عـلـى عِزّةِ الإدْلالِ لَيـس يُضَافُ

وله أيضًا :

مُذْ لاح فـى المرآة فـاتـنُ شكْله ... وجَلاَ بِوَجْهَيـه لَنَا قَمَرَيْنِ

صَحّ افْتِتَانُ الـعَاشِقِين فـإنـهُ ... حَازَ الـوجَاهـةَ وهـو ذُو وجْهَين

وله أيضًا هذه القصيدة الغراء :

بُثّا عن النّائى الغَريبْ جُمَلاً مِن الخَبَرِ العَجيبْ
واستَوقِف الرُّكبَانَ ما بين الأراكَة والكَثِيبْ
واستَنشِدِ القَلْبَ الذى قدْ ضَاعَ مِنْ بين القُلُوبْ
سَلَبَتْه يومَ الدّوحتَيْـ ـنِ طَليعةُ الرّشأ الرّبيبْ
وسَرتْ بِه نحو الخيَا م يدُ الصبَا ويَدُ الجنُوبْ
تَرنُو الهوادجُ عن صَفَا شَمْسٍ تميلُ إلى الغُروبْ
والبَدْرُ يظهرُ من خلاَ ل السُّجف فى مَرْأى عَجِيب
والبرْقُ يَخفِقُ والأزا هِرُ مِثل قَلْبِى فى وَجِيبْ
يا حَادِيَ العِيسِ التى سَارتْ على قَلْبِى الجنيبْ
عَلِّلْ عَليلَ هوًى فَعَهْـ ـدُك مَا تَقَادَم بالطَّبِيبْ
أنفَاسُه الحَرّاءُ لا تهْدى بمدْمَعه السكُوبْ
كالخال يَرتَعُ فى النَّعِـ ـيمِ ويشتكى حَرّ اللّهِيبْ
يصبُو لِمُعْتَلّ النّسيـ ـمِ ويستَريحُ إلى الهُبوبْ
إنِّى وإنْ شَطّ النَّوَى وقْفٌ على حُبّ الحبيبْ
كابَدْتُ ما كَابَدت مِن شَقٍّ المرائرِ والجيُوبْ
وعَلِمْتُ كيفَ تَقُومُ أسْـ ـواقُ المعَارك والحرُوبْ
ولقيتُ دُون البِيضِ وقْـ ـعَ السُّمر بالصَّدْرِ الرّحِيبْ
مِن كُلّ ريمٍ جائِلٍ فى بُرد جِرْدَته القَشيبْ
يحكِى الغَزالَةَ فى الترَفُّـ ـعِ والغَزَالةَ فى الوثُوبْ
ألحاظُه تَرويكَ دِيـ ـوانَ الحمَاسَة عن حَبيبْ
وقَعاتُ أسهُمه تَرَكْـ ـنَ جَمِيعَ جِسْمِى فى نُدُوبْ
وقَفَ السّقامُ على الورَى ولمهْجَتِى أوفَى نَصيبْ
لو أغرقَ الشّعراءُ فيـ ـه لأخّروا وزْن النّسيبْ
أسَفِى على عُنفُوَ عُمْـ ـرِمَرّ فى عَيْشٍ خَصيبْ
حيثُ المسَرّةُ فى دُنُـ ـوٍّ والمسَاءةُ فى هُرُوبْ
حيثُ الشّبِيبَةُ لم تُشَبْ بتُرابِ تَغْيِيرِ المشيبْ
عُمْرٌ وَفَى دهْرِى بِهِ فَعَجِبتُ مِن صِدْق الكَذُوبْ

كَمْ لَيلَةٍ عانقْتُ فيـ ـهـا قَامةَ الغُصْنِ الرّطِيبْ
فى مَعْهَدٍ مَا فَضّ عنْـ ـهُ الأنسُ إلا ختْمَ طِيبْ
والزهرُ يضحَكُ من بُكَا ءِ الطَّلِّ بالثغرِ الشَّنِيبْ
والريحُ تكْتبُ فى الغَديـ ـرِ حَديثَ أسْرارِ الغُيوبْ
والطيرُ تقرأ والغُصُو نُ تَهز أعطافَ الطّرُوبْ
والوُرق تَصْدَحُ فى الغُصُو نِ بصَوتٍ مَحْزُونٍ كَئيبْ
فى رنّةِ الشَّادِى وهَيْـ ـنَمَةِ القَطَا والعَنْدَلِيبْ
عَجْمَاءُ تُعْرِبُ فى السُّؤا لِ وتَسْتَجِيبُ بِلا مُجِيبْ
والليلُ أرسَلَ ذَيلَهُ رصَدًا على أعلَى القَضِيبْ
يحكِى الشّعُورَ كأنّه يروِى الفُروعَ عن الخطِيبْ
فَجَعَلْتُ وِرْدِى وَرْدَ خَـ ـدّ وافرٌ منْه نَصِيبِى
أدنُو وأحْشَائى من الـ ـحدثَان فى شَكٍّ مُرِيبْ
لَولاَ الرقيبُ ظَفِرتُ من لُقْيَاه بالفَرَجِ القَرِيبْ
وكَشَفْتُ من وَصْلِى به مَا قَد ألَمَّ من الكُروبْ
بُعْدُ الحَبِيبِ أخَفُّ عنْـ ـدى مِن مَواقِيتِ الرّقِيبْ
دَارٌ يكُون بِهَا عَدُوى لا أحِبّ بِهَا حَبِيبِى
إن الثّواءَ على النَّوى من بعْضِ حِرمَان الأدِيبْ
مَن يَخْطبُ العَلْيَاءَ هَا نَ عليه تَرويعُ الخطُوبْ
يا دهرُ ويْحَك كَيف قَا بَلْتَ المنَاقِبَ بالسُّلُوبْ
ورَفَعْتَ كُلَّ مُؤخّرٍ وخَفَضْتَ مِقْدارَ الحَسِيبْ
حَسْبِى الفَضَائِلُ والعُلا والفَضْلُ لَيس مِن العُيوبْ
حَسَنَاتُ مِثْلِى مَن حَلاَ كَ وليسَ ذَنْبُك مِن ذُنُوبِى
مَا حَلَّتِ الآذانَ إلاّ حلْيَةُ الفَطِنِ اللّبِيبْ
لو أنْصَفَ الرّامِى لَبَا نَ العذْر فى خَطأ المصِيبْ
إنْ كانَ جُهْدُ الدّهر صَرْ فَ نُقُودَ عُمْرى فى المغِيبْ
فابنُ الصّلاحِىّ غَرِيـ ـبٌ لا سَلاَمَ علَى الغَرِيبْ

ولهِ أيضًا :

حَدثَا عـنْ حـدَيـثِ شَوق قـديم | يَا زمـانَ الحِمَى وربْع سـيُوطِ
كُلّمـا قُلـت ربْع أسـيُوطَ يـدنُو | صُكّ وجْهُ الـرجَا بـكَفّ قُنُوطِ

وله :

يَهْواهُ قَلْبِـى ولكِنْ | للـنّفْسِ عَنْهُ أكُفُّ
وقـدْ يُغَصّ بِمَـاءٍ | تَنَازَعَتْـه الأكُـفُّ

وله :

وكـانَ لِى الـشّعـرُ فـى طَاعَةٍ | فَلمـا عَجزْتُ عصتْنِى القَوافِى
فـهل لـى بِهـذا الجفَا سَيـدِى | تُوافِى لَعلّ الـقَوافـى تُوَافِى

وله :

اللـشّعْـرِ سعْرٌ فـاْستَامَه | واقـرِضُ لـلدّهـر منـهُ قَريـضَا
ولـيـسَ قُصَاراى لكِنّنِى | لأجلِ الخليلِ عَشِقْتُ العَروضَا

وله أيضًا وقد أبدع :

لـمْ أشْربِ الخمْرَ عـلـى ريـبَةٍ | وإنمـا دمْعِى لَهَا يَحْكِى
ذابَ الحشَا حـتـى جَرى مِن فَمِى | فَهَا أنَا أشْرَبُ مَا أبْكِـى

وله أيضًا :

لأمـنِى فـى هَواهُ مَن لَوْ رَآه | كـانَ يـفْدِى بالـعَيْنِ ذاكَ الخـليـلاَ
ربّ مَتّعْ بِه عَيـان عُيُونِى | وأدِمْه فـى صِحّةٍ والخَـلِى لاَ

وله :

ولـمْ أنـسَ لمـا ودَّعَتْنِى ودمْعُهَـا | يتـرجِمُ عن مكْنونِ مـا فِى فُؤادِها
فـقـلْتُ لهـا هَلْ فِيـكِ بُلْغَةَ رَاحِلٍ | فـأنت مُنَى نَفْسـى وفـيكِ مُرَادُهـا
فكـادَتْ وحَقّ اللهِ لـولاَ رَقيـبُهَا | تُزَوّدنِى مِنْ عَيـنِهَا بِسَوادِهَا

وله :

عَادَنِى مَنْ أُحِبُّ لَيْلاً واهْدَى | لِى مِنَ الـزّهْرِ وردَةً صَفْراءَ
قـلتُ أهْديـتَ لَونَ سقْمِى فَلَوْ أهْـ | ـدَيْتَ وردَ الـشّفَاه كـانَ شِفـاءَ

وله :

الحـسْنُ مَالٌ والـوِصَالُ زكَاتُه | مَن جَادَ بـالمـزكَاةَ اثـمَرَ مَالُهُ
فانـعِمْ بوصْلٍ مِنْك يا بَدْرَ الـدُّجى | فـالحسْنُ اقـربُ مَا يكُون زَوالُهُ

إنْ كانَ مَعْروفٌ فهذا وقتُه ... حاشا الكريمَ أنْ يُردَّ مَقالُهُ

وله :

يَا للرِّجَال لألحاظ قد اتَّخذَت ... من سِحْرِ بَابلَ أحْداقًا وأهدَابًا
ومَا كفَى عينُها النجْلاءُ من كَحَلٍ ... حتى رَمتْ بسهَام الكُحْلِ ألبَابَا
يرنُو بها رَشأٌ يختالُ عن مَيَلٍ ... فكُلَّمَا فتكَتْ يزْدادُ إعْجَابَا
مَن يستطيعُ مقيلاً من مَصَارِعها ... وطرفُها قدْ غَدا للْقلْب جَذّابَا
تلكَ الشهادةُ فاشهدْ فى حِيارتِها ... ولا تُطِعْ عَاذلاً لا زَالَ كَذّابَا

وله أيضًا وقد أحسن فيه :

ذَكَر الْغَضَى فحَنتْ علَيه ضلُوعُه ... صَبٌّ سقتْ وادى العقيقِ دُموعُهُ
لَولا الهَوى والنائُ يصدَعُ شَمْلَهُ ... مَا كانَ ريبُ الحادثَات يَرُوعُهُ
يَبْكِى الفَرِيقَ وما استَحَقّ فِراقُهم ... من دَاءِ طَرْف بَانَ عنْهُ هُجُوعُهُ
وحَشا تقَسّمه الغَرامُ فحزْنُه ... عِنْدى وفى تلكَ الركَاب جَميعُهُ
قلبٌ يقَلّبُه الأسَى فكأنهُ ... بيتُ العَروضِ اعتَاده تقْطيعُهُ
وَاهًا لِهَذاك الزّمان ومَنْ لَهُ ... من مُسْمِع ومن البعيد رجُوعُهُ
زمنٌ يَودُّ الصَّبُّ أنْ لَو يشترِى ... مَا بَانَ منه بعُمْره ويبيعُهُ
حيثُ الأمانى ملكُه والدّهرُ لا ... يعْصِيه والأصْلُ الأبىُّ يُطِيعُهُ
لَوْ كانَ ينْجَعُ سَيلُ أدمُعه على ... أيّامه سَالتْ وسَالَ نَجيعُهُ
حيّا الحَيَا ذاك الحمَى من مَربع ... أربَى ربّاه ومُشْتهَاى رُبُوعُهُ
مع شَادنٍ لولا مُسَارقةُ المهَا ... لحظَيْه فَاقَ علَى الغزال صَنيعُهُ
فتّانُ معْسُولُ الرضَاب فَدَيتُه ... لوْ كان يُرقَى فى الهوَى ملْسُوعُه
قَاسٍ يَرَى ذُلِّى لِعزّ مكَانه ... ومنَ العجَائبِ أنْ تَعزّ منُوعُهُ
فقضَيتُ منه لُبَانَة الشوْقِ الذى ... وقفَ الفؤادُ علَى الشُّجون ولُوعُه
فمَضتْ وأومَضَ بَرقُ خُلّبِها وهَلْ ... يبقَى المنَا والنّائباتُ تُضيعُه
واليَومَ أقنَعُ بادّكار حَديثه ... إنْ كانَ يُغْنى المستَهَامَ قُنُوعُه
وبحبّ آلِ البَيتِ أصلُ مكَارِمِ الأ ... خْلاقِ أفضَلُ مَن سَمَا ينبُوعُهُ
يحلُو التغَزلُ والصّبَابَةُ والهوَى ... والحبُّ ما بالقرْبِ فاحَ مضيعُهُ
لى منْهُم الغصْنُ الذى طابَتْ أصُو ... لُ كَمَالهِ فسَمَتْ علَيه فُروعُهُ

حسنُ المحيَّا مَن يؤمّلُ مَجْدَه ... قد تمّ في ذاك الجمَال طُلُوعُهُ
مَن قَام يَنْصبُ نفسَه فإذا بِهِ ... نحو الكَمَال قد انتهَى مَرفُوعُهُ
السّيدُ الحسَنُ العَلي بنُ العَلِي ... من لم يفُتْه من العُلا مجمُوعُهُ
يا ابن النّبيّ إليكَ شرحُ صبَابتي ... يَحلُو بذكْرِك سَيدي توقيعُهُ
شكوى أسيرُ هوًى ومُطلَقُ عَبرَةٍ ... ذُلّ الخضُوعِ إليكَ منْه شَفيعُهُ
ما ضَرّهُ وهَواك منْ مَحمُولِه ... إنْ كان يُرفَعُ في الهوَى مَوضُوعُه
فَبحقّ جَدّكَ خَلّ عن حَدّ الهوَى ... إنْ كان ينْفَعُ في هَواك خضُوعُه
وانظُرْ إلى قَلْبِ صَريعِ نِكَايَةٍ ... من غَيْر طَرْفكَ لا يفيقُ صَرِيعُهُ
وحَشَا تصَدَّعَ من مُكابدَةِ الأسَى ... لولاَ الهنَا ما نَالَهُ تَصْديعُهُ
واعطفْ عليه فقَدْ تمزقَ قلبُه ... أيدي سَبا فعَسَى يُرمُّ خَليعُهُ
وأدرْ على الأوقَات صَهْباءَ الصفَا ... فالدّهرُ أينَعَ زهرُه وربيعُهُ
ما شَانُ عصرٍ أنتَ واحدُ حُسْنه ... أنْ لا يَتيهَ على الزّمَان رَبيعُهُ
وإليكَهَا من مُدنفٍ مَلَكَ الغرا ... مُ جَميعَه مذْ بَان عنْهُ جُمُوعُه
حاكَ الصّلاحي وشيَهَا فَطرازُها ... تكْميلُه قدْ زانَه تَرْصيعُهُ
ضَمنَتْ مَعانيهَا البيَانُ فكُلّها ... بيتٌ تلاعَبَ بالعقُول بَديعُه
فاقْبَلْ ومَا ضَاقَ الفَضَا إلاّ ومنْ ... نَفثَات سحْرِك يستَمدّ وَسيعُه
لا زالَ يَخدمُ بَابَ سُدّتك التي ... حلّتْ من المجْد العزيزِ رفيعُه

ومن غرر قصائده ما مدح به شيخه الشمس الحِفنى قدس سره وقد أجاد :

لهذَا المحيّا طلْعةُ الشمْسِ تسْجدُ ... ومن ذكْره دوحُ الشنَا يتَأوّدُ
وألسنةُ الأكْوان كالوُرْقِ كلّها ... بذكْرَاه بَين الخافقَين تغَردُ
مُحَيا علَيه للقَبُول طَلاقةٌ ... يُزِينُ حلاَهَا حَليُ مَجْد وسُؤددُ
مُحَيا إمَامٍ بَيضَ اللهُ وجْهَهُ ... فَوجْهُ مُشَانيه من الخزْيِ أسْودُ
أمامُ الهدَى الراقي إلى ذُروة العُلا ... إلى رتْبة عنْها الثوابتُ تقعُدُ
إمامٌ له في المجْد فخر مُؤثّلٌ ... وفي رتْبة العَلْيَاء عز مُؤبّدُ
إمامٌ حمَاهُ اللهُ من كَفّ لامسٍ ... كذاكَ الثُّريا لَيس تُدركُها اليَدُ
أمعراجُه السّامي ينَالُ فيرتَقي ... وليسَ سواءً سيّد ومُسَوّدُ
فما شِئتَ قلْ فيه فأنتَ مُصَدّقٌ ... مزايَاهُ تقضي والمحَاسِنُ تَشْهَدُ

مَزايــا يهزُّ الــغُصْنُ أعطَافَه لَهــا ... ويثنى عـلـيـه الكَونُ طُرا ويـحْمَدُ

وأيـدٍ يُبـارِى الـريـحَ وكَفُ أكُفِّهـا ... عـليـهـا ازدحَامٌ فـهى لِلنّاس مَورِدُ

وفَضلٌ أقـرَّ الـنـاسُ وهــو شَهَادةٌ ... لـهُ أنــهُ فـى حَلْبَةِ الـفَضْلِ أوحَدُ

فــيَاللدُروسِ كَمْ بَهـا حَيٍّ دارسٌ ... من الـدّيـنِ يُحْيِيـه بـهَا وُيـجَدّدُ

دُروسٌ يَرى فيـها ابـنُ إدريسَ راحـةً ... ويـصفَرُّ منْهـا مَن يَغَارُ ويَحْسدُ

فـلَيْس لأمّ الـشَافعيّ قـرابـةٌ ... سواه ولا صِنْوٌ لَهُ بـعـدُ يُولَدُ

فَيـا فَاتحًا عـينَ الـعَمَى لـيَرَى بهـا ... مَعـايبَ غُضّ الـطرْفَ أنـكَ أرمَدُ

ويَا مُنْكِرا سَعْىَ الإمــامِ ووقتَه ... ابـعْد وقَد قَال المــؤذنُ أشْهَدُ

ابـعـدَ ثَنـاء الـكَونِ والـكَونُ نـاطِقٌ ... يُوافيـه مِن عـزّ المنَاقب تجحـدُ

ويا مَنْ يَسُودُ الأسْدَ بـالسُّوء خَلّ عـن ... محَالك هـذا الـيـومَ حَتْفُك أوغَدُ

أخَا العزْمِ كَمْ ذا أنتَ تُتهِمُ فى السُّرى ... إلـى غَيـرِه تَبـغى الـنَّجَاحَ وتُنْجِدُ

وفـى بَابِه الـعَافُون مِن كُلّ وجْهَةٍ ... يُطـوفُون فـى أرجَائـه فـهـو مَسْجِدُ

ونجـمُ الـثُّريّا ثَابـتٌ فـى رِحَابِهِ ... ومِن دُونه فـى مَقْعَد الـصّدق فَرقَدُ

وبِشْر رَوى عن وجْهِهِ الـبِشْرَ والرضَا ... وعـن رأيــه المحْمُود يَروى مُسَدَّدُ

نـصَحتُك لا تـنزِلْ بِغَيْرِ مَقَامِه ... فـلَيـسَ سِواهُ فـى الحَوادِثِ يُقْصَدُ

فـيـا نَاصِر الـدّين الحـنيـفىِّ ظاهـرًا ... بِبَاطِنِ سِرٍّ سِرْ فـأنـتَ المـؤيَّدُ

وقُمْ سَيـدى بـالعـزْمِ فـى نَصْرِ ديـننَا ... وجُدْ لى بحُسْنِ الرأى فالسّعْى أحْمدُ

ألا إنّ بَيـتًا أنـتَ عَامرُ رَبْعه ... وأنـت إمَامُ الـكـون فَهـوَ المشَيَّدُ

أمَولاَىَ إنّ الـنـاسَ أمّا مُبْغِضٌ ... إلـيـكُ فـيشـقَى أو مُحبٌ فـيسْعَدُ

وهل يَبـتغى الإسْلامَ والدينَ والـتقَى ... وبُغْضَك يـا مَولاى قـلـبٌ مُوحّدُ

أمَولاىَ شَكْوى مِن زَمـانٍ عَهِدتُه ... تـغَيّر مِن حَالٍ لـهُ كُنـتُ أعْهَدُ

فَمـا بـالُ ربْعِ الـعِلْمِ أصبَحَ دَارسًا ... ومـا بالُ شَمـسِ الأنـسِ وهو مُبـدَّدُ

ومَالـى أرى غَيْمَ الجـهَالة مُطـبـقًا ... فَيُبرِقُنـا مِن غَيْر قَطْر ويُرْعِدُ

ايـنْهَرُ سَحْبـانَ الـبَلاغـة بـاقـلٌ ... ويـصْبِحُ بـالإعـيـاء قُسٌ يُهَدّدُ

فـيَا لـهفَ نَفْسى مِن عَنـاء وحَسْرةٍ ... ويَا نَارَ هَمٍّ بـينَ جَنْبَىَّ تُوقَدُ

ويَا زَفْرةً قـدْ أولعَتْ بـحُشَاشتى ... فتـكْمُن فى جِسْمِى الـهُمُومُ وتصْعَدُ

مِن اجْلِكَ يَومِى مِثْلَ لَيلِى فى الأسَى ... فَدَهْرى وطَرْفـى أسْودٌ ومُسَهّدُ

ولـيـسَ أخُو مَجْدٍ طَريـفٍ وتَالـدٍ ... كَمَنْ فـى ذِراعَيْه سِقَاءٌ ومِزودُ

أمولايَ هذى سُنّةُ الله لَمْ تَزلْ ... علـى ألسُنِ الأعلامِ تُروى وتُسنَدُ
ولَوْ كان للإنصافِ والحقّ مَهْيعٌ ... يُرامُ فيُحيَى أو طَريقًا فيُقصَدُ
لكانَ لذى القلبِ المصانِ تَبصُّرٌ ... فيبلُو به صرفَ الصرُوف وينقُدُ
ولكنّها الأقدارُ تأتى بِضِدّ مَا ... يُحاولُ فهوَ المخطئُ المتعمِّدُ
أمولاَى يُهنيك الرُّقِيُّ إلى العُلاَ ... برَغْمِ المساوِى والفَخَارُ المؤبّدُ
ويا قَلَمَ السّعدِ الذى هُو لَمْ يزَلْ ... يُوقِّعُ فى إسعَادكُم ويُجَوِّدُ
أمولايَ ما بَالُ الرّعاعِ تفرّقُوا ... وكانُوا بأطواقِ الولاَءِ تقلّدُوا
لئنْ غضبُوا فاللهُ راضٍ ولمْ يزَلْ ... يُعينُك بالنّصرِ المبينِ ويمُددُ
لقدْ كشفَ الخذلانُ مكتُوم سرّهم ... وأخطاهُم منك الولاَ والتودّدُ
ومَا شئتَ إلا الحقّ في السّخطِ والرضَا ... وذكرُك فى الحالَين إيّاك نَعبُدُ
فإنْ كنتَ لمْ تَغضَبْ فلله غيرةٌ ... عليكَ وحَربٌ نارُها ليسَ تخمُدُ
لقَدَ رغمَتْ آنافُهم وتصدّعَتْ ... قلُوبٌ من الشّحناءِ منهُم وأكبُدُ
ولو أنصفُوا كانتْ لَهُم مِن نُفُوسِهِم ... زَواجرُ تَهْدى للصّوابِ وتُرشِدُ
فتُرضيكَ منّا أنفُسٌ نشَأتْ علَى ... رضَاك ولا يُثْنَى هَواهَا المعقّدُ
وحُبُّك نَفْديهِ بكُلّ علاقةٍ ... وبالنفسِ بل بالعَينِ فهوَ مؤكّدُ
وأصْحابُك الغُرُ السّراةُ هُمُ هُمُ ... فكُلُّهُمُ مولَى كريمٌ مُمجّدُ
بَقيتَ بَقاءَ الدهرِ أنك سَيّدى ... بآثارِكَ الحسْناءِ فينا مُخلَّدُ
ودُونَك بِكْرا بِنتَ فِكْرٍ أجادَها ... يُرجّى نَداك ابنُ الصّلاَحى مُحمّدُ
أجَبتُ بها داعِى القَوافى ومَهْرُها ... قَبُولِى ولى مِنْ رَاحتَيْك تَعوُّدُ
فدَعْ سَيّدى حَسّان مَدْحِك بالذى ... يُحاولُ من مَدْح وذَم يُعرْبِدُ
فكلْنى إلى ما شئتَه من بَديهةٍ ... فإنّى بمَا أرضِيكَ أنشِى.وأنشِدُ
وهَبْنى ذَرُوراً من نَداكَ فإنّنى ... لأرمَدُ من داءِ الأسَى وهْى إثْمِدُ
بجدّك طهَ مَن شرفْتَ بحبّه ... وطَابَ لَه من جاهِه لكَ مَحْتِدُ
عليهِ معَ الآلِ الكِرامِ تحيّةٌ ... تنالُكَ منها رَحمَةٌ ليسَ تنفَدُ
.مَدَى الدهرِ ما قَال الصّلاَحى مُؤرخًا ... هُوَ العِزُّهَا من أجلِهِ دُحضَ العَدُو

ولـه أيضًا :

أحِنّ لأيّامِ الهوَى وعذابُها ... أليمٌ ومَا عَهْدى لَهَا بِقَديمِ
وإنْ كانَ شِعْري ضَاع فيه فإنّ لى ... بقَايا ومَعنَى الفِكرِ غيرُ عقيمِ

وله أيضًا :

هواكُم قد تحكّم فى فُؤادى   هواكُم قد تحكّم فى فؤادى
ومَا زُرتُم ولا هبّت رِيَاحٌ   ومَا زُرتُم ولا هبّت رِيَاحُ

وله أيضًا :

إنْ رُمْتَ تصْحَبُ شَخصًا   وليسَ مِن أقرَانكْ
فَانظُرْ لهُ واختَبِرْه   وزِنْهُ فى ميزَانِكْ
فنقصُ مَن لَك يُعْزَى   لمقتَضَى نُقْصَانكْ

وله أيضًا :

يا حَسنًا قد غدَتْ بضَاعتُه   حِليَةُ أهْلِ الكَمَالِ والفَضْلِ
بَابُوجكُم مُعْجِبٌ لِنَاظِرِه   لكِنّه ضيّقٌ عن الرّجْلِ
فَأبْدِلُوا ضيقَه لنَا سعَةَ   وعَامِلُونَا بِقِسْمَةِ العَدْلِ
وعِندنَا لاجْتِمَاعِكُم شغَفٌ   فشرّفُوا دَارنا بِلاَ مَهَلِ

وله مشطرًا :

ويَوْمَ أُنسٍ بِهِ اقتَنَصنَا   ظَبْيًا تَهابُ الأسُودُ قَنْصَهْ
طابَ بِهِ الوقْتُ فانْتَهَزْنا   مِنَ الزمَانِ الخئُون فُرْصَهْ
فى رَوضَةٍ زانَها ربِيعٌ   كَمّل صَوبُ السّحَابِ نَقْصَهْ
نَسِيمُها مُذْ حكَى شذَاها   بهِ غدَتْ لِلْعقُول نقصه

وله :

هذه الدّارُ والعَوَارِضُ حَالَتْ   عَن وصُولى فاخضَرُ العَيشِ أغبَرْ
وعُهودُ الحبيبِ كيف استحالَتْ   ليتَها كالخدُود لَمْ تتَغيّرْ

وقال ارتجالا فى مجلس أنس حفت به الأحباب من ذوى الألباب :

شَاق طَرْفُ السّرور ظُرفَ الربيعِ   فتَملّى بحُسْنِ تلك الربُوعِ
ما تَرى الزهْر ضَاحِكًا لِبُكاءِ الطّـ   ـلّ مِن دُر قَطرِه بالدُّمُوعِ
وغصونِ الرّياضِ تخلَعُ أثوا   بَ التّدانى على النّديّ الخليعِ
فأنِسنَا بجَمْعِ إخوانِ صدْقٍ   زان طبْعُ الوفاء قَدْرَ الجميعِ
يا صَلاحِى أرِحْ فُؤادكَ والبَسْ   مِن بَشِيرِ اللّقا قَمِيصَ الرجُوعِ

ثم أنشد فى المجلس إرتجالا :

إلى القبةِ الفيحاءِ سرنا فسرنَا ... ربيعُ المنى من ثغرِ طلعتها الغرا
أنسنَا بها من كلّ بدرٍ ولا نرى ... عجيبًا طلوعَ البدرِ فى القبةِ الخضرَا

ثم أنشد عند التهيؤ للقيام من ذلك المجلس :

يا نهارَ السرورِ كيفَ اختلسنا ... فيكَ أنسًا كأنما هوَ شكٌّ
قد أنسنَا فى فتحهِ بالتدانى ... ودهانَا ختامُهُ وهو مسكُ

وله أيضًا :

قد كنتُ أهجُو الرقيبَ حينًا ... لأنهُ يرصدُ الحبيبَا
والآنَ لمّا نوى التجافى ... عشقتُ من أجلهِ الرقيبَا

وله :

يظنُّ سلُوىّ حين شاهَدَ ادمعِى ... تحلّى بدرٌّ ترْبَه وترائبَهْ
وحقكَ مَا شَابتْ هوايَ وقدْ جرتْ ... دمُوعِى من عصرِ الشبيبَةِ شائبَهْ

وله أيضًا :

إنْ أذنبَ الدهرُ بتقديمِه ... مَن ليس يدرى قيمةَ الشعرِ
فبسطُ إحسَانِك يا سيدى ... مَا زالَ يمحُو زلّةَ الدهْرِ

وله :

أشرْتُ لهَا فى قُبلَةٍ ورقيبُهَا ... شَهيدٌ وغيمُ الأفقِ قد غيّبَ الشمْسَا
فقالَتْ بعينيهَا تُشيرُ إلى السمَا ... فيَا حُسْنَ معنَاهَا الذى سَلَبَ الحِسّا

ومن غرر قصائده التى أبدع فيها وأجاد ، وأشار فيها بالمدح لشيخه الشمس الحفنى ، قدس الله سره ، وهى هذه :

مِلْ بى فقدْ وقدَ الهجيرْ ... إنِّى بظلِّك مُستجيرْ
وأرحْ مَطيّك يا سَميرْ ... فلقدْ أضرَ بِهَا المسيرْ
هذَا الحمَى فارصدْ إذا ... ما استأنس الظبْيُ النفُورْ
واطرقْ كنَاس الغيدِ حيْـ ... ـثُ ينَامُ راعيهِ الغيُورْ
وامِطْ ستَائرَهُ فقدْ ... لك حينَ تنفتحُ الخدُورْ

واسْأَلْ مـن الـظـبْيـاتِ عـن ... عَهْدٍ تَضنُّ بـــه الـــصُّدُورْ
واحفَظْ فُؤادك أنْ تُصيـــــ ... ـــبَ عُيـــونُهن فَهُنّ حُور
مِن كُلِّ غَانيـــــــةٍ يَلُو ... حُ بـوجْهِهَا الــقَمَرُ المنـيـرْ
تــخْتــالُ فــى مَرَح الــشَّبَا ... ب فَيخْجـلَ الغُصْنُ الـنضيـرْ
تَسْعَى فـــيــقْعِدُهــا روا ... دِفُهـــا وتُنهضُهَا الخـــصُورْ
سكْرى رأتْ كَسْر الـــــقُلُو ... ب قـصـار نَاظِرهـا الـكَسِيـرْ
فـــعلَت بِسحْر جفُونهــــا ... مَا لَيْس تــفْعلُه الخـــمــورْ
خَنـــثَتْ معَاطِفُ قدهـــا ... لـــكنْ لـــواحظُهَا ذكُورْ
الله أكـــــبـــــرُ منْ نَشَا ... طِ جفُونهـــــا وبهَا فُتُورْ
يـــــا صَاحِ إنْ جُزْت الخيَا ... مَ ولـــلـــظِّبَاء بهَا ظـــهُورْ
قـــل لِلْبـــخيــلَةِ بــالـــزيَارَ ... ةِ مَا لطَيْفـــــك لايَزورْ
لـم أنـسَ إذْ وافـى الـبـشيـ ... ـرُ يـلُوح فـى فَمِه الـسُّرورْ
إذ أقـــبـــلَتْ ريـــحُ الْقَبُو ... لِ بـــهـا وأدبرَت الـــدَّبـــورْ
فـــضَمَمْتُهـــا وبِمـــهْجتى ... مِنْ حَرِ أشْواقى سَعيـــــرْ
فـــتَعَوّذَت بـــالـــرّوضِ مِن ... شَرٍّ بــــأنْفَاسى يَطيــــرْ
رَوضٌ تـــــعلّقَ بـــالمجَـ ... ـــرَّةِ مِن جوَانِبه نُهُورْ
تـــبـــدُو بِهِ زُهْرُ الـــزُّهـــو ... رِ لأنّه فَلَكٌ يـــــدُورْ
ضَحكَت ثُغـــــورُ زُهُوره ... فـبكـى لَهـا الـنـوء المـطيـرْ
وحَنَتْ نَواعِـــــرُه وحنَّـ ... ـــتْ وهـى من غَيـظ تَفُورْ
ذكَرَتْ قَـــــديمَ عُهُودِهَا ... فـانــهَلَّ مَدْمَعُهَا الــنَّمِيـرْ
يـا طِيـبَ أنـفــاسِ الـرّبـيـ ... ـــع فـفِى تَنَفُّسِهَا عَبِيـــرْ
والجـــــوُّ مَجْمَرَةٌ عَلَيْـ ... ــــهـــا مِنْ ضَبَابَتِهَا بُخُورْ
وافَتْ بِهِ رَوْدٌ بـــأسْـ ... ـــرارى لـهَا طــرفٌ خَبِيـــرْ
وسَعـت عـلــى طُرق الجـدَا ... ول والـــنّسيـــمُ لَهَا سَفِيـــرْ
وطُرُوسِ قَامَتِهـــا عـــلَيْـ ... ـــهـا مِن ضَفَائرهَا سُطـــورْ
يـا طِيـبَ مـا تُملـى الـشُّعـو ... رُ وحُسْنَ مــا نَقَل الـغَدِيــرْ
مَـــــا ذاكَ إلا فَرْعُ لَيْـ ... ـــلِ قـــد تَبَلّجَ فِيـــه نور
والْـــورقُ سَاجِعَةٌ لـــــهَا ... مِنْ كُلّ نَاحِيــــةٍ سَمِيـــرْ

عــــجْمَاءُ تُعْربُ عــــن ضَمَا … ئـــرِنَا ولَيْس لـــهَا ضَمِيـــرْ
والـــرِّيـــحُ تـــعتَنِقُ الـــغُصُو … نَ بـــهـــا فَتَعتَبِقُ الـــزُّهـــورْ
وبـــدَتْ شـــموسُ الـــراحِ تَحـــ … ـــمِلُها الـــكَواكِبُ والـــبُدُورْ
فـــقَضَيْتُ منــــهـــا مَا قَضَيْـ … ـــتُ وكـــانَ لـــى ولَهـــا أمُورْ
هـــــــذا كَلامِى الحُلْو أهْـ … ـــدِتْه إلـــى فَمِى الـــثُّغُورْ
وضَمَمْتُهـــــا عِنْدَ الـــــوَدا … ع وكُلُّ أنـــــفَاسِى زَفِيـــــرْ
وبـــكَتْ عيونُ الـــسُّحْبِ حيـــ … ـــنَ تـــسَاقَطَ الدّمـــعُ الـــغزِيـــرْ
نُحنَا مَعـــــــــًا فَتَحلَّت الأ … غصَانُ منّا والـــــــــنُّحُورْ
وسَرتْ وقـــــــدْ لاقَيْتُ منْـ … ـــهَا مَا يَطِيـشُ لَهُ الـــصَّبُورْ
صَبْرِى ومَـــــــا لاقَيْتُ إذْ … رَضـــيَتْ بـــه كـــلٌّ يَسِيـــرْ
رعيًا لِذَيَّاكَ الحِمَـــــــــى … والـــــطَّرْفُ مُبْتَهِجٌ قـــريـــرْ
ولَمْعَهَـــــــدٌ حَضْــــــبَاؤه … دُررٌ وتَربَتُــــــــــه ذَرُورْ
قـــد لَحّ بـــالـــقَلْبِ الـــغَرو … رِ وذلـــك الـــطَّرفُ الـــغَرِيـــرْ
ومُرُور أيّامِ الـــــصِّبَـــــا … مِنْ دُونـــهـــا الـــعَيْشُ المـــرِيـــرْ
أنّى يَروجُ الـــــعُمْرُ والأ … يـــــامُ تُنْهَبُ والـــــشُّهُورْ
كـــمْ أنجِـــدَ الـــسّارِى وكَمْ … تَهِمُ الـــــهُمُومُ بـــــه ثُغُورْ
مَنْ لـــــــــى بِدَهْرٍ لايُسَا … عِدُ فـــالـــيَسِيـــرُ بـه عَسِيـــرْ
أرجُو انْتِصَافـــــًا من زَمَا … نِ صَـــــــار عَادِلُهُ يَجُورْ
وحَوادِثٌ قـــــدْ آن فـــــى … كـــبـــدى لأسْهُمِهَا خُطُورْ
لـــــكِن بِجَاهِ إمـــــامِ هَـ … ـــذا الـــعَصْرِ لى فيـــهـــا نَصِيـــرْ
مَولــــــــى تَرَفَّعَ قَدْرُه … فـــلَهُ أنــــاملُنَا تُشِيـــــرْ
مَلأ الـــــــنَّواظِرَ منْه إجْـ … ـــــلالاً ولـــيْسَ لَهُ نَظِيـــرْ
وحِمَاهُ يـــــــنْفَكُّ الأسـ … ـــيـــرُ بِهِ ويـــسْتَغْنِى الـــفَقِيـــرْ
ونَدَى أيـــــادِيـــــهِ شَهِيـــ … ـــرٌ والـــقَلِيـــلُ بِه كَثِيـــرْ
مِننٌ تَذِلّ لـــــهَا الـــــرِّقَا … بُ ولا يـــقُومَ بِهَا الـــــشَّكُورْ
يـــا مَن بـــه تُهْدَى الـــسُّرا … ةُ لأنـــــهُ عَلَمٌ مُنِيـــــرْ
طَالَتْ لخِـــــدْمَتِكَ الـــــقَوا … فِـى والـــزمـــانُ بهـــا قَصِيـــرْ
وجَرت لـــــــنَحوِ حِماكَ آ … مَالِى وأنـــــتَ بِهَا جَدِيـــــرْ

وقُصُورُ مَدْحِكَ لَيسَ فى فَهمى لِرِفْعَتِهَا قُصُورْ
خذْهَا علَى شَرْطِ الصيـ رَفِ إنْ نَاقدهَا بَصِيرْ
جاءتْ تُعَارِضُ بالبيَا نِ وسَيفُ حُجَّتِهَا شَهِيرْ
يَحْيَا بصِحتِهَا العَليـ ـلُ ومَا لأضْرُبِهَا كُسُورْ
حَلَفَتْ بِكَامِل بَحْرِهَا ان لاَ تُطَاوِلَهَا بُحُورْ
حَسُنَتْ بمدْحِكُمُ كَمَا تاريخُهَا حَسَنٌ نَضِيرْ
مَا فِى تأخُّرِ عَصْرِهَا قدْ يُحْرِزُ القَصَبَ الأخِيرْ

وله :

عَجِبْتُ له كيفَ أمسَى الغَبِىُّ برُؤْيَاه وهْو مَلِىٌّ غَنِىّ
وأُحْرَمُ منه علَى فَاقَتِى ولكنّ كَمْ مَعْدِنٌ مع دَنِىّ

وله :

ذكرتُك لا أنِّى نَطقْتُ وإنما ذكرتُكَ فى نَفْسِى فكنتَ سَمِيرَهَا
ذكرتُك فى رَوْضٍ تَبسّم عَن شَذا وقدْ فَتّحَتْ كَفُّ النسيمِ زُهُورَهَا
ذكرتُك والكَاسَاتُ تختالُ بالطِّلاَ وحبّ لنفسِى أنْ تَكُونَ مُديرَهَا
ذكرتُك والأطيَارُ تَنْطِقُ عن هَوى كأنكَ قدْ آويتَ منْهَا ضَمِيرَهَا
فلا خَيْر فى أرضٍ إذا لَمْ تَكُن بِهَا سَمِيرًا ولا فى رَوْضَةٍ لَنْ تَزُورَهَا

وله :

يا مُعِيرَ الرِّمَاحَ والبَدْرَ والظَّبـ ـىَ انعِطَافًا وبهْجَةً والتفَاتَا
أنتَ لَو لَمْ يَكُن مُحيَّاك رَوضًا لم يكُن رِيقُك الشهِيُّ نَبَاتَا

وله :

أفْدِى بِرُوحِى عِذارًا لستُ ألثمُهُ إلاّ بِثَغْرِ الأمَانى أوْ فَمِ الغَزَلِ
يا قومُ إنّى مُحِبٌّ أشعَرِىٌّ هوًى فكيفَ خَالَط قَلْبِى وهْو مُعْتَزِلى

وكتب إلى صاحبنا السيد حسن البدرى العوضى قوله :

يا بَدْرُ بعدَك لمْ آنسْ بِطيبِ كَرى ولَمْ أجِدْ حَسَنًا إلا عَلَى مَضَضِ
إذا تطاولَ لَيْلُ الهجرِ أنْشِدُ يَا بَدْرِى وإنْ غَابَ كاسٌ صِحْتُ بالعوَضِ

وكتب إلى أعجوبة زمانه قاسم الأديب ما نصه :

يَا ذَا الأديبُ الذى أنسُنَا ... به فَأيَّامُنَا مَوَاسِمْ
لله مَا فيكَ من مَزَايَا ... ثُغُورُ أزهَارِهَا بَوَاسِمْ
إذا تَرفَّعْتَ فى خُطُوطٍ ... حُقّ لهَا طَاعَةَ المرَاسِمْ
وإنْ توخيّتَ فَهم مَعنًى ... عَنَتْ إلى فَهْمِكَ الطَّلاسِمْ
وإنْ تَصرفْتَ فى بَدِيعٍ ... فالذوقُ مَوطِنٌ وأنت قَاسِمْ

فأعاده بالجواب وقال :

أفديكَ مَولاَىَ من بَليغٍ ... طَابتْ بألفَاظه جِرَاحِى
دخلتُ بحرا من المعَانى ... قَامُوسُه جَاد بالصِّحَاحِ
إنْ كُنتُ عن دركِهَا وَنِيًّا ... فالعَفْوُ يا صَاحبَ السَّمَاحِ
أوْ كَان فَهمِى بِه فَسَادُ ... فأنتَ يَا سيِّدى صَلاحِى

ومن غرر قصائده ما مدح به رسول الله ﷺ ، والتزم الألف فى أول كل كلمة ، وهى :

أسَالَ أسيلُ الخَدِّ أرْواحَنَا ... أسًى أصلُه إغْرَاءُ الحَاظه الكَحْلا
أغرٌّ أغارَ الغَادةَ الرود إنه ... أعَارَ اللآلى الغُرَّ أجْيادهَا العَطْلا
أطالَ المدَى أنكَى الأسَى أعْجزَ الأسَى ... أطلَّ المهَا أسنَى المدَى ألفَ المطْلاَ
أغَارَ استْطالَ استَفرَسَ افترسَ اجتَرا ... أصَابَ استَبَاحَ استَأصَل احتَكَمَ السّؤْلا
أشَاكِى إليهِ الحرَّ ابغِى استرَاحَةً ... أوقَّدُ أشلاَءَ الحشَا الحطَبَ الجزْلاَ
أغالطُه البَلْوَى أخافُ اتِّهَامَهُ ... أأُنهِى إليه الشَّوقَ أمْ اطلُبُ الوَصْلاَ
أطارِحُه الشكْوى إذا استَلّ أسهُمًا ... ألا إنهُ أقسَى الأنَامِ إذا استَلاًّ
أجَلْ إنّنى أسلَمْتُ أحشَائِىَ البِلاَ ... ألستُ إلى ألحَاظه أنسبُ الفعْلاَ
أراهُ إذا اختَلَّ الحجَا اختَلَبَ الحشَا ... إليهِ أو استَلَ القَنَا استَلَبَ العَقْلاَ
أبى القَلْبُ إنْ أسلُوهُ أو أدَعَ الهوَى ... أبانَ العَذُول العَذْلَ أوْ أوسَعَ العَذْلاَ
إذا آيةُ النَّمْلِ العِذَارِىّ أشكَلَتْ ... أصُولَ الجمَالِ استَنْسَخَ النظرُ الشكْلاَ
إليهِ الْتِيَاعُ المغرمِ الصَّبّ أنه ... إمَالَته أهْوى إذا اعتَلّتْ اعتَلاَ
إذا ابْتَسَم البرقُ الحجَارِى أخالُنى ... أعيرُ السَّحَابَ الجونَ أجفَانِىَ الشكْلاَ
أخاطبُ أطلالَ الربَا استَحثُّهَا ... أسَى البَيْن إلاّ أنّنى أقتَضِى أن لا
أرى الأمَلَ الأدنَى أبَى أنْ أنالَهُ ... أيستَسهِلُ الصعْبَ الذى استصْعَبَ السّهْلاَ

أخُوضُ المنَايَا ابتَغِى أدرِكَ المنَى   إذا اختَطبَ النُّبلَ الفتى احتَطبَ النِّبلا

إلى الصّعدةِ السّمراءِ أستَوقفُ الحشَا   إن انتصَبَ البيضُ السنانَ أو النصْلاَ

إلاَ أيهَا الإنسانُ أنتَ الذى ازدَرتْ   أسُودَ الشّرى أهدابُ أجفانك الكَسْلَى

إلا أيهَا القَالى أمَالِى أدمُعِى   أما أنتَ أسندتَ الدمُوعَ إلى الإمْلاَ

إليكَ أسيرُ الشّوقِ أقلقَهُ الهوَى   إداوة أسْنَى الصّبرِ إفراغُها البَذْلا

أبحْتُ السّهامَ القلْبَ أو حبُّه أسَى   أأجْريتَ أجْفَانى أعامَلْتَها الهمْلاَ

أذابَ التهابُ الوَجْدِ أسطُرَ أضلُعِى   إذا استَحكَمَ التبريحُ أضْعفَ أو أبْلَى

أصَاح اتّئد إنى أحذرك الردى   أمَا أغرتِ الآرامُ أعينُهَا النّجلاَ

أَبَى الله أنْ ألقَى الظَّبَا أمِنَ الظّبَا   إذا ألِفَ الإعزازَ أم أنِفَ الذُّلاً

أسِيرُ أمَامَ العاشِقِين أدلُّهُم   إلى الطّرْق إلاّ أننى أسلُكُ المثْلَى

أنَافِسُ أبنَاء النّسِيبِ إجَادَةً   أطالبُهُم أنْ ألْحقَ النّسَبَ الأعْلَى

أروم امتداحَ المصْطفى أشْرفَ الورَى   إذا اختَلفَ المدَّاحُ أمْدَحُه أولَى

أمامُ الهُدى المولَى الذى اخترقَ العُلا   أجَلُّ الورَى أهْلاً وأعْلاَهُم أصْلاَ

أمينُ المعَالى أشرفُ الرُّسْلِ الذى أبانَ   إليهِ انتَهَى التقْديمُ إذا أُخِّرَ الرسْلا

الهُدى أحْيا النَّدى أعلَنَ النِّدا   أبادَ العِدَا أردَى الردَى أخْصَبَ المحْلا

إليهِ انتهَى الصفحُ الجميلُ الذى أبى   أعَادِيهِ إذا أبْدى أبو الحكَمِ الجهْلاَ

أضَاع افْتِخَارَ الجاهِلِيةِ أنهم   أطاعُوا الهَوى إذْ أغضَبُوا الحكَمَ العَدْلا

أباحَ البلا أمّ القُرى استَامَها الرَّدَى   إليهِ اختصاصًا أشْبَهَ الحرمُ الحلاًّ

أحَلّ العَرُوضَينِ الأمَانَ اجتَبَاهُمَا   أجَلّ الأمَانِى أمّن الأمّةَ الهَوْلاَ

أراد أذاه المشرِكُون إهَانَةً   أهِينُوا إذا امتدُّوا إليهِ اليَدَ الشَّلاً

أذاقَهُمُ السَّبيَ استَسَامَهُمْ الجَلاَ   أبَاحَهُم الأموالَ إذْ آثرُوا النُّحْلاَ

أعَارَهَم الخوْفَ المُضِرَّ أراعَهُمْ   إذا استَسْلَمَ العلْيا افتَحُوا الطرقَ الـ ـلى

أصَرّ العَدوّ البَغْى أرداهُ أيُّهُم   أسَرّ إليهِ الغِلّ البَسَه الغُلاً

أمَا آيَةَ القرآن أعجزَت الورَى   إلى آيةِ العُربِ انتَظامُهُم اختَلاً

إذا انتُسَخَ الأديانَ أجْمَعَ آيةٌ   اينكَرُ أمرُ الضّوءِ إنْ أذهبَ الظلاً

أتته الوفُودُ استَغْرقَ الكُلّ أمنُه   أفاض النّدى أرضَاهُم احتَمَل الكَلاّ

أيَا أطيَبَ الكُلّ الذى آلَ آلُهُ   إليه انتسَابًا أنتَ أزكَى الورَى أصْلاَ

أما أنتَ أندَى العَالِمَينَ أيَادِيًا   أمَا أخجَلَتْ أدنَى أنَامِلِكَ الوبْلاَ

أيَاد أعارتْ أيْدِيَ السُّحْبِ النَّدى ... أمُسْتَبْعَدٌ أنْ أغْرَقَ الوَابِلَ الطَّلاَ
أيَا أشْرفَ الأبْنَاء أنتَ الذى أتَى ... إليه الهدَى أنتَ الذى أوضَحَ السُّبْلاَ
إليكَ انتَهَى أسْنَى الخِصَالِ التى ازدَهَتْ ... أفَانِينُهَا أنت الذى ألَّفَ الشَّمْلا
أتَاكَ الفَقِيرُ ابنُ الصّلاحيّ آملاً ... أعنْه أغثْه اغنِه أبْلِغ السُّوْلاَ
إليكَ اشتَكَى الوِزْرَ الذى أوْهَنَ القُوى ... أقِلَّه أقلْهُ إنه استَثْقَل الحِمْلاَ
أمَولاَى أنتَ العَوْنُ أرجُوك إنْ أكُن ... أسأتُ ادخَرْتُ المدْحَ أستَمْطِر الفَضْلاَ
أنادِيكَ أستَجْرِى النَّدَى أرتجِى الرِّضَا ... أناجِيكَ استَجْدِى إلى العُقَد الحلاً
أجرْنى أجرْنى أكرمَ الخلْقِ إنَّنِى ... اضفْتُك أرتَادُ الغِنَى أكرِم النُّزْلاَ
اتيْتُ الحمى أستَغفِرُ الله آثمًا ... الا أىُّ هذا المستَجِيرُ اخلَع النَّعْلاَ
إلهِى اقبَلِ المدْحَ اغفِرِ المزْحَ إننى ... أرى الجِدَّ إلا أنّنِى أخْلِطُ الهَزْلاَ
إلهَ الورَى ارزُقْنى القَبُول اقبلِ الدّعا ... اقلْنى العثَارَ افرِجْ أزِلْ أزمَتى الجلَّى
إلهى أفِضْ أزكَى الصَّلاَةَ أمدَّهَا ... أجَلّ السَّلامِ استَنْهَلا الموردَ الأحْلَى
إلى المصْطَفَى الهَادِى إلى أنجُمِ الهُدَى ... إلى الآلِ أهْلِ الفَضْلِ الْحِقهُم النَّسْلاَ
إلى الخُلَفَاءِ الراشدِين الألَى اقتَفَوْا ... إلى السِّيرة الحسنَا الألى آثَروا العَدْلاَ
إلى التابعينَ الكُلَّ أتبَاعُهُم إلى ... ائمّتِنَا القومُ الألَى احتَفَظُوا النَّقْلاَ
المؤمنينَ الصَّالحينَ أولى الوفَا ... إلى السَّادة الأمداد أمْدِدهُمُ الكُلاًّ
أمَولَى البَرَايَا احْسِنِ الختْمَ أننى ... أؤرخُ أرجُو أطهَرَ الشَّرَف الأعلَى

وله أيضًا :

رُكِمْتُ فى لَيْلَة التَّدانِى ... وقد زَهَا ثَغرُها الأقَاحِى
جُوزيتُ لمَّا غَدَوتُ فِيهَا ... مُشَمّتًا عَاطِسَ الصَّبَاحِ

وله أيضًا :

ومُهَفْهَف لمَّا بَدَا ... يخْتالُ فى حُلَلِ الخفَرْ
يَسْبى بِطَرْف ناعِس ... قد زانَهُ ذاكَ الحَوَرْ
نَادَيْتُه صِلْ مُغْرمًا ... فأجَابَنِى أهلاً ومَرْحبا

وله فى مليح بعين :

لقد غَابَ عنــى قَومُ مَن قد هَوِيتُه فَقُلْتُ لعــمْرى مَا اصِيــبَ بِعَينِ
ولـكِنّه أهـدَى المـلاَحَةَ للـوَرى فَجَادَ عــلـــى كُلّ المِلاحِ بِعَينِ

وله : وقد اتخذ صاحبه الأديب حسين بن أحمد المكى مسطـرة عدّة سطورها ، ست عشر سطرا فكتب عليها :

ومسْطرَة فـى رِقّة الجسْمِ قَدْ حـكَتْ نــحُولـــى مِنْ عِشقٍ وعَدّ ضُلُوعِى
اسَوّد مِن شِعْرى سُطُور طُروسِهـــا وأبْكِى فـــأمْحُوه بـــقَطْرِ دُمُوعِى

وله :

اهْوَى عَلَيًّا ولكِنّى بُلِيـــــتُ به مِن فَاتِنٍ عَجزتْ فـــى وصفِه حِيَلِى
يــقُولُ لــى لَحـْظُهُ إنْ رُمْتُ قُبْلَتَهُ اخْطـأْتَ تُقـتَلُ يا هـذَا بِسَيـفِ عَلِى

وله :

اهْـــــوَى بِربْعِ الأشْرَفِيَّة شَادِنًا أحيَتْ مَحَاسنُهِ الجـمَالَ الـيـوسُفِى
مَا لاَح لـــى دِينَارُ وجنَتِه الــزّهِى إلا دَهِشْتُ بِنَقْدِ ذَاك الأشْـــــرَفِى

وله ارتجالا وهو فى مجلس إخوان :

لله يَومٌ قَطَعْنـــا فِيــــه زَهْرَ مُنّى والأنــسُ قَلّدنَا منْه بــطـوقِ مِنَنْ
وقد تجلّى عَروسُ الـرّوضِ فى حُلَلٍ مِن الــربيــع وحَيــانَا بِوجْهٍ حَسَنْ

فأنشد بعض من فى المجلس :

لله يَــــــــــومٌ زهَا بِخِلٍّ قــد جَادَ رغْمـا عـلـى الـلّواحِى
والأنــــسُ وافَى بهِ بَشِيــــرٌ والـسّعْدُ قـدْ جـاءَ بـالـصَّلاحِى

وانشد فى المجلس حسين بن أحمد المكى :

لله يَوْمٌ زهَـــــــا بِجَمْعٍ مِن كُلّ مَولَى بِهِ نَجـــــاحِى
وأنسُنَا تَمّ حِينَ وافَـــــــى مُبــشّرُ الــسّعْدِ بــالــصَّلاحِى

وله : مهنئا بشهر رمضان وأرسله إلى صاحبه السيد حسن البدرى :

أمَولَى المـعَالِى الـذى قَدْ بـنَى بِنَاءَ الــسَّنَاء بـــحُسْنِ الــثَّنَا
ومِـــــنْ وجْهِه ونَدَى كَفّه هـــــوَ المجتَلى وهُو المجتَنَى
ومَن حبّه فـــــى فُؤادى ثَوى ومَن هُو مـن أضلُعـى المـنْحَنـى
إذا كـــانَ لِى فـى الـوَرى سَيّدٌ فـــأنـــتَ ومَا الـــعَبْدُ إلا أنَا
أتـيـتُ أهـنــيّ بـشَهْرِ الـصيّام وأرختُه رَمَضَان الــــــهَنَا

وكتب إليه أيضًا :

أيَا حَسَنًا وهو للعُسْرِ يُسْرُ ... ومَن هُو فى مَبْسَم الدهر ثَغْرُ
أتى رمَضانُ وفى رمَضَان ... يصحّ لمنْكَسِر الحبّ جَبْرُ
فمَا لكَ تختارُ هَجْر المحبّ الذ ... ى لا يليق به منك هَجْرُ
إذا قُلْتَ أرّخْ وللصائم اعْذُر ... فإنى أؤرّخُ مَا الصَّومُ عُذْرُ
فأرسِلْ جوابًا به أستريحُ ... وعَجِّل فَللشّوق فى الصَّدرِ جَمْرُ

وكتب إليه أيضًا وقد أرسله بجواب :

جَوابُك قد جاءنى يَسْخَرُ ... بفَصْل خطابى الذى يَسْخَرُ
أتى رَافلاً فى بَديع الحُلَى ... يُبَشّر حينًا ويَسْتَبشِرُ
فأطمَعَنى لَفظُه فى الوفَا ... وأطربَنى خَمْرُه المسْكِرُ
ولكنّه قد غدا قاصِرًا ... ومثْلُكَ والله لا يُعْذَرُ
فإن لَمْ تُجبْنى بما ارتَضى ... أؤرخْ جَوابَكَ لا يَظْهَرُ

وكتب إليه أيضًا :

وافَى كتابُك بالبيَان مُموهًا ... وأراهُ فى شَرعِ الهَوى مَرْدُودا
دعْوى العَواذل منكَ ليسَ بحُجَة ... بابُ التلاقى لَمْ يكُن مَسْدُودا
هذى طَريقُ الوَصْلِ غيرُ مَخُوفة ... والحرُّ أولى أن يرى مَقصُودَا
فدع الأسنّة فى صُدُودك والقنَا ... واجْعلْ جَوابى سَعيَكَ المحْمُودَا

وله أيضًا :

لا خَيْرَ فى ريح الشّمَال فإنّهَا ... حَمَلَتْكُمُ وغَدتْ برُوحى رَائحَه
وإذا تَنفّسَت الصَّبا من نَحْوكُم ... أهدتْ شَذا ولكلِّ ريح رائحَه

وله تشطير بيت ذكر فى أول كتاب المواهب :

كلٌّ إليهِ بكُلِّه مُشْتَاقُ ... وعليهِ منْ رقبَائه أحداقُ

فقال :

كُلٌّ إليه بكُلّه مُشْتَاقُ ... أبدًا وقد عَبَثَتْ به الأشواقُ
من أينَ يمكنُه الوُصُولُ إلى الحِمَى ... وعَلَيْه من رُقَبَائه أحدَاقُ

ولما وقف عليه السيد العيدروس كتب :

كلٌّ إليه بكُلّه مُشْتاقُ ... ولقَيْده منْ حبّه إطلاَقُ
فهو الذى من شَوقه دخَل الحِمَى ... وعَلَيْه من رُقَبائه أحدَاق

وله وقد كتب على ظهر سفينة :

سَفينةٌ قد جرَتْ فيها بُحُور هَوى ... وعادةُ السُّفْن أنْ تَجرى على الماء
حَوتْ هوًى فغدَتْ بالشّعْرِ نَاطِقةً ... وحرّكَتْ نَغمًا يحلُو على النائى

وله أيضًا :

سَفِينةٌ قد جَرت فيها بُحُورُ هَوى ... وعادةُ البَحر أنْ تَجرى بـه السفُنُ

يَهزُّ فيها الهَوى المَقصُورُ كُلَّ شَجٍ ... مِن كُلِّ رَوضٍ مَعـانٍ زَانَهُ فَنَنُ

وله أيضًا :

يـا سَفِينَ الـغَرَامِ أنـت نَجـاتِى ... من هَوى لايـقرُّ منه الـقَرَارُ

لا تَغيـبِـى عَنِّى إلَى مُسْتَعِيـرِ ... أنَّ شَرْطَ الحبـيبِ لايُستَعَارُ

وله مخاطبا صاحبه حسين بن أحمد المكى :

يـا حُسـينًا عَلِقَ الـقَلْبُ به ... خَاطبًا صَفْـوَ ودَاد ووَلاَ

لا تَقُل لاَ فـى جَوابِى كَرَمًا ... يـاَ حُسَينًا أنـا أخْشَى كَرْبَ لاَ

فأعاد الجواب ما نصه :

سَيـدى قَلْبِى بـدَا الـشَّوقُ به ... فَعَسـى تَرضَوْنَ رِقِّى فى المـلاَ

إنَّنى عَبـدٌ إلـيكُم راغبٌ ... وبِكُم أمْرى عـلى الـكُلِّ عَلاَ

إنْ عُذْرِى واضِحٌ مَولاَىَ جُدْ ... لـعُبَيـد رَاجِف مِنْ قَوْل لاَ

لا تَخَـلْ أنِّىَ أَلْقَاكَ بِلاَ ... لا وَمَنْ قـدْ جَاَءَ فِينَـا مُرسَلاَ

وللمترجم كلام كثير ، وصوته جهير ، وفيـما نقلته كفاية ، توجه بآخر أمره إلى بلده ، وبه توفى سنة ثمانين ومائة وألف(١) ، رحمه الله.

ومات : الإمام الصوفـى العارف الناسك ، الشيـخ محمد سعيد بن أبـى بكر بن عبد الرحيم بن مهـنا ، الحسينى البغدادى ، ولد بمحلة أبى النـجيب من بغداد ، وبها نشأ وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن أحمـد الرحبى ، وحسن بن مصطفى القادرى فى آخرين ، وحج وقطن المدينة مدة ، وأجازه الشيخ محمد حيوة السندى (٢) ، والشيخ حســن الكورانى ، وورد مـصر سنة إحـدى وسبعين ومـائة وألف (٣) ، فنزل بـقصر الشوك قـرب المـشهد الحسينى ، وكـان له فى كلام القوم عرفان إلـى الغاية ، يورده على طريـقة غريبة ، بحيـث يرسخ فى ذهن السامـع ويلتذ به ، وكان يذهـب لزيارته الأجلاء من الأشياخ ، مـثل شيخنا السيد عـلى المقدسى ، والسيد محـمد مرتضى ، والشيخ الـعفيفى ، وبالجملـة فكان من أعاجيب دهـره ، وكان الشيخ العفيـفى ينوّه بشأنه ، ويقول فـى حقه إنه من رجال الحضرة ، وإنه ممن يرى الـنبى ﷺ عيانا ، وتوجه إلى الديار الـرومية ، ثم عاد إلى المدينة ، ثم ورد أيضًا إلـى مصر بعد ذلك ، ونزل قرب الجامـع الأزهر ، ثم توجه إلى الديـار الرومية ، وقطن بهـا ، وظهرت له هناك الكرامات ، وطـار صيته ، وعلت كلمته ، وصار له أتـباع ومريدون ، ولـم يزل

---

(١) ١١٨٠ هـ / ٩ يونيه ١٧٦٦ - ٢٩ مايو ١٧٦٧ م .

(٢) كتب أمـام الاسم ، بهامش ص ١٨٥ ، طبعة بولاق « قوله : « حيـوة » فى جميع النسخ بالـواو ، وسيأتى فى محل آخر بالألف ، فليتحر ، قراءته أ هـ » .

(٣) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ م .

هناك على حالة حسنة حتى وافاه الأجل المحتوم ، فى أواخر الثمانين [1] ، وخلف ولده من بعده رحمه الله تعالى وسامحه .

ومات : الفقيه الصالح العلامة ، الفرضى الحيسوبى ، الشيخ أحمد بن أحمد ، السنبلاوى الشافعى الأزهرى ، الشهير برزة ، كان إماما عالما مواظبا على تدريس الفقه ، والمعقول بالجامع الأزهر ، وكان يحترف بيع الكتب وله حانوت بسوق الكتبيين [2] ، مع الصلاح والورع والديانة ، ملازما على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر ، أخذ عن الأشياخ المتقدمين ، وانتفع به الطلبة ، وكان إنسانا حسنا بهى الشكل ، عظيم اللحية ، منور الشيبة ، معنيا بشأنه ، مقبلا على ربه ، توفى سنة ثمانين ومائة وألف [3] .

ومات : الأجل المكرم الفاضل النبيه النجيب الفقيه ، حسن أفندى بن حسن الضيائى ، المصرى ، المجود المكتب ، ولد كما وجد بخطه سنين اثنتين وتسعين وألف فى منتصف جمادى الثانية [4] ، واشتغل بالعلم على أعيان عصره ، واشتغل بالخط وجوده علي مشايخ هذا الفن ، فى طريقتى الحمدية وابن الصائغ ، أما الطريقة الحمدية فعلى : سليمان الشاكرى ، والجزائرى ، وصالح الحمامى ، وأما طريقة ابن الصائغ فعلى : الشيخ محمد بن عبد المعطى السملاوى ، فالشاكرى ، والحمامى ، جودا على عمر أفندى ، وهو على درويش عليّ ، وهو على خالد أفندى ، وهو على درويش محمد ، شيخ المشايخ ، حمد الله بن بير عليّ المعروف بابن الشيخ الأماسى، وأما السملاوى، فجود عليّ محمد بن محمد بن عمار، وهو على والده ، وهو على يحيى المرصفى، وهو على إسماعيل المكتب ، وهو على محمد الوسيمى ، وهو على أبى الفضل الأعرج ، وهو على ابن الصائغ بسنده ، وكان شيخا مهيبا ، بهى الشكل ، منور الشيبة شديد الانجماع عن الناس ، وله معرفة فى علم الموسيقى والأوزان والعروض ، وكان يعاشر الشيخ محمد الطائى كثيراً ، ويذاكره فى العلوم والمعارف ، ويكتب غالب تقاريره على ما يكتبه بيده من الرسائل والمرقعات ، وقد أجاز فى الخط لأناس كثيراً ، ويجتمع فى مجالس الكتبة ، مع صرامة وشهامة وعزة نفس ، واتفق يوما أنه طلب إلى مجلسهم فى يوم جمعهم لإجازة ، فامتنع عن الحضور ، وعز ذلك على الجمهور ، فقال الشيخ عبدالله الإدكاوى ، وكان إذ ذاك حاضرا فى جملتهم :

ونـــاد قـــد حَوَى أقْمَارَ تَمٍّ	من الكُتَّاب زادُوا فى البَهَاءِ
بِهِم قـد زَاد نُوراً وابتِهـاجًا	فَلا يُحتَاجُ فِيه إلى الضِّيائى

ثم قال بضده فى المجلس

لئن غَدا مَجْلِسُ الكُتَّابِ ليس بِه المـ	ـولَى الضّيائى مَنْ فى خَطِّه بَهَرا

---

(١) أخر ١١٨٠ هـ/ ٢٩ مايو ١٧٦٧ م .

(٢) سوق الكتبيين : سوق كان متخصصا فى بيع الكتب والأوراق .

(٣) ١١٨٠ هـ/ ٩ يونيه ١٧٦٦ - ٢٩ مايو ١٧٦٧ م .

(٤) ١٥ جمادى الثانية ١١٩٢ هـ/ ١١ يوليه ١٧٨٨ م .

فالشمسُ مع بُعـدِهَا مِنهْا الضّياءُ لقد   عَمّ الورَى فهو شَمْس غَابَ أو حَضَرا

توفى فى منتصف ذى الحجة سنة ثمانين ومائة وألف [١]

ومات : الإمام العالم العلامة ، أحمد العلماء الأذكياء ، وأفراد الدهر البحاث فى المعضلات ، الفتاح لـلمقفلات ، الـشيخ عبـد الكريم على ، المـسيرى الشـافعى ، المعروف بالـزيات ، لملازمته شيخه سـليمان الزيات ، حضر دروس فـضلاء الوقت ، وانضـوى إلى الشيخ سـليمان الزيـات ، ولازمه حتى صـار معيداً لدروسـه ، ومهر وأنجب ، وتضلـع فى الفنون ، ودرس وأملـى ، وكان أوحد زمانه فى المـعقولات ، ولازم آخراً دروس الشـيخ الحفنى ، وتلـقن منه العهـد ، ثم أرسله الشيـخ إلى بلاد الصعيـد ، لأنه جاءه كتاب من أحد مـشايخ الهوارة ممن يـعتقد فى الشيـخ بأن يرسل إليهم أحـد تلامذته ، ينفع النـاس بالناحية ، فكـان هو المعين لهذا المهم ، فـألبسه ، وأجازه ، ولما وصل إلى سـاحل بهجورة [٢] ، تلقتـه الناس بالقبول الـتام ، وعين له منـزل واسـع ، وحـشم وخـدم ، وأقطـعوا له جـانبًا من الأرض لـيزرعـها فقـطن بالبهجـورة ، واعتنى به أميرها شيـخ العرب إسماعيل بن عـبد الله ، فدرس وأفتى ، وقطـع العهود ، وأقـام مجلس الـذكر ، وراج أمره وراش جنـاحه ،ونفع وشـفع ، وأثرى جداً ، وتمـلك عقّارات ومـواشى وعبيداً ، وزروعـات ، ثم تقلـبت الأحوال بالصعـيد ، وأوذى المترجم ، وأخذ ما بـيده من الأراضى ، وزحزحت حـاله ، فأتى إلى مصر ، فلم يجـد من يعينه لوفـاة شيخه ، ثم عاد ولم يحصل على طائل ، وما زال بالبهجورة حتى مات ، فى أواخر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [٣] .

ومات : الإمام العلامة المتـقن ، المعمر مسند الوقت ، وشيخ الـشيوخ ، الشيخ أحمد بن عبد الفـتاح بن يوسف بن عمر المجيرى ، الملوى الـشافعى الأزهرى ، ولد كما أخبـر مـن لفظه فى فجـر يوم الخميس ، ثانـى شهر رمضان سنة ثمـان وثمانين وألف [٤] ، وأمه آمنة بنت عامر [٥] ، بن حسن بن حسن بن على بن سيف الدين بن سليمان بن صالح بـن القطب على المغراوى الحسنى ، اعتنى من صغـره بالعلوم عناية كبيرة ، وأخذ عن الكبار من أولى الإسنـاد ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، فمن شيوخه

---

(١) ١٥ الحجة ١١٨٠ هـ / ١٤ مايو ١٧٦٧م .

(٢) بهجورة : قرية قديمة ، ذكر أميلينو اسمها (Pehol Gamoul) ، وتعنى حظيرة الجمال ، وهو اسمها القبطى ، وهى إحدى قرى مركز نجع حمادى ، محافظة قنا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٣ ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) آخر ١١٨١هـ / ١٧ مايو ١٧٦٨م .   (٤) رمضان ١١٨٨ هـ / نوفمبر ١٧٧٤م .

(٥) كتب أمام هذا الاسم ، بهامش ص ٢٨٦ ، طبعة بولاق «قوله بنت عامر، فى بعض النسخ بنت عمر» .

الشهاب أحمد بن الفقيه ، والشيخ منصور المنوفى، والشيخ عبد الرءوف البشبيشى ، والشيخ محمد بن منصور الأطفيحى ، والشهاب الخليفى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ عبد الوهاب الطندتاوى ، وأبو العز محمد بن العجمى ، والشيخ عبد ربه الديوى ، والشيخ رضوان الطوخى ، والشيخ عبد الجواد المحلى ، وخاله أبو جابر على بن عامر الإيتاوى ، وأبو الفيض على بن إبراهيم البوتيجى ، وأبو الأنس محمد ابن عبد الرحمن المليجى ، هؤلاء الشافعية ، ومن المالكية : محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الورزازى ، والشيخ محمد الزرقانى ، والشيخ عمر بن عبد السلام التطاونى ، والشيخ أحمد الهشتوكى ، والشيخ محمد بن عبد الله السجلماسى ، والشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ عبد الله الكنكسى ، وابن أبى زكرى ، وسليمان الحصينى ، والشبرخيتى ، ومن الحنفية : السيد على بن على الحسنى الضرير ، الشهير بإسكندر ، ورحل إلى الحرمين ، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف [١] ، فسمع على البصرى والنخلى الأولية ، وأوائل الكتب الستة ، وأجازاه ، والشيخ محمد طاهر الكورانى ، وأجازه الشيخ إدريس اليمانى ، وملا الياسى الكورانى ، ودخل تحت إجازة الشيخ إبراهيم الكورانى فى العموم ، وعاد إلى مصر ، وهو إمام وقته المشار إليه فى حل المشكلات ، والمعوّل عليه فى المعقولات والمنقولات ، أقرأ المنهج مراراً ، وكذا غالب الكتب ، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة ، وجيلاً بعد جيل ، وكان تحريره أقوى من تقريره ، وله رضى الله عنه مؤلفات كثيرة ، منها شرحان على متن السلم كبير وصغير ، وشرحان كذلك على السمرقندية ، وشرح على الياسمينية ، وشرح الآجرومية ، ونظم النسب وشرحها ، وشرح عقيدة الغمرى ، وعقود الدرر على شرح ديباجة المختصر ، أتمه بالمشهد الحسينى سنة ثلاث وعشرين [٢] ، ونظم الموجهات ، وشرحها ، وتعريب رسالة ملا عصام فى المجاز ومجموع صيغ صلوات على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومؤلفاته مشهورة مقبولة متداولة بأيدى الطلبة ، ويدرسها الأشياخ ، وتعلل مدة وانقطع لذلك فى منزله ، وهو ملقى على الفراش ، ومع ذلك يقرأ عليه فى كل يوم فى أوقات مختلفة أنواع العلوم ، وتردد عليه الناس من الآفاق ، ويقرءون عليه ، ويستجيزونه فيجيزهم ، ويملى عليهم ويفيدهم ، ومنهم من يأتيه للزيارة والتبرك ، وطلب الدعاء فيمدهم بأنفاسه ويدعو لهم ، وكان ممتع الحواس ، وأقام على هذه الحالة نحو

---

(١) ١١٢٢ هـ / ٢ مارس ١٧١٠ - ١٨ فبراير ١٧١١م . (٢) ١١٢٣ هـ / ١٩ فبراير ١٧١١ - ٨ فبراير ١٧١٢م .

الثلاثين سنة ، حتى توفى فى منتصف شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [١] ، ومن نظمه رضى الله عنه :

كَم كُل كهف له بُرد كَسَاه بها ... لُذ كَم له لأذ كم بل لف سَما كَملا
كالشكلِ الاول كَمْ بدرٍ كَوى سَلَما ... كمْ كان كُلُّ بُدَيرٍ للوِدَاد كَلاَ
كم لاحَ بَدرُ لليلٍ سَام كم كُلّما ... سَرت له بضُروبِ الشكْل فاكتَملا

وأخبرنى شيخنا الشيخ محمد المالكى ، المعروف بابن الست ، أنه تولى القطبانية سنة قبل موته ، ودفن بالمشهد الحسينى ، فى موضع أعدّ له ، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوى بقصيدة بيت تاريخها

رَحِمَ اللهُ العَالِمَ الربَّانى ... عَلَمٌ لاحَ احْمَدُ الملوانى

وماتَ : الشيخ الإمام الصالح ، عبد الحى بن الحسن بن زين العابدين الحسينى ، البهنسى المالكى ، نزيل بولاق ، ولد بالبهنسا [٢] ، سنة ثلاث وثمانين وألف [٣] ، وقدم إلى مصر ، فأخذ عن الشيخ خليل اللقانىّ ، والشيخ محمد النشرتى ، والشيخ محمد الزرقانى ، والشيخ محمد الإطفيحى ، والشيخ محمد الغمرى ، والشيخ عبد الله الكنكسى ، والشيخ محمد بن سيف ، والشيخ محمد الخرشى ، وحج سنة ثلاث عشرة ومائة وألف [٤] ، فأخذ عن البصرى ، والنخلى ، وأجازه السيد محمد التهامى بالطريقة الشاذلية [٥] ، والسيد محمد بن عليّ العلويّ فى الأحمدية [٦] ، والشيخ محمد شويخ فى الشناوية [٧] ، وحضر دروس المحدث الشيخ عليّ الطولونى ، ودرس بالجامع الخطيرى [٨] ، ببولاق ، وأفاد الطلبة ،

(١) ١٥ ربيع الأول ١١٨١ هـ / ٩١ أغسطس ١٧٦٧م .

(٢) البهنسا : قرية قديمة وردت فى المصادر العربية ، كانت فى العصر العثمانى ولاية ، وهى الآن إحدى قرى مركز بنى مزار ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١١ - ٢١٢ . .

(٣) ١٠٨٣ هـ / ٢٩ أبريل ١٦٧٢ - ١٧ أبريل ١٦٧٣م .

(٤) ١١١٣ هـ / ٨ يونية ١٧٠١ - ٢٧ مايو ١٧٠٢م .

(٥) الطريقة الشاذلية : إحدى الطرق الصوفية التى كانت قائمة فى مصر ولا تزال قائمة حتى الآن ، ولها فروع عديد فى البلاد العربية ، ولها أتباع كثيرون ، ولها أورادها وأذكارها الخاصة بها .
طعيمة ، صابر : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٣ .

(٦) الأحمدية : طريقة صوفية كانت منتشرة فى مصر ولا تزال .

(٧) الشناوية : طريقة صوفية كانت قائمة فى مصر ولاتزال .

(٨) الجامع الخطيرى : يقع فى بولاق ، أنشأه الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، وسماه «جامع التوبة» ورتب به درسًا للشافعية ، ووقف عليه أوقافًا ، كمل بناؤه سنة ٧٣٧ هـ / ١٠ أغسطس ١٧٣٦ - ٢٩ يوليه ١٧٣٧ م .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٢٥

وكان شيخًا بهيًا معمراً منور الشيبة ، منجمعًا عن الناس زاهداً قانعًا بالكفاف ، توفى ليلة الإثنين حادى عشرى شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [1] ، بمنزله ببولاق ، وصلى عليه بالجامع الكبير ، فى مشهد حافل ، وحمل على الأعناق إلى مدافن الخلفاء قرب مشهد السيدة نفيسة ، فدفن بها ، رحمه الله .

ومات : الشيخ إمام السنة ومقتدى الأمة ، عبد الخالق بن أبى بكر بن الزين بن الصديق بن الزين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبى القاسم النمرى ، الأشعرى المزجاجى الزبيدى الحنفى ، من بيت العلم ، والتصوف ، جده الأعلى محمد بن محمد بن أبى القاسم ، صاحب الشيخ إسماعيل الجبرتى ، قطب اليمن ، وحفيده عبد الرحمن بن محمد خليفة جده فى التسليك والتربية ، وهو الذى تدير زبيد [2] ، بأهله وعياله ، وكان قبل بالمزجاجة ، وهى قرية أسفل زبيد ، خربت الآن ، ولد المترجم سنة ألف ومائة بزبيد [3] ، وحفظ القرآن ، وبعض المتون ، ولما ترعرع أخذ عن الإمام المسند ، الشيخ علاء الدين المزجاجى ، والسيد يحيى بن عمر الأهدل ، والمسند عبد الفتاح بن إسماعيل الخاص ، والشيخ على المرحومى ، نزيل مخا ، وأجازه من مكة الشيخ حسن العجمى ، بعناية والده ، وبعناية قريبه الشيخ على بن على المزجاجى ، نزيل مكة ، ووفد إلى الحرمين ، فأخذ بمكة عن الشيخ محمد عقيله ، روى عنه الكتب الستة ، وحمل عنه المسلسلات بشرطها ، وألبسه وحكمه ، وحضر على الشيخ عبد الكريم اللاهورى فى الفقه والأصول ، وكان يحثه على قراءة الأخسكيتى ، ويقول : « لا يستغنى عنه طالب » ، وحضر دروس الشيخ عبد المنعم بن تاج الدين القلعى ، ومحمد بن حسن العجمى ، ومحمد بن سعيد التنبكتى ، وبالمدينة عن الشيخ محمد طاهر الكردى ، سمع منه أوائل الكتب الستة ، والشيخ محمد حياة السندى ، لازمه فى سماع الكتب الستة ، وعاد إلى زبيد ، فأقبل على التدريس والإفادة ، وسمع عليه شيخنا السيد محمد مرتضى الصحيحين ، وسنن النسائى كله بقراءته عليه ، فى عين الرضا موضع بالنخل ، خارج زبيد ، كان يمكث فيه أيام خراف النخل ، والكنز والمنار كلاهما للنسفى ، ومسلسلات شيخه ابن عقيلة ، وهى خمسة وأربعون مسلسلاً ، وسمع عليه أيضًا المسلسل بيوم العيد ، ولازم درسه العامة والخاصة ، وألبسه الخرقة ، ونقبه

---

(١) ٢١ شعبان ١١٨١ هـ / ١٠ فبراير ١٧٦٨م .

(٢) زبيد : مدينة يمنية قديمة ، نسب إليها كثير من العلماء ، وعلى رأسهم السيد محمد مرتضى الزبيدى الحسينى .

(٣) ١١٠٠ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٦٨٨ – ١٤ أكتوبر ١٦٨٩م .

وحكمه ، بعد أن صحبه ، وتأدب به ، وبه تخرج شيخنا المذكور ، كذا ذكر فى ترجمته ، قال : « وفى آخر توجه إلى الحرمين ، فمات بمكة فى ذى الحجة سنة إحدى وثمانين ومائة وألف » (١) .

ومات : الشيخ الإمام الثبت العلامة الفقيه المحدث ، الشيخ عمر بن عليّ بن يحيى بن مصطفى ، الطحلاوى المالكى الأزهرى ، تفقه على الشيخ سالم النفراوى ، وحضر دروس الشيخ منصور المنوفى ، والشهاب ابن الفقيه ، والشيخ محمد الصغير الورززى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشبراوى ، والبليدى ، وسمع الحديث عن الشهابين ، أحمد البابلى ، والشيخ أحمد العماوى ، وأبى الحسن عليّ ابن أحمد الحريشى الفاسى ، وتمهر فى الفنون ، ودرس بالجامع الأزهر ، وبالمشهد الحسينى ، واشتهر أمره ، وطار صيته ، وأشير إليه بالتقدم فى العلوم ، وتوجه إلى دار السلطنة فى مهم اقتضى لأمراء مصر ، فقوبل بالإجابة ، وألقى هناك دروسًا فى الحديث فى آيا صوفية ، وتلقى عنه أكابر العلماء هناك فى ذلك الوقت ، وصرف معززاً مقضيًا حوائجه ، وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائة وألف (٢) ، ولما تمم عثمان كتخدا القازدغلى بناء مسجده بالأزبكية ، فى تلك السنة ، تعين المترجم للتدريس فيه ، وذلك قبل سفره إلى الديار الرومية ، وكان مشهوراً فى حسن التقرير وعذوبة البيان وجودة الإلقاء ، وأقرأ الموطأ وغيره بالمشهد الحسينى ، وأفاد وأجاز الأشياخ ، وكان يطلع فى كل جمعة إلى المرحوم حمزة باشا مرة ، فيسمع عليه الحديث ، وكان للناس فيه اعتقاد حسن ، وعليه هيبة ، ووقار ، وسكون ، ولكلامه وقع فى القلوب ، توفى ليلة الخميس حادى عشر صفر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف (٣) ، وصلى عليه بصباحه فى الأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بالمجاورين ، رحمه الله .

ومات : الوجيه الصالح الشيخ عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب ابن نور الدين بن بايزيد بن أحمد ابن القطب شمس الدين بن أبى المفاخر محمد بن داود الشربينى الشافعى ، وهو أحد الأخوة الثلاثة ، وهو أكبرهم ، تولى النظر والمشيخة بمقام جده ، بعد أبيه ، فسار فيها سيراً مليحًا ، وأحيا المآثر بعدما اندرست ، وعمر الزاوية ، وأكرم الوافدين ، وأقام حلقة الذكر كل يوم وليلة بالمسجد ، ويغدق على

---

(١) ذى الحجة ١١٨١ هـ / ١٩ ابريل - ١٧ مايو ١٧٦٨م . (٢) ١١٤٧ هـ / ٣ يونية ١٧٣٤ - ٢٣ مايو ١٧٣٥م .
(٣) ١١ صفر ١١٨١ هـ / ٩ يولية ١٧٦٧م .

المنشديـن ، وورد مصر مراراً منهـا صحبة والده ، ومنـها بعد وفاته ، وألـف باسمه شيخنا الســيد مرتضى ، رسالة فى الطريـقة الأوسية سماها « عقيلـة الأتراب فى سند الطريـقة والأحزاب » ،وفى آخـره أتى إلى مصـر لمقتض ومـرض نحو ثلاثـة أيام ، وتوفى ليلة الأحد غرة ذى القعدة سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [1] ، وغسل وكفن وذهبوا به إلى بلده ، فدفنوه عند أسلافه .

ومات : الشـيخ الإمام ، العلامـة الهمام أوحد أهـل زمانه علمًا وعـمل ، ومن أدرك مالم تدركه الأول ، المشهود له بالكمال والتحقيق ، والمجمع علـى تقدمه فى كل فريق ، شمـس الملة والدين ، محمد بـن سالم الحفناوى ، الشافـعى الخلوتى ، وهو شريف حسينى من جهة أم أبيه ، وهى السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن على ابن عبـد الكريم ابن السيـد برطع المـدفون ببركة الحاج ، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسين ، رضى الله عنه ، وكان والده مستوفـيًا عند بعض الأمراء بمصر ، وكان على غاية مـن العفاف ، ولد علـى رأس المائة ببلدة حـفنا [2] بالقـصر ، قرية مـن أعمال بلبيس ، وبها نشأ والنسبة إليها حفنـاوى ، وحفنى ، وحفنوى ، وغلبت عليه النسبة حتى صار لايذكر إلا بها ، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء ، ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عـبـد الرءوف البشبـيشى ، وعمره أربع عشرة سـنة بالقاهرة ، فكـمل حفظ القرآن ، ثم اشتغل بـحفظ المتون ، فحفظ الفية ابن مـالك ، والسلم ، والجوهرة ، والرحبية ، وأبا شجاع ، وغير ذلك ، وأخذ العلم عن علماء عصره ، واجتهد ولازم دروسهـم ، حتـى تمهـر وأقرأ ودرس وأفـاد فى حيـاة أشيـاخه ، وأجـازوه بالإفـتاء والتدريس ، فأقرأ الكتب الدقيقة كالأشمونى ، وجمع الجوامع ، والمنهج ، ومختصر السعد ، وغـير ذلك من كتب الـفقـه والمنطـق والأصـول والحديث والـكلام ، عام اثنتين وعشرين [3] ، وأشياخــه الذين أخـذ عنهم وتخــرج عليـهم : الشيـخ أحمد الخليفى ، والشيخ محمد الديربى ، والشيـخ عبد الرءوف البشبيشى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشيخ محمد السجاعى ،والشيخ يوسف الملوى ، والشيخ عبده الديوى ، والشيخ محمد الصغير ، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالسند عنهم : الشيخ محمد البديرى الـدمياطى ، الشهيـر بابن الميت ، أخذ عنـه التفسير والحديـث ، والمسندات

---

(١) غرة ذى القعدة ١١٨١ هـ / ٢٠ مارس ١٧٦٨م .

(٢) حفنا : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز بلبيس ، محافظة الشرقية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ١ ، ص ١٠٢ .

(٣) ١١٢٢هـ / ٢ مارس ١٧١٠ - ١٨ فبراير ١٧١١م .

والمسلسلات والإحـيـاء للإمام الغزالـى ، وصحيح البخارى ، ومسـلـم ، وسنن أبى داود ، وسنن النسـائى ، وسنن ابن مـاجه ، والموطأ ، ومسـنـد الشافعى ، والمـعجم الكـبير للـطبرانـى ، والمعجم الأوسـط والصغيـر له أيضًا ، وصـحيح ابن حـبان ، والمستدرك للنيسابورى ، والحلية للحافظ أبى نعيم ، وغير ذلك ، وشهد له معاصروه بالتقـدم فى العلوم ، وحين جلـس للإفادة لازمه جل طلـبة العلم ، ومن بهـم يسمو المعقول والمـنقول ، وكان إذ ذاك فى شدة من ضيـق العيش والنفقـة ، فاشترى دواة وأقلامًا وأوراقًا واشتـغل بنسخ الكـتب ، فشق عليـه ذلك ، خوفًا من انقطـاعه عن العلم ، فـبينما هــو فى بعــض الـدروس ، إذ جاءه رجل ، وانتظره حـتى فرغ من الدرس ، فقال لـه : « ياسيدى أريد أكلمك كـلمتين » ، وأشار إلـى مـكان قريب ، فسار معــه حتى انتهـيا إلى المدرسة العـينية [1] ، فدخلاهـا ثم جلسا فأخـرج الرجل محـرمة ملآنة بـالدراهـم ، وقـال له : « ياسيدى فلان يسلم عـليك ، وقد بعث لك معى بهذه الدراهم ، ويريد أن يحظى بقبولها » ، فأخذها منه ، وفتحها وملأ كفه من الدراهم ، وأراد إعطـاءها لحاملها فـامتنع وحلف لايأخـذ منها شيئًا ، ثـم فارقه ذلك الرجل ، وذهب الـشيخ إلى البيـت وكسر الأقلام والدواة ، فأقـبلت عليه الـدنيا من حينئذ ، وكان يتردد إلى زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبـل ويمكث فيها الليالى متحـنثًا ، وأقبــل علـى العلـم ، وعقد الدروس ، وختـم الختوم ، بحضـرة جمع العلماء ، وأقرأ المنهاج مرات ، وكتب عليه ، وكذلك جمع الجوامع ، والأشمونى ، ومختصر السعد ، وحاشية حفيده عليه ، كتب عليها ، وقرأها غير مرة ، وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيزى إذا رفـع إليه سـؤال يرسله إليه ، واشتغل بعلم العروض ، حتى برع فيه ، وعانى النظم والنثر ، وتخـرج عليه غالب أهل عصره وطبقته ، ومن دونهم كأخيه العلامـة الشيخ يوسف ، والشيخ إسماعيل الغنيـمى ، صاحب التآليف البديعـة ، والتحـريرات الرفيعة ، المتوفى سنة إحدى وستين [2] ، وشيخ الشيوخ ، الشيخ على العدوى ، والشيخ محمد الغيلانى ، والشيخ محمد الزهار ، نزيل المحلة الكبرى ، وغيـرهم ، كما هو فى تراجم المذكوريـن منهم ، وكان على مجالـسه هيبة ووقار ، ولا يسـأله أحد لمهـابته وجلالـته ، ولم يعان الـتأليف ، لاشـتغاله بـالإلقاء

---

(١) المدرسة العينية : تقع برأس حارة الدواداري من خطة الجامع الأزهر ، أنـشأها الشيخ محمود العينى المحنفى سنة ٨١٤ هـ / ٢٥ أبريل ١٤١١ - ١٢ أبريل ١٤١٢ م ، وكان يدرس فيـها بعض علمـاء الأزهر ، يسكنهـا غالبًا فقراء مجاورى بلاد المنوفية .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٢٤ .

(٢) ١١٦١ هـ / ٢ يناير ١٧٤٨ - ٢١ ديسمبر ١٧٤٨م .

والإقراء ، فمن تآليفه المشهورة ، « حاشية على شرح رسالة العضد للسعد » ، وعلى الشنشورى فى الفرائض ، وعلى شرح الهمزية لابن حجر ، وعلى مختصر السعد ، وعلى شرح السمرقندى لـلياسمينية فى الجبر والمقابلة ، وله تـصانيف أخر مشهورة ، وكان كريم الطبـع جداً ، وليس للدنيا عنده قـدر ولا قيمة ، جميل السجـايا ، مهيب الشكل ، عظيم اللحية أبيضها ، كـأن على وجهه قنديلاً من النور ، وكان كريم العين على إحداهـما نقطة وأكثر الـناس لايعلمون ذلك لجـلالته ومهابته ، وكـان فى الحلم على جانب عظيم ومن مكارم أخلاقه إصغاؤه لكلام كل متكلم ، ولو من الخزعبلات مع انبساطه إليه ، وإظهار المحبة ، ولو أطـال عليه ، ومن رآه مدعيًا شيئًا سلم له فى دعواه ، ومن مكارم أخلاقه ، أنـه لو سأله إنسان أعز حاجة عليه أعـطاها له ، كائنة ماكانـت ، ويجد لذلـك أنسًا وانشراحـًا ، ولا يعلق أمـله بشىء مـن الدنيـا ،وله صدقات وصلات خفية وظاهرة ، وكان راتب بـيته من الخبز فى كل يوم نحو الأردب والطـاحون دائمة الـدوران ، وكذلك دق البن وشـربات السـكر ، ولا ينقـطع ورود الواردين ليلاً ونهاراً ، ويجتمع على مـائدته الأربعون والخمسون والستون ، ويصرف علـى بيوت أتبـاعه المتـسبين إليـه ، وشـاع ذكـره فـى أقطـار الأرض ، وأقبل علـيه الوافدون بالطول والـعرض ، وهادته الملوك ، وقصده الأمير والصـعلوك ، فكل من طلب شيـئًا من أمور الدنيا أو الآخرة وجـده ، وكان رزقه فيضًا إلهيًا ، وذكـر الشيخ حسن شمه فى كتـابه الذى ألفه فى نسب الأستاذ ومناقبه : قـال : « كنت مع الشيخ يومًا فى منتزه ، فجلست فى ناحية أكتب فـى المقامة التى وضعتها فى مدحه ، المسماة بفيض المغنى بمدح الحفـنى ، وجعلتها مشتملة على سائر الفـنون الشعرية ، التى هى النـسب ، والموشح والـدوبيت ، والـزجل ، وكان وكـان ، والقوما ، والحـماق ، والمواليا بأنواعه الثـلاثة ، القرقيا ،والبليق ، والمكفر ، وعلـى نبذة من الموشحات ، والمحسنات البديعية ، كالمعطلات والحية الرقطاء ، ووسع الاطلاع ، وحسن الصنيع ، والمشجـر والجناس ، واللـغز والمعمى ، والمـصحف والقـلب ، ونوعى الاقـتباس ، وكنت إذ ذاك فى فن المواليا ، فعملت مواليًا قرقيا ، وهو :

قـالُوا تحِب المـدمّس قـلْت بـالـزّيـت حَارْ
والـعـيـش الأبـيـضْ تحـبـه قـلْت والـكُشْكَارْ
قـالُوا تحِب المـطَبّق قـلـت بـالـقنْطَار
قـالُوا إش تقـول فى الخـضَارِىُ قـلْت عقْلـى طَار

فقال لى : « أنت فيم تكتب » ، فأخبرتـه وأنشدته المواليا ، فضحك ، وقال لى ممازحًا : « أنا لاأحبه بالزيت الحار ، وإنما أحبه بالسمن » ، وأنشد :

قـــالُوا تحِب المـــدمّس قُلت بـــالمـــسْلِى
والـبـيــض مَشْوى تحـبـه قُلت والمــقْلِى

قال : « وقد شرحت هذا المواليا بلسان القوم شرحًا لطيفًا » ، ثم قال لى : « أحدتك حدوتة بالزيت ملتوتة » ، حلفت ما آكلها حتى يجىء التاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوز سلم، والسلم عند النجار، والنجار عاوز مسمار، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة فى بطن الفرخة ، والفرخة عاوزة قمحة ، والقمحة فى الأجران ، والأجران عاوزة الدراس ، تدرى مامعنى هذه ، قلت لاأعلم إلا ما علمتنى ، فقال : « أحدتك حدوتة بالزيت ملتوتة » ، يعنى السر الإلهى [1] ، والسلاف الأحمدى الأوّاهى ، الممزوج براح القرب والتقريب ، والمدار من يد الحبيب ، حلفت ما أكلها ، أى أتناولها ، فإن المقصد لايتم بلا وسيلة ، والسالك قبل كل شىء يحصل دليله ، حتى يجىء التاجر ، أى المسلك العامر ، والمراد به المرشد الكامل والمربى الواصل ، والتاجر فوق السطوح ، يتلقى معارج الروح لايذهب ولا يروح بل إليه يراح ، وبه تنتعش الأرواح ، والسطوح عاوز سلم، يتوصل به إليه ، حيث أنّ المدار عليه ، إذ لا يمكن صعود بلا معراج ، ولو أمكن لفعل بالأولى صاحب المعراج ، والسلم عند النجار ، أى له صاحب مخصوص لإقامته ، ومركب يركبه من آلته هو النجار ، وهو الأستاذ الكامل ، المسلك الواصل ، والنجار عاوز مسمار ، يثبت به سلم القرب والوصول كى يوصل لمنازل الحصول ، والمسمار عند الحداد ، صانعه المخصوص به المقيم ببحبوح سربه ، والحداد عاوز بيضة ، إذ لايكون شىء بلا شىء ، والغالى لايفرط فيه حى ، ومن عمل عملاً وأتم أمره ، استحق على عمله الأجرة ، والبيضة فى بطن الفرخة ، فمن أرادها فلينصب فخه ، فإنها مخبوءة فى صدفها ، ومنفردة عن صنفها ، والفرخة عاوزة قمحة ، كى تتنفس بها ، فتنفخ نفخة لتلقى ما فى جوفها ، وذلك من ذعرتها وخوفها ، والقمحة فى الأجران ، لأنها ظرفها والعنان ، والأجران عاوزة الدراس ، ودراسها ليس إلا الجد والاجتهاد لمن أراد أن يرتع فى رياض الإسعاد ، فكل هذه درجات للسالك يصعدها ، ومسافة لسيره يقطعها ، وثَمّ خواص طويت لهم السبل

(١) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٩١ ، طبعة بولاق «شرح أحدتك حدوته» .

كلها ، ونالوا كل ماراموا من مشتهى انتهى ، فانظر رحمك الله هذا المزح الذى هو حقيقة الجد ، ومما سمع من إنشائه فى الدياجى موشح الدلنجاوى :

يا هلالاً قدْ بَدا لى ... منْ ورا الحُجْب
فى جَلاَبيب الكَمَال ... مَابَرَوا صَحْبِى
إنّ قَلْبًا منْك خَالى ... لَيس بالقَلْب
وفُؤادًا عَنْك سَالى ... واجبُ السَّلْب

ثم أنشد مواليا :

بحَياة يا لِيلْ قَوامَك وصُوم الحرّ ... تحجزْ لنَا الفجْر دا فُوت الرفَاقة مُر
لما يجى الفجْر يصبح ركْبهم مُنْجَر ... ازدَاد لوعة ولا عُمْرى بقيت انسَر

وكرره ثم أنشد :

أأظْمَا وأنتَ العَذْبُ فى كلّ مَنْهَلٍ ... وأظلَمُ فى الدّنيا وأنتَ نَصيرى
خبيرٌ بضَعْفِى راحِمٌ لشكيّتى ... قَديرٌ على تَيْسير كُلّ عَسِيرِ
وعارٌ على راَعِى الحمَى وهو فى الحِمَى ... إذ ضَاعَ فى البَيْدَا عِقَالُ بَعِيرِ

وانشد أيضا :

إنْ جُدت أو جُرت او صَدّيتْ او جَافيتْ ... اوحلْت اوملْت او واصَلْت اوْ وَافيت
انتَ الحبِيب الذى فى القَلْبِ قدْ حَلّيت ... ونَا على العَهْد ما خُنتك ولا اختَلّيت

ثم أنشد :

يا مَنْ إذا قُلتُ يا كل المنىَ صِلْ صال ... صِلْنى بمنْ خَلَق الإنسانَ من صَلْصَالْ
إذا تَذكّرتُ ريقًا بارداً سَلْسَالْ ... وقلْت يا دمْع عينى بالدّمَا سِل سَالْ

قال الشيخ حسن قلت له : « ماأبلغ بيت السبعينية »

خَطراتُ النسيم تَجْرحُ خدّيْـ ... ـه ولمسُ الحرير يُدْمى بَنَانَهْ

فقال لى أبلغ منه قوله :

تَوهَّمَهُ قَلْبِى فأصبَحَ خَدُّهُ ... وفيه مكان الوهْم مِنْ نَظَرِى اثَرُ
ومَرّ بفِكرِى جِسْمُهُ فَجَرَحتُهُ ... ولَمْ أرَ جِسْمًا قط يَجْرَحُهُ الفِكَرُ

قال وسمعته كثيراً ما ينشد فى الدياجى :

خَلِّ الغرامَ لصبٍّ دَمعُه دَمُهُ | حَيرانَ تُوجِدُه الذكرَى وتُعدمُهُ
واسْمَحْ لَهُ بَعَلاقَاتٍ عَلِقْن به | لَو اطّلَعْتَ علَيها كُنتَ تَرحَمُهُ

قال وسمعته مرة ينشد :

لو فَتَّشُوا قلبِى لألفَوْا به | سَطْرَين قَدْ خُطَّا بِلاَ كَاتب
العِلْمَ والتَّوحِيدَ فى جَانِبٍ | وحُبَّ آل البَيْتِ فى جَانب

وأنشد مرة أيضًا :

خُبْزٌ ومَاءٌ وظِلّ | هو النَّعيمُ الأجَلُّ
جَحَدْتُ نِعْمَةَ رَبِّى | إنْ قُلْتُ إنِّى مُقِلُّ

وقال لى مرة : « كان عندنا شاعر يدَّعى النظم ، ومعرفته ، فطارحنى فيه يومًا » ، فقلت له : « اكتب ماحضرنى ونظمت بيتين » ،وهما :

بِحَارُ شَوْقِى بأمْواجِ الهَوَى عَبَثَتْ | ومزّقَتْ حَبْلَ وَصْلِى فى مَجَارِيهَا
وحَرّمتْ مُقْلَتِى طِيبَ الكَرَى شَغَفًا | بِشَادِنٍ قد سَبَى رِيمَ الفَلاَ تِيهَا

قال : « فأذعن الشاعر بِفَضْلِه ، وعجب من قوّة استحضاره » ، ودخل الشيخ المنوفى على الشيخ الحليفى وهو جالس عنده مستشفعًا فى جماعة متجاهرين بالمعاصى ، وكان الشيخ الحليفى قد طردهم ، وغضب عليهم ، فسأله المنوفى فى الرضا عنهم ، فقال له : « إذا كنت أرضى عنهم ، فإن الله لايرضى » ، كما قال فى كتابه العزيز ، فقال الأستاذ الحفنى ، قد حضرنى بيتان فقيل له ما هما فقال :

أتَطلُبُون رِضَائى الآنَ عن نَفَرٍ | قُلُوبُهم بِنِفَاقٍ لَمْ تَزلْ مَرضَى
تجَاهَروا بِقَبِيحِ الفِسْقِ لا رَبِحُوا | إنْ كُنتُ أرضَى فإنّ اللهَ لايرضَى

وقال من بحر الهزج :

رَعَاكَ اللهُ يا قَلْبِى | إذا مِلْتَ لِلْقَلْبِ
ولا بُلّغْتَ يَا وَاشِى | لِمَا فى طَيّه سَلْبِى
فَمَهْلاً يا خَلِى مَهْلاً | فَدِينِى فى الهَوَى حُبّى

وقد شطر هذه الأبيات مولانا السيد البكرى الصديقى ، وخمسها وشطرها غير واحد غيره ، وقال عام رحلته إلى بيت المقدس لزيارة السيد الصديقى مادحًا جنابه بقصيدة من بحر المجتث :

يـــــا مُبْتَغِى انْ يَحيَا	بِرَشْـــف كَـــأس الحُمَيَّا
وســالِكًا نَهْــجَ قَوْمٍ	شَامُوا جَمَــالَ المحيّا
سَامُوا لِـــرِبْحِ المــعَالى	طَابُوا مَمَــاتـــًا ومَحيَا
واستَنْشقُوا طِيـــبَ عَرف	أحيَا المــــعنَّى وحيّا
اخـرُج عـن الـنفسِ والزَم	بَابًا كــــرِيمًا عَلـــيًّا
وقُمْ بِــــسُدّة فَضلٍ	بِهَا الــــكَمَالُ تَهَيَّا
وطُــــف بِكَعْبَة خَيرٍ	وأجْمِلَنْ مِنْـــكَ سَعيَا
تَـــنَـــافُزتَ بِقُرْب	وحُزْتَ سِراً وفيًّــــا
مِنْ حَضْرة قـــدْ سَامَتْ	ذُرا المــعَالِى رُقِـــيًّا
قَـــد اصْطَفَاهَا لسرٌ	ثُمّ ارْتَضَـــاهَا سَميًّا
مُحَمَدِىٌّ مَقَـــــامٌ	نَالَ المــقَامَ الـــسّنيًّا
اجَـــلُّ مَـــن يتَصَدّى	للـــنّاس يمـــنَحُ هَدْيًا
سِبْطُ الحـــسَيْنِ وصِنْوٌ	خَالـــى مِن الـــلّهوِ اعيًا
بَابْنَ الـــرَفــيـــق بغَار	وابـــنَ الـــعَتِيـــق فَهيًّا
لابْنِ رَهِـــينَ صُرُوفٍ	عَمَــــا يَـــرُوم تَنْيًا
فَوَجْهَــــنَّ لِنَحْـــوِى	قَلْبًا بِهِ المـيـت يـحـيـا
وقــل مـحـمـدنـا اشرَبْ	منّا شَرابًا صـــفـــيـــا
حَسْـــبُكُم مِـــن سِواكُمْ	أمـــســى غَرِيـــبًا عَرِيًّا
صَلّى وسَـــلَّمَ رَبّـــى	عــلَى الـــرّسُولِ المحيّا
والآلِ مـــــا قَالَ صَبٌّ	يـــا مُبْتَغِى أن تُحيَّا

وكان لاشتغاله بالالقاء والإقراء للعلم لايعانى النظم كثيراً وله مواليًا من المكفر ، لأن المواليا على ثلاثة أقسام : قرقيا ، وبليق ، ومكفر ، فالقرقيا : ما اشتمل على الهزل ، والبليق : ما اشتمل على الغزل،والمكفِّر بكسر الفاء : ما اشتمل على المواعظ ، فمن ذلك قوله :

يَا مُبْتَغِى طُرقَ أهلِ اللهِ والـتَّسْليكْ	دعْ عنكَ أهلَ الهَوَى تَسْلَمْ من التَشكيكْ
أنِ اذكُرونِى لِرَدّ المـعترَضْ يكْفِيـكْ	فاجْعَلْ سُلاَفَ الجـلالَةِ دائمًا فـى فِيكْ

وقولـــــه :

باللهِ يا قلْب دَعْ عنكَ الهَوى واسْلَمْ	مِن كُلّ مَيـلٍ وَوَافَى عَهْدَهـــم اسْلَم
والـزمْ حِمَى سَادةٍ مَن أمهُم يَسْلَـمْ	واسْلُكْ سَبيلَ التـقَى يَومِ اللّقا تَسْلَمْ

وقولــــه :

حَرِكْ جَواد الهِمَمْ واسْلُك طَريـق الحقّ	واصْحبْ مَعكْ زَادْ أهل المعْرِفَة والحقّ
ولاَ تَمِلْ لِلـسُّوى تُحـرَقْ بِنَارِ الـفَرْقْ	وادْخُلْ جِنان الـتُّقى تـظفَرْ بِثَانِى فَرْقْ

ولـه مـن البليـق :

خَطَــر عَلِيـنَا غَزالِى مَر مَا اتـكَلّم	فوَّقْ جُفُونُه وقَلْبـــــى والحَشَا كَلَّمْ
إيشْ كَان يضُرّه إذا بَالراسِ لى سَلّم	حتَّى أسَرْ مُهْجَتِى لُولاَ الـسَّلاَمْ سَلَّمْ

ومن مراسلاته لبعض تلامذته : « أما بعـد إهداء سلام بسر الحب نام تام للحبيب الصفـى ، ومن بالعهد وفـى ، السرى الأسعد ، أحمـدنا الأحمد ، جملـنا الله وإياه بلبـاس التقوى ،وثبتنا وإياه عـلى التمـسك بسبب الـوصول الأقوى ، فقـد وصلت الرسائل ، والمنبئة بحفظ الوسائل المشـعرة بالصفاء ، والقيام على قدم الوفاء ، والذى به نوصيـك ، وبسره الخفى نوافـيك ، أن تدوم منتبهًا لـتحرك النفس فـى كل حركة ونفس ، خصوصًا عند إقبال العباد ، وطلبهـم الفائدة والإرشاد ، فإنها ولو للمعمرين بالمرصاد ، فلا ينبغى أن يغمد عنها سـيف الجهاد ، ومن زاد عليك إقباله ، وتوجهت إليك بالصدق آماله ، فإصرف قلبك إليه ، وعـوّل فى التربية عليه ، ومن عنك بهواه صد ، بعـد أخذك عليـه ، وثيق العهـد ، فدعه ولا تشغـل به البال ، وأنـشده قول أستاذنا لمن عن طريقنا قد مال :

ألَمْ تَدْرِ أنَّا مَنْ قَلاَنــــــا سَفَاهَةً	تَركْنـــاه غبّ الــوَصْلِ يَعْمَى بِصَدِّهِ
ومَنْ صَدّ عَنَّا حَسْبُه الـــصَّدُّ والجَفَا	وأنَّ الـــــرَّدَى أصْمَاهُ من بَعْدِ بُعْدِه
ومَنْ فَاتَنَا يَكْفِيــــه أنـــــا نَفُوتُه	وأنّا نُكـــافِيـــه عــــلَى تَرْكِ حَمْدِه
وأنّا غَدًا لمـــــا نَعُدّ مُحِبّنـــــا	وأتبَاعَنـــا لــــسْنَا نـــهُمُ بِعَدِّهِ

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده ، فليكن ذلك عند الإنفراد إذ هو أرجى لإسعاده ، ولا تزجر بضرب ولا نهر بين الناس ، فإنَّ ذلك ربما أوقع المريد فى البأس ،ولاتلتفت لمن أعرض ، ولا لمن يصحبك لغرض ، وعليك بالرفق بالإخوان ، سيما أخوك فلان ، فالخير لمن صاحب بإحسان ، والأدب واللطف محمودان ، والغلظة والحقد موبقان ، فاطرح القال والقيل ، وأصفح الصفح الجميل ، ولك ولكل من أخذ عنك أو أحبك منا ، ومن أهل سلسلة طريقنا ماسرك ،فأبشر إنْ عملت بما أشرنا بكل خير ، ومزيد الفتح والمسير فى السير » ،وللشيخ رضى الله عنه مناقب ومكاشفات ، وكرامات ، وبشارات ،وخوارق عادات ، يطول شرحها ، ذكرها الشيخ حسن المكى المعروف بشمه ، فى كتابه الذى جمعه فى خصوص الأستاذ ، وكذلك العلامة الشيخ محمد الدمنهورى ، المعروف بالهلباوى ، له مؤلف فى مناقب الشيخ ، ومدائحه وغير ذلك .

وصل فى ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية [1]

وهى نسبة إلى سيدى محمد الخلوتى ، أحد أهل السلسلة ، ويعرفون أيضًا بالقرباشلية ، نسبة إلى سيدى على أفندى قرة باش ، أحد رجالها أيضًا ، وهذا هَو الاسم الخاص المميز لهم عن غيرهم من الخلوتية ، ولذلك قال السيد البكرى فى الألفية :

والخُلْوتيـــةُ الكِرامُ فِرَقُ   قد نَهَجُوا نَهْجَ الجنَيدِ فَرَقُّوا
وخَيْرُهُم طَرِيقُنَا العَلَيّه   مَنْ قَدْ دُعوا بالقَرَبَاشِليه

وهى طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء ، والحنيفية السمحاء ، ليس فيها تكليف بما لايطاق ، وكانت خير الطرق لأن ذكرها الخاص بها لاإله إلا الله ، وهى أفضل مايقول العبد كما فى الحديث الشريف ، وكان المترجم رضى الله عنه ، اشتغل بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين ، فأخذ على رجل يقال له الشيخ أحمد الشاذلى المغربى ، المعروف بالمقرىّ ، فتلقى منه بعض أحزاب وأوراد ، ثم قدم السيد البكرى من الشام سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف [2] ، فاجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد ، وهو السيد عبد الله السلفيتى ، فسلم عليه وجلس ، فجعل السيد

(١) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٩٤ ، طبعة بولاق «وصل فى ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية» .
(٢) ١١٣٣ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٧٢٠ - ٢١ أكتوبر ١٧٢١م .

ينظر إليه وهو كذلك ينظر إليه ، فحصل بينهما الارتباط القلبى ، ثم قام وجلس بين يدى السيد ، بعد الاستئذان ، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أوّلاً بالاستخارة قبل ذلك إلا هو ، فلم يأمره بها ، وذلك إشارة إلى كمال الارتباط ، فأخذ عليه العهد حالاً ، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة ، فرأى فى منامه فى بعض الليالى السيد البكرى ، والشيخ أحمد الشاذلى المذكور جالسين ، والشيخ أحمد يعاتبه على دخوله فى الطريق، ويعاتب أيضًا السيد ، فقال له السيد : « هل لك معه حاجة » ، قال : « نعم لى معه أمانة » وإذا بجريدة خضراء بيد السيد ، فقال له: « هذه أمانتك » ، قال : « نعم فكسرها نصفين ورماها للشاذلى وقاله له خذ أمانتك » ، ثم انتبه فأخبر السيد ، فقال له : « هذا اتصال بنا ، وانفصال عنه » ، وهذه هى النسبة الباطنة التى صار بها سلمان الفارسى ، وصهيب من أهل البيت ، وقال ابن الفارض رضى الله عنه فى اليائية :

نَسَبٌ أقربُ فى شَرْعِ الهَوَى ... بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِن أبَوَيّ

وقال فى التائية على لسان الصادق ﷺ :

وإنى وإنْ كُنْتُ ابنُ آدمَ صُورةً ... فَلِى فَه مَعْنىً شَاهِدٌ بالأبُوّةِ

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة ، وهو أب لآدم من حيث النسبة الباطنة ، لأنه نائب عنه فى الإرسال ، ومنبأ بعده فى الإنزال ، ولم يستمد من الحضرة العلية إلا بواسطته ، ولذلك لما توسل به قبلت توبته ، وزادت محبته ، ولم يجعل مهر حوّاء سوى الصلاة والسلام عليه ، كما ورد ذلك كله ، وهو من المعلوم ضرورة ، فظهر بهذا أنَّ هذه النسبة أعظم من تلك لترتيب الثمرة عليها ، ثم سار فى طريقة القوم أتم سير ، حتى لقنه الأستاذ الاسم الثانى ، والثالث ، ومن حيث أخذ عليه العهد ، لم يقع منه فى حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام ، وهو الذى قدمه ، وبه ساد أهل عصره ، فمن ذلك أنه كان لايتكلم فى مجلسه أصلاً ، إلا إذا سأله ، فإنه يجيبه على قدر السؤال ، ولم يزل يستعمل ذلك معه ، حتى أذن له بالتكلم فى مجلسه فى بعض رحلاته إلى القاهرة ، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه ، قال له : انبسط إلى الناس واستقبلهم « لأنْ يهْدِى اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمَ » .

ومما اتفق لـه أنّ شيخه المذكور ، قال له مـرة تعال الليلة مع الجـماعة ، واذكروا عندنا فى الـبيت ، فلما دخل الناس ، نـزل شتاء ومطر شديد ، فلم يـتخلف وذهب حافياً ، والمطر يسـكب عليه ، وهو يخوض فى الوحل فقـال له : « كيف جئت فى هذه الحالة » ، فقال : « ياسيدى أمرتمونا بالمجىء ولم تقيدوه بعذر ، وأيضًا لاعذر ، والحالة هذه لإمكان المجىء ، وإن كنت حافـيًا » ، فقال له : « أحسنت هذا أوّل قدم فى الكمال إلى غير ذلك » .

ولما علم الشـيخ صدق حاله ، وحسن فعـاله ، قدمه على خلفـائه وأولاه حسن ولائه ، ودعاه بالأخ الصادق ، ومنحه أسراراً وأوراه عيـون الحقائق ، وكيفية تلقين الذكر ، وأخذ العهد كما وجد بخط الأستاذ ، بظهر ثبت عبد الله بن سالم البصرى ، مانصه : « هذه صـورة أخذ العهد ، أرسلها إليـه السيد البكرى الصديـقى الخلوتى ، حين آذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية ، ونص ماكتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة ، أن يجلس المريد بين يدى الأستاذ ، ويلصق ركبته بركبته ، والشيخ مستقبل القبلة ، ويقـرأ الفاتحة ، ويضع يده اليمنى فـى يده مسلما به نفسـه ، مـستمـداً من إمداده ، ويقول له قل معى : « أستغفر الله الـعظيم ثلاث مرات » ، ويتعوذ يقرأ آية التحريم ﴿ يأيهـا الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نـصوحًا . . . ﴾ إلى ﴿ قدير ﴾ ، ثم يقرأ آية المبايعـة التى فى الفتح [1] ليزول الاشتـباه وهى : ﴿ إنَّ الذين يبايـعونك إنما يبايعون الله . . . ﴾ اقـتداء برسول الله ﷺ ، إلى قوله تعالى : ﴿ عـظيما ﴾ ، ثم يقرأ أفاتحة الكتاب [2] ، ويدعو الله لنفســه وللآخذ بالتوفيق ، ويوصيـه بالقيام بأوراد الطريـق ، والدوام على ذوق أهل هذا الـفريق ، وعرض الخواطر ، وقـص الرؤيات العواطر ، وإذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثانـى لقنه ليبلغ الأمانى ، وفتح له باب توحيد الأفعال ، إذ لاغيره فعال ، وفى الثالث تـوحيد الأسما ليشهد السر الأسمى ، وفى الرابع توحـيد الصفات ، ليدرجه إلـى أعلى الصفات ، وفى الخامـس ، توحيد الذات ، ليحظى بأوفـر اللذات ، وفى السادس والسابع ، يكمل لـه التوابع ، ونسأل الله تعالى الـهداية والرعاية والـعناية والدراية ، والحـــمد لله رب العالمـين » ، انتهى هـذا ماكتب بخطـه الشريف ، قال : « ورأيت أيضا بظهر الثبت المذكور ، مانصه » : « ثم رأيت فى الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية » ، وهو كتاب نحو كراس لشيـخ الإسلام زكريا الأنصارى ، مانـصه : « إذا أراد الشيخ أن يأخـذ العهد على المريد ، فليـتطهر وليأمره بالتطهر مـن الحدث والخبث ، ليتهيأ لقبول مـايلقيه إليه

---

(١) سورة : الفتح ، رقم (٤٨) .

(٢) سورة : الفاتحة ، رقم (١) .

من الشروط فى الطريق ، ويتوجه إلى الله تعالى ، ويسأله القبول لهما ، ويتوسّل إليه فى ذلك بمحمد ﷺ ، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه ، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى ، بأن يضع راحته على راحته ، ويقبض إبهامه بأصابعه ويتعوذ ويبسمل ، ثم يقول الحمد لله رب العالمين ، أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ويقول المريد بعده مثل ما قال ، ثم يقول : « اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك ، أنى قد قبلته شيخًا فى الله ومرشداً ، وداعيًا إليه » ، ثم يقول الشيخ : « اللهم أنّى أشهدك وأشهد ملائكتك ، وأنبياءك ورسلك وأولياءك ، أنى قد قبلته ولداً فى الله فاقبله ، وأقبل عليه ، وكن له ولاتكن عليه » ، ثم يدعو كأن يقول : « اللهم أصلحنا وأصلح بنا ، واهدنا واهد بنا وأرشدنا وأرشد بنا ، اللهم أرنا الحق حقًا وألهمنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، اللهم اقطع عنا كل قاطع ، يقطعنا عنك ، ولا تقطعنا عنك ، ولا تشغلنا عنك » ، انتهى ، قلت والمراتب السبعة التى أشار إليها السيد فى الكيفية المتقدمة ، هى مراتب الأسماء السبعة ، وللنفس فى كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دال عليها ، الاسم الأوّل لاإله إلا الله ، وتسمى النفس فيه أمارة ، والثانى الله ، وتسمى النفس فيه لوّامة ، والثالث هو ، وتسمى النفس فيه ملهمة ، والرابع حق ، وهو أول قدم يحله المريد من الولاية كما مرت الإشارة إليه ، وتسمى النفس مطمئنة ، والخامس حيّ ، وتسمى النفس فيه راضية ، والسادس قيوم ، وتسمى النفس فيه مرضية ، والسابع قهار ، وتسمى النفس فيه كاملة ، وهو غاية التلقين ، وكلّها ما عدا الأول منها تلقن فى الأذن اليمنى ، إلا السابع ، ففى اليسرى ، وتلقينها بحسب مايراه الشيخ من أحوال المريدين ، أفعال وأقوال ، وعالم مثال .

واعلم أن سلسلة القوم [1] هذه ، فى كيفية أخذ العهد والتلقين ، مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يرويه عن جبريل ، وهو يرويه عن الله عز وجل ، وفى بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع ، والنبى ﷺ ، لقّن عليًا رضى الله عنه ، وصورة ذلك كما فى : (ريحان القلوب فى التوصل إلى المحبوب) لسيدى يوسف العجمى ، أن عليًا سأل رسول الله ﷺ ، فقال : « يارسول الله ، دلّنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى » ، فقال : « ياعليّ عليك بمداومة ذكر الله فى

(١) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ، ص ٢٩٧ ، طبعة بولاق «رجال سلسلة الطريق الخلوتية الحنفية رضى الله عنهم» .

الخلوات » ، فقال رضى الله عنه ، هذا فضيلة الذكر ، وكل الناس ذاكرون ، فقال رسول الله ﷺ : « ياعليّ لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » ، فقال عليّ: « كيف أذكر يارسول الله » ، قال : « غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع » ، فقال النبيّ ﷺ : « لاإله إلا الله ثلاث مرات مغمضًا عينيه ، رافعًا صوته » ، والنبى ﷺ يسمع . ثم لقن عليّ الحسن البصرى رضى الله عنهما ، على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين ، قال الحافظ السيوطى : « الراجح أن البصرى أخذ عن عليّ ، ومثله عن الضياء المقدسى ، ومن المقرر فى الأصول ، أن المثبتْ مقدم على النّافى ، ثم لقن الحسن البصرى حبيبًا العجمى ، وهو لقن داود الطائى ، وهو لقن معروفًا الكرخى ، وهو لقن سريًا السقطى ، وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادى ، وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة فى الإسلام ، ثم لقن الجنيد ممشاد الدينورى ، وهو لقن محمد الدينورى ، وهو لقن القاضى وجيه الدين ، وهو لقن عمر البكرى ، وهو لقن أبا النجيب السهروردى ، وهو لقن قطب الدين الأبهرى ، وهو لقن محمداً النجاشى ، وهو لقن شهاب الدين الشيرازى ، وهو لقن جلال الدين التبريزى ، وهو لقن إبراهيم الكيلانى ، وهو لقن أخى محمد الخلوتى ، وإليه نسبة أهل الطريق ، وهو لقن بير عمر الخلوتى ، وهو لقن أخى بيرام الخلوتى ، وهو لقن عز الدين الخلوتى ، وهو لقن صدر الدين الخيالى ، وهو لقن يحيى الشروانى ، صاحب ورد الستار ، وهو لقن بير محمد الأرزنجانى ، وهو لقن جلبى سلطان ، المشهور بجلبى خليفة ، وهو لقن خير التوقادى ، وهو لقن شعبان القسطمونى ، وهو لقن إسماعيل الجورمى ، وهو المدفون فى باب الصغير فى بيت المقدس ، عند مرقد سيدى بلال الحبشى ، وهو لقن سيدى على أفندى قرة باش ، أي أسود الرأس باللغة التركية ، وإليه نسبة طريقنا كما مر » ، وهو لقن مصطفى أفندى ولده ، وخلفاؤه ، كما قال السيد الصديقى أربعمائة ونيف وأربعون خليفة ، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبى ، وهو لقن شمس الطريقة ، وبرهان الحقيقة ، السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى ، وهو لقن قطب رحاها ، ومقصد سرها ، ونجواها ، شيخنا الشيخ محمد الحفناوى ، وهو لقن ، وخلف أشياخًا كثيرة منهم بركة المسلمين ، وكهف الواصلين ، الصوفى الصائم ، القائم العابد الزاهد ، الشيخ محمد السمنودى، المعروف بالمنير ، شيخ القراء والمحدثين ، وصدر الفقهاء والمتكلمين ، من مناقبه الحميدة صيام الدهر ، مع عدم التكلف لذلك ، وقيام الليل يقرأ فى كل

ركعة ثلث القرآن، وربما قرأ نصفه أو جميعه فى كل ركعة ، هذا وِرده دائمًا ، صيفًا وشتا ، فتى وشيخًا ويافعًا ، ومنها تواضعه وخموله ، وعدم رؤية نفسه ، ويبرأ من أن تنسب إليه منقبة ، وسيأتى باقى ترجمته فى وفاته .

ومنهم : علامة وقته وأوانه ، الولىّ الصوفى الشيخ حسن الشيبينى ،ثم الفوى ، طلب العلم و برع فيه ، وفاق على أقرانه ، ثم جذبته أيدى العناية إلى الشيخ ، فأخذ عليه العهد ، ولقنه أسماء الطريق السبعة ، على حسب سلوكه فى سيره ، ثم ألبسه التاج ، وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك ، وصار خليفة محضًا فأدار مجالس الذكر ، ودعا الناس إليها من سائر الأقطار ، وفتح الله عليه باب العرفان ، حتى صار ينطق بأسرار القرآن .

ومنهم : العالم النحرير ، الصوفى الصالح ، السالك الراجح ، الشيخ محمد السنهورى ، ثم الفوى ، طلب العلم حتى صار من أهل الإفتاء والتدريس ، وانتصب للتأكيد والتأسيس ، ثم دعته سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة ، وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة ، وألبسه التاج ، وأقامه خليفة يهدى لأقوم منهاج ، ثم أذن له فى التوجه إلى بلده ، فتوجه إليها ، وربى بها المريدين ، وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع ، وعَمّ به فى الوجود الانتفاع .

ومنهم : البحر الزاخر ، حائز مراتب المفاخر ، الولى الربانى ، والصوفى فى العالم الإنسانى ، الشيخ محمد الزعيرى ، اشتغل بالعلم حتى برع ، وصار قدوة لكل مقتدى ، وجذوة لمن لايهتدى ، ثم سلك على يد الأستاذ ، فأخذ عليه العهد ، ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه ، ثم خلفه ، وألبسه التاج ، وأجازه بالتلقين والتسليك .

ومنهم : الحبر العلامة ، والبحر الفهامة ، شيخ الإفتاء والتدريس ، الشيخ خضر رسلان ، اشتغل على الشيخ مدة مديدة ، ولازمه ملازمة شديدة ، وأخذ عليه العهد فى طريق الخلوتية ، حتى تلقن الأسماء ، وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازاً ، بأخذ العهود والتسليك .

ومنهم : الشيخ الصوفى الولى ، صاحب الكرامات ، والأيادى والمكرمات ، شيخنا الشيخ محمود الكردى ، أخذ على الشيخ العهد والطريق ، ولقنه الأسماء ، فكان محمود الأفعال معروفًا بالكمال ، ثم ألبسه التاج ، وصار خليفة ، وأجازه بالتلقين والتسليك ، فأرشد الناس ، وأزال عن قلوبهم الوسواس ، وهو مشهور

البركة ، يعتقده الخاص والعام ، كثير الرؤية لرسول الله ﷺ ، ومن كراماته أنَّه متى أراد رؤية النبى ﷺ رآه ، وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ، ولاحجبنا عن قربه ، وهو الذى قام للإرشاد والتسليك ، بعد انتقال شيخه ، وسلك على يده كثير وخَلَفوه من بعده ، منهم الشيخ الصالح الصوفى الشيخ محمد السقاط ، والشيخ العلامة شيخ الإسلام : والمسلمين ، مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوى ، شيخ الجامع الأزهر الآن ، والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذى هو الآن بالقدس الشريف ، والمشار إليه فى التسليك بتلك الديار ، والشيخ الصالح الناجح إبراهيم الحلبى الحنفى، والسيد الأجل العلامة ، والرحلة الفهامة ، السيد عبد القادر الطرابلسى الحنفى ، والشيخ الإمام ، العمدة الهمام ، الشيخ عمر البابلى وغيرهم ، أدام الله النفع بوجودهم

ومنهم : العالم العلامة ، الألمعى الفهامة ، بقية السلف والخليفة ، ونعم الخلف ، الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم أطال الله بقاءه .

ومنهم : الشيخ الفهامة الأديب الأريب ، واللوذعى النجيب ، الشيخ محمد الهلباوى ، الشهير بالدمنهورى الشافعى .

ومنهم : الشيخ الصوفى ، القدوة ، الشيخ احمد الغزالى ، تلقن منه الأسماء ، وتخلف عنه ، وألبسه التاج ، وأجازه بالتلقين والتسليك .

ومنهم : العالم العامل ، الشيخ أحمد القحافى الأنصارى ، أخذ العهد ، وانتظم فى سلك أهل الطريق ، وتلقن الأسماء ، وصار خليفة مجازاً ، فأرشد الناس ، وافتتح مجالس الأذكار .

ومنهم : تاج الملة ، وإنسان عين المجد من غير علة ، ذو النسب الباذخ ، والشرف الرفيع الشامخ ، السيد على القناوى ، تلقن الأسماء ، وألبس التاج ، وصار خليفة حقًّا ومجازاً بالتلقين والتسليك ، فأدار مجالس الأذكار ، وأشرقت به الأنوار .

ومنهم : العلامة العامل ، والفهامة الواصل الفاضل ، الشيخ سليمان المنوفى ، نزيل طندتا ، لقنه وأرشده وخلفه ، وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشد ، وله أحوال عجيبة .

ومنهم : الصوفى الصالح ، الشيخ حسن السخاوى ، نزيل طندتا أيضًا ، لقنه وخلفه ، وألبسه التاج ، فدعا الناس لأقوم منهاج .

ومنهم : علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدى ، الملقب بشعير ، لقنه وخلفه وأجازه ، فكثر نفعه .

ومنهم : العلامة الأوحد ومن على مثله الخناصر تعقد ، الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشيال ، رحل أيضًا إليه ، فتلقن منه وسلك على يديه ، حتى صار خليفة ، وألبسه التاج ، وأجازه بالتلقين والتسليك ، ورجع إلى بلاده بأوفر زاده ، وأدار مجالس الذكر ، وأكثر المراقبة والفكر ، حتى كثرت أتباعه ، وعم انتفاعه .

ومنهم : العمدة المقدم الهمام ، الناسك السالك ، الشيخ محمد الشهير بالسقا ، لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك ، فكثر نفعه ، وطاب صنعه .

ومنهم : فريد دهره ، وعالم عصره ، معدن الفضل والكمال ، قطب الجمال والجلال ، الشيخ باكير أفندى ، لقنه وألبسه التاج ، وأجازه بالتلقين والتسليك .

ومنهم : بدر الطريق وشمس أفق التحقيق ، العالم العلامة ، والصوفى الفهامة ، الشيخ محمد الفشنى ، لقنه وخلفه وألبسه التاج ، فأخذ العهود ، ولقن وسلك وفاق فى سائر الآفاق ، وتقدم فى الخلاف والوفاق .

ومنهم : العالم العامل ، والشهم الماهر الكامل ، الشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات ، تلقن العهد والأسماء ، حسب سلوكه وسيره ، وأجيز بأخذ العهود ، والتلقين والتسليك ، فزاد نوراً على نور ، وحُبِى بلذة الطاعة والحبور .

ومنهم : شيخ الفروع والأصول ، الجامع بين المعقول والمنقول ، علامة الزمان ، والحامل فى وقته لواء العرفان ، الشيخ أحمد العدوى ، المقب بدردير ، جذبته العناية إلى نادى الهداية ، فجاء إلى الشيخ ، وطلب منه تلقين الذكر ، فلقنه ، وسار أحسن سير ، وسلك أحسن سلوك ، حتى صار خليفة بأخذ العهود ، والتلقين والتسليك ، مع المجاهدة والعمل المرضى ، وسيأتى فى وفياتهم ، تتمة تراجمهم رضى الله عنهم .

ومنهم : أيضًا الشيخ العلامة الولى الصوفى ، الشيخ محمد الرشيدى ، الشهير بالمعصراوى .

ومنهـم : الإمـام الجامــع ، والولى الصـوفى النافع ، مـولاى أحمد الصـقلى المغربى ، تلقن وتخلف ، وأجيز بأخذ العهود ، والتلقين والتسليك .

ومنهم : الأمجد العامل بعلمه ،المزدرى السحر بفهمه ، الشيخ سليمان البتراوى ثم الأنصارى .

ومنهم : الـصالح العامل ، الفـهامة العابد الزاهد ، الـشيخ إسماعيل الـيمنى ، تلقن وسـلك مع التقى والعفـاف ، والملازمة الشديدة ، والخدمة الأكـيدة ، وحسن المجاهدة .

ومنهم : النحرير الكامل ، واللوذعـى الفاضل ، مؤلف المجموع ، الشيخ حسن ابن على المكى المعروف بشمه الناظم الـناثر ، الحاوى الخير المتكاثر ، وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير .

فصــــل

فى ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس ، وهو أنه لما أذن له السيد البكرى بأخذ العهود وتلقين الذكر ، لم يقع له تسـليك أحد فى هذه الطريقة ، إنما كان شغله وتوجهه كله إلى العـلم ، وإقرائه ، لكن ذلك بجسمه ، وأما قلبـه فلم يكن إلا عند شيخه السيد الصديقى ، ولم يزل كذلك إلى عام تسع وأربعين [1] ، فَحَنَّ جسمه إلى زيارة شيخه ، وأنشد لسان حاله

أخذتُّم فُؤادى وهو بَعْضِى فَما الذى   يَضُرُّكُمُ لَو كَان عِنْدكُم الــــــكُل

فأرسل إليـه السيد يدعوه لزيـارته ، فهـام إذ فهم رمـز إشارته ، وتعلقت نـفسـه بالرحيل ، فتـرك الإقراء والتدريس ، وتقشف وسافر إلى أن وصل بـالقرب من بيت المقدس ، فقيل له : « إذا دخلت بيت المـقدس ، فادخل من الباب الفلانى ، وصل ركعتين وزُر مَحَل كـذا » ، فقال له : « أنا ماجئـت قاصداً بيت المقـدس ، وما جئت قاصداً إلا أستاذى ، فلا أدخل إلا من بابه ، ولا أصلى إلا فى بيته » ، فعجبوا له ، فبلـغ السيد كـلامـه ، فكان سـببًا لإقبالـه عليه وإمداده ، ثـم سار حتى دخـل بيت المقدس ، فتوجـه إلى بيت الأستاذ ، فقابـله بالرحب والسعة ، وأفـرد له مكانًا ، ثم أخذ فى المجاهدة من الصلاة والصوم ، والذكر والـعزلة والخلوة ، قال : « فبينما أنا

(١) ١١٤٩ هـ / ١٢ مايو ١٧٣٦ - ٣٠ يونيه ١٧٣٧م .

جالس فى الخلوة ، إذا بداع يدعونى إليه ، فجئت إليه ، فوجدت بين يديه مائدة » ، فقال : « أنت صائم » ، قلت : « نعم » ، فقال : « كُل، فامتثلت أمره وأكلت » ، فقال : « اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صومًا ، وصلاة وجهاداً ، أو رياضة ، فليكن ذلك فى بلدك ، وأما عندنا فلا تشتغل بغيرنا ولا تقيد أوقاتك بما تروم من المجاهدة ، وإنما يكون ذلك بحسب الاستطاعة ، وكل واشرب وانبسط » ، قال : « فامتثلت إشارته ، ومكثت عنده أربعة أشهر كأنها ساعة ، غير أنّى لم أفارقه قط ، خلوة وجلوة » ، ومنحه فى هذه المدة الأسرار ، وخلع عليه خِلَع القبول ، وتوجه بتاج العرفان ، وأشهده مشاهد الجمع الأول والثانى ، وفرق له فرق الفرق الثانى ، فحاز من التدانى ، أسرار المثانى ، ثم لما انقضت المدة ، وأراد العود إلى القاهرة ، ودَّعَه وما ودعه ، وسافر حتى وصل إلى غزة ، فبلغ خبره أمير تلك القرية ، وكانت الطريق مخيفة ، فوجه مع قافلة ببيرقين من العسكر ، فساروا فلقيهم فى أثناء الطريق أعراب فخافوهم ، فقالوا : لأهل القافلة : « لاتخافوا فلسنا من قطاع الطريق ، وإن كنا منهم فلا نقدر نكلمكم ، وهذا معكم » ، وأشاروا إلى الشيخ ، ولم يزالوا سائرين حتى انتهوا إلى مكان فى أثناء الطريق ، بعد مجاوزة العريش بنحو يومين ، فقيل لهم : « إنَّ طريقكم هذا غير مأمون الخطر » ، ثم تشاوروا فقال له أعراب ذلك المكان : « نحن نسير معكم ، ونسلك بكم طريقًا غير هذا ، لكن اجعلوا لنا قدرا من الدراهم ، نأخذه منكم إذا وصلتم إلى بلبيس [1] ، فتوقف الركب أجمعه ، فقال الأستاذ : « أنا أدفع لكم هذا القدر هناك » ، فقالوا : « لاسبيل إلى ذلك ، كيف تدفع أنت ، وليس لك فى القفل شىء ، والله مانأخذ منك شيئًا ، إلا إن ضمنت أهل القافلة » ، فقبل ذلك ، فاتفق الرأى على دفع الدراهم من أرباب التجارات بضمانة الشيخ ، فضمنهم وساروا حتى وصلوا إلى بلبيس ، ثم منها إلى القاهرة ، فسرت به أتم سرور ، وأقبل عليه الناس من حينئذ ، أتم قبول ، ودانت لطاعته الرقاب ، وأخذ العهود على العالم ، وأدار مجالس الأذكار بالليل والنهار ، وأحيا طريق القوم بعد دروسها ، وأنقذ من ورطة الجهل مهجًا من غَيِّ نفوسها ، فبلغ هديه الأقطار كلها ، وصار له فى كثير من قرى مصر ، نقيب وخليفة ، وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى ، ولم يزل أمره فى ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض ، وصار الكبار والصغار والنساء يذكرون الله تعالى بطريقته ، وصار خليفة الوقت وقطبه ، ولم يبق وليّ من أهل عصره إلا أذعن له ، وحين تصدى للتسليك ، وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج ، وكان فى بدء الأمر لايأخذون إلا بالاستخارة

(١) بلبيس : أنظر ، ص ٢٤ ، حاشية رقم (٥) .

والاستشارة ، وكتابة أسمائهم ونحو ذلك فكثر الناس عليه ، وكثر الطلب فأخبر شيخه السيد الصديقى بذلك ، فقال له لاتمنع أحداً يأخذ عنك ولو نصرانيًا من غير شرط ، وأسلم على يديه خلق كثير من النصارى وأول من أخذ عنه الطريق وسلك على يديه الولى الصوفى ، العالم العلامة ، المرشد الشيخ أحمد البناء الفوى ، ثم تلاه من ذكر وغيرهم ، وكان أستاذه السيد يثنى عليه ويمدحه ، ويراسله نظمًا ونثراً ، ويترجمه بالأخ ، ولولا رآه قسيما له فى الحال ماصدر عنه ذلك المقال ، حتى أنه قال له يومًا : « إنى أخشى من دعائكم لى بالأخ لأنه خلاف عادة الأشياخ مع المريدين » ، فقال له : « لا تخش من شىء » ، وامتدحه أشياخه ومعاصروه وتلامذته ، فممن امتدحه أخوه الأوحد العلامة ، سيدى الشيخ يوسف الحفناوى ، فمن ذلك قصيدتان وأثبتهما فى ديوانه ، إحداهما :

إنْ تَرُم وصْلَةَ السُّلُوكِ السَّنِيَّة ... فانتَهِجْ نهْج سَادة خَلْوتِيَّه
وتمسَّك بعَهْدهم وتَعطَّر ... بِشَذاهُم فى كُل بُكرة وعَشِيّه
سَادةٌ مهّدُوا الطريقَ وشَادُوا ... رُبْعَها بالشّريعَةَ الأحْمَدِيه
واعتَصِمْ فى السُّلوك إنْ رمْتَ قُربا ... بذكِىِّ تَسْقِيكَ راحًا شَهِيَّه
كالإمامِ الحنَفِى أشْرفَ دان ... أسْكَرتْه المدَامَةَ البِكْرِيَّه
ورد الحَانَ وارتَوى بسُلافَ ... من كؤوس الشُّهود مُصْطَفَوِيَّه
فَغَدَا هَائمًا بِسرِّ التَّجَلِّى ... جَائلاً فى رِيَاضه العَدَنِيَّه
لابسًا منْ حَلاوة الصِّدْقِ ثَوبًا ... أينَ منْه الملابسُ السُّنْدُسِيَّه
رَاقيًا فى سَمَاء عزِّ التَّدانى ... نُزُلاً عن سواهُ أمْسَتْ نَئِيَّه
نَاهلاً من مَنَاهلِ القُرْب ما فيه ... وصُولٌ للحَضْرة الأقْدَسِيَّه
عينُ عينٍ نَحَاه عن عِلْمِ عَين ... صدقُ سَيْرٍ وهِمّة عُلْوِيَّه
وهِبَاتٌ فَتْحِيَّةٌ نَشرتْها ... يَدُ أسْتاذه عَليه عَلِيَّه
أمّهُ يَا مُريدَ هَدْيٍ ورُشْد ... فَهو بَابٌ للمِنْحَة الخَلْوَتِيَّه
وارتَشِفْ من مُدامةٍ قدْ أديرَتْ ... بيَدَيه وانْهَضْ بإخْلاص نيَّه
وتَوسَّلْ به إلى الله تَظْفَرْ ... بالَّذى تَرتَجِيه من أمْنِيَّه
وتأمَّلْ فى ذَاته ومَزَايَا ... هُ لتُهدَى إلى الطَّريقِ السَّوِيَّه
عَالِمٌ عاملٌ تَقِىٌّ نَقِىٌّ ... صَادقُ السَّيرِ ذُو مَزَايَا بَهِيَّه
فانحُهُ إنْ دهَاكَ واردُ خَطْب ... ونحَتْك الخَواطِرُ النَّفْسِيَّه
تَلْقَه للنُّفُوس أقوى طَبيب ... بهِبَات قدْ حَازَهَا فَرْدِيَّه
وصَلاَةٌ مَهْدِيّةٌ مَع سَلامٍ ... لنَبِىِّ هُدَى لطُرق سَنِيَّه
ثم آلٍ والصَّحْبِ مَاهَامَ عَانٍ ... واهْتَدتْ بالسُّلُوكِ نَفسٌ أبِيَّه

وهــــذه الأخــرى

دعْ عَنْكَ رَوْمَ وِصَــــالَ سَلْمَـــــى	وانـــــهَضْ إلــى المــــغْنِى وسَلْ مَا
سَلْ مَا يُرِيـــــحُ فُؤادَكَ الــــــ	ـــــعَانِى وتَقِ الــــقَلْبَ ممَّا
وسُيُـــــوفَ وسَوسَةِ الـــــسُّوَى	اغْمِدْ بِطِيــــــــب هَوَى ألَمَّا
وإذا دَهَتْـــــــك خَـــــوَاطِرٌ	وظــــــلامُهـــــا فيـــــكَ ادلَهَمَّا
فـــــاكْشِفْ غَيَاهِبَهـــــا بِشُرْ	بِ مُدَامَةِ الإرْشَادِ تَحْمَـــــــــى
مــــنْ رَاحَــــةِ الحِفْنِيِّ أشْـ	ـــــرَفَ مَن سَمَـــــا عِلْمًا وحِلْمَا
كَنْزُ المـــــــقَامَاتِ الَّتــــــى	بِسَنَائـــــهـــــا الــــعَلْيـــاءُ تَــــهْمَى
دَارتْ عَلَيـــــــــه كُؤس حَا	نَـــــاتِ الـــــشُّهـــــودِ فَغَابَ عَمَّا
ولِــــــسِرِّ سِرِّ الـــــكَائِـــــنَا	تِ فُؤادُهُ الــــــــعُلْوِيّ ضَمَّا
شَمِلَتْه عَيْنُ عِنَايــــــــــــة	مِن رَبِّه فَصَفَــــــــــــا ولَمَّا
ومُذ انْمَحَتْ عـــــــيْنُ الـــــتَّغَا	يُر بــــــا لـــــــشُّهـــودِ سَنَاهُ عَمَّا
لَمْ يَـــــــدْرِ كُنْـــــــهَ هِبَاتِهَا	إلا فَتَـــــــى لِلْحـــــــانِ أمَّا
يــــــخْتَالُ فــــــى جِلْبَابِ حَضْـ	ـــــــرَةِ مَنْ هَوَاهُ تَرَاهُ غُنْمَا
فَهُنَـــــاك تَعْرِفُ مَــــا حَـــوى	مِنْ رُتْبَةٍ وتَزِيــــــــــدُ عِلْمَا
وإذا اقْتَصَرْتَ عـــــلــى المــــشَا	هَدِ مِنْه لَمْ تَــــــــــدْرِ الأهَمَّا
بُشْرى لِنَاهِــــــلِ كَأسِـــــــه	إنْ عـــــــــدَّ غَيْر هَوَاه جُرْمَا
مَا تَــــــمَّ إلا سَـــــيِّدِى	وَطَــــرِيـــــقُهُ الـــــزَّاكِى المــــسَمَّى
مَن يَـــــنْتَحِيــــه هُو الـــــسَّعِيــــ	ـــــدُ ومَن يَزِغْ عــــنْه فــــأعْمَى
ثُمَّ الــــــصَّلاةُ مَعَ الــــسَّلا	مِ لِمَنْ لأهْلِ الـــــــزَّيْغِ أصْمَى
والآلِ والأصْحَـــــابِ مَــــا	قَلْبٌ لِنَيْلِ الــــــقُرْبِ هَمَّا
أوْ يُوســـــــــفُ الحِفْنِيُّ يَرْ	جُـــــو مِنْهُ إسْعَــــافًا ورُحْمَا

ونقل عن الوزيـر المفخم محمد باشـا راغب أنَّه قال لبعض بنى الـسقاف : « إنما لقـب جدكم بالـسقاف لـكونه كـان سقفًا علـى اليمـن من البـلاء ، وكذلك الشيخ الحفناوى سقف علـى مصر من نزول البلاء » ونظيره قول بعـض الأمراء حين قيل له الأستاذ الحفناوى مـن عجائب مصر ، قال : « بل قل من عجائـب الدنيا » وللأديب العلامة ، الشيخ مصطفى اللقيمى فى مدحه.، ومدح السيد البكرى معًا :

قُمْ هاتِ لى خَمْرَة المعَانى ... مَع كُلّ مَولَى لَهَا مَعَانى

ثُم اجتَليها مع النَّدامَى ... وطُفْ بهَا كَعبَةَ الأمَانى

وروِّق الراحَ كَىْ أراهَا ... فى الكَاسِ لاحَتْ كَبَهْرَمَان

ثُم اسقِنِيهَا بِجنح لَيْل ... صرفًا علَى نَغْمَة المثَانى

فإنْ تَرُومَا بها اتّصَالا ... هيّا إلى الحان واصْحَبَانى

فتلكَ خَمرُ الشُّهود تُدْعى ... لا خَمْرة الكَرْم والدِّنَان

خَلَعتُ فِيها العذَار لما ... أنْ غِبتُ عَن مَشْهَد العِيَان

وهمْت فى حُبّها غَرامًا ... فَيَا خَلِيلَيّ خَلّيَانى

وَوَحِّد الحقّ فهو فَرْدٌ ... لم يُثْنِنِى عَنْ ثَنَاهُ ثَانى

قَيّدتَ فى حبّه فُؤادى ... أطلَقتُ فى ذكْره لسَانى

فى خَلْوة القُرب لى بَقَاءٌ ... فى جَلْوة الحبّ صرتُ فَانى

أيا عَذُولى فَدَعْ مَلاَمى ... فَسَيّدُ الصّدق قَدْ دعَانى

لحضْرَة القُدْس واجتلا لى ... مِنْ كَأسه خَمْرَةَ المعَانى

بجَانب الطُّور لاحَ نُورٌ ... أضَاء من سرّه جَنَانى

ببَابِه قد خَفِى ظهُورا ... وصَونُه غَايةُ البَيَان

فهمْتُ لما فَهِمتُ رَمْزا ... لَمْ تَحْوِه أحْرُفُ المبَانى

مظَاهرٌ للطَّريق شتّى ... قد أعْجَمَتْ مَن لَهَا يُعَانى

فَذُو جَلال وذُو جَمَال ... وذُو كَمَال وذُو افْتِتَان

وذُو سُكُون وذُو هيَام ... وذُو سُكُوت وذُو بيَان

فَلا تَلُمْ هَائمًا تَرَاهُ ... منْ سُكْره كَسَّرَ الأوانى

وتَاهَ من شَوْقه سَمَاعًا ... للذّكْر فى مَشْهَد التّدَانى

إنْ شَامَ نَحوَ الحِمَى بُروقًا ... يُهيجُهُ بَرقُهَا اليَمَانى

صَاحِبْ فَرِيقًا نَحوْا طَرِيقًا ... قدْ شَادَها قُطْبُ ذَا الأوان

السّيّد المصْطَفَى الحُسَيْنى ... ذُو نسبَة عقْدُها جُمَانى

وبُضْعَةُ الصدّق من عَتيق ... رَفيق غَارٍ وخَيْر ثانى

فَمَنْطقى لَم يَفِى(١) بمَدحٍ ... وكَلّ عن ضَبْطه بَنَانى

فالعَجْزُ عن دَركه وصُولٌ ... مَن ذَا لنَشْر الثّنَا يُدَانى

هَيّا مُريدَ الطّريق هَيّا ... واشْرَبْ سُلاَفًا بطيبِ حَان

وهيِّم القَلْبَ بالجلالة ... لِيشْربوا كَاسَها الكيانى

---

(١) أثبت الياء مع الجازم لضرورة الشعر .

وتَجـــذبُ الـــكُلّ نَحْو نَادِ الْـ ـــحفْنىّ شَمس سَمَا الـــتَّهـــانى
بَادِرْ وشَمِّرْ بِصـــــدْق سَيْرٍ كَىْ تَشْهَدَ الـــــسرَّ مِنْك دَانى
وتَغْنَم الأنسَ فـــــى رِحَابٍ تُجـــلـــى به كُنَّسُ الـــغَوانى
بُشْراكِ بُشْراكِ يـــــا مَعَانى فـــــهَذه بُلْغَةُ الأمَانى

ولما سمعها السيد البكرى وقعت عنده أحسن موقع ، وهى حرية بذلك ، فينبغى ان تُحمَل ، ولا تُهمَل ، وفى المترجم مدائح كثيرة يطول شرحها ، وذكر بعضها ، وسيذكر فى تراجم أصحابها ، توفى رضى الله عنه يوم السبت قبل الظهر ، بسابع عشرين ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة ، وألف [1] ، ودفن يوم الأحد [2] ، بعد أن صلى عليه فى الأزهر فى مشهد عظيم جداً ، وكان يوم هول كبير ، وكان بين وفاته ووفاة الأستاذ الملوى ثلاثة عشر يومًا ، ومن ذلك التاريخ ابتدأ نزول البلاء ، واختلال أحوال الديار المصرية ،وظهر مصداق قول الراغب : « إنَّ وجوده أمان على أهل مصر من نزول البلاء » ، وهذا من المشاهد المحسوس ، وذلك أنه إذا لم يكن فى الناس من يصدع بالحق ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقيم الهدى ، فسد نظام العالم ، وتنافرت القلوب ، ومتى تنافرت القلوب نزل البلاء ، ومن المعلوم المقرر أنَّ صلاح الأمة بالعلماء والملوك ، وصلاح الملوك تابع لصلاح العلماء ، وفساد اللازم بفساد الملزوم فما بالك بفقده ، والرحى لاتدور بدون قطبها ، وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية ، ولا يتم أمر من أمور الدولة وغيرها إلا باطلاعه وإذنه ، ولما شرع الأمراء القائمون بمصر فى إخراج التجاريد لعلى بيك ، وصالح بيك ، واستأذنوه ، فمنعهم من ذلك وزجرهم وشنع عليهم ، ولم يأذن بذلك كما تقدم ، وعلموا أنه لايتم قصدهم بدون ذلك ، فاشغلوا الأستاذ وسموه ، فعند ذلك لم يجدوا مانعًا ولا رادعًا ، وأخرجوا التجاريد وآلَ الأمر لخذلانهم وهلاكهم والتمثيل بهم ، وملك على بيك ، وفعل ما بدا له ، فلم يجد رادعًا أيضًا ، ونزل البلاء حينئذ بالبلاد المصرّية ، والشامية ، والحجازية ، ولم يزل يتضاعف حتى عم الدنيا ، وأقطار الأرض ، فهذا هو السر الظاهرى ، وهو لاشك تابع للباطنى ، وهو القيام بحق وراثة النبوة ، وكمال المتابعة وتمهيد القواعد ، وإقامة أعلام الهدى والإسلام ، وأحكام

(١) ٢٧ ربيع الأول ١١٨١ هـ / ٢٣ أغسطس ١٧٦٧م .
(٢) ٢٨ ربيع الأول ١١٨١ هـ / ٢٤ أغسطس ١٧٦٧م .

مبانى التقوى ، لأنهم أمناء الله فى العالم ، وخلاصة بنى آدم ﴿ أولَئكَ هُمُ الوَارِثُونَ الذينَ يَرِثُونَ الفِردَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ .

وَلَو انّ أهْلَ العِلْمِ صَانُوه صَانَهُم ... وَلَوْ عَظَّمُوه فى القُلُوبِ لَعُظِّمَا

ومات : شمس الكمال ، أبو محمد الشيخ عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب بن الشيخ نور بن بايزيد بن شهاب الدين أحمد ابن القطب سيدى محمد بن أبى المفاخر داود الشربينى بمصر ، ونقلوا جسده إلى شربين ، ودفن عند جده سامحه الله ، وتجاوز عن سيآته ، وتولى بعده فى خلافتهم أخوه الشيخ محمد ، ولهما أخ ثالث اسمه عليّ ، وكانت وفاة المترجم ليلة ، الأحد غرة ذى القعدة سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [1] .

ومات : الشيخ الإمام العلامة ، المتقن المتفنن ، الفقيه الأصولى النحوى ، الشيخ محمد بن محمد بن موسى العبيدى ، الفارسى الشافعى ، وأصله من فارسكور ، أخذ عن الشيخ عليّ قايتباى ، والشيخ الدفرى ، والبشبيشى ، والنفراوى ، وكان آية فى المعارف والزهد والورع والتصوف ، وكان يلقى دروسًا بجامع قوصون ، على طريقة الشيخ العزيزى ، والدمياطى ، وبآخرة توجه إلى الحجاز ، وجاور به سنة ، وألقى هناك دروسًا ، وانتفع به جماعة ، ومات بمكة ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن عند السيدة خديجة ، رضى الله عنها .

ومات : الشيخ الإمام العلامة ، مفيد الطالبين ، الشيخ أحمد أبو عامر النفراوى ، المالكى ، أخذ الفقه عن الشيخ سالم النفراوى ، والشيخ البليدى ، والطحلاوى ، والمعقول عنهم ، وعن الشيخ الملوى ، والحفنى ، والشيخ عيسى البراوى ، وبرع فى المعقول ، والمنقول ، ودرس وأفاد وانتفع به الطلبة ، وكان درسه حافلاً وله حظوة فى كثرة الطلبة والتلاميذ ، توفى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف[2] أيضًا .

ومات : الأمير حسن بيك جوجو ، وجن عليّ بيك ، وهما من مماليك إبراهيم كتخدا ، وكان حسن مذبذبًا ومنافقًا بين خشداشينه ، يوالى هؤلاء ظاهراً وينافق الآخرين سراً ، وتعصب مع حسين بيك ، وخليل بيك ، حتى أخرجوا عليّ بيك إلى

---

(١) غرة ذى القعدة ١١٨١ هـ / ٢٠ مارس ١٧٦٨م .

(٢) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨ م .

النوسـات ، ثم صـار يراسـله سراً ويعلِمُه بأحـوالهم وأسرارهم ، إلـى أن تحول إلى قبلـى ، وانضم إلى صالـح بيك ، فأخذ يـستميل مـتكلمى الـوجاقلية إلـى أنْ كانوا يكتبون لأغراضهم بقبلى ، ويرسلون المكاتبات فى داخل أقصاب الدخان ، وغيرها ، وهو مع مـن بمصر فى الحركات والـسكنات إلى أن حضـر عليّ بيك وصالـح بيك ، وكان هو نـاصبًا وطاقة معـهم جهة البـساتين ، فلمـا أرادوا الارتحال استمر مـكانه ، وتخلف عنهم ، وبقى مع عليّ بيك بمصر يـشار إليه ، ويرى لنفسه المنة عليه ، وربما حدثته نفسه بالإمارة دونه ، وتحقق عليّ بيك أنه لايتمكن من أغراضه ، وتمهيد الأمر لنفـسه مادام حسن بيـك موجوداً ، فكتـم أمره ، وأخذ يدبر عـلى قتله ، فبـيت مع أتباعه : محمد بيـك ، وأيوب بيك ، وخشداشينهم ، وتوافقوا علـى اغتياله ، فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن شهر رجب [1] ، حضر حسن بيك المـذكور وكذا خشداشه جن عليّ بيـك ، وسَمَرا معه حصة من اللـيل ، ثم ركبا فركب صـحبتهما محـمد بيك ، وأيوب بيك ومماليكهما ، واغتالوهما فى أثناء الطريق كما تقدم .

ومات : الأمير رضوان چربـجى الرزاز ، وأصله مملوك حسن كتـخدا ابن الأمير خليل أغا ، وأصل خـليل أغا هذا شاب تركى خردجى يبـيع الخردة ، دخل يومًا من بيت لاچين بيك الذى عنـد السويقة المعروفة بسويقة لاچين ، وهو بـيت عبد الرحمن أغا المتخـرب الآن ، وكان ينفذ من الجهتين ، فرآه لاچـين بيك فمال قلبه إليه ، ونظر فيه بالفراسة مخايل النجابة ، فدعاه للمقام عنده فى خدمته ، فأجاب لذلك ، واستمر فى خدمته مدة وترقى عنده ، ثم عينه لسد جسر شرمساح [2] ، ووعده بالإكرام إنْ هو اجتهد فى سده على ماينبغى ، فنزل إليه وساعدته العناية حتى سده وأحكمه ورجع ، ثم عيـنه لجبْي الخراج ، وكان لايـحصل له الخراج إلا بـالمشقة وتـبقى البواقـى على البواقى القديمة فى كل سنة ،فلـما نزل وكان فى أوان حصاد الأرز فوزن من المزارعين شعير الأرز من المال الجـديد والبواقى أوّل بأول ، وشطب جميـع ذلك من غير ضرر ولا أذية ، وجمعه وخزنه ، واتفق أنّه غلا ثمنه فى تلك السنة غلواً زائداً عن المعتاد، فباعه بمبلغ عظيم ، ورجـع لسيده بصنـاديق المال ، فقـال : « ماهذا » ، فقال هو:

---

(١) ٨ رجب ١١٨١ هـ / ٣٠ فبراير ١٧٦٧م .

(٢) شرمسـاح : قرية قديمـة وردت محرفة فى قـوانين الدواوين باسـم «مثير مـاهى» ، وفى الخطط الـتوفيقـية اسم «شبرباص» والصواب اسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز فارسكور ، محافظة الدقهلية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

« مالك الذى أرسلتنى لإحضاره » ، وعَـرَّفه الأمر فقال : « لا آخذ إلا حقى ، وأما الربح فهـو لك » ، فأخذ قدر ماله وأعطـاه الباقى ، فذهب واشترى لمخـدومه جارية مليحة ، وأهداها له ، فلم يقبلها وردها إليه ، وأعطى له البيت الذى بالتبانة ، ونزل له عن طصفة [1] ، وكفرها ، ومنـية تمامه [2] ، وصار من الأمراء المعـدودين ، فولد لخليل هـذا حسن كتخدا ومـصطفى كتخـدا ، كانا أميرين كـبيرين معدوديـن بمصر ، ومماليكه صالح كتخدا وعبد الله چربجى هـذا المترجم ، وغيرهما أكثر من المائة أمير ، وكان رضـوان چربجى هـذا من الأمراء الخيـرين الدينـين ، له مكارم أخـلاق ، وبر ومعـروف ، ولـما نفـى على بـيك عبد الرحمن كـتخدا ، فنفاه أيـضًا ، وأخرجه من مصر ، ثم إن عليّ بيك ذهب يومًا عند سليمان أغا كتخدا الجاويشـية ، فعاتبه علـى نفي رضـوان چربجـى ، فقال له : « ابنى المذكور منافق ،يـسعي فى إثارة الفتن ، ويلقى بين الناس ، فهو يستاهل ، وأما هذا فهو إنسان طيب ، وما علمنا عليه مايشينه فى دينه ولا دنياه » ، فقال : « نرده لأجل خاطرك ، وخاطره » ، ورده ولـم يزل فى سيادتـه حتى مات علـى فراشه ، سادس جـمادى الأولى فى هذه الـسنة [3] ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف [4]

استهل المحرم بيوم الأربعاء [5]

فى ثانيه [6] ، سافرت التجريدة المعينة إلى بحرى ، بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم، وهم : حسين بيـك ، وخليل بيك ، ومن معـهم ، وقد بذل جهده عليّ بـيك حتى شهل أمرها ، ولـوازمها فى أسرع وقت ، وسافرت يـوم الخميس [7] ، وأميرها وسر عسكرها محمـد بيك أبو الذهب ، فلما وصلوا إلى ناحـية دجـوة ، وجـدوهم عَدُّوا إلى مسـجد الخضر ، فعـدوا خلفهم ، فوجـدوهم ذهبوا إلى طـندتا وكرنكـوا بها ،

---

(١) طصفة : قـرية قديمة ، اسمها «طسـفة» ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م ، وردت باسمها الحـالى «طصفا» ، وهى إحدى قرى مركز ميت غمر ، محافظة الدقهلية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢) منية تمامة : لم نعثر على تعريف بها ، وواضح من النص أنها قريبة من ميت غمر - محافظة الدقهلية .

(٣) ٦ جمادى الأولى ١١٨١ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٧٦٧م .

(٤) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩م .

(٥) ١ محرم ١١٨٢ هـ / ١٩ مايو ١٧٦٨م .

(٦) ٢ محرم ١١٨٢ هـ / ١٩ مايو ١٧٦٨م .

(٧) ٢ محرم ١١٨٢ هـ / ١٩ مايو ١٧٦٨م .

فتبعوهم إلى هناك ، وأحاطوا بالبلدة من كل جهة ، ووقع الحرب بينهم فى منتصف شهر المحرم [1] ، فلم يزل الحرب قائمًا بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود ، فعند ذلك أرسلوا إلى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان ، وارتفع الحرب من بين الفريقين ، وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم بإجراء الصلح بينهم وبين مخدومه عليّ بيك ، فانخدعوا له وصدقوه ، وانحلت عزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة ، ثم إنَّ محمد بيك أرسل فى ثانى يوم [2] ، إلى حسين بيك يستدعيه ليعمل معه مشورة ، فحضر عنده بمفرده ، وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط ، فلما وصلوا إلى مجلسه ودخلوا إليه ، فلم يجدوه ، فعندما استقر بهما الجلوس ، دخل عليهما جماعة وقتلوهما ، وحضر فى أثرهما حسن بيك شبكة ، ولم يعلم ماجرى لسيده ، فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر ، فأراد الرجوع ، فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت ، فوقع إلى الأرض ، فلحقه بعض الجند واحتز رأسه ، فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ، ومن معه ذهبوا إلى ضريح سيدى أحمد البدوى والتجأوا إلى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون بإخوانهم ، فلما فعلوا ذلك ، لم يقتلوهم ،وأرسل محمد بيك ، يستشير سيده فى أمر خليل بيك ، ومن معه ، فأمر بنفيه إلى ثغر سكندرية ، وخنقوه بعد ذلك بها ، ورجع محمد بيك ، وصالح بيك ، والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر فى موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة فى صوان من فضة ، والخدم يقولون : « صلوا على محمد » ، وصالح بيك ، ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس ، وعدتها ستة رؤوس ، وهى رأس : حسين بيك ، وخليل بيك السكران ، وحسن بيك شبكة ، وحمزة بيك ، وإسماعيل بيك أبى مدفع ، وسليمان أغا الوالى ، وذلك ، يوم الجمعة سابع عشر المحرم [3] .

وفى يوم الثلاثاء أربع عشر صفر [4] ، حضر نجاب الحج واطمأن الناس .

وفى يوم الجمعة سابع عشره [5] ، وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة ، وأمير الحاج خليل بيك بلفية ، وسر الناس بسلامة الحجاج ، وكانوا يظنون تعبهم ، بسبب هذه الحركات والوقائع .

---

(١) ١٥ محرم ١١٨٢ هـ / ١ يونية ١٧٦٨م .
(٢) ١٦ محرم ١١٨٢ هـ / ٢ يونية ١٧٦٨م .
(٣) ١٧ محرم ١١٨٢ هـ / ٣ يونية ١٧٦٨م .
(٤) ١٤ صفر ١١٨٢ هـ/ ٣٠ يونية ١٧٦٨م .
(٥) ١٧ صفر ١١٨٢ هـ / ٣ يولية ١٧٦٨م .

وفى ثامن عشر صفر [1] ، أخرج عليّ بيك جملة من الأمراء من مصر ، ونفى بعضهم إلى الصعيد ، وبعضهم إلى الحجاز ، وأرسل البعض إلى الفيوم ، وفيهم محمد كتخدا تابع عبد الله كتخدا ، وقرا حسن كتخدا ، وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ، ومحمد كتخدا الجردلى وحسن أفندى الباقرجى ، وبعض أوده باشية ، وعلى چربجى ، وعلى أفندى الشريف جمليان .

وفيه [2] : صرف عليّ بيك مواجب الجامكية .

وفيه [3] : أرسل عليّ بيك ، وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدى أحمد البدوى ، وصادرهم ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة لايقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ، ومن خدمة المقام الأحمدى ، وأرسل الحاج حسن عبد المعطى ، وقيده بالسدنة عِوضًا عن المذكورين ، وشرع فى بناء الجامع ، والقبة والنسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين [4] ، وضمان البغايا والخواطىء وغير ذلك .

وفى تاسع شهر ربيع الأول [5] : حضر قابجى من الديار الرومية بمرسوم ، وقفطان وسيف لعليّ بيك من الدولة .

وفيه [6] : وصلت الأخبار بموت خليل بيك الكبير بثغر سكندرية مخنوقًا .

وفى يوم السبت ثانى عشره [7] ، نزل الباشا إلى بيت على بيك باستدعائه ، فتغدى عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

وفى يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر [8] ، اجتمع الأمراء بمنزل عليّ بيك على العادة ، وفيهم صالح بيك ، وقد كان عليّ بيك بيت مع أتباعه على قتل صالح بيك ، فلما انقضى المجلس ، وركب صالح بيك ، ركب معه محمد بيك ، وأيوب بيك ، ورضوان بيك ، وأحمد بيك بشناق ، المعروف بالجزار ، وحسن بيك الجداوى ، وعليّ بيك الطنطاوى ، وأحدق الجميع بصالح بيك ، ومن خلفهم

---

(1) ١٨ صفر ١١٨٢ هـ / ٤ يولية ١٧٦٨م .

(2) ١٨ صفر ١١٨٢هـ / ٤ يولية ١٧٦٨م .

(3) ١٨ صفر ١١٨٢هـ / ٤ يولية ١٧٦٨م .

(4) العيارين : الشطار ، الفتوات ، الجعيدية .

(5) ٩ ربيع الأول ١١٨٢ هـ / ٢٤ يولية ١٧٦٨م .

(6) ٩ ربيع الأول ١١٨٢هـ / ٢٤ يولية ١٧٦٨م .

(7) ١٢ ربيع الأول ١١٨٢ هـ / ٢٧ يولية ١٧٦٨م .

(8) ١٨ ربيع الأول ١١٨٢ هـ / ٢٧ يولية ١٧٦٨م .

الجند والمماليك والطوائف ، فلما وصلوا إلى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور [1] ، تأخر محمد بيك ، ومن معه ، عن صالح بيك قليلاً ، وأحدث له محمد بيك حماقة مع سائسه ، وسحب سيفه من غمده سريعًا ، وضرب صالح بيك ، وسحب الآخرون سيوفهم ماعدا أحمد بيك بشناق ، وكملوا قتلته ، ووقع طريحًا على الأرض ، ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم إلى القلعة ، وعندما رأوا[2] مماليك صالح بيك وأتباعه مانزل بسيدهم ، خرجوا على وجوههم ، ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد بيك بشناق فى عدم ضربه معهم صالح بيك ، وقالوا له : « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا » ، فقال : « بل ضربت معكم فكذبوه » ، فقال له بعضهم : « أرنا سيفك » ، فامتنع ، وقال : « إنَّ سيفى لايخرج من غمده ، لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته ، وذلك أنَّ أحمد بيك هذا لم يكن مملوكًا لعليّ بيك ، وإنما كان أصله من بلاد بشناق [2] ، حضر إلى مصر فى جملة أتباع على باشا الحكيم ، عندما كان واليًا على مصر فى سنة تسع وستين ومائة وألف [3] ، فأقام فى خدمته إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [4] ، وتلبس صالح بيك بإمارة الحج فى ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور عليّ باشا فى الحج ، وأذن له فى الحج ، فحج مع صالح بيك وأكرمه وأحبه وألبسه زى المصريين ، ورجع صحبته ، وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك عليّ ، ثم خدم عند عليّ بيك ، فأعجبه شجاعته وفروسيته فرقاه فى المناصب حتى قلده الصنجقية ، وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منه صالح بيك السابقة عليه ، فلما عزم عليّ بيك على خيانة صالح بيك السابقة وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أوّل ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقيل له إنَّ أحمد بيك أسر ذلك إلى صالح بيك وحذره غدر عليّ بيك إياه ، فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق ، ولم يحصل منه مايوجب ذلك ، ولم يعارضه فى شىء ، ولم ينكر عليه فعلاً ، فلما اختلى صالح بيك بعليّ بيك أشار إليه بما بلغه ، فحلف له عليّ بيك بأنَّ ذلك نفاق من المخبر ، ولم يعلم من هو ، فلما

---

(١) سويقة عصفور : شارع سويقة عصفور ، يبتدئ من شارع الداودية تجاه شارع الخمزية ، وينتهى إلى حارة عصفور ، وطوله (١١٠ مترا) .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٢٤١ .

(٢) صحتها « رأى » ، لأن مماليك فاعل .

(٣) بلاد البشناق : أى بلاد البوسنة والهرسك . (٤) ١١٦٩ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٥٥ -٢٥ سبتمبر ١٧٥٦م .

(٥) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨م .

حصل ماحصل ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ، تخيل وداخله الوهم ، وتحقق فى ظنه تجسيم القضية ، فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا إلى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب إلى الإسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر ، فلما تأخر حضوره بمنزل عليّ بيك وركوبه ، سألوا عنه ، فقيل له : « إنه متوعك » ، فحضر إليه فى ثانى يوم [1] ، محمد بيك ليعوده ، وطلب الدخول إليه ، فلم يمكنهم منعه ، فدخل إلى محل مبيته ، فلم يجده فى فراشه ، فسأل عنه حريمه ، فقالوا : « لانعلم له محلاً ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه » ، وفتشوا عليه فلم يجدوه ، وأرسل عليّ بيك عبد الرحمن أغا ، وأمره بالتفتيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت ، وهو بيت شكره فره ، وفتش عليه فى البيت ، والخطة فلم يجده ، وهو قد كان هرب ليلة الواقعة فى صورة جزائرلى مغربى ، وقصقص لحيته ، وسعى بمفرده إلى شلقان [2] ، وسافر إلى بحرى ، ووصل السعاة بخبره لعليّ بيك ، بأنه بالإسكندرية ، فأرسل بالقبض عليه ، فوجدوه نزل بالقبطانة ، واحتمى بها ، وكان من أمره ما كان بعد ذلك كما سيأتى ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير بالذكر ، الذى تملك عكا ، وتولى الشام ، وإمارة الحج الشامى ، وطار صيته فى الممالك .

وفيه [3] : عين عليّ بيك تجريدة على سويلم بن حبيب ، وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة إلى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك إلى سويلم ، فلما ذهب أيوب بيك إلى دجوة ، فلم يجد بها أحداً ، وكان سويلم بائتًا فى سندنهور [4] ، وباقى الحبايبة متفرقين فى البلاد ، فلما وصله الخبر ، ركب من سندنهور وهرب بمن معه إلى البحيرة ، والتجأ إلى الهنادى [5] ، ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات

---

(١) ١٩ ربيع الثانى ١١٨٢ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٦٨م .

(٢) شلقان : قرية قديمة / وهى إحدى قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ١ ، ص ٥٦ .

(٣) ١٩ ربيع الثانى ١١٨٢ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٦٨م .

(٤) سندنهور : قرية قديمة . اسمها المصرى القديم (Hat Sahiura our) ، وهى احدى قرى مركز بنها ، محافظة القليوبية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢١

(٥) عرب الهنادى : ينتسبون إلى هند بن سلام بن الذئب من أبى الليل ، نزل بطن منهم من فرع السلالمة ، أقدم فروع اسعادى إلى البحيرة بمصر ، قادمًا من برقة بليبيا ، قبل ثلاثة قرون ، ولم يعد للسلالمة أى عشائر فى برقة فى الوقت الحاضر ، وأشهر فروعها السلاطنة ، الشافعية ، الطحاوية ، المناصرة ، حويطا ، العلاونة ، المطاردة ، الطرش ، المنفى ، الإماركين ، ، أبو عجيلة ، غنائم ، العوالكة ، العوامرة ، الطريفات ، القطيفات .

الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

إلى مصر ، واحتج عليه بسبب واقعة : حسين بيك ، وخليل بيك ، لما أتيا إلى ذجوة ، بعد واقعة الديرس والجراح [1] ، قدم لهم التقادم ، وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك ، والغرض الباطنى اجتهاده فى إزالة أصحاب المظاهر ، كائنا ما كان .

وفى يوم الإثنين تاسع عشره [2] ، أمر عليّ بيك بإخراج على كتخدا الخربطلى منفيًا ، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ،ونفى حسن أفندى درب الشمسى ، وإخوته إلى السويس ليذهبوا إلى الحجاز ، وسليمان كتخدا الجلفى ، وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ ، وكان خليل بيك الأسيوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح بيك هرب إلى غزة .

وفى يوم الأحد خامس جمادى الأولى [3] ، طلع عليّ بيك إلى القلعة ، وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد أيوب بيك تابعه ولاية جرجا ، وحسن بيك رضوان ، أمير حج ، وقلد الوالى .

وفى جمادى الآخرة [4] ، قلد إسماعيل بيك الدفتردارية ، وصرف المواجب فى ذلك اليوم .

وفى منتصف شهر رجب [5] ، وصل أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر فاجتمعوا بالديوان ، وقرءوا المرسوم ، وكان عليّ بيك أحضر سليمان بيك الشابورى من نفيته بناحية المنصورة [6] ، وكان منفيًا هناك ، من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف [7] .

وفى يوم الثلاثاء ، عملوا الديوان بالقلعة ، ولبسوا سليمان بيك الشابورى أمير السفر الموجه إلى الروم ، وأخذوا فى تشهيله ، وسافر محمد بيك أبو الذهب

(١) الديرس والجراح : أنظر ، ص ٤١٩ ، حاشية رقم (٤) ، وحاشية رقم (٥) .

(٢) ١٩ ربيع الثانى ١١٨٢ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٦٨م . (٣) ٥ جمادى الأولى ١١٨٢ هـ / ١٧ سبتمبر ١٧٦٨م .

(٤) جمادى الثانية ١١٨٢ هـ / ١٣ أكتوبر - ١٠ نوفمبر ١٧٦٨م .

(٥) ١٥ رجب ١١٨٢ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٧٦٨م .

(٦) المنصورة : مدينة أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩م ، عندما احتل الفرنج مدينة دمياط ، وجعلها منزلة لعسكره ، وسماها المنصورة تفاؤلاً على الصليبيين ، وهى مدينة كبيرة وقاعدة لمحافظة الدقهلية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٧) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩م .

بتجريدة ، ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين لمنابذة شيخ العرب همام ، فلما قربوا من بلاده ، ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أنْ يكون لشيخ العرب همام ، من حدود برديس ، ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك ، ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بيك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضًا إنعامًا منه للمولود ، ورجع محمد بيك ، ومن معه إلى مصر .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ أحمد الكتبى المعروف بالسقط ، وضربه علقة قوية ، وأمر بنفيه إلى قبرص ، فلما نزل إلى البحر الرومى ، ذهب إلى إسلامبول ، وصاهر حسن أفندى قطة مسكين المنجم ، وأقام هناك إلى أنْ مات ، وكان المذكور من دهاة العالم ، يسعى فى القضايا والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق ، بحسن سبكه وتداخله .

وفى سابع عشره [1] ، حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا ، وكان أراد أن يحدث حركة ، فوشى به كتخداه عبد الله بيك إلى عليّ بيك ، فأصبحوا وملكوا الأبواب ، والرميلة والمحجر ، وحوالى القلعة ، وأمروه بالنزول ، فنزل من باب الميدان إلى بيت أحمد بيك كشك ، وأجلسوا عنده الحرسجية [2] .

وفى يوم الأحد غرة شعبان [3] ، تقلد عليّ بيك قائمقامية عوضًا عن الباشا .

وفى يوم الخميس [4] ، أرسل عليّ بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى رجل من الأجناد ، يسمى إسماعيل أغا من القاسمية ، وأمره بقتله ، وكان إسماعيل هذا منفيًا جهة بحرى ، وحضر إلى مصر قبل ذلك ، وأقام ببيته جهة الصليبة ، وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية والإقدام ، فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ، ونظر إلى الأغا واقفًا بأتباعه ينتظره ، علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر عليّ بيك ، فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن عنده أحد سوى زوجته ، وهى أيضًا جارية تركية ، وعَمّر بندقيته وقرابينته ، وضرب عليهم ، فلم يستطيعوا العبور إليه من الباب وصارت زوجته تعمر له ، وهو يضرب حتى قتل منهم أناسًا ، وانجرح كذلك ، واستمرعلى ذلك يومين وهو يحارب وحده، وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه، وهو ممتنع عليهم إلى أن فرغ منه البارود

(1) ١٧ رجب ١١٨٢ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٧٦٨م .
(2) الحرسجية : انظر ، ص ٤٩٠ ، حاشية رقم (٢) .
(3) غرة شعبان ١١٨٢ هـ / ١١ ديسمبر ١٧٦٨م .
(4) ٥ شعبان ١١٨٢ هـ / ١٥ ديسمبر ١٧٦٨م .

والرصاص ، ونادوه بالأمان فصدقهم ، ونزل من الدرج ، فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج، وتكاثروا عليه وقتلوه، وقطعوا رأسه ظلمًا، رحمه الله تعالى .

وفى تاسع عشره [1] ، صرفت المواجب على الناس والفقراء .

وفى ثامن عشرينه [2] ، خرج موكب السفر الموجه إلى الروم فى تجمل زائد .

وفى عاشر رمضان [3] ، قبض عليّ بيك على المعلم إسحق اليهودى ، معلم الديوان ببولاق ، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب ، وضربه حتى مات ، وكذلك صادر أناسًا كثيرة فى أموالهم من التجار ، مثل العشوبى ، والكمين ، وغيرهما ، وهو الذى ابتدع المصادرات ، وسلب الأموال من مبادى ظهوره ، واقتدى به من بعده .

وفى شوال [4] : هيأ عليّ بيك هدية حافلة ، وخيولاً مصرية جياداً ، وأرسلها إلى إسلامبول للسلطان ورجال الدولة ، وكان المتسفر بذلك إبراهيم أغا سراج باشا ، وكتب مكاتبات إلى الدولة ورجالها ، والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضًا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته عندهم ، ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه ، ومعاونته لهم ، وطلب منه أن ترسل من طرفه أناسًا مخصوصين ، فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى ، ومحمد أفندى البردلى ، فسافروا مع الهدية ، وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضًا .

وفى ثانى عشر ذى القعدة [5] ، رسم بنفى جماعة من الأمراء أيضًا ، وفيهم إبراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة ، وإسماعيل أفندى جاويشان ، وخليل أغا باش جاويشان جمليان ، وباشجاويش تفكجيان ، ومحمد أفندى چراكسة ،ورضوان بيك تابع حسن بيك رضوان ، والزعفرانى ، فأرسل منهم إلى دمياط ورشيد وإسكندرية ، وقبلى ، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على بلادهم ، وفرقها فى أتباعه ، وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه ، يستصفى أموالهم أولاً ، ثم يخرجهم ، ويأخذ بلادهم وأقطاعهم ، فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم فى مكانهم ، ونفى أيضًا إبراهيم كتخدا جدك ، وابنه محمد إلى رشيد ، وكان إبراهيم هذا كتخداه ، ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما نفاه ولّى مكانه فى الحسبة مصطفى أغا ، والله أعلم .

---

(1) ١٩ شعبان ١١٨٢ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٧٦٨م .

(2) ٢٨ شعبان ١١٨٢ هـ / ٧ يناير ١٧٦٩م .

(3) ١٠ رمضان ١١٨٢ هـ / ١٨ يناير ١٧٦٩م .

(4) شوال ١١٨٢ هـ / ٨ فبراير - ٨ مارس ١٧٦٩م .

(5) ١٢ ذى القعدة ١١٨٢ هـ / ٢٠ مارس ١٧٦٩م .

وأما من مات فى هذه السنة من المشايخ والأعيان [1]

مات : الإمام الفقيه المحدث الأصولى المتكلم ، شيخ الإسلام ، وعمدة الأنام ، الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين ، الكريمى الخالدى ، الشافعى الأزهرى ، الشهير بالجوهرى ، وإنما قيل له الجوهرى ، لأن والده كان يبيع الجوهر ، فعرف به ، ولد بمصر سنة ست وتسعين وألف [2] ، واشتغل بالعلم ، وجَدَّ فى تحصيله حتى فاق أهل عصره ، ودرس بالأزهر ، وأفتى نحو ستين سنة ، مشايخه كثيرون منهم : الشهاب أحمد بن الفقيه ، ورضوان الطوخى إمام الجامع الأزهر ، والشيخ منصور المنوفى ، والشهاب أحمد الخليلى ، والشيخ عبدربه الديوى ، والشيخ عبد الرؤف البشبيشى ، والشيخ محمد أبو العز العجمى ، والشيخ محمد الأطفيحى ، والشيخ عبد الجواد المحلى ، الشافعيون ، والشيخ محمد السجلماسى ، والشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ سليمان الحصينى ، والشيخ عبد الله الكنكسى ، والشيخ محمد الصغير الورززى ، وابن زكرى ، والشيخ أحمد الهشتوكى ، والشيخ سليمان الشبرخيتى ، والسيد عبد القادر المغربى ، ومحمد القسطنطينى ، ومحمد النشرتى ، المالكيون ، ورحل إلى الحرمين فى سنة عشرين ومائة وألف [3] ، فسمع من البصرى ، والنخلى فى سنة أربع وعشرين ومائة وألف [4] ، ثم فى سنة ثلاثين ومائة وألف [5] ، وحمل فى هذه الرحلات علومًا جمة، وأجازه مولاى الطيب إبن مولاى عبد الله الشريف الحسينى ،وجعله خليفة بمصر ، وله شيوخ كثيرون غير من ذكرت ، وقد وجدت فى بعض إجازاته تفصيل ماسمعه من شيوخه ، مانصه : على البصرى ، والنخلى : أوائل الكتب الستة ، والإجازة العامة ، مع حديث الرحمة ، بشرطه ، وعلى الإطفيحى : بعض كتب الفقه والحديث والتصوف ، والإجازة العامة ، وعلى السجلماسى : فى سنة ست وعشرين ومائة وألف [6] ، الكبرى للسنوسى ، ومختصره المنطقى ، وشرحه وبعض تلخيص القزوينى ، وأول البخارى إلى كتاب الغسل ، وبعض الحكم العطائية ، وأجازه ، وعلى ابن زكرى ، أوائل الستة ، وأجازه ، وعلى الكنكسى : الصحيح بطرفيه ، وشرح العقائد للسعد ، وعقائد السنوسى وشروحها ، وشرح

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٣٠٩ ، طبعة بولاق «ذكر من مات فى هذه السنة من المشايخ والأمراء» .
(٢) ١٠٩٦ هـ / ٨ د ديسمبر ١٦٨٤ - ٢٧ نوفمبر ١٦٨٥ م .
(٣) ١١٢٠ هـ / ٢٣ مارس ١٧٠٨ - ١٢ مارس ١٧٠٩م .
(٤) ١١٢٤ هـ / . ٩ فبراير ١٧١٢ - ٢٧ يناير ١٧١٣م .
(٥) ١١٣٠ هـ / ٥ ديسمبر ١٧١٧ - ٢٣ نوفمبر ١٧١٨ م .
(٦) ١١٢٦ هـ / ١٧ يناير ١٧١٤ - ٦ يناير ١٧١٥م .

التسهيل لابن مالك إلى آخره ، وشرح الألفية للمكودى ، والمطول بتمامه ، وشرح التلخيص ، وعلى الهشتوكى : الإجازة بسائرها ، وعلى النفراوى : شرح التلخيص مراراً ، وشرح ألفية المصطلح ، وشرح الورقات ، وعلى الديوى : شرح المنهج ، لشيخ الإسلام مراراً ، وشرح التحرير ، وشرح ألفية ابن الهائم ، وشرح التلخيص ، وشرح ابن عقيل على الألفية ، وشرح الجزرية ، وعلى المنوفى : جمع الجوامع وشرحه للمحلى ، وشرح التلخيص ، وعلى ابن الفقيه : شرح التحرير وشرح الخطيب ، وابن قاسم مراراً ، وشرح الجوهرة ، لعبد السلام ، وعلى الخليفى : البخارى ، وشرح التلخيص ، والأشموني ، والعصام ، وشرح الورقات ، وعلى الحصينى : شرح الكبرى للسنوسى بتمامه ، وعلى الشبرخيتى : شرح الرخبية وشرح الآجرومية وغيرهما ، وعلى الورزازى : شرح الكبرى بتمامه مراراً ، وشرح الصغرى ، وشرح مختصر السنوسى ، والتفسير وغيره ، وعلى البشبيشى : المنهج مراراً ، وجمع الجوامع مراراً ، والتلخيص ، وألفية المصطلح ، والسمائل ، وشرح التحرير لزكريا وغيره ، هذا نص ماوجدته بخطه ، واجتمع بالقطب سيدى أحمد بن ناصر ، فأجازه لفظًا وكتابة، وممن أجازه: أبو المواهب الكبرى ، وأحمد البناء ، وأبو السعود الدنجيهى ، وعبد الحيّ الشرنبلالى ، ومحمد بن عبد الرحمن المليجى ، وفى الحرمين : عمر بن عبد الكريم الخلخالى ، حضر دروسه ، وسمع منه ، المسلسل بالأولية بشرطه ، وتوجه بآخرة إلى الحرمين بأهله ، وعياله ، وألقى الدروس ، وانتفع به الواردون ، ثم عاد إلى مصر ، فانجمع عن الناس ، وانقطع فى منزله يزار ويتبرك به ، وله تآليف منها : « منقذة العبيد عن ربقة التقليد فى التوحيد » ، و « حاشية على عبد السلام » و « رسالة فى الأولية » ، وأخرى فى حياة الأنبياء فى قبورهم ، وأخرى فى الغرانيق[1] وغيرها ، وكانت وفاته وقت الغروب ، يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى من السنة [2] ، وجهز بصباحه وصلى عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ، ودفن بالزاوية القادرية ، داخل درب شمس الدولة ، رحمه الله ، ورثاه نادرة العصر العلامة الشيخ مصطفى بن أحمد الصاوى بهذه القصيدة الفريدة وهى :

يَا دَهــرُ مَالَكَ بـالمـكَارِه تَجتَّرِى ... ولِفَقْدِ أربَابِ المـكَارِمِ تَحتَّرِى
تَغتَالُ منـا مَاجِدًا مـع مَاجِدٍ ... طَابَـتْ طَبَائـعُه بِطِيـبِ العُنْصُرِ
تُردِى الكَرِيمَ بـنَ الكَرِيمِ ومَاترَى ... حَقًّا لـعَهْدِ المـاهِرِ المُتَبَصِّرِ

---

(١) الغرانيق : مفردها غرنوق وغرنيق ، وغرناق ، وتعنى الشباب الغض الجميل .
جوهر : حسن محمد وآخران ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٨ م ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ٨ جمادى الأولى ١١٨٢ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٧٦٨م .

إنْ أصبحَ المولَى عَزيزَ عَشيرَةٍ — أمسيْتَه في ذُلّ ذُلٌّ أحقرِ

يغدُو كَريمَ النفسِ وهو مُقدَّمٌ — فيروحُ في هونٍ به متقهقرِ

وإذا حلَتْ بالصفوِ حالةُ جاله — مرّرتَها بتنغيصِ عيشٍ أكدرِ

لَوْ كُنتَ تَرعَى في الأفاضلِ حقَّهُمْ — أبقيْتَ مجمعَ شملِهم في الأعصرِ

مَن لي يُساعدُني لدَهْرٍ مُعتَدٍ — الغدرُ شيمتُه خئونٌ مُفترِي

في فقدِ كهفِ الفضلِ مجْدِ أولي النُّهَى — معْروفِ ذكرٍ في الورَى لم يُنكَرِ

حَاوِي الفضائلِ والفواضلِ والتُّقَى — والجودِ والمجدِ الأصيلِ المفخرِ

هو دُرةُ الغوّاصِ والبحرِ الّذي — أمْواجُه قَذَفَتْ بدُرّ الجوهَرِ

هو عُروةٌ وثقَى بها اعتَصم الورَى — عند انقطَاعِ حِبَال وِرْدِ الأبهَرِ

بدرٌ أضاءَ على الأماجِد كُلّها — حتّى على البَدْرِ المنيرِ المسفرِ

وسَماءُ فَخرٍ لا تُمدُّ لَهَا يدٌ — ألاّ وطُولُ عُلاَه قال لَهَا اقصرِي

ذُو مَعْهَدٍ أمّا مواضي فكره — إن ضارعَتْها الشُّهْب قالتْ تَحترِي

في قَابِ قَوْسِ المجْد حطّ رِحَالَه — ومَشَى على مرّيخه والمشتَرِي

حَاطَتْ بَصيرتُه بكُلّ فضيلةٍ — وعَمَت عَن الإدراكِ عينُ المبصرِ

إنْ تَختبِرْه في العُلُومِ وجدْتَه — قام الأدلّةَ عن عيّان المخبرِ

فَبفقهِه في الدّين ثُمّ بشعْرِه — يُنسيك أمّ الشافعي والبُحتُرِي

أنْ رُمْتَه في الحزمِ قالَ مُسَدّدٌ — أو رُمت توحيداً وجَدْت الأشْعرِي

أو رُمْت نَحْوا أو بَلاغةَ زُهْده — سَعدُ الزمانِ وسيبويه والسَّرِي

قد صحّ إسنادُ الرُّواةِ حديثَه — أهْلُ الثّبَاتِ ذوي المقامِ الأكبرِ

يروِي الصّحيحَ من الصّحيحِ فَما به — ضَعفٌ ولا وَهنٌ ولا مَن يزدَرِي

وغدا بنُطقِ كَمَاله يُبدي لَنَا — عينَ النّتيجةِ ضمْنَ شَكْلٍ أنوَرِ

عجبٌ لشَمْسِ مَعَارِفٍ قد أنزَلَتْ — بنُجُومِها في ذا التُّرابِ الأقفرِ

ليْتَ المنُونَ إذا ألمّ برُوحه — أفنى بني الدنيا وأبقى ذا السرى

سُقْيا لرمس ضمه وبل الرضا — غيث الهنا وكف السحاب الممطر

حقٌّ لعيَن قَطّفَت من زَهْرِه — تبكي عليه غزير دمع أزفر

وتخط فوق الخد من أقلامها — تحبير حزن في طروس الأسطر

لكنّ صبراً للقضَا وتَصبُّراً — ليكُونَ للإنسَان حُسْنُ الماجَرِ

فالصّبرُ عند الصّدْمَة الأولَى رِضَا — ما حيلَةُ المحتَالِ إنْ لَمْ يَصْبرِ

منْ حَيثُ إن لَنَا هُنالك أسْوةً — بالسّالفين وبالنّبيّ الأطهرِ

صلّى عليه إلهُنَا مع آله — والصّحْبِ أصحابِ المقامِ الأظهَرِ

ما مصْطَفَى الصّاوِيُّ قالَ مؤرّخًا — بُشرَى لحورِ العينِ حبُّ الجوهَرِي

ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوى بقصيدة بيت تاريخها :

مَقْعَدُ الـــــصِّدْقِ قَد أعَدُّوه حَالاً   لِلْمَلِيِّ المـــمَجَّدِ الجـــوْهَرِيّ

ومات : الإمام العلامة ، والحبر الفهامة ، الفقيه الدراكة ، الأصولى النحوى ، شيخ الإسلام ، وعمدة ذوى الأفهـام ، الشيخ عيسى بن أحمد بن عيـسى بن محمد الزبيرى ، البراوى الشافعى ، الأزهرى ، ورد الجامع الأزهر وهو صغير ، فقرأ العلم على مشايخ وقته ، وتـفقه على : الشيخ مصطفى العزيـزى ، وابن الفقيه ، وحضر دروس الملوى ، والجوهرى ، والشبراوى ، وأنجب وشهـد له بالفضل أهل عصره ، وقرأ الدروس فى الـفقه ، وأحدقت به الـطلبة ، واتسعت حـلقته ، واشتهـر بحفظ الفروع الفقهـية حتى لقب بالشافعى الـصغير ، لكثرة استحضـاره فى الفقه ، وجودة تقريـره ، وانتفع بـه طلبة الـعصر ، طبـقة بعد طـبقة ، وصاروا مـدرسين ، وروى الحديث عن : الشيخ مـحمد الدفرى ، وكان حسن الاعتقاد فى الـشيخ عبد الوهاب العفـيفى ، وفى سائر الـصلحاء ، وله مؤلـفات مقبولة ، مـنها : حاشية عـلى شرح الجوهرة فى التوحيد ، وشرح على الجامع الصغير للسيوطى فى مجلد ، يذكر فى كل حديث ما يتـعلق بالفقه خاصة ، ولازال يمـلى ويفيد ، ويدرس ويعيـد ، حتى توفى سحر ، ليلة الإثنين رابع رجب [1] ، وجهز فى صباحه ، وصلى عـليه بالأزهر بمشهد حافل ، ودفن بالمجاورين ، وبـنى على قبره مزار ومقام ، واستقر مـكانه فى التصدر والتدريس : ابنه العلامة الشيخ أحمد ، ولازم حضوره تلامذة أبيه ، رحمه الله .

ومات : الإمام الـعلامة الفـقيه ، واللوذعـى الذكى النبـيه ، عمدة المحـققين ، ومفتى المسلمـين ، الشيخ حسن بن نور الدين ، المقدسى ، الحـنفى الأزهرى ، تفقه على شيخ وقته : الشيخ سليمان المنصورى ، والشيخ محمد بن عبد العزيز الزيادى ، وحضـر دروس : الشيخ مـصطفى الـعزيزى ، والـسيد علـى الضرير ، والمـلوى ، والجوهـرى ، والحفنى ، والـبليدى ، وغـيرهم ، ودرس بالجـامع الأزهر فى حـياة شيوخـه ، ولما بنـى الأمـير عثمان كتخدا مسجده بالأزبكيـة ، جعله خطيبًا ، وإمامًا به ، وسكـن فى منزل قـرب الجامع ، وراج أمره ، ولمـا شغر فتـوى الحنفيـة بموت الشيخ سليمان المنصورى ، جعل شيخ الحنفية بعناية عبد الرحمن كتخدا ، وكان له به

(١) ٤ رجب ١١٨٢ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧٦٨م .

ألفة ، ثم ابتنى منزلاً نفيسًا مشرفًا على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء ، واشتهر أمره ، ودرس بعدة أماكن : كالصرغتمشية [1] ، المشروطة ، لشيخ الحنفية ، والمدرسة المحمودية ، والشيخ مطهر [2] ، وغيرها ، وألف متنا فى فقه المذهب ، ذكر فيه الراجح من الأقوال ، واقتنى كتبًا نفيسة بديعة الأمثال ، وكان عنده ذوق وألفة ولطافة ، وأخلاق مهذبة ، ومن كلامه ماكتبه على رسالة المعية لشيخ العيدروس :

لَمَعَتْ بوارقُ المَعَيّة تَفْتَرُّ عن سِرّ المعيّة
تُهْدِى إلى الحقّ المبين وتُوضِحُ السُّبُل الخفيّة
نُورُ الشّريف ابن الشّريف ابنِ السُّراة الألمعيّة
العَيدَروسُ العَابدُ الرحمنَ ذى المِنَحِ الجَلّية

توفى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة [3] .

ومات : الإمام العلامة ، أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر ، الشيخ محمد بن بدر الدين الشافعى ، سبط الشمس الشرنبابلى ، ولد قبل القرن بقليل ، وأجازه جدّه ، وحضر بنفسه على شيوخ وقته : كالشيخ عبد ربه الديوى ، والشيخ مصطفى العزيزى ، وسيدى عبد الله الكنكسى ، والسيد على الحنفى ، والشيخ الملوى ، فى آخرين ، وباحث وناضل وألف ، وأفاد وله سليقة فى الشعر جيدة ، وكلامه موجود بين أيدى الناس ، وله ميل لعلم اللغة ، ومعرفة بالأنساب ، غير أنه كان كثير الوقيعة فى الشيخ محيى الدين بن عربى ، قدس الله سره ، وألف عدةرسائل فى الرد عليه ، كان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلق بذلك ، فينصحونه ويمنعونه من الكلام فى ذلك ، فيعترف تارة ، وينكر أخرى ، ولا يثبت على اعترافه ، وبلغنى أنه ألف مرة رسالة فى الرد عليه فى ليلة من الليالى ، ونام فاحترق منزله بالنار ، واحترقت تلك الرسالة من جملة ما احترق من الكتب ، ومع ذلك فلم يرجع عما كان عليه من التعصب ، وربما تعصب لمذهبه ، فيتكلم فى بعض مسائل مع الحنفية ، ويرتب عليها أسئلة ، ويغض عنهم ، ولما كان عليه مما ذكر ، لم يخل حاله عن ضيق وهيئته عن

---

(١) المدرسة الصرغتمشية : تقع بشارع الصليبة ، تجاه جامع الخضيرى ، أنشأها الأمير صرغتمش الناصرى سنة ٧٥٩هـ / ١٤ ديسمبر ١٣٥٧ - ٢ ديسمبر ١٣٥٨ م ، وتعرف بجامع صرغتمش .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٢١ .

(٢) مسجد الشيخ مطهر : يقع برأس السكة الجديدة ، بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وكان أصله المدرسة المعروفة بالسيوفية ، وفى هذا المسجد ضريح يقال له : الشيخ مطهر ، عرف به الجامع .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ٨ جمادى الثانية ١١٨٢هـ / ٢٠ أكتوبر ١٧٦٨م .

رثائه ، وأنشد بيتين معهما من الشيخ محمد ابن الشيخ محمد الدفرى ، رحمه الله ، قال :

زمَانٌ كـــلُّ حِبّ فـيــه خِبٌّ وطَعْمُ الخِــــلّ خَلٌّ لَوْ يُذَاقُ
لـــــه سُوقٌ بِضَاعَتُهُ نِفَاقٌ فــنَافِقْ فــالــنِّفَاقُ لَهُ نِفَاقُ

ومن قولـــه :

أنَا فـى حمَاكـم يــا كِرامُ وإن أكُنْ اذنَبْتُ ذَنْبًا فــالــكَرِيمُ غَفُورُ
حَاشَى حِمَاكُم أنْ يضَامَ نَزِيـــلُه ونَدَى يــدَيْكُم فـى الــورَى مَشْهُورُ

وله فى تاريخ وفاة الشيخ القراء بالمقام الشافعى الشيخ عمر الدعوجى :

نَعَتْ الــنُّعَاةُ كَبِــيــرَ قُراء لَهُ فَضْلٌ فقُلْــت مُؤرخًا لَمِن اعْتَبَرْ
لـيــمَوتَ إحـسـان الــدُّعـاء بِمَوْتِهِ ويمـوت كيـد الكـبر بـعدك يـا عمـر

وله ، رسالة سماها : « تحرير المباحث فى تعلق القدرة بالحوادث » ، وهذا نصها بعد البسملة : « الحمد لله [1] حق حمده ، وصلى الله على من لانبى من بعده » .

« أما بعد: فقد طال الخلاف، وانتشر فى تعلق القدرة الأزلية بالأمور الاعتبارية ، فمن قائل بالتعلق ، ومن قائل بنفيه ، وأقول هذه المسألة ، وإن انتشر الخلاف فيها ، تنبنى عـلى خلاف آخر ، وهو أنَّ الحادث لابد وأن يكون مـوجوداً ، أو هو أعم من ذلك ، والعموم هو معتقـدنا تبعًا لمحققى أئمتنا، وعليه فالاعتقاد الـذى ينبغى التعويل عليه ، عموم تعلق القدرة بالحوادث جميعها موجودها بالوجود الحقيقى ، وموجودها بالوجود المجـازى ، ويؤيده أن الأحوال الحادثة لـم تدخل فى عبارة الـقوم ، مع أن مرادهـم عموم التـعـلق لها قطعًا ، غـايته أن عـبارتهم إمـا مبنية علـى الغالب المتفق عليه ، أو مؤوّلة بأن يراد بالموجود الثابت ، فـيعم الأحوال الحادثة بناء على ثبوتها ، أو يراد به المجود حقيقة ، أو مجازاً فيشمل ماذكر كالأمور الاعتبارية ، فإنها موجودة باعتبـار المعتبر ، ولابـد لهـا مـن موجـد وإن كـان ذلـك مسمـى بالإيجـاد مجاز لاحقيـقة ، لما تقرر أنَّها مـن جملة الحوادث ، وأنَّ اسم الحـادث يشملها ، فـدخلت حينئذ فى القاعدة الكلية، أعنى: « كل حادث لابد له مِن محدث » المسَلَّمَة المرضية ،

---

(١) كتب أمام هذا النص بهامش ص ٣١٣ ، طبعة بولاق «رسالة تحرير المباحث فى تعلق القدرة بالحوادث» .

ويؤيد اعتبار بقية الموجودات ماصرحوا به من أن الوجودات أربعة : وجود فى الأعيان - وهو الوجود الحقيقى - ووجود فى الأذهان - وهو الوجود المجازى - ووجود فى العبارة ، ووجود فى الرقم ، وهما مجازيان أيضًا ، يعنى أنَّ إطلاق اسم الوجود على ماعدا الأوّل ، على طريق المشابهة بين الوجود الحقيقى وبينها ، وذلك إمارة الاحتياج إلى الموجد ، وأنه يوجد بالإيجاد الحقيقى تارة ، وبالمجازى أخرى ، لايقال إنه معدوم فى نفس الأمر ، وأن أطلق عليه اسم الوجود ، تنزيلاً ، كما هو شأن المجاز من صحة النفى فيه ، حقيقة ، لأنا نقول إن تلك المشابهة التى اقتضت تنزيله منزلة الموجود ، رقته من حضيض العدم المحض إلى ذروة مقابلة ، فوجب التعلق والإيجاد لكن على سبيل المجاز أيضًا لا على سبيل الحقيقة ، وإلا لزم مجازية المتعلق ، دون المتعلق ، وذلك لا يعقل نعم ، لامحذور فى تسليم أن التعلق بإثباته حقيقى ، لأنه ليس المجاز فيه ؟ ، لكن هل ذلك الإثبات فى نفس الأمر ، أو فى اعتبار المعتبر أو فيهما يأتى بما فيه ، وبالجملة فالتعلق له وجه وجيه ، ومما يؤيده أيضًا أن العبد ينسب الفعل له ويضاف إليه ، وإن كان إيجاده له مجازيًا أى شرعًا ، وإلا فهو حقيقة لغوية ، بحيث يطلق عليه اسم الموجد مجازا ، فنسبة الأشياء الموجدة بالوجود المجازى إلى الفاعل الحقيقى أولى وأحرى ، وأيضًا لو سئل المنكر إضافتها إليه من الذى حصل هذه الأشياء ، فى ذهن المعتبر حتى حصلت ، لم يسعه إنكار النسبة إليه تعالى ، فإنه يقر بنسبتها إلى المعتبر ، فكيف لايقر بنسبتها إلى الفاعل الحقيقى جل وعلا ؟ ، وإن كان التأثير ثابتًا على الإعدام ، ففى الوجود والاعتبارات من باب أولى ، وقد سألت شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى أحمد الملوى ، عن هذه المسئلة ، فقال : « الخلاف فيها ثابت لاشبهة فيه ، غير أن الأدب إضافتها إلى الله تعالى ، ونقله عن المحققين ، فانظره ، لكن أورد عليه ، أن صفات الأفعال عندنا أمور اعتبارية ، وهى عبارة عن تعلق القدرة التنجيزى الحادث ، فيلزم أن يحتاج التعلق إلى تعلق ، وهكذا فيتسلسل وهو محال ، وأجيب على تسليم أنها عين التعلق بأنه لامحذور فيه بالنسبة للأمور الاعتبارية ، لأنها تنقطع بانقطاع الاعتبار ، فلم يكن التسلسل فيها حقيقيًا حتى يمتنع ، نعم يرد لو قلنا بأنها ثابتة ، فى نفس الأمر ، مع قطع النظر عن اعتبار المعتبر ، بأن يراد بنفس الأمر ماهو أعم من الخارج ، وهو أن يكون الثبوت فيه ثبوت الشىء فى نفسه ، بقطع النظر عن تعقل العاقل ، وذهن الذاهن ، كأبوة زيد لعمر مثلاً فإنها ثابتة اعتبرها معتبر أم لا ، فأعلمه على آنَّ الإشكال وارد فى التعلقات ، وإن لم نسلم أنها هى صفات الأفعال ، وجوابه مامر مع مايرد عليه ، مع لو قلنا بثبوتها فى نفس الأمر ، إلا أن يمنع امتناع التسلسل فى الأمور ، الغير الحقيقية ، لكونها لم تكن من الخارج ، ولكن منع هذا المنع أحق ،

وهو عند المحققين أدق ، فأفهمه غير ملتفت إلى الرجال ؛ فإنه بالحق تعرف ، لا أنه بها يتعرف ، بقى أنَّ الخلاف فى هذه المسئلة ، يكاد أن يكون لفظيًا ، فإن أحداً لاينكر عموم تعلق القدرة بالحوادث ، وإنما الخلاف ، هل هذه الأشياء هى الحوادث فتكون من متعلق القدرة ، أم لا ؟ ، إن بنينا على أن الحادث ، لابد وأن يكون موجوداً، ويؤيده مارجحوه فى مقابلة أن القديم لابد وأن يكون موجوداً نفينا التعلق، وإلا أثبتناه ، وإنما اختلف الترجيح فى المسألتين ، وهو اعتبار الوجود فى القديم دون الحادث ، لما قام عندهم ، لاسيما مراعاة الأدب الذى عرفته من الإضافة إلى جناب الحضرة القدسية ، فإن مراعاة ذلك الجناب هو الصواب ، وإليه المرجع والمآب» ، انتهت الرسالة المذكورة ، ولما اطلع عليها الأستاذ الحفنى ، كتب عليها مانصه بعد البسملة .

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ، وعترته وحزبه .

« أما بعد : فقد قلدت عاطل جيد الفهم بفرائد فوائد النفع الأعم ، المحلاة بمحاسنها ، صدور تلك الطروس ،والمهنأة بنفائس أسرار بدائعها النفوس ، كيف ومبدئها واسطة عقد النبلاء ، ونتيجة أعيان الحذاق البلغاء ، الفضلاء ، سباق ذوى التحقيق ، وفواق فرسان التدقيق ، المنادية ألسن ، الحقائق لإظهار فضله من له حق رعى :

الألْمعِيّ الذى يَظُنُّ بِكَ الظَّن   كَأنْ قَـدْ رأى وقَد سَمِعَا

وقد وجدت فى حاشية السكتانى ، مايؤيد هذا العارف الغارف الدانى ، حيث قال : « المراد بوجود الممكن ثبوته ، من إطلاق الأخص على الأعم ، مجازاً قرينته تعليق التأثير على الوصف المناسب ، وهو الإمكان ، وذلك يشعر بعِلِّيته ، وإذا كانت العلة هى الإمكان ، وهو موجود فى كل الممكنات ، لم يكن فرق بين الحال وغيرها ، فالمراد بالوجود ما هو أعم » انتهى المراد بالأحوال فى كونها من متعلقات القدرة وقد صرح بذلك شيخنا وقدوتنا وعمدتنا الشهاب الملوى فى شرح منظومته الأشعرية ، وعبارته « وسابعها قدرة ، وهى صفة قديمة ، تصلح لأن يؤثر بها مولانا فى ثبوت الجائز ، ولم أقل فى إيجاده لإدخال الوجوه ، والاعتبارات ، وإدخال الأحوال على القول بها ، فإن القدرة تتعلق بها ، لأنها من الممكنات » ، انتهى ، لكن التسلسل الذى أورده هذا العلامة على مابناه لم يظهر لنا جواب عنه ، فما دام وارداً أشكل ماذكره هؤلاء الأعلام ، ولا سيما وقد صرح الكستلى ، وعبد الحكيم بخلافه ، فلعل الله أن يفتح بالجواب ، كتبه محمد الحفناوى ، مصليًا مسلمًا على النبى وآله وسائر الأصحاب ، ولما عاد إلى المترجم ، كتب تحته ما نصه : « وقد فتح

الله بالجواب على مؤلفه أضعف الطلاب ، فأقول ماصرح به الكستلى ، وعبد الحكيم، صرح به كثير ، ولسنا ننازع فى ثبوت القول الآخر الذى صرح به هؤلاء . كما نازع المخالف فى ثبوت ماقلناه فضلاً عن راجحيته ، وقد أوردنا هذا الإشكال معترفين بقوته ، على هذا الذى وقع فى ترجيحه من المحققين ، وقد علمت أنَّ إيراده لايتوجه إلا على تقدير إرادة الثبوت فى نفس الأمر لافى اعتبار المعتبر ، فيجوز أن يلتزم مقتضاه ، ويقال بعدم المتعلق حيئذ لكونه فى نفسه ، عدمًا صرفًا لاحظ له فى الوجود بخلافه فى اعتبار المعتبر ، فافترقا ، ويكون جمعًا بين القولين : فمن قال بمخلوقيته نظر إلى وجوده فى الأذهان ، ومن نفى نظر إلى فقده فى الأعيان ، وليس الأول مبنيًا على القول بالصورة ، وأنَّها عرض كما زعمه المخالف لاتفاق الجميع على حصول شيء في الذهن ، وإنما وقع الخلاف : هل يسمى موجودا نظرا لثبوته فيه أم لا لفقده فى الخارج ؟ ، وقد وقع اختيار الأئمة لَمَّه يُسَمَّى بذلك مجازاً فاعرفه » ، انتهى ، توفى المترجم فى المحرم افتتاح السنة [1] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالقرافة عند جده لأمه ، رحمه الله تعالى .

ومات : الجناب الأمجد ، والملاذ الأوحد ، حامل لواء علم المجد وناشره ، وجالب متاع الفضل وتاجره ، السيد أحمد بن إسماعيل بن محمد أبو الإمداد ، سبط بنى الوفا ، والده وجدّه ، من أمراء مصر ، وكذا أخوه لأبيه محمد ، وكل منهم قد تولى الإمارة ، والمترجم أمه هى ابنة الأستاذ سيدى عبد الخالق بن وفا ، ولد بمصر ، ونشأ فى حجر أبويه فى عفاف وحشمة ، وأبهة ، وأحبه الناس لمكان جدّه لأمه المشار إليه ، مع جذب فيه ، وصلاح ، وتولى نقابة السادة الأشراف سنة ثمان وستين ومائة وألف [2] ، وسار فيهم سيرة مرضية ، وقد مدحه الشيخ عبد الله الإدكاوى بأبيات ، وفيها لزوم مالا يلزم :

قَالُوا نقَابةُ مصْر أودَى كُفْؤهَا	وتَسَربَلَتْ بحدادهَا واستَخَفَّت
فأجَبتُ كلاّ بلْ لَهَا الكُفءُ الذى	رُتَبُ العُلاَ بفَخَاره قد حُفَّت
هوَ ذُو المحَامد أحْمَدُ من ذَاته	جُمَلُ الفَضَائلِ والكَمَال استَوفَت
لما دَعَاهَا اذعَنَتْ واستَبْشَرَتْ	وأتَتْه طَائعَةً ولَمْ تَتَلَفَّت
وتَبَرّجَتْ فَلِذَاكَ قُلنَا أرخُوا	ادبًا لأحْمَدِهَا النّقَابَةُ زُفَّت

(١) محرم ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو - ١٦ يونية ١٧٦٨م . (٢) ١١٦٨ هـ / ١٨ أكتوبر ١٧٥٤ - ٦ أكتوبر ١٧٥٥م

ثم : بعد وفاة السيد أبى هادى بن وَفَا ، تولى الخلافة الوفائية ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة وألف [1] ، وقد أرخه الشيخ المذكور بقصيدة ، وهى هذه :

قِيلَ لى هَلْ مَدَحْتَ آلَ عَلِيٍّ ... مَن بِهِم يُكْتَسَى الأديبُ الشَّرَافَهْ
آلَ بَيتِ الوفَاء مَن خُصّصُوا بالـ ... ـمَجْدِ والفخْرِ والتّقَى والأنَافـه
قُلتُ ما قَدْرُ مِدْحَتِى لِكِرامٍ ... بِهِم تَأمَنُ الأنامُ المخَافَه
غيرَ أنّى لِفَرْعِهِم أحْمَدَ المجْـ ... ـدِ سَأجْلُوا بِمنْطقى أوصَافَه
هو بيتُ الأفضَالِ شَمسُ المعَالى ... أوحدُ الفَضْلِ جَامِعٌ لِلَطَافَه
منه أضْحَى دَسْتَ الخلافة مِن صَدْ ... رٍ خَلِيًّا ومَادَرواْ إسْعَافَه
قالَ أعلَى الجدُودِ فى الحَالِ هَاتُوا ... نَجْلَنَا أحْمَدَ الذَّكِىَّ العِرَافَه
قدّمُوه فَقُلْتُ فى الحَالِ أرخْ ... جَدُّه قَدْ أولاهُ رُكْنَ الخِلافَه

ولما تقلد ذلك ، نزل عن النقابة للسيد محمد أفندى الصديقى ، وقنع بخلافة بيتهم ، وكان إنسانًا حسنًا بهيًا ذا تؤدة ووقار ، وفيه قابلية لإدراك الأمور الدقيقة ، والأعمال الرياضية ، وهو الذى حمل الشيخ مصطفى الخياط الفلكى على حساب حركة الكواكب الثابتة ، وأطوالها وعروضها ، ودرجات ممرها ومطالعها ، لما بعد الرصد الجديد إلى تاريخ وقته ، وهى من مآثره مستمرة المنفعة ، لمدة من السنين ، واقتنى كثيراً من الآلات الهندسية والأدوات الرسمية ، رغب فيها ، وحصلها بالأثمان الغالية ، وهو الذى أنشأ المكان اللطيف المرتفع بدارهم ، المجاور للقاعة الكبيرة المعروفة بأم الأفراح ، المطل على الشارع المسلوك ، وما به من الرواشن المطلة على حوش المنزل ، والطريق ، وما به من الخزائن والخورنقات والرفارف ، والشرفات والرفوف الدقيقة الصنعة وغير ذلك ، وهو الذى كنى الفقير بأبى العزم ، وذلك ، فى سنة سبع وسبعين ومائة وألف [2] ، برحاب أجدادهم يوم المولد النبوى المعتاد ، وتوفى فى سابع المحرم سنة تاريخه [3] ، وصلى عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ، ودفن بتربة أجدادهم ، نفعنا الله بهم ، وأمدنا من إمدادهم وتولى الخلافة بعده مسك ختامهم ، ومهبط وحى أسرارهم ، نادرة الدهر وغرة وجه العصر ، الإمام العلامة ،

---

(١) ١١٧٦ هـ / ٢٣ يولية ١٧٦٢ - ١١ يولية ١٧٦٣م . (٢) ١١٧٧ هـ / ١٢ يولية ١٧٦٣ - ٣٠ يونية ١٧٦٤م .

(٣) ٧ محرم ١١٨٢ هـ / ٢٤ مايو ١٧٦٨م .

واللوذعى الفهامة ، مـن مصابيح فضله مشارق الأنوار ، السيد شـمس الدين محمد أبو الأنوار :

بـحْرٌ مِن الـفَضْلِ الـغَزِيـرِ خِضَمّهُ طـامِى الـعُبَـاب ومَا بـه مِن سَاحِل

نسأل الله لحضرته طول البقاء ، ودوام العز والارتقاء ، آمين .

ومات : الإمام العلامة ، الفقيه النبيه ، شيخ الإسلام ، وعمدة الأنام ، الشيخ عبد الرءوف بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد السجينى الشافعى الأزهرى ، وكنيته أبو الجود ، أخذ عن عمه الشمس السجـينى ، ولازمه وبه تخرج ، وبعد وفاته درس فى المنهج موضـعه ، وتولى مشيخة الأزهر بعـد الشيخ الحفنى ، وسار فيهـا بشهامة وصرامة إلا أنه لـم تطل مدته ، وتوفى رابـع عشر شوال[1] وصلى علـيه بالأزهر ، ودفن بجوار عمه بأعلى البستان ، واتفق أنّه وقـعت له حادثة قبل ولايته على مشيخة الجامع بمدة ، وهـى التى كانت سببًا لاشـتهار ذكره بمصر ، ذلك أن شـخصًا من تجار خان الخليلى ، تشاجر مع رجل خادم ، فضـربه ذلك الخادم ، وفر من أمامه ، فتبعه هـو وآخـرون مـن أبنـاء جنسه ، فدخـل إلى بيت الـشيـخ المترجم ، فدخل خـلفه وضربه برصاصة ، فأصابت شخصًا من أقارب الشيخ ، يسمى السيد أحمد ، فمات ، وهرب الضارب فطلبوه فامتنع عليهم ، وتعـصب معه أهل خطته وأبناء جنسه ، فاهتم الشيـخ عبد الرؤف ، وجـمع المشايـخ والقاضى ، وحـضر إليهـم جماعة مـن أمراء الوجاقلية ، وانضم إلـيهم الكثير من العامة ، وثارت فتنه أغـلق الناس فيها الأسواق والحـوانيـت ، واعتصم أهل خـان الخليلى بدائرتـهم ، وأحـاط الناس بـهم من كل جهة ، وحضر أهل بولاق ، وأهل مصر القديمة ، وقتل بين الفريقين عدة أشخاص ، واستمرالحال على ذلك أسبوعًا ، ثم حضـر عليّ بيك أيضًا ، وذلك فى مبادىء أمره قبل خروجـه منفيًا ، واجتمعـوا بالمحكمة الكبـرى ، وامتلأ حوش القاضى بـالغوغاء والعامة ، وانحط الأمر على الصلح ، وانفض الجمع ، ونودى فى صبحها بالأمان ، وفتح الحوانيت ، والبيع والشراء ، وسكن الحال .

ومات : الـشيخ الـصالح الخـيّر ، الجواد أحـمد بـن صلاح الديـن الدنجيـهى الدميـاطى ، شيخ المتبـولية ، والناظـر على أوقافهـا ، وكان رجلاً رئيسًا محـتشمًا ، صاحب إحسان وبر ، ومكـارم أخـلاق ، وكان ظلاً ظليلاً علـى الثـغـر ، يأوى إليه

---

(١) ١٤ شوال ١١٨٢ هـ / ٢١ فبراير ١٧٦٩ م .

الواردون ، فيكرمهم ويواجههم بالطلاقة والبشر التام ، مع الإعانة والإنعام ، ومنزله مجمع للأحباب ، ومورد لائتناس الأصحاب ، توفى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة عن ثمانين سنة تقريبًا [١] .

ومات : الإمام الفاضل ، أحد المتصدرين بجامع ابن طولون [٢] ، الشيخ أحمد ابن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عامر العطشى الفيومى الشافعى ، كان له معرفة فى الفقه ، والمعقول والأدب ، بلغنى أنَّه كان يخبر عن نفسه ، أنه يحفظ اثنى عشر ألف بيت من شواهد العربية وغيرها ، وأدرك الأشياخ المتقدمين ، وأخذ عنهم ، وكان إنسانًا حسنًا منوّر الوجه والشيبة ، ولديه فوائد ونوادر ، مات فى سادس جمادى الثانية [٣] ، عن نيف وثمانين سنة تقريبًا ، غفر الله له .

ومات : الأمير خليل بيك القاردغلى ، أصله من مماليك إبراهيم كتخدا القاردغلى ، وتقلد الإمارة والصنجقية بعد موت سيده ، وبعد قتل حسين بيك المعروف بالصابونجى ، وظهر شأنه فى أيام علىّ بيك الغزاوى ، وتقلد الدفتردارية ، ولما سافر على بيك أميراً بالحج فى سنة ثلاث وسبعين [٤] ، جعله وكيلاً عنه فى رياسة البلد ومشيختها ، وحصل ما حصل من تعصبهم على علىّ بيك وهروبه إلى غزة كما تقدم ، وتقلبت الأحوال ، فلما لقى علىّ بيك جن فى المرة الثانية ، كان هو المتعين للإمارة مع مشاركة حسين بيك كشكش ، فلما وصل علىّ بيك ، وصالح بيك على الصورة المتقدمة ، هرب المترجم مع حسين بيك وباقى جماعتهم إلى جهة الشام ، ورجعوا فى صورة هائلة ، وجرد عليهم علىّ بيك ، وكانت الغلبة لهم على المصريين ، فلم يجسروا على الهجوم ، كما فعل علىّ بيك وصالح بيك ، فلو قدر الله لهم ذلك ، كان هو الرأى ، فجهز علىّ بيك على الفور تجريدة عظيمة ، وعليهم محمد بيك أبو الذهب ، وخشداشينه ، فخرجوا إليهم ، وعدّوا خلفهم ، ولحقوهم إلى طندتاه ، فحاصروهم بها ، وحصل ماحصل من قتل حسين بيك ومن معه ، والتجأ المترجم إلى ضريح سيدى أحمد البدوى ، فلم يقتلوه إكرامًا لصاحب الضريح ، وأرسل محمد بيك يخبر مخدومه ويستشيره فى أمره ،

(١) ١٢ الحجة ١١٨٢ هـ / ١٩ ابريل ١٧٦٩م .

(٢) جامع احمد بن طولون : أنشأه احمد بن طولون ، فى الموضع الذى كان يعرف بجبل شكر ، جدد أكثر من مرة ولايزال قائما .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٩٦ - ١٠٢ .

(٣) ٦ جمادى الثانية ١١٨٢ هـ / ١٨ أكتوبر ١٧٦٨م .

(٤) ١١٧٣ هـ / ٢٥ اغسطس ١٧٥٩ - ١٢ اغسطس ١٧٦٠م .

فأرسل إليــه بتأمينه ، وإرساله إلــى ثغر سكندرية ، ثم أرسـل بقتله فقتلوه بـالثغر خنقًا ، ودفن هناك ، وكان أميراً جليلاً ذا عقل ورياسة ، وأما الظلم فهو قدر مشترك فى الجميع .

ومات : أيضًا الأمـير حسين بـيك كشكـش القازدغلـى ، وهو أيضًا من ممـاليك إبراهيــم كتخدا ، وهــو أحد من تأمّر فى حـياة أستاذه ، وكـان بطلاً شجـاعًا مقدامًا مشهوراً بالفروسية ، وتقلد إمارة الحـج أربع مرات ، آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف [1] ، ورجع أوائل سنة سبع وسبعين [2] ، ووقع له مع العرب ماتقدم الإلماع به فى الحوادث السابقة ، وأخافهم وهابوه حتى كـانوا يخوفون بذكره أطفالهم ، وكذلك عربان الأقـاليم المصريـة ، وكان أسمر جهـورى الصوت ، عظيم الـلحية يخالـطها الشيـب ، يميل طبعه إلـى الحظ والخلاعة ، وإذا لم يـجد من يمازحه فى حـال ركوبه وسيره ، مازح سـواسه وخدمه ، وضاحـكهم ، وسمعته مـرة يقول لبعضــهم مثلاً سائراً ، ونحـو ذلك ، وكان له إبن يسمــى : فيض الله ، كريم العين ، فكـان يكنى به، ويقولون له أبو فيض الله ، مات بعده بمدة ، قتل المترجم بطندتاء وأتى برأسه إلى مصر كما تقدم ، ودفـن هناك ، وقبره ظاهر مشهور ، ودفن أيضًا مـعه مملوكه حسن بيك شـبكة ، وخلـيل بيك الـسكران ، وكانـا أيضًا يشبـهان سيدهـما فى الشـجاعة والخلاعة .

ومات : الأمير الكـبير الشهير ، صالح بـيك القاسمى ، وأصله مملـوك مصطفى بيك المعروف بالقرد ، ولما مات سيده تقلد الإمارة عوضه ، وجيش عليه خشداشينه ، واشتهر ذكره ، وتقلد إمارة الحج فى سـنة اثنين وسبعين ومائة وألف [3] كما تقدم ، فى ولاية على باشا الحـكيم ، وسار أحسن سير ، ولبسته الـرياسة والإمارة ، والتزم ببـلاد أسـياده ، وإقطاعاتهم القـبليـة ، هو وخشـداشينه وأتباعهم ، وصـار لهم نماء عظيم ، وامتــزجوا بهوّارة الصعيد وطباعــهم ولغتهم ، ووكله شيخ الـعرب همام فى أموره بمصر ، وأنشأ داره العظـيمة المواجهة للكبش ، ولم يكن لهـا نظير بمصر ، ولما نما أمر عليّ بيك ، ونفـى عبد الرحمن كتخدا إلى السويس ، كان المـترجم هو المتسفر عليه ، وأرسل خــلفه فرمانًا بنفيه إلـى غزة ، ثم نقل منها إلى رشـيد ، ثم ذهب من هناك إلى الصعيد مـن ناحية البحيرة ، وأقام بالمنية ، وتحصـن بها وجرى ماجرى من توجيه المحاربين إليـه ، وخروج عليّ بيك منفيًا ، وذهابه إلى قبـلى ، وانضمامه إلى

---

(1) ١١٧٦ هـ / ٢٣ يونية ١٧٦٢ - ١١ يولية ١٧٦٣م .

(2) أول ١١٧٧ هـ / ١٢ يوليه ١٧٦٣م .

(3) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩م .

المذكور ، كما تقدم بعد الأيمان والعهود والمواثيق ، وحضوره معه إلى مصر على الصورة المذكورة آنفًا ، وقد ركن إليه وصدق مواثيقه ، ولم يخرج عن مزاجه ، ولا مايأمر به مثقال ذرة ، وباشر قتال حسين بيك كشكش ، وخليل بيك ، ومن معهما ، مع محمد بيك كما ذكر آنفًا ، كل ذلك فى مرضاة عليّ بيك ، وحسن ظنه فيه ، ووفائه بعهده إلى أن غدر به وخانه وقتله كما ذكر ، وخرجت عشيرته وأتباعه من مصر على وجوههم ، منهم من ذهب إلى الصعيد ، ومنهم من ذهب إلى جهة بحرى .

وكان أميراً جليلاً مهيبًا لين العريكة ، يميل بطبعه إلى الخير ، ويكره الظلم ، سليم الصدر ، ليس فيه حقد ، ولا يتطلع لما فى أيدى الناس والفلاحين ، ويغلق ماعليه ، وعلى أتباعه وخشداشينه من المال والغلال الميرية ، كيلاً وعينًا ، سنة بسنة ، وقوراً محتشمًا كثير الحياء ، وكانت إحدى ثناياه مقلوعة ، فإذا تكلم مع أحد جعل طرف سبابته ، على فمه ليسترها حياء من ظهورها ، حتى صار ذلك عادة له ، ولما بلغ شيخ العرب همام موته ، اغتم عليه غمًا شديداً ، وكان يحبه محبة أكيدة ، وجعله وكيله فى جميع مهماته وتعلقاته بمصر ، ويسدد له ماعليه من الأموال الميرية والغلال ،ولما قتل صالح بيك ، أقام مرميًا تجاه الفرن الذى هناك حصة ، ثم أخذوه فى تابوت إلى داره وغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة ، رحمه الله .

مات : وحيد دهره فى المفاخر ، وفريد عصره فى المآثر ، نخبة السلالة الهاشمية ، وطراز العصابة المصطفوية ، السيد جعفر بن محمد البيتى السقاف باعلوى الحسينى ، أديب جزيرة الحجاز ، ولد بمكة ، وبها أخذ عن النخلى ، والبصرى ، وأجيز بالتدريس ، فدرّس وأفاد ، واجتمع إذ ذاك بالسيد عبد الرحمن العيدروس ، وكل منهما أخذ عن صاحبه ، وتنقلت به الأحوال ، فولى كتابة الينبع ، ثم وزارة المدينة ، وصار إمامًا فى الأدب يشار إليه بالبنان ، وكلامه العذب يتناقله الركبان ، وله ديوان شعر ، جمعه لنفسه ، فمن ذلك قوله :

حَيِّى بِكَاسِك لى مَع نَسْمَةِ السَّحَرِ ... وسَلْسِلى الراحَ مِن نَحْرى إلى سَحَرِى
حَيِّى برَاحِك يا رُوحى علَى جَسَدى ... أفديك بالنفْسِ يا سَمْعى ويا بَصرى
هُبِّى بشَمْسِك فى ظِل الشَّباب وفى ... ظِل الغُصُون وفى ظِلٍّ من الشَّعرِ
هُبِّى وشُقِّى قَميصَ الغَيِّ مِنْ قُبُلٍ ... فالراحُ شَقَّتْ قَميصَ اللّيلِ مِنْ دُبرِ
وَوَسِّطى بيْنَنا فى الشُّرْب واسْقِ ... مِن كَأْس ثَغْرِك هذا الطِّيبَ العَطِرِ
خدَّاك والروضُ أزهارٌ مُضاعَفَةٌ ... وذى الدَّرارى وذِى الكَاسَاتُ كالدُّرَرِ

نَاهيك مِن جَودَةِ التّجْنِيسِ بَينَهُما ما أطيبَ الشّربَ بين الزهرِ والزّهَرِ
صُفّى قَنانيك حَول الكَأس رَاكعةً وحَيعلى وأقيمى الوتر بَالوتَرِ
دُنياك مَعْشُوقَةٌ والخمرُ رِيقَتُها يا ضَيعَةَ العُمْرِ بين السُّكْرِ والسَّكَرِ
رُدّى عُهُودَكِ لى كى اشْتكِى حزنى إلى رَبِيعِىَ ما كَابدْتُ فى صِغَرِى

ومنها فى التخلص :

والجاهليةُ شتّى فى فُروعِهمُ واصْلُهُمُ واحدٌ مِن أوّلِ الفِطَرِ
كُلٌّ يميلُ إليهِ مَا يُنَاسِبُهُ وليسَ ذَاكَ بمَوقُوفٍ على البَشَرِ
مَيلى لأسْمَاء إسْمَاعِيلُ أوجَبَهُ منهُ الجِناسُ وأَمْرٌ غَامِضُ النَّظَرِ
وألفةٌ من الست بيننَا سَبقَتْ ولمْ المُها وقَدْ جَاءتْ علَى قَدَرِ
فحُبّ سَلْمى وأسْمَا زائلٌ عرضٌ والجوهرُ الفردُ إسْماعِيلُ وهْو حَرِى

وهى طويلة ، ومن شعره فى المجون ما أرسل به إلى بعض أصحابه منها :

يا ابنَ وُدّى وصَدِيقى حَالَ مَا تَقْرَا البطَاقَهْ
الْبس العِمّةَ واحضَرْ لا يكُنْ عِنْدَكَ عَاقَهْ
واركَبِ الأدهَمَ واركُضْ واعْطِه منْك الطّلاقَهْ
واكتُم الأمْرَ وبَادرْ غَفْلَةً دونَ الرّفَاقَهْ
كمّلِ الوِفْقَ الثُّلاثى ولَنَا نَخْوك شَاقَهْ
فَلَدَيْنَا كَأسُ راحٍ واصْطِبَاحٌ واغْتِبَاقَهْ
ومَليحِ اخجَلَ الأغْصَانَ لِينًا ورشَاقَه
ومَلِيحٍ يشْتَهِى لِلْبَوْس إنْ شِئتَ اعْتِنَاقَه
يَبْخَسُ الآيَارَ بالكَيْلِ ويسْتَثْنى وثَاقَه
كُلّمَا اشْتَقْتَ إلى البرْجَاسِ حَلّيتَ نطَاقَهْ
مِنْ ورَا يُعْطِى وقدّامَ مُخْنًا وعَيَاقَهْ
ونَدِيمٍ فى المعَاصِى خَارِجٍ مِنْ ألْفِ طَاقَه

وهى طويلة ، وله من أخرى :

قدْ خَلِينَا امسِ لكِنْ بقِيَتْ عِندَى خَبْلَهْ
فاسْقِنَا واشْربْ إلى أنْ نَبْقَ فى المجْلس مثْلَه
مَا يَلَذّ السُّكْرُ حتّى يَضَعُ السَّكْرَانُ نَعْلَه
ويَرَى البَغْلَةَ دِيكًا ويَظُنُّ الفِيلَ نَملَهْ

اســـمَعِ الـــقِدّيـــس قَدْ دقّ   لشُرْب الـــــــــراّح طَبْلَهْ
غَفْلـــــةَ الـــــواشِى اغْتَنِمْهَا   لا تكُـــــن عِنـــــدك غَفْلَهْ
إنْ تَأخَّرتَ قَليـــــــــــــلاً   كُتِبَتْ سَبْعُــــــــــونَ زلَّهْ
خلِّ عنّى قام زَيــــــــدٌ   قَعَدَتْ هِنْـــــــدٌ وعَبْلَهْ
ضَرَبَتْ تضْـــــرب ضَـــــرْبًا   كُلُّ ذاكَ الـــــــصَّرْف علّهْ
حرتُ فــى يَعـــقُوبَ والـــرّمْـ   ــــــــــلى متَى أعْرِفُ رَمْلَهْ

ومن شعــره :

سَلِّمْ لمـــــــــن رقّاهُ حَظٌّ كَمَا   يـــــسَلّم الـــفِرْزانُ للْبَيْدَقْ
فَطَاوعِ الـــصَّانِـــعَ ثُم انطَبِعْ   بـكـــلّ مـا شكّلَ فـــى الـرَّيْزَقْ

ولــه :

فـــضلُك رِزقٌ زائـــدٌ فوقَ مـــا   تُرزقَهُ مـــــع سَائِر الخَـــلْقِ
لأنـــــــــــهُ لابُد مِن بُلْغَةٍ   ثُم الحِجَا رِزقٌ عَلـــــى رِزْقِ

ولــه :

تجـــــاوزْ عَن مَرامِ الـــنُّطْقِ مِنّى   أرانى مَا يُطـــــاوِعُنـــــى لِسَانى
أخَافُكَ أوْلاَ إنْ قُلْتُ صدْقًا   وأنْ أكْذبْ أخَــــــاف الله ثَانى
فَأسْكُتُ مُطْرِقًا حَـــــتّى أرجّحْ   مَقَالاً مــعـك فـيـــه صَلاَحُ شَانى
فَلا تُنْكِر جُمُودى إنّ رَقْصـــــى   عَلـى مِقْدَار تَحـريــك الـــزَّمَانِ
يــصُدّ المـرءُ يــومًا عَنْ حَديــثى   فَتَدْخُلُنى الـــبَلاَدَةُ والــــتَّوانى
ويُقْبِلُ لاسْتِمَاع الـــــقَولِ خِلّى   فـــأصْدَعُ بـــالـــبَرَاعَةِ والـــبَيَانِ

ولــه :

تحـــرّكْ لحفْظ الـــشّىء عِنْدك مَرةً   فـإنْ أنـتَ لـــم تَفْعـلْ تحَركْتَ أربَعَا
ومَنْ تَكُ قَدْ جَرّبــــتَهُ فَحَمدْتَهُ   فَعُضّ عــلـيــه بـالـنَّواجذ أجْمَعَا
ولا تَتَحولْ عـــن أخٍ قـــد عَرفْتَه   لآخَر مَا جَرَّبـــــتَه تَنْدَمَا مَعَا
ومَا الـنـاسُ إلا كـالـدّواءِ فـبَعـضُه   شَفَى وكَفَى والـبـعْضُ آذَى وأوجَعَا
ودارِ عـــدُوا والـــصّديـــقَ لِنَفْعه   فــمَنْ لـم يُدارِ المـشْطَ ضَرّ وقَطَّعَا

ولــه :

كـــلُّ أمْرىءٍ شــاوِرهْ فـــى صَنْعَته   لا تَسْأل الخـيـاطَ عَنْ نجـرِ الخَشَبْ
وقَلِّدِ الحـــاضِرَ فـــى الأمْرِ الـــذى   قَدْ غَابَ عـــنْكَ فـهــو أدرَى وأطَبّ

ولـه :

جَميـعُ أمُورِكَ اضْبطْهـا بـحـزْمٍ وقــــدّمْ ربْطَ أقْرِبهَا ذَهَابَا
وبَابُ الـــشّرْعِ لا تَتْرُكْه تَلْجَأ إلــيـــه أو لأضْيَقَ منه بَابَا
وكـــلّ قَضيّةٍ تَخْشَى عَلَيْهـــا فَأوْدِعْهـــا شُهُودَكَ والـــكِتَابَا

وقال فى سليم بعمل التبديل :

تــقـــولُ أضنَانى الـغَزال الألْعَسُ يـــحْفَظُهُ ربُّ الـــسَّمَا ويَحْرُسُ
عَواذِلـــــى إنْ بِسُلُوّى وسْوَسُوا لــى مَركَزٌ فى السّقـم ثَوبٌ يـلبسُ

وقال فى هلال بعمل الاشتراك والقلب وغيره :

واستَـفْهَمُونــى عَنْ مَلـيـحٍ ذَاتُه كــــالـــبَدْرِ بَلْ صُورَتُه مرآتُهُ
فــالـنـصْفُ فـى اسـتِفْهَامِه أداتُه ولا تَــــدُور آخِـــراً هَيْئَاتُهُ

فى ناصح بعمل التأليف والتشبيه وغيره :

ألـــبَسَنى هِجْرانُه ثَوبَ الـسّقـــم وصَدَّ عـن عَيـنــى ألكَرى فَمَا ألَمّ
وراحَ يـقــرأ فـــى الـضُّحى ثُم ألـمْ فَصَحّ سُقْمِى بــعـــدَ نُونِ والـــقَلَمْ

فى سمسم بعمل الحساب :

قَيّدنى عــــلـــــى هَوَاهُ وربَطْ ثـــم نَأى عَنِ المـــزَارِ وشَحَطْ
صَحّفَ فـــى كِتَابِ عَهْدِى ونـــقَطْ كـــــانَ ودادًا فَتَعَالَى فَهبَطْ

فى حصان بعمل القلب وغيره :

أهـــواهُ سَحّارُ الـــلّحَاظِ والـــرّنَا أهْيـــفُ يُزْرى قَدّه عـــلَى الـــقَنَا
أفْنَانِى الـــسُّقْم ويـانـــعـــم الـفَنـــا مَذْ نَهْنَهَ النّاصِـــحُ فـيـــه فَانْثنَى

فى أسماء بعمل التشبيه والترادف :

سَألـــــتُه عَن اسْمه حِينَ وردْ فَقَالَ ذا جَميـــعُه لمـــنْ قَصَدْ
فـاستَـخْرِج الحـيّة مِنْ بَطْنِ الأسَد وحُطّهَا فــى ذَيـلــه مِنْ غَيــرِ حَدْ

فى مسجد بعمل الترادف :

قـــامَتُه كــــالـــسَّمْهَرِىّ قَامَتْ عـــلـــى دَمِى تُبِيـــحُه ودَامَتْ
وعـــيـــنُه راوِمتُهَا فــــرامَتْ كـــمـــثْلِ عَيْن قـــد غَفَتْ فَنَامَتْ

فى غزال بعمل الإسقاط والكتابة والإدخال :

قـــامَتُه الـــسَّمْرا وأسْيـــافُ المــقَلْ غـزْوان شنّا الحربَ فـى سَرْحِ الأجَلْ
صَامًا عــن الرّاحـة فـى نَيلِ الأمـلْ وانـــتَعَلا مِنَ الحـــفَا خُفَّ جَمَل

فى إبرة بعمل التحليل :

قــدْ واصلَتْ كُلّ المــنَى مُضنَاهَا   وانْتَهَض الــشّيــخَ إلــى لقَاهَا
فــيَالَهَا مِنْ سَجــدةٍ فــى طَيّه   حِينَ أبَى قُدَّامَهــا ورَاهَا

فى غمام بعمل الكناية والإدخال :

غُلاَمُكَ الــهَائمُ يــا ذَا الــرّشَا   أجْزَعَه الــواشِي بمَا عَنْه وَشَا
عــسَى بما تَدْرِكُهُ فَيْنعِشــا   فُؤَاده إنّ الــغُلاَمَ عَطشَا

وقال فيما اصطلحوا عليه فى التشبيه :

وكــلٌّ مَا استَدارَ مِثْلُ الخَالِ   وكَوْكَبٌ وقُطْــرُه لآلــى
للــنّقْطِ مِثْل الــلام لــلــعذار   وقس بــذَا مَا شَاعَ بــاشْتهَارِ
كــحَيّةٍ وقَامَةٍ وكَالــعَصَا   لألــف تُرِيــدُهــا مُخصّصَا
وثَم فَنٌّ الــلّغْزِ والمــعَمَّى   لخَصْتُ مِــن واجِبــه الأهمّا

وقال معارضًا قصيدة فتح الله النحاس :

رأى الــبَقّ مِن كــلّ الجــهَات فَراعَهُ   فــلا تُنــكرُوا إعْراضَه وامْتنَاعَهُ
ولا تَسْألُونــى كــيفَ بِتُّ فَإنــنى   لَقِيــتُ عَذابًا لا أطيــقُ دفَاعَهُ
نَزلْنــا بمرْسَى يــنْبُعِ الــبَحْرِ مَرةً   عــلى غَيــر رأْي مَا عَلمْنــا طِبَاعَهُ
نُقَارعُ مِن جُنْد الــبَعُوض كَتَــائبًا   وفُرْسَانَ نَامــوسٍ عَدمْنــا قــرَاعَهُ
فــلَو عَايــنَتْ عَيــنَاكَ مَيــدَانَ ركْضه   رأيــتَ جَرِىء الــقَــلْب فِيه شُجَاعَهُ
وجُندًا مِن الــفيرانِ فــى البيت كُمّنًا   مَتَى وجَدُوا خــرقًا أحَبُّوا اتّسَاعَهُ
ومَن حَطّ شَيــئًا فــى جرابٍ وبَطّةٍ   فــمَا رامَ عــنْدَ الــفــأرِ إلا ضَيَاعَهُ
وسربــة قَمْلٍ تَنْبَرِى إثْر سِربــةٍ   خفــافًا إلــى مَصّ الــدّمَاء سراعَهُ
يُنَازِعُهَا الــبَرغُوثُ لحَمى فــلــيتَــهُ   رضِى بــتــلاقــى واكْتَفِيــنَا نزاعَهُ
فــلــوْ يجــدُ المــلْسُوعُ مِن عِظَمِ مَا بِه   مِن الــصّخْرِ درعًا لاستَخَار ادّراعَهُ
فَربّ قَميــصٍ كــان شرًا مِن الــعَرى   إذا ضَمّه المــلْتَاع زادَ الْتيَاعَهُ
كــأنّى وصــيٌّ للبَراغــيــثِ قَائــمًا   أقيــمَتْ لَهُ أيــتَامُه وجيَاعُهُ
إذا شَبِعَ المــلْعُون مَجّ دَمًا عــلــى   ثِيَابى فــلاَ أحْيــا الإلــهُ شِبَاعَهُ
فَمَا رشّنــا بــالــدّم إلاّ لِسَانُه   ولــمْ تَرَ عــينــى مكْرَه وخدَاعَهُ
سَلُوا عن دَمِى سَارِى البعُوضَ فإننى   عَلِمْتُ يَقِيــنًا أنــهُ قــدْ أضَاعَهُ
فــللّه جِلــدٌ صَارَ بــالحــكِّ أجْرَبًا   أخــافُ عــلــيــه يــا فُلاَنَ انْقشَاعَهُ
وعَظْمِ سَــلاقٍ قَدْ تــولّع بــالحَــصَا   وحَــرٌّ أذابَ الجِسْمَ ثُم أمَاعَهُ
ونَتْن كَنــيــفٍ كــلّمَا هَانَ عَرفُه   أحَاط بِه واشِى الــهَوَى فَأذاعَهُ

بُخَارُ كَنِيــفٍ رُبَّمَا جَلَبَ الــعَمَى … وسبّبَ لــلآتــى إلــيــه انْصرَاعَهُ
فلَوْ كَـان يُجْدِى المرءَ تَجديعُ أنفه … لَودّ الـذى يـأتِى الـكَنِيفَ اجْتِدَاعَهُ
ولَوْ كَان قَطْعُ الأكلِ والشّربِ نَافعًا … لآثَر بــيــن الــعَالَمِينَ انْقِطَاعَهُ
وكَمْ قـــدْ أكَلْنَا نَمْلَةً وذُبَابــةً … وفَـــاراً بَلَعْنَا أذنَهُ وكُرَاعَهُ
ومَاء زلالٍ صَـــارَ مَعْجُون علّة … شَرِبْنــاه كُرهًا وادَّخَرْنــا زلاعَهُ
وبَاءٌ وسُقْـــمٌ لا مَحَـــالَةَ كُلُّهُ … ونَرجُو من الله الــعَظِيـم ارْتفَاعَهُ
فـلا تَعْذلُوا المسْكينَ إنْ عِيلَ صَبْرهُ … وأظـهـرَ من جَوْرِ الـزمَان انـفجَاعَهُ
فـقدْ مَارسَ الأهْوالَ فـى أرضِ يَنْبُع … ووَطّأ فــوقَ الــغَانيَات اضْطجَاعَهُ
ذَرعْتُ الــعَنَا فيــه يمــينًا ويُسْرَةً … وصَيّــرتُ صَبْرى والــتَّأسّى ذراعَهُ
فــأعْدَمَنِى طَولُ المــقــام تجــلُّدِى … وكَشَّفَ عــنَ وجْه اصْطبــارى قِنَاعَهُ
إذا رنَّم الــنَّامُوسُ حَولــى أعلّنى … وصَدَّعِ قَلْبــى بــالــسُّجوعِ ورَاعَهُ
وإنْ مَصّ مـــن دَمّى وطَار تَبِعْتُه … إلـــى فَائتٍ مــنْه أرجّى ارتجَاعَهُ
عَدمتُ غــنَاءً مثــلَ أنغَام سَجْعِه … فَمَا كَانَ أشْنَى سَجْعَه وابـــتدَاعَهُ
ضَعِيفُ قُوى لا يـستقرُّ من الأذَى … وأضْعَفُ منــه مَن يُرجّى اصْطنَاعَهُ
وقَد نَـفَدَتْ فـى دفعه كُلُّ حِيلَةٍ … ولَو كُنتَ بـالحسْنى طلبتَ انـدفَاعَهُ
فيـا لأُصَيْحَابِى اقْتُلُونِى ومالـكًا … فَقـدْ مـدّ نحْوى مـفْسدُ البـقّ بَاعَهُ
وأصبحْتُ فـى دارِ المشقَة والـعَنَا … أخَالطُ أوغَادَ الـــوَرَى ورَعَاعَهُ
وكَلبًا من الأعْرابِ يـعْوى كـأنـهُ … يُريـــدُ إذا لاقَى الأمينَ ابْتلاعَهُ
فـلَو صَاح فـوقَ الـصَّخْر خرّ لوقْته … وأبـصرْتَ من ذاك الصّيَاح انْصدَاعَهُ
بَراهُ إلـهُ الخــلْق لــلــنّاسِ نقْمَةً … وقـــدّ من الــصَّخْرِ الأصَمّ طِبَاعَهُ
فـلاَ رَحمَ الـرحْمَنُ أرضًا يَحلُّهــا … وبــاعَدَ عــنـا بــالسِّنِين انـتجَاعَهُ
ومِن كُلّ جبّارٍ عَنِيدٍ يَرَى الـورَى … عَبِيـــدًا لــدَيـــه والـــبِقَاعَ بِقَاعَهُ
شَقِيٌّ عَصَى الـرحْمَنَ فى كـلّ أمـره … ومَالَ إلـــى شَيْطَانه وأطَاعَهُ
فَقـلْ لـرُعَـاةِ الـوقْت إنّ نعَاجكُمْ … أتَاح لَهَا ريــبُ الـزمــانِ سِبَاعَهُ
فهـلْ لكُم فـى لَمّ شمـلِ الذى بَقِى … برأيٍ بَديــعٍ تُحْسنُون ابــتدَاعَهُ
وإلاّ فــإنّ الأمـــرَ لله كُلَّهُ … ولا رأيَ فـــى خَرقٍ يزيــدُ اتّسَاعَهُ
سلُونـا عـن الدّنـيـا فـكلٌّ نَعِيـمِهَا … متــاعُ غُرورٍ لا يـــديمُ مَتَاعَهُ
ومَا اعتِضيْتُ من كَونـى أديبًا وفاضلاً … لـدَى النّاسِ إلاّ قولَه وسَمَاعَهُ
ومَن كَان يـرجُو فى الأمَانـة مغْنَمًا … فـخلّوا لَهُ أوضَاعَه وخــراعَهُ

وقُولُوا لَه هَذاك يـنبُعُ حَاضِرٌ | لمـن رَام يـبلُو ضُرّه وانـتِفَاعَهُ
فـكَم كَاتِبٍ أفـنَى الـيَرَاع كِتابـةً | ومـلَّ والـقى فـى الـيرَاع كِتَابَهُ
وكـمْ بَدويّ داسَه فَوق بَطْنه | ومَزّقَ مـا بـينَ الأنـامِ رقـاعَهُ
ومَن جَاءكُم منـا مـعَ الـلّيـل شَارِدًا | فـذاك لهَول واقـعٌ فـيـه رَاعَهُ
ومَن يمْتَنعْ عـن خـدْمـة مثْلَ هـذه | فـلا تُنـكِرُوا إعرَاضَهُ وامـتِنَاعَه
فَمَا يـكْسَبُ الـكيّالُ إلا غُبَارَه | ولا الـكـاتـبُ المسْكينُ إلا صُدَاعَهُ

ومن إنشائه : هذه المراسلة : « إنَّ أبدع براعة يستهل بها الوداد ، ويدبج محاسنها كمال الاتحاد ، وأجلى مذهب تسرع إلى معقله الهجم ، وأحلى مشرب يكرع من منهله القلم ، عرائس تحيات تزفها مواشط النسيم ، وتحفها أتراب التكريم والتسليم ، بختام من مسك ومزاج من تسنيم ، فتسفر بها أسفار المحبة مع سفير أكيد الصحبة ، محمولة على موضع الإخلاص ، تالية لمقدم مزيد الاختصاص » شعر :

قَرنتُهُنّ تَحـيـات يُعَزّزهَا | منـى السّلاَمُ ووتْر الحـمْد يَشفَعُهَا
تَؤُم مُرتَبَعَ الآمَالِ مُنتَجـعَ الإ | فضَالِ بـل مشرِقُ الـنُّعْمَى ومَطلعُهَا
مُخْتـارُ رَأْيِ الـعُلاَ مَن رَاقَبَتْ قَدرًا | به الـعنَايـةُ حـتـى جَلّ مَوْقعُهَا
فَقيـلَ ذلـك فَضْلُ الله مَنَّ به | ونِعْمَةُ الله يَدْرى أيـنَ مَوضعُهَا

ولا جرم فقضاياه إلى الحكم موجهات ، وأنواع أجناس وضعه مختلطات ، وعلى وحدة الصانع تدل المصنوعات ، ومولانا المشار إليه أوحدى من انطوى فيه العالم الأكبر ، وانتشرت به آية الفضل المطوى المضمر ، فهو فى الأسلوب الحكيم ، إقليم التعاليم ، وفى ديوان الأدب لسان العرب ، وفى عدل الميزان الحجة والبرهان ، والسلم إلى الإيقان ، ولوجوده الأعيان مرآة الزمان ، والقران الأوسط فى الأقران ، نكتة العقل الأول ومشرعه ، ونهاية كمال الطبع ومطلعه ، شعر :

يَا لـه مِن صَحيـحِ نَعـتى حـديثًا | بَحْر فـضلٍ يَروِيـه ابـنُ مَعينِ
رَافعُ الـمـوَضْعِ فَهوَ فَاعلُ فعلٍ | أظهرَتْهُ الأقـدَارُ فـى الـتكْويـنِ
مَعْدنٌ حَلّ فـيـه جَوْهَرُ عِلْمٍ | لـيـسَ فى سرّ غَيْبه بِضَنينِ
مثـلُ مَا كَانـت الـهيَـاكلُ والأهـ | ـرامُ مَبـنَى لِكُل مَعنًى مَصُونِ
يَتَدلَّى طَـوْرًا وطَوْرًا تَراهُ | يَتَعـالـى عـلـى اختلاف الـشؤُونِ
مـاجِدٌ مـنطقى يـقصّر عَنه | لـيسَ قـدْرُ المـيـزَانِ كـالمَوْزُونِ
وإلـى هـا هُنـا وصَلْنـا إلـى الـنعْـ | ـتِ ومَنْ فـوقَ ذاك علْم الـيَقِينِ
لاخَلاهُ الجـمـيـلُ يـبقَى ولاَزا | لَتْ عَلاَهُ الـذُّرا ليـوْم الـدّيـنِ

وبعد : فالموجب من المخلص لهذا التعهد ، والمقتضى لمزيد التودد ، هو ميل الروحانية إلى المناسب ، وتآلف الطبيعة بالملازم المتناسب ، ولاغرو فإنى لمزيد الاشتياق وطباق بديع الاتفاق ،شعر :

خُلِقْتُ أَلُوفًا لَو رُدِدْتُ إلى الصِّبا لَفَارَقْتُ شَيْبِى مُوجَعَ القَلْبِ بَاكِيًا

ومع ذلك فعلامات الأسباب فى منهاج البيان ، وتلخيص هذا النظام تذكرة لتشحيذ الأذهان ، وموجز ذلك على قانون العادة ، للشفاء بثمرة الإفادة ، شعر :

وَنَبضُ اشْتِيَاقِى شَاهِقٌ مُتَوَاتِرٌ عَظِيمٌ وَنَبْضُ الإدِّكَارِ سَرِيعُ
لَهُ حَرَكَاتُ الكَيْفِ والأَيْنِ نَحْوَكُمْ وبَاقِى مَقُولاَتِ الوِدَادِ جَمِيعُ

وتلك نسبة تصديقها إذعان ، ولازم نتيجتها برهان ، وتلخيص مطولها بيان ، ومازلنا نسأل معتل النسيم ، عن صحة الخبر ، ونقنع العين بشياف الأثر ، ونرجو مع ذلك رفع أداة الانفصال ، وحمل قضية الود على موجبة الاتصال ، وإنْ سأل المولى عن القائم بوظيفة الأدعية ، ورواتب الأثنية ، فما زالت شعاب أكفه تستمطر غيوث الإحسان ، ومقاليد دعائه تستفتح أبواب الامتنان من المنان ، ولا سيما فى أوقات مظنة القبول ، وتحقق بلوغ السول فى حضرة الرسول ، فهو يرسخ ذلك فى سجلات الحسنات ، ويؤبده فى تسطير الباقيات الصالحات ، شعر :

وهَذَا دُعَاءٌ لَو سكَتُّ كُفِيتُهُ لأنى سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ وقَدْ فَعَلْ

فإذا ليس ذلك ، إلا من جهة واجب الإخاء ، وملازمة فرض شروط الوفاء ، فها أنا أعقد ألوية الثناء بذات الرقاع ، وأبث طلائع السؤال عن المخلص فى نفسه لكشف لبسه ، مع إخوان زمانه وأبناء جنسه ، شعر :

فَعَبْدُكُم مُخْلِصُ الوِدادِ لَكُم يَبَاتُ بِالذِّكْرِ ثَانِىَ اثْنَيْنِ
ونُسْخَةُ الحَالِ مَتْنُهَا جُمَلٌ وشَرْحُهَا فِى شِوَاهِدِ العَيْنِ

وقد سبقتم إلى ذلك بالنظر ، وليس كالخُبر الخَبر ، إلا أن يكون اللباس ، قد أوجب الإلتباس ، وأضاع القياس ، فأطفأ النبراس ، وهدم الأساس ، وجمعنا مع آحاد الناس ، فلا غرو فطالما حاولت الإيقاع ، وتوخيت موافقة الأوضاع ، ونظرت فى تخت الحسبان لطريقة الاجتماع ، شعر :

ولما أبَى الإنتَاجُ شَكلاً مُنَاسِبًا تَولَّدُه الأَقْدَارُ فى الخَطِّ والرمْىِ
وقَفْتُ أغَنِّى لِلأَصَمِّ مُغَرِدًا وأرقُصُ فى لَيْلِ الجَهالةِ لِلْعُمْىِ

فالمدلى بالطبع ، لايستغنى عن الجمع ، ويعرض عن رسالة البحث إلى علم الوضع ، وإذا كان الأدب فى النفوس ، فالحقيقة من وراء المحسوس ، وعلى اختلاف الشؤن ، يجمل بى أنْ أكون ، شعر :

يَومًا يمانِ إذا لاقَيْتُ ذَا يَمَنٍ وإنْ لَقِيتُ مَعَدِيًا فَعَدْنَانِى

فليس الرشيد إلاَّ المتوكل ، ولا الراضى على القدر إلا الموفق المتجمل ، والطائع مأمون العواقب ، والمنصور بالعز ليس له غالب ، فلا أعلم من التصريف إلا باب المطاوعة والانفعال ، ولا أجهل هذا الباب إلا التنازع بين الأفعال ، والخوض فى مجمع الأمثال وعقم الأشكال ، وما عسى أن أفعل ، وإلى أي مرام أتوصل ، إذا نازعت فى قول الأول ، شعر :

فَاقبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أتَاكَ بِه مَنْ قَرَّ عَيناً بِعَيْشِه نَفَعَهْ

ثم إذا قلبت ظهر المجَن على الزمن ، فقلت إنَّ حاطب ليل جامع بين الحشف وسوء الكيل ، وقد تشوش ذهنه فى التصريف ، وماله عن النكرات من التعريف ، حتى صرف ما لا ينصرف ، وصرف الكامل عن دائرة المؤتلف ، وقَفَّى بالمحن سناد الإشباع ، وأردف له ذلك مع شهر الامتناع ، فقضيته معدولة عن الكرام ، محصلة للئام ، خارج بعضها عن النظام ، مولودة لغير تمام ، فمن لى بمن أقضى عليه بكتاب الضمانات ، وحكومة الكفالات ، ومسائل العقل والديات ، لاسترجاع ما فات ، مالا يوماً إليه ولا يشار ، شعر :

سُبحَان مَن وضَع الأشياءَ مَوْضِعَها وفَرَّقَ العِزَّ والإذلاَلَ تَفْرِيقَا

والعجل شىء ظهر أمره ، وخفى سره ، فالمعترض حينئذ كالمتأمل المستفيد ، وأنى له التناوش من مكان بعيد ، بل أكون كالماء فاتبع السهول ، وأراقب القسمة حتى تعول ولا أتبرم ولا أقول :

إلى الله أشكُو أنّ فى النّفْسِ حَاجَة تَمرّ بِهَا الأيامُ وهى كَمَا هِيَا
ولكِنّنِى رَاضٍ بِأنْ أحْمِلَ الهَوَى وأخْلُصُ مِنْه لا عَلَيّ ولا لِيَا

وربما يقال : إنى نقضتُ وضُوء الأدب ، وتعديْتُ ميقات النسب ، ولم أحْرِم بالتجرد من دناءة المكتسب ؛ ولا سجدت للسهو عن حقوق الحسب :

مَنْ تَرَدّى بِردَاء لَمْ يَرِثْهُ مِن أبِيهِ
سَوفَ يَأتِيهِ زَمَانٌ يَتَمَنّى المَوتَ فِيهِ

فعلى ذلك إن ثبتت الجنحة ، فالمحنة فى تلك المِنحة ، وشر ما يلجئك إلى مخيسة عرقوب ، ولا سيما وقد ضعف الطالب والمطلوب .

مَا مُحْوِجٌ نَفْسَه إلى سَبَبِ إلا لأمرٍ يَئُولُ لِلسَّبَبِ
تُلْجِى الضَّرُورَاتُ فى الأمورِ إلى سُلُوكِ مَا لاَ يَلِيقُ بِالأدبِ

وإنْ أكن قَد خالفت الأكياس ، وتخلفت مع الناس ، وصبحت الرضا لتهجمى آل العباس ، فإن الماء فى بابه مفوض إلى رأى المبتلى به ، والدخيل فى دائه ، أعلم بدوائه عند فقد أطبائه ، وهل هم فى معنانا إلا الكرام ، ومساعدة الأيام ؟ ، وهبنى كفلت يتيمة الدهر ، ودمية القصر فى أنباء العصر ،وقلدتها قلائد العقيان ، وعقود الجمان ، مفصلة بجواهر النصوص ، ومعادن الفصوص ، وأقطعها رياض زهر الآداب ، وغياض آداب الكتاب ، وأسكنتها علالى المقامات ، وعلوّ الطبقات ، وتهذيب الرياضات ، وسير الفتوحات ، إلى إدراك الممكنات ، ثم قلت أين بغية الحفاظ ،وابن جلا وخطيب عكاظ ، شعر :

فلو عَلِمَ الحيُّ اليَمَانُون أنَّنِى إذا قُلْتُ أمَّا بَعْدُ أنى خَطِيبُهَا

فمن لى بمن يميز بين الضدين ، ويقدم الجمعة على الإثنين ، ويميل إلى الكشكول عن كتاب العين ، وإن فضل لذلك أرباب ، أو كان فى الجعبة نشاب ، فالمعاصرة حجاب ، والتفاخرسور له باب ، فما بقى إلا التشاغل بالسلوان ، وبكاء العيون لوفيات الأعيان ، ومراقبة المطالع لنصبات الطوالع ، وبلوغ المقاصد من تلك المراصد، فقديمًا قيل « من طلب شيئًا قبل الوقت ، لم يجن من ثمرات أمانيه إلا المقت » شعر :

دَعْهَا سَمَاوِيَّةً تَأتِى عَلَى قَدَرٍ لا تَعْتَرِضْهَا بِرَأْيٍ مِنْكَ تَنْخَرِمُ

فمن الخسران جهل الأوزان ، ومساعدة الأبدان قبل معرفة البحران ، فربما كان فى إسطرلاب السعادة ما يخالف العادة ، ويبلغ الحسنى وزيادة ، هذا والمطلوب من المولى تعهدنا بالذكر وحضورنا عند الفكر ، فلعلنا نصادف قدراً به ليل الحظ يقمر ، وفجرُ الإقبال يسفر ، وربما طلعت من مشرقكم شموسه وأقماره ، ووضح لذى عينين صُبحه ونهاره ، فلنا فى الغيب آمال ، وفى كنانة الأدعية سهام ونبال ، ومن حسن الفال حاسبٌ ورمَّال ، وبميدان جميل الظن مدار ومجال ، وإلى عالم السر جواب وسؤال ، وفى فتح القدير مستند ورجال ، وعلى ضوء مشكاة المصابيح تقرأ نسخة الحال ، فإن فى عياضها شفاء ، وفى خلاصتها وفاء ، وفى

كنز الكافي معادن ، وعلى وجوه التفويض تلوح المحاسن ، ومن دخل حرمه كان آمن ، شعر :

تلكَ رُؤيَا قَصَصتُها لكَ فَانظُرْ ... لي فيهَا التأويلَ والتَّعْبيرَا

وعَرَضنَا فلزات حَظٌّ غَبيط ... وأفضنَا لرأيكَ التَّدْبيرَا

ولَكَ الأمرُ فيه حَلاً وعَقْداً ... ربما عاد ثابتًا إكْسيرَا

صَحّ قلبُ العَيانِ فيه وأضحَى ... جَابِرٌ قَلْبُه به مكْسُورَا

ثم قُلْنَا للكيمياء سَلامٌ ... فقَدْ كُفِينَا التَّصعيدَ والتقطيرَا

وفرغنا نَنْظُم الدُّرَّ مِنْ مَعْـ ... ـنَى مَسَاعِيكَ غُدوةً وبُكُورَا

واشْتَغَلْنَا مع المحبّينَ نتلُو ... لَكَ فُرقَانَ مدْحَة وزَبُورَا

فنُساقَى من تلكَ كَاسًا دهَاقًا ... كانَ فينَا مِزَاجُهَا كَافُورَا

شِيَمًا لو تجسَّمَتْ مِنْك كَانَتْ ... هِيَ للنَّاسِ جنّةً وحَرِيرَا

مَعْدنًا تَلقُط المسامعُ منه ... حِينَ تُلْقِيه لؤلؤًا مَنْثُورا

وبَديعًا من العُلا ما نظَرْنَا ... لمراعَاته هُنَاك نَظِيرا

وإذا ما رأيْتَ ثَمّ مِن المجْـ ... ـد مَقَامًا رأيتَ مُلْكًا كَبِيرَا

أبدًا في مواكب الفخر تَسْتَعبِـ ... ـدُ كسرَى الملُوكِ أو سَابُورَا

غَفَرَ اللهُ سَيّئَات زَمَان ... سَاء قدمًا وعَاد منك بَشِيرَا

مثل يَعقُوبَ وابنَهُ ثُم لمَّا ... جَاءه ارتَدّ بالقَمِيص بَصِيرَا

وتَولّى جَزاءهُ اللهُ عنَّا ... إنّه كانَ سَعْيُه مَشْكُورَا

يا الإنسَان رفعة أنتَ فينَا ... يَرْجِعُ الطرفُ أنْ رآك حَسِيرَا

بيتُ حُبي ما زال فيكَ مَدى الدَّهْـ ... ـرِ دوامًا مُشَيَّدًا مَعْمُورَا

نَقْشَبَنْدِيُّ الولاءِ فيكَ مَلامي ... مَولَوِي السَّيْرِ بَاطنًا وظُهُورَا

ووِدَادي أبُو يَزِيدُ وأقصَى ... طُوره طورًا طورُ سيناء طُورَا

فتَقَبّل إليكَ حُورَ مَعَان ... قد سكَنَّ الألفاظَ مِنّي قُصُورَا

وكُمَيتٍ منَ القَرِيضِ كُمَيتٌ ... دُونَه جَرّ في الرهان جَرِيرَا

مَلكًا في خلافَة الشِّعْرِ جَا بالنّـ ... ـشْرِ مَعَهُ مُصَاحبًا وَوَزِيرَا

وابقَ واسْلَمْ كَمَا تَشَاءُ المعَالي ... تُبقِ ذِكْرى خَيْرٍ وتَفْنى الدُّهُورَا

أبدًا كُلّمَا خُصِصْتَ بِمَدْحٍ ... وسَعَى نَحْوك القَريضُ سَفِيرَا

وكتب إلى عبد الرحمن السيوري : « اهدى جزيل سلام ألذّ من الوصال فى طيف الخيال ، وأحلى من الإقبال بالآمال ، وأحب من الإتحاف بالإسعاف ، وأعذب

من الورود على حِياضِ الوعود ، وأعشَقُ إلى الطالب من حصول المآرب ، وأكرم من الغمام بإهداء جزيل السـلام ، أريجًا يكُمّه الزهر فى أكمامه ، ويلُمّه الجيد فى نظامه، ويجعله الرحيق من ختامه ، والثغر الشنيب تحت لثامه ، نودعه النرجس فى جفُونه ، ونلقنه الحمَامَ فى سَجْعِه على غصونه ، فيحمله النسيم على مُتُونه بجميع فنونه ، إلى حضرة إنسان العين الكامـل ، ورأس أدبِ الكاتب ، فى صدور المحافل ، مَن سَحَب البلاغة علـى سَحْبان ، وجرّ على المجَرة سُرادق العز والإمكان ، وسيـط النسب إلى الأدب ، وطراز الفخر على جبهة الدهـر ، المخصوص بخالص الود ، وأكيد المحبة ، على مراد الوفاء بشروط الصحبة ، المكَرّم الأجل عبد الرحمن بن مصطفى السيورى، أطال الله عمر سعادته ، وخلد دولة سيادته » شعر :

وبـعـدُ فـالشّوقُ إنْ تـسْألْ فـإنّ لـه	شَواهدٌ وسُؤالــــى منْك أصْدَقُهَا
وإنّ فى البعْدِ مـا ينْسِى الأخوّةَ والتّسْـ	ـآلُ عــنْك بلا شَك يـحَقّقُهَا
فكَيفَ أنتَ وكَيـفَ الحالُ دُمت عَلى	ما كُنت منْ شُكْرِ نُعْمَى فـيك تُرْزَقُها
سوى المـودة فيـمـا بـيْنَنَا فـلـقَدْ	رأيـتُ منْك يَدُ الـسّلْوى تُمـزقُهــا
وذَاكَ مـع طُول عَهْدٍ بالإخـاءِ مَضَى	عُمْرُ الـصّداقَة حـتـى شَابَ مَفْرِقُهَا

فإن لـم يكن إلا الملال ، فـلا جدال ، وأن أوجب ذلك لـذة الجديد ، فحـرمة العتيقِ لاتبيـد ، أو كانت القوة عن شهوة فالاعتـراض يرد على الأعراض ، وإن كان الترك بلا سبب ، فهو من العجب ، شعر :

وإنْ احَلْتُ على حَظّى اعـتذارك لى	خَرجْتُ عن عَهْدة الـتعْنيـفِ والعتْبِ

ولكن أين الفضـائل ؟ ، وكيف تلاشت الفواضل ؟ ، تحمل الـتحمل ، وأجمل عن الأزماع التجمل ، وتقاصر الطـول والتطول ، حتى وكّلت غيرك من الأنام ، فى إهداء السلام ، وجاءنى بشيرُ المواعيد عـلى بريد ، فملْتُ إلى النفس أبَشّرها ، وعلى الفُرش أنشُرها ، وإلـى الزلاع أنظفها ، وعـلى الفقاع أصففُهـا ، .واشتغلت بالـلحية أسرحُها ، وأهـل الحارة أفرجهـا ، ثم ذكرت وصول الحـبوب فى الغـبش ، فعبيت الخيش ، وقلت ربما يصل التمر فـى العصر ، ويـاترى تلك البضاعة تسعها القاعة ؟ ، أم لابد مـن توسعـة الضّيِّـق لتلك الـصناديـق ، وكيف نعـين الزبون لاقْـتراض العربـون ، وتسليم الجمَّـالة ، إذا وصلـت تلك الرسالة ، ثم أنشدت وأنا أدور مابين الدور ، شعر :

إلا بُشْرَى لجيـــــــــــرَانى مــــــــع الأصْحَابِ والأهْلِ
فـــــقَدْ جَاد لـــــنَا المـــولَى مَحَلّ الجُودِ والـــــــفضْلِ
ولابُـــــــدّ لأصْحَابِـــــــى مِنَ الإنـــــعَامِ والــــــبَذْلِ
لَهُم منّى مَدى الأيــــــــا مِ فَضْلُ الـــــــزّاد والأكْلِ
وكُلٌّ يكتَسِـــــــى منّـــــى عـــلـــى الـــهَيْئَةِ والـــشّكْلِ
مِنَ الـــــفَرْوِ إلـــى الجُو خَة لِلْعمّة والـــــــــنّعْلِ
وأيـــــــــضًا خِلْعَةً أعْطِى مِنَ الـــرّأسِ إلـــى الـــرّجْلِ
إلـــى الـــسّرجِ إلـــى الـــرّحْلِ إلـــى الـــقَتْبِ إلـــى الجُـــلّ
فـــــسَجّلْ يـــا غُلامَ الخَــيْـ ـــر خَيْراتِى عــــلَى الـــكُلّ
ونَاد الأهْلَ والجيـــــــــرا نَ وابْعَثْ نَحْـــــــوهُمْ رُسْلِى
وخَاطِبْهُم إذا اجْتَمَعُــــــوا بِدَق الـــــزّيـــــرِ والـــطّبْلِ
وقُلْ هَـــــــــــذِى مَضَايِفُنَا وهَذِى قِدْرُنـــــــــا تَغْلِى
مِنَ الـــلّحْمِ إلـــى الـــرُّزّ إلـــى البـــسّمْنِ إلـــى الـــبَقْلِ
وأنواعٌ مِن المــــــــشْوِيّ والمَغْلِيّ والمـــــــــــــقْلِى
وأجْنَاسٌ مِن الــــــــزّرْيَا ج بـــــــالمــــشْمِشِ والخَلّ
ولا تَخْـــــــــرُجْ بَاضِيَافِى إلـــى الـــشّمْسِ مِن الـــظّلّ
وأمّا الـــنـــقْدُ فـــالحـــاضـ ــــــــرُ عَامُود وفُنْدقْلِى
ومَــــــــــن يَطْلُبُ زَنْجرَنَا ه إنْ شَــــــــاءَ بِزنْجرلِى
فَدَعْنِى ألْبَسُ الــــــــتّا ج بــــهَذَا المجْلسِ الحـــــفْلِ
وإنْ كُنْتُ تَنَحــــــــنَحْتُ أنَا يَا عـــــــبْدُ نَعّم لِى
ترانى مَقْصدُ الحـــــــاجَا تِ لابَعْدِى ولا قَبْلِــــــــى
ترَانِى أقْتُــــــــلُ الأقْرا نَ يــــومَ الحـــرْبِ مَنْ مـــثْلِى
وإنْ كُنْتَ تُرِيــــــدُ الحـــرْ بَ هـــذِى الخَـــيْلُ يَاخِلّى
فـــقُلْ مـــا شِئـتَ فـــى قَولـــى وقُلْ مـــا شِئْتَ فـــى فِعْلِى
وإنْ كُنْتَ تَوضّـــــــــأتَ عـــلـــى قَصْدِ الـــثّنا صَلّـــى
وصِفْ جُودى وصِـــفْ عُودى وصِفْ سَيــفـــى وصِفْ نَصْلِى
فـــــهَذَا الحـــــبْسُ مَلآنٌ مِن الأعْدَاء كـــــالـــــنّمْلِ
وهَذَا الخَـــــيْرُ مـــطْروحٌ عـــلـــى الـــطُّرُقَاتِ والـــسُّبْلِ
بِصِيــــتِى سَارتِ الـــــرّكْبَا نُ مِنْ وَعْرٍ إلــــــى سَهْلِ
هَنِيـــئِى الـــيَومَ بـــالأمْوا لِ قـــد أصْبَحْتُ دِرْهَمْ لـــى

ثم أخذت الإبريق ، وملت عن الطريق ، واستكَتُ واغتسلت ، وتوضأت ، واكتحلت ، وتنحنحت وسعلت ، وخرجت ودخلت ، ثم ملت إلى الصندوق ، والقيت القاووق ، ولبست الزربفت من فوق التفت ، وتدرعت بالسمور ، وجلست على تخت التيمور ، ثم خلعت على العتالين ، وقدمت أجرة المخزنين سبع سنين ، ثم إنى كررت المخبرة ، وطالعت الورقة بالمنظرة ، فإذا السكر المكرر قد تسطر ، وإذا البن المحزوم ، ولطائف الملبوس والمشموم ، وتأملت فى هامش الكتاب ، فإذا جراب ، وفيه الوعد بكل نفيس ، وفى ضمن الجميع كيس ، وفيه المنة بمفاتيح قارون ، ومقاليد القلل والحصون ، والوعد بطلسم الأهرام ، وكتاب العهد على اليمن والشام ، ولم أجد العهد على الصين ، ولا فارس وقزوين ، وأرض الدروب وفلسطين ، فحصل لى العجب العجاب ، وقمت إلى الجراب ، بعد إغلاق الباب ، وقد أذكيت المصباح ، وفتشت إلى الصباح ، وإذا كتابان قد كتبا بالزعفران ، وضُمخا بالعبير ، ولفافى حرير ، فى الأول ملك خراسان ، وتقليد الشحر وعمان ، إلى إقليم السودان ، وما وراء النهر وعبادان ، إلى جزيرة العرب ، وغوطة دمشق وحلب؟ ، ولم يزل ينعم وعداً ، ويهب ، ويجيء بالعجب ، وفى ذيل المنشور ، وتمام المسطور ، تفضل بالأقاليم ، وأنعم بتاج العز والتكريم ، فسجدت لكرمه ، وشكرته على نعمه ، شعر :

ثُم رتَّبتُ دفترا للعطايا	وقسَمْتُ البلادَ بَين الأخلاَّ
قلتُ ذاك الصّديقَ أعطيه صَنْعَا	فى بَنِى حميَرَ الكرَامَ الأجلاَّ
وعلى فَارس صَديقٌ وأرض الرُّوم	ثَان والهِنْد أوليه خلاَّ
حاصلُ الأمرَ أن كُلَّ مُحبَّ	لِى عَلَى قَدْر حَظِّه يتَولَّى
وأنَا فى السَّحَاب بَيتِى وتَحتِى	كُلَّ يوم إلى السما يتعلى
واقْترضْنَا فى الحَال ألْفَين دينَا	ر نَقْضِى بِهَا هُنَالكَ شُغْلاَ
واشْتَرينَا خَمْسِين عَبْدًا خَصيًا	منْهُم نِصْفُ ذاك إلاَّ أقَلاَّ
واستَعَرنَا لَهُم ثَلاثِينَ قَاوُو	قًا على رأسهم وللرّجْل نَعْلاَ
ثُم نَاديتُهُم وقُلْت هَلُمُّوا	فادخلُوا هذه الطُّوالَة قَبْلاَ
كلُّ شخص منْكُم حِمَارًا يُنقِّى	ثُم شَيخُ العَبيدِ يركَبُ بَغْلاَ
وخُذُوا ذا السّلاحَ سَيفًا ورُمْحًا	ودُروعًا تَسْمُو وقَوسًا ونبْلاَ
واعْرِضُوا نفْسكُم علَيّ فإنّى	أشْتَهِى العَبْدَ فى السّلاحِ المحَلّى

واقعُدُوا عـــــنْدَ بَابِنَا ثم قُولُوا   يـومَ تـأتـى الحُمُولَ أهـلاً وسَهْلاَ
ثُم إنــى فكّرتُ إنْ أصبَح الخـيـــــرُ علــيـــنَا مَاذا نُقَدمُ فعْلاَ
قلـتُ حُط القُمَاشَ والـبنَّ فى المجلـــسِ واجْعَلْ بَاقـى الـتّفَارِيـقَ سِفْلاَ
ثُم هــــذا المـكَانُ يـــحْملُ حِمْلَيْـــنِ وهـذَا المـكَانُ يـحْملُ حِمْلاَ
هَذِه صُفَـة تحَطُّ عــلَيــهَا المـسْــكَ أمْ هــذه بــذَلِكَ أوْلـــى
هَذه للـــــزُّبــــــادِ تحملُ قَرنًا   هَذه يــــا فُلاَن تَحْمِلُ رِطْـــــلاَ
يـــا تُرَى تحـــملُ المخَاونُ عَشْرا   من هَدايَا فَضْلِ الـــسيُّورى أمْ لاَ
يـا تُرى يغْبِشُون أمْ تـطـلـعُ الشَّمــسُ علـيهـم أمْ مـا يجِيئُون أصْلاَ
اضْربُوا مَنْدلاً لـــــنَا يَا ثِقَاتِى   رُبَمـــا يَحْصُل المـــنَى ولَعَلاَّ
دَخّنــوا دخنَة الـتّهــاطِيـل قُولـــوا   يَا طــهَاطِيــل طَهْطَهــيــلاَت طَهْلاَ
ألـــوَحَا الـوَحَا طَطَاطــيـل طَيْطــا   طُوطِيَا طُوطِيَّا طـــلاَطِلُ طـــلاًّ
هـات لـى يــا غُلامُ زَايـرجَة الـرمْــلِ عَسَانـــى مِنه أخرجُ شكْلاَ
إنْ تَرى فـى الـطَّريـق غـيـرَ المطَايَا   تَتَهَادى فــحَبَّذا الــــرَّمـــلُ رَمْلاَ

ثم ملـت بإنسانى إلـى المكتوب الثـانى ، وإذا علم استخراج الطلاسـم ، وخبر الملاحم ، والتوصل إلى فتح الأهرام ، فى ثلاثة أيام ، ومعرفة ذات العماد ، فى أى البلاد ، والإتـيان بعرش بلقيس ، بتدبيـر المغناطيـس ، وفيه استخدام الـكواكب ، ومعرفة كـل غائب ، وبيان علـم الروحانيات ، ودعوات الـعليات ، وضبط الـدقائق الفلكيـات ، وملكوت الأرض والسموات ، وأنه يكـشف لنا رموز الكيمـياء ، ويعلم طرائق الـزايرجات والسيـمياء ، ويدلـ عـلـى بئر المـلكين ببـابل ، ويستخـرج علوم الأوائل ، ويعزم على الوحش فيجلبها ، وعلى الجبال فيقلبها ، وعلى الغمام فينزله ، وعلى الريح فيـحوّله ، وعلى النجوم فينثـرها ، وعلى القبور فيبعـثرها ، وإنَّ الجميع يصل على الفور ، فى هذا الدور ، وأنه ينـتف لحية المكذب قبل أن يجرّب ، ويقص سبال المنكر ، إنْ يؤمن بما يخبر ، فقلت آمنت بما قاله سبحان من أعطاه ذا الاقتدار ، أستغـفر الله السيـوزى مايـعرف يـا إخوان قـول الفشار ، ثـم شرعت أعبـى الخيل والخيول ، وأجييش بجميع الدولِ للقاء ذاك الأمـل ، ولم نزلِ نبث الطلائِع ، ونتوقع الطالع ، إلـى أن أتى الأبيدِ على لبد ، ولم يصل أحد ، فثارت الفـتنة بين الجنود ،

لتأخر الوعود ، ووقعت البسطامية والبسوس ، لحصاد النفوس ، وتقصفت الأسنة ، وتقطعت الأعنة ، وتثلمت السيوف ، وتماوجت الصفوف ، وسال جيحون والفرات بدم الأموات :

وَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمجُّ دِمَاءهَا   بِدجْلَةَ حتَّى مَاء دِجْلَةَ اشْكَلَ

ولم يبق أحد من الجيشين إلاَّ صَلَّى على وعدك ركعتين ، ورجع بخُفَّيْ حُنين ، ثم إنا احتلنا فى إطفاء نار الفتنة ، بطلب هدنة ، إلى أن يصل إليك الكتاب ، ويرجع الجواب ، وقد أمرنا السفير ، إذا وقف بين يديك ، أن يقرأ عليك :

قُلْ لِلْخَلِيلِ الَّذى أنهى لحضْرَتِهِ   خُلاصَةَ الودّ مِنْ سِرِّى ومِنْ عَلَنِى
ومَن مَدَى الدّهْر أدعُو فى سَلاَمتِهِ   مِن الرّدَى وهى مِنْ قَصْدِى ومِنْ شَجَنِى
يا ذَا الذى وعَدَ المعْرُوفَ ثم مَضَى   لذاكَ عُمْرُ الأمَانى والزَّمَانُ فَنِى
ومَن عَلَى مَذْهَبِ الحسْبَان مَلَّكَنا   كُنُوزَ قَارُونَ مِنْ مِصر إلى عَدَنِ
إنْ كانَ عِنْدَكَ مَحْضُ الوعْدِ تحسَبُهُ   اصْلاً مِن الجُودِ أوْ فَرعًا من المِنَنِ
فَعِد بِحنْطَةِ بُولاق وقُل مَعَهَا   مَعَ سَاحِلِ البنّ غَابَاتٌ مِن التُّنِ
وافرِضْ بِأنكَ قَدْ قلّدْتَنِى عَمَلاً   بالهِنْد أجْبِى صُنُوفَ الخزّ والقطنِ
وَوَلِّنِى سَاحِلَ البَحْرين أجْلبُه   بسُوق سَعْدِكَ بَازارا بلا ثَمَنِ
وجُد بإيوانِ كِسْرَى والخورنَقِ والْـ   ـقَصْرِ المشِيدِ ومُلْكِ الشَّامِ واليَمَنِ
واعْقِد لِىَ التاجَ رغمًا مِنك واجعَلْنى   علَى طوائفِ ذِى القَرنَينِ فى المدُنِ
وقُل وهَبْتكَ مَا فى الأرضِ مِنْ نِعَمٍ   بِاللَّحْمِ والجِلْدِ والأصْوافِ واللَّبَنِ
ولا تكُن خشْيَةَ الإنفَاقِ مُقْتَصِراً   مَا دَامَ كَنزُك مِنْ وعْدٍ فأنْتَ غَنِى
لله وعْدُك مُذْ عَامَين انشَدَنى   أنا المعيدىُّ فاسْمَعْ بِى ولاَ تَرنِى
خُذْ مِن عُلُومى ولا تَركَن إلى عَمَلى   ولا يغُرّنْكَ منى خُضْرَةُ الدّمَنِ
فقُلْتُ أجْرِىَ عِندَ الله أطلُبُه   حولَين يا وعْدُ تَسْقِينى وتُطعِمُنِى
مِنَ العَجَائبِ أبدَيْتُ الشَّجاعَةَ فى   وعْدِى وعُدْت أكلْتُ الخبْزَ بالجُبنِ
مُبالَغَاتٌ من الأقوالِ تَسْمَعُها   لَو كُن فى البَحْرِ رِيحًا طرنَ بالسُّفُنِ
ياذَا الذى جَاد فى الأحْلامِ لى كَرمًا   يُهنيكَ أنّى قد استغْنَيتُ مِنْ أذنى

فَلاَ تكُن تـقْطعُ التـشْرِيفَ عَنـى فى   كتـابِ وُدكَ لى فـى لـفظِكَ الحـسَنِ
حَتـى أفـوزَ بِمُلْكِ الأرضِ مِنْك وَلاَ   أرضَىَ بـأنّى فـى غَمْدان ذِى يَزن
وخُذْ ثَوابك وعْداً مِثـل وعْدِكَ لـى   هَذا بِذَاكَ ولا عُتْبٌ عـلـى الـزّمَنِ

وكتب : إلى الشـيخ عمر الحلبى علـى لسان تلميذ له : « أهـدى جزيل سلام ، مازال دائراً بمـركزه محيـطه ، وواقفًا علـى مُركّبه بسيـطه ، سلامًا أنظـم به الدرارى والدرر ، وأنثر به المنثور والزهـر ، وأستخدم له بهرام والقمر ، سلامًا منشورة ألويته على عـمود الصباح ، موعـودة سرية همته بـظفر الافتتاح ، سـلامًا تشير إليه الـثريا بكفهـا ، والجوزاء بشنفها ، والزهـرة بطرفها ،والدقائق بـلطفها عند كشـفها ، سلامًا تتلقاه الـشِّعْرى العبور للعبور ، ويقوم لـه زيد الوداد بالمرصاد ، فيعرض علـيه شقيق رمحـه ، والمعلّى قدحـه ، وابن جلا عـمامتـه ، ومرجف لأمتـه ، جامعًا بـين الجد والهزل ، والإرقال والـرمَلْ ، مخصوصًا به حضرة محـيط مركزى بعنايتـه ، وهيكل سرى بحـمايته ، نـكتة الفلـك ، وروحانية المـلك ، ونفحة الـقدوس المشرقـة على النفوس ، الفـائز بفصوص الحقائق ، وكـنوز الدقائق ، والحائز معـانى الإشارات فى أبواب الفـتوحات ، الشارب مـن العين بكشكـوله ، والملقى عـصا السير فـى ساحة وصوله ، رُكْن هذا الفضلِ واسْطِقْصُه ، وجنس نوع الكرم ونفسه ، شيخى وأستاذى الشيخ عمر ، لامعدولاً عنا لقاطع ، غير مـنصرف عن المقتضى بالمانع ، آمين ، وبعد التقرب بنوافل الأدعية ، والتحبب برواتب الأثنية ، صدوراً عن فؤاد قائمة زواياه فى الوداد ، مستقيم خط هواه فى كمال الاتحاد ، غير منقسم جذره الأصم عن العذال ، ولا مجتمعـة له ضروب اللوازم فى مثال ، فهـو ينكسر إلى السواد فـيتخصص ، ولا يختلـط فِلزُّه بالأغيـار فيتمحص ، مِنْ مخلص يطرح الألف ، ويأخذ الواحد بالكف، ويستخرج مجهول الأغيار ، وينفض التغيير بقلم الغبار ، حتى يحل له بالجبر المقابلة، فى مـديح ذوى الأمعان والمحـاولة ، فيـأخذ هنـاك ، ارتفاع الشـمس ، بإسـطرلاب تهـذيب النـفس ، ويـترقى فـى درج المعانـى ، باطراح الـتوانـى ، وطرح الثـوالث والثوانى، ومـا ذاك إلا لإضافتى لعلمـكم بعلمكم ، وشُربـى من كَرْمكُم بكَرَمكُم ، وتمييزى فى هذه الحال، ببدل الاشتمال، ولا سيما بعد وصولى، ما أشاء إلى جهتى ،

وصح به أملي عن الخروج من جدولى ، ولى ولى ، فلا زال كيدى أهل الفضل ، واسع البذل بسيط النوال ، وافر مديذ الكمال ، متداركى إلى مَدَاركى ، وسائرى فى سائرى ، ومفيقى من سكر تلفيقى إلى توفيقى ، ومحررى بضَبطِى مِن خَبْطى فى خَلْطى ، ورفيقى فى تشويقى إلى تحقيقى ، يرحل بى إلى المختصر عن المطول ، وينزل بى عن المعاهد فى البديع الأول » ، وقال :

وخَمْرةٌ مِـــن مُتَنَـــانٍ حَلَّتْ دِنَـــانَ الحُـــرُوفِ
جَلَـــت كَدُوراتِ حِسّـــى حَتّى تَلاشَـــى كَثِيـــفِى
ولا عَجِيــــبَ لِـــصَفْوِى لأنَّ ذا الـــــرُوح صُوفِى

وله عفا الله عنه :

لِعَمْرُكَ أنــتَ كِتَابُ الـكَمَالِ بـــآيَاتِه يَظْهَرُ المُـــضْمَرُ
وشِعْرِى عُنْوانُ مَا قَـــدْ حَوَاهُ وفِيـه انْطَـوَى الـعَالَمُ الأكْبَرُ

ومن التحميضات :

قُـلْ لأشْياعِى الـذى صَحِبُونِى ثُم راحُوا مِن بــعـد مُعْتَزِلـــيَّهْ
ولأنصارى الـــذى خَذَلُونِى واسْتَعَاضُوا سِوايَ أنـــصَارِيّه
عـــفْتُمُو نِصفَ أمْرِدٍ كَوْسَجِيًا وانفَردتُم بِمَـذْهـب المـوْصِلِيَّهْ
لا تَـظُنُّوا فـى عِفّتِى هِى مَاهِى أنَا قَـلّدتُ مَذْهَب الـــبَاحِيَّهْ
أىُّ ذنبٍ جَنَيــتُ حـتَّى اسـتَرَقْتُم نـفْسكُم لِلْمَقِيـل وقْتَ الـعَشِيَّهْ
واحِدٌ راحَ مِن زقَاقِ الـــقَشَاشِى يـتَمَشّى فـى هَيـئـة مَخفِيّهْ
ورِجَالٌ مِن الـــبَرَابِيـــخِ جَاءوا ورجَالٌ مِن تحـت جـذْرِ الـتَّكِيّه
واحِدٌ حَامِـــلٌ كِتــابًا يُوَرّى أنّهُ سَائـــرٌ إلـــى الـــكُتّيبه
وأخٌ قَــــالَ قَدْ شَرِبْت دَواءً وأريــدُ الإسْهَــالَ فـــى الـعَنْبَرِيّه
وصَديـــقٌ سَألـــتُه أيـــنَ تَبْغى فَلَوَى رأسَــــهُ وقَـــال قَضِيّه
قـدْ نـذَرتُ الـصّيَـامَ شَهْرًا ولاءً وشَرَطْتُ الإفطَار بـــالـــعَدَسِيّه
لا تُخبّثْ نَفْسِى بـذِكْر الـكَوَارِى والـــلّوارِى والـــورْة المحْشِيّه
أنَا لا أشتَهِى الـكَبَابَ ولا الـرُزَّ ولا زِرْبـــاج ولا الــــلّبَنِيّه

قَد زَهدْنا فـی کُل ما تَشْتـهیه الـنفــ ــــس حــتّی الـدَّجاجــة المــقْلیّه
عفتُ کـلَّ الــطـعَام قُلْتُ فَمَا المـــو جبُ قـالَ الـــأُحُو ق بـالـصُّوفـیـه
وأتی آخرٌ فــــــــقُلْتُ سَلامٌ فَسَعَی مُسْرعًا وردَّ الـــــــتَّحیّه
ووَرَاه شَخْصٌ یَجُــــــرُّ خَرُوفًا حــــاملاً تحـــــتَ کُمّه مَطْبَقیّه
قـلتُ مـا الحـالُ قالَ قـد شَردَ الْعَبْـ ــــدُ بشَالـــی والـفَرْو والــفَرَجیّه
قـــلـــــتُ قبـــدْ مَرّ عَبْدُکُم بطَعَام وشــــراب مِنْ قَبْلــــکُم من هُنَیّه
قـــالَ عَبْدِی یــاقُوتُ قــلْتُ نَعَم قَا لَ لَقَدْ بعتُه نَهَار الـــــضَّحـــیّه
اسْمُ هـــذا المــــاسُ قَبَّحَهُ الـــلّـ ـــهُ وأیری فـی اسْت أمّه الـزنْجیّه
ثـم ولّی عَجْلان قُلــتُ انـتَظرنـــی أطـــلُبُ الـــعَبْد مَعَك لـــلــتّربــیّه
أنَا أولَی بـــالجـــرْی منْكَ لأنّی مَا طَعمْتُ الــــــغَدا وبَطْنِی خَلیّه
قـــالَ اقعُدْ بــــالله ربّك اقعُد بــالـــذّبی بـالــیــهُود بـالــعیسَویّه
مـا یـفُوتُ الـعَبــیـدَ وهـو قَریـبٌ حَول نَخْل الإمَام والـــــــکَرَکیّه
ثـم أنـــی سَألـتُ عَن واقــع الحـا ل ونـــــلـــكَ الـــقَضیّة المخفیّه
فـــــإذا أنتُم کَمَا قـــــد ذکَرنَا لا وفَــــا ولا حُــــبًّا ولا عَصَبیّه

وقال من أرجوزته الطبية :

ومُفْردات مِــــن مُرکَّب اضبِـــطْ أصُولَهـــــا والحــــبّ لا تُفَرط
أو مَعْدنـــا والـــــصَّمْغُ أو مَا مثْلُه فـالـــفـعـلُ بـکُل مـا اقتَضَاه فعلُه
مـا قیـل فـی الـقَانُون منْ أفرَاده ولاحظ الــــطَّبیب فـــی مرَاده
ثُم إذا خُصَّ بمَاءٍ أو شَرَابْ یُحَلّ فیــه الـصّمــغُ نــقْعًا ویُذاب
واحْضر لَدیْك عَسَلاً مــــصَنّی مــــثْلَیْه إنْ کَان الــــدّواءُ صَیْفَا
وفـی الـشّتَـا ثـلاثـة امْزج أحْسَنَه مــــع مَا نَقَعْتَ فـــوقَ نَار لَیّنَه
وبَعْدَ عَقْد ذُرَّ فــــوقَهُ الــــدّوا فـی الأرضِ واضْربْه لمـزْج واستْوا
وارفَعْه فـی الـفضّة أو صیـنـیًّا ولا یکُـــــون ظَرْفُهَا بَلیَّـــــا
فـــی غَیْر مُنْحَلّ هُنــــاكَ یُعْرف إلاّ الـــــــزَّجَاجُ طَبْعُه یُجَفّفُ

فی عمل الأقراص :

وإنْ یکُن أقْراصٌ أو حَبٌّ اضفْ مَسْحوقًا فی الـصَّمْغ مَحلُولاً وصفْ
إلا إذا کَان بهـــــا الــــصّبْرُ فَلا حــاجـةَ فــی الــصّمْغ فَخُذْه بَدَلا
وحَب أو قُرص مَعَ المسْح من الــ أدهَانِ مــــن دُهْـــن مُنَاسب حَصَل
ثــم تُجــفّفْ بَالِغًا فـی الـظّل مــــخَافَةَ الـــتَّعفین بَعْد الـبَلّ

فـإنّ ذى الـرُّطـوبَةِ الـغَريـبَةْ تُعَفّن الـشّىءَ ولا عَجِيبَه
وفُوةُ الأقْراصِ تَبقَى أربَعًا سنينَ لا غَيْرَ بِهَا قَدْ قُطِعَا

فى المطبوخ وعمله :

وإنْ يكُن مَطْبُوخ عَدّل وزنَه ولِينِ النّار لتُبْدى حُسْنَه
واطبخه حتّى يتَهرًّا واحْذر من فَيَتمُونَهم أوْ إلا يكْثُر
كمثْل ذا الطَّل غدًا فى وصْفِه ضِف الدّوا عَليه ثُم صَفّه
ونَقّ أخشَابًا لِكُلّ واغسَلِ بمَا طَبيخ ادَّخِرْ واستَأصِلِ

فى السفوف :

وفى السُّفوفِ المزجُ بعدَ السَّحْقِ ورَاعِ مَا يُعْطى لَهُ مِنْ حَقّ

فى التحميص :

وحَمّص القَابِضَ مِنْ بزْرٍ ولا تَدُقّ بزرَ قُطْنِهُ فَيُفْتَلاَ
واحْمِ لِذاَك خزَفًا أو حَجَرًا وانزلْ وقلّب فيه ذَاك البزْرَا

فى الدق والسحق :

وإنْ جَمَعْتَ أهْليلجَات اسْقهَا سَمنًا وحُمّصًا وثُم دُقّهَا
وجَوّد الغَسْل لكُحْلٍ وانقه وسَقّه بالمَاء حَال سَحْقه
ورَوِقّنْهُ بَعْدَ ذا وبَدّلِ مَاءً وجَفّفْ فى تَمَام العَمَلِ

إلى آخر ما قال ، وله غير ذلك مدائح وقصائد وغزليات ، وتخميسات ،ومراسلات ، كلها غرر محشوة بالبلاغة ، تدل على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، توفى بهذه السنة [١]، بالمدينة ، المنورة ، رحمه الله تعالى .

سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف [٢]

فيها فى المحرم [٣] ، أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيًا إلى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغات الجوالى ، وأغات الضربخانة ، إلى جهة الروم ، وكان أحمد أغا هذا رجلاً عظيمًا ذا غنية كبيرة ، وثروة زائدة ، فصادره عليّ بيك فى ماله ، وأمره بالخروج من مصر ، فأحضر المطربازية والدلالين والتجار ، وأخرج متاعه وذخائره ، وباعها بسوق المزاد بينهم ، فبيع موجوده من أمتعة وثياب ، وجواهر

---

(١) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩م . (٢) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ ابريل ١٧٧٠م .
(٣) محرم ١١٨٣ هـ / ٧ مايو - ٥ يونيه ١٧٦٩م .

وتحف ، وأسلحة ، وكتب ، وأشياء نفيسة ، وهو يـنظر إليها ويتحسر ، ثم سافر إلى جهة الإسكندرية .

وفيها [١] ، توفى محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل ، ولعله مات مسموماً ، ودفن بالقرافة الصغرى ، عند مدافن الباشوات ، بالقرب من الإمام الشافعى .

ونزل الحج ، ودخل إلى مصر مع أمير الحاج خليل بيك بلفيا ، فى أمن وأمان ، ووصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء إلى العادلية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ، ودخل بالموكب ، وذلك فى شهر صفر [٢] .

وفيها [٣] ، أخرج عليّ بيك حسن بيك رضوان ، وأتباعه إلى مسجد وصيف ، ثم نقل منها إلى المحلة الكبرى ، . فأقام سنين .

وفيها [٤] ، أرسل عليّ بيك تجريدة إلى سويلم بن حبيب والهنادى بالبحيرة ، وباش التجريدة إسماعيل بيك ، وذلك أنّ ابن حبيب ، لما رحل من دجوة ، وذهب إلى البحيرة ، وانضم إلى عرب الهنادى ، وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك تابع عليّ بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بيك المذكور ، فى المعركة ، ونهبوا متاعه ووطاقه ، وكان أحمد بيك بشناق ، لما خرج من مصر هارباً بعد قتل صالح بيك كما تقدم ، ذهب إلى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانين ومنهم : يحيى السكرى ، وعلى أغا المعمار ، وعلى بيك الملط ، وغيرهم ، وزيفوا بسبب المغرضين لعليّ بيك بدار السلطنة ، فنزلوا فى مركبين إلى درنة ، فوصلوها متفرقين ، فالتى وصلت أولاً بها : يحيى اليسكرى ، وعلى المعمار ، والملط ، فركبوا عندما وصلوا إلى درنة ، وذهبوا إلى الصعيد ، ووصلت المركب الأخرى بعد أيام ، وبها أحمد بيك بشناق ، فطلع إلى عند الهنادى ، فلما وصل إسماعيل بيك ، ومن معه بالتجريدة ، فتحاربوا مع الحبايبة والهنادى ، ومعهم أحمد بيك بشناق ثلاثة أيام ، وكان سويلم بن حبيب منعزلاً فى خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيداً عن المعركة ، فذهب بعض العرب ، وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه وقتلوه ، وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح واشتهر ذلك ، فارتفع الحرب من بين الفريقين ، وتفرق

---

(١) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠م .
(٢) صفر ١١٨٣ هـ / ٦ يونيه - ٤ يوليه ١٧٦٩م .
(٣) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠م .
(٤) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠م .

الهنادى ، وعرب الجزيرة ، والصوالحة ، وغيرهم ، وراحت كسرة على الجميع ، ولم يقم لهم قائم من ذلك اليوم ، وتغيب أحمد بيك بشناق ، فلم يظهر إلا بعد مدة ببلاد الشام .

وفيها [1] : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ، وخرج مسافراً ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد ، فوصلوا إلى قرب أسيوط ، فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافى ، وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها ، وكان من أمرهم أنَّه لما ذهب محمد بيك أبو الذهب إلى جهة قبلى لمنابذة شيخ العرب هَمَّام كما تقدم ، وجرى بينهما الصلح ، على أن يكون لهمَّام من حدود برديس ، وتم الأمر على ذلك ، ورجع محمد بيك إلى مصر ، أرسل عليّ بيك يقول له : « إنِّى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ، ولا تُبْقِ منهم أحداً بدائرتك » ، فجمعهم وأخبرهم بذلكّ ، وقال لهم : « اذهبوا إلى أسيوط واملكوها قبل كل شىء ، فإن فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال » ، فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا إلى أسيوط ، وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف عليّ بيك ، وذو الفقار كاشف ، وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها ، وبنوا كرانك والبوابة ، وركب عليها المدافع ، فتحيل القوم ليلاً ، وزحفوا إلى البوابة ، ومعهم أنخاخ وأحطاب جعلوا فيها الكبريت والزيت وأشعلوها ، وأحرقوا الباب ، وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم ، وهم جماعة صالح بيك ، وباقى القاسمية ، وجماعة الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى السكرى ، وسليمان الجلفى ، وحسن كاشف ترك ، وحسن بيك أبو كرش ، ومحمد بيك الماوردى ، وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بيك ، وكان من الشجعان ، ومحمد كتخدا الجلفى ، وعليّ بيك الملط تابع خليل بيك ، وجماعة كشكش وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة ، وأهالى الصعيد ، فملكوا أسيوط ، وتحصنوا بها ، وهرب من كان فيها ، ووردت الأخبار بذلك إلى عليّ بيك ، فعين للسفر إبراهيم بيك بلفيا ، ومحمد بيك أبو شنب ، وعليّ بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة ، وعساكر ومغاربة ، وأرسل إلى خليل بيك القاسمى المعروف بالأسيوطى ، فأحضره من غزة ، وطلع هو وإبراهيم بيك تابع محمد بيك بعساكر أيضًا ، وعزل الباشا ، وأنزله وحبسه ببيت إيواظ بيك عند الزير

(1) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ ابريل ١٧٧٠م .

المعلق ، ثم سافر محمد بيك أبو الذهب ، ورضوان بيك ، وعدة من الأمراء والصناجق ، وضم إليهم ماجمعه ، وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس ، من : دلاة ودروز ومتاولة ، وشوام ، وسافر الجميع براً وبحراً ، حتى وصلوا إلى أيوب بيك ، وهو يرسل خلفهم فى كل يوم بالأمداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع إلى أن وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ، ومن معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا فى زايرجات الرمل سقوطه فى المعركة ، ثم أجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل، فركبوا فى ساعة معلومة ، وسار بهم الدليل فى طوق الجبل ، وقصدوا النزول من محلٍ كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه وضل بهم الدليل ، حتى تجاوزوا المكان، المقصود بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى ، فوجدوه قبليهم بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع ، قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما وسعهم الذهاب إليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم إلا بعد طلوع النهار ، وتيقظ القوم ، واستعدوا لهم فالتطموا معهم ، وهم قليلون بالنسبة إليهم ، ووقع الحرب ، واشتد الجلاد ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك » ، فبرز إليهم محمد بيك أبو شنب، وهو يقول : « أنا محمد بيك ؟ »، فقصدوه وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى ، فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه ، وانجلت الحرب عن هزيمتهم ، ونصرة المصريين عليهم ، وذلك عند جبانة أسيوط ، فتشتتوا فى الجهات ، وانضموا إلى كبار الهوارة، وملك المصريون أسيوط ، ودفنوا القتلى ، ومحمد بيك أبو شنب ، واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرجة عليه ، ومفاداته له ، لأنه كان يعلم ذلك أيضًا ، وأقاموا بأسيوط أيامًا ، ثم ارتحلوا إلى قبلى ، بقصد محاربة هَمّام والهوارة ، واجتمع كبار الهوراة مع من انضم إليهم من الأمراء المهزومين ، فراسل محمد بيك إسماعيل أبو عبد الله ، وهو ابن عم همّام ، واستماله ومناه ، وواعده برياسة بلاد الصعيد ، عوضًا عن شيخ العرب همّام ، حتى ركن إلى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتثبط عن القتال ، وخذل طوائفه ، ولما بلغ شيخ العرب همّام ماحصل ، ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة

أيام ، ومات مكموداً ومقهوراً ، ووصل محمد بيل ، ومن معه إلى فرشوط ، فلم يجدوا مانعًا فملكوها ونهبوها ، وأخذوا جميع ما كان بدوائر همام وأقاربه وأتباعه ، من ذخائر وأموال وغلال ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد ، من ذلك التاريخ ، كأنها لم تكن ، ورجع الأمراء إلى مصر ، ومحمد بيك أبو الذهب ، وصحبته درويش ابن شيخ العرب همام ، فإنه لما مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته، وعلموا أنَّهم لانجاح لهم بعده ، أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك ، وانفصلوا عنه ، وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب إلى درنة ، ومنهم من ذهب إلى الروم ، ومنهم من ذهب إلى الشام ، وقابل درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته إلى مصر ، وأسكنه فى مكان بالرحبة المقابلة لبيته ، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ، ويتفرج على مصر ، ويتفرج عليه الناس ، ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجيهًا طويلاً أبيض اللون ، أسود اللحية ، جميل الصورة ، ثم إنَّ عليّ بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف ، بشفاعة محمد بيك ، وذهب إلى وطنه ، فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر ، فأخذوا ماوجدوه ، وحضر إلى مصر والتجأ إلى محمد بيك فأكرمه ، وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيمًا به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبًا لأستاذه فلحق به ، وسافر الصعيد ، وخلص الإقليم المصرى بحرى وقبلى إلى عليّ بيك وأتباعه ، فشرع فى قتل المنافى الذين أخرجهم إلى البنادر مثل : دمياط ، ورشيد ، والإسكندرية ، والمنصورة ، فكان يرسل إليهم ، ويخنقهم ، واحداً بعد واحد ، فخنق على كتخدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك تابع خليل بيك بزفتا [1] ، وقتلوا معه سليمان أغا الوالى ، وإسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة ، وعثمان بيك تابع خليل بيك ، هرب إلى مركب البيليك ، فحماه وذهب إلى اسلامبول ، ومات هناك ، ونفى أيضًا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كتخدا المشهدى ، وإبراهيم أفندى جمليان ، ومات الباشا المنْفَصِل بالبيت الذى نزل فيه ، ولحق بمن قبله .

---

(١) زفتا : قرية قديمة ، اسمها الأصلى «منية زفتة» ، واسمها القبطى (Zébété) ، ووردت فى : الخطط المقريزية ، والخطط التوفيقية ، ومعجم البلدان باسم «زفتة» ، ولما أنشىء قسم زفتى ، أصبحت قاعدة له ، وفى ١٨٧١م ، سمى بمركز زفتى ، وهى قاعدة مركز زفتى ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٢ ، ص ٥٧ .

ومما : اتفق أنَّ عليّ بيك صلى الجمعة فى أوائل شهر رمضان [1] ، بجامع الداودية [2] ، فخطب الشيخ عبد ربه ، ودعا للسلطان ، ثم دعا لعلى بيك ، فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب وكان رجلاً من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح ، فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر ، أقيل لك إنِّى سلطان ؟ » ، فقال : « نعم أنت سلطان ، وأنا أدعو لك » ، فأظهر الغيظ ، وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى ، فقام بعد ذلك متألمًا من الضرب ، وركب حماراً وذهب إلى داره ، وهو يقول فى طريقه : « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ » ، ثم إنَّ عليّ بيك أرسل إليه فى ثانى يوم [3] ، بدراهم وكسوة ، واستسمحه .

وأما من مات فى هذه السنة من العلماء والأمراء

فمات الإمام الولى الصالح المعتقد المجذوب ، العالم العامل ، الشيخ عليّ بن حجازى بن محمد البيومى ، الشافعى الخلوتى ، ثم الأحمدى ، ولد تقريبًا سنة ثمان ومائة وألف [4] ، حفظ القرآن فى صغره ، وطلب العلم ، وحضر دروس الأشياخ ، وسمع الحديث والمسلسلات على : عمر بن عبد السلام التطاونى ، وتلقن الخلوتية من السيد حسين الدمرداشى العادلى ، وسلك بها مدة ، ثم أخذ طريق الأحمدية عن جماعة ، ثم حصل له جذب ، ومالت إليه القلوب ، وصار للناس فيه اعتقاد عظيم ، وانجذبت إليه الأرواح ، ومشى كثير من الخلق على طريقته وأذكاره ، وصار له أتباع ومريدون ، وكان يسكن الحسينية ، ويعقد حلق الذكر فى مسجد الظاهر [5] ، خارج الحسينية ، وكان يقيم به هو وجماعته لقربه من بيته ، وكان ذا واردات وفيوضات ، وأحواله غريبة ، وألف كتبًا عديدة منها : « شرح الجامع الصغير » ، و « شرح الحكم لابن عطاء الله السكندرى » ، و « شرح الإنسان

---

(١) ١ رمضان ١١٨٣ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٧٦٩م .

(٢) جامع الداودية : يقع بشارع سويقة اللالا ، أنشأه داود باشا والى مصر ، وبجواره سبيل مفروش بالرخام ، وكان هذا الجامع أول أمره مدرسة ، وأوقف عليها أوقافًا .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٣٠.

(٣) ٢ رمضان ١١٨٣ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٧٦٩م

(٤) ١٠٨٠ هـ / ١ يونيه ١٦٦٩ - ٢١ مايو ١٦٧٠ ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٣٧ ، طبعة بولاق «وفاة سيدى على البيومى وترجمته» .

(٥) مسجد الظاهر : أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى ، كملت عمارته ٦٦٧ هـ / ووقف عليه حكراً، وكان موضعه ميدانًا يعرف بميدان قراقوش .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠١

الكامل للجيلى » ، وله مؤلف فى طريق القوم ، خصوصًا فى طريق الخلوتية الدمرداشية ، ألفه سنة أربع وأربعين ومائة وألف (١) ، وشرح الأربعين النووية ، ورسالة فى الحدود ، وشرح على الصيغة الأحمدية ، وعلى الصيغة المطلسمة ، وله كلام عال فى التصوف ، وإذا تكلم أفصح فى البيان ، وأتى بما يبهر الأعيان ، وكان يلبس قميصًا أبيض وطاقية بيضاء ، ويعتم عليها بقطعة شملة حمراء ، لايزيد على ذلك شتاء وصيفًا ، وكان لايخرج من بيته إلا فى كل أسبوع مرة ، لزيارة المشهد الحسينى ،وهو على بغلة وأتباعه بين يديه وخلفه ، يعلنون بالتوحيد والذكر ، وربما جلس شهوراً لايجتمع بأحد من الناس ، وكانت له كرامات ظاهرة ، ولما عقد الذكر بالمشهد الحسينى فى كل يوم ثلاثاء ، ويأتى بجماعته على الصفة المذكورة ، ويذكرون فى الصحن إلى الضحوة الكبرى ، قامت عليه العلماء ، وأنكروا ما يحصل من التلوث فى الجامع من أقدام جماعته ، إذ غالبهم كانوا يأتون حفاة ، ويرفعون أصواتهم بالشدة ، وكاد أن يتم لهم منعه بواسطة بعض الأمراء ، فانبرى لهم الشيخ الشبراوى ،وكان شديد الحب فى المجاذيب ، وانتصر له ، وقال للباشا والأمراء : « هذا الرجل من كبار العلماء والأولياء ، فلا ينبغى التعرض له » ، وحينئذ أمره الشيخ بأن يعقد درسًا بالجامع الأزهر فقرأ فى الطيبرسية (٢) ، الأربعين النووية ، وحضره غالب العلماء ، وقرر لهم مابهر عقولهم ، فسكتوا عنه ، وخمدت نار الفتنة ، ومن كلامه فى آخر رسالة الخلوتية مانصه : « فمن منّ الله عَلَيَّ وكرمه ، أنى رأيت الشيخ دمرداش فى السماء » ، وقال لى : « لاتخف فى الدنيا ولا فى الآخرة » ، وكنت أرى النبى ﷺ فى الخلوة فى المولد ، فقال لى فى بعض السنين : « لاتخف فى الدنيا ولا فى الآخرة » ، ورأيته يقول لأبى بكر رضى الله عنه اسع بنا نطل على زاوية الشيخ دمرداش ، وجاءا حتى دخلا لى فى الخلوة ، ووقفا عندى ، وأنا أقول : « الله الله » ، وحصل لى فى الخلوة وهم فى رؤية النبى ﷺ ، فرأيت الشيخ الكبير ، يقول لى عند ضريحه : « مدَّ يدك إلى النبى ﷺ ، فهو حاضر عندى » ، ورأيت فى خلوة الكردى يعنى الشيخ شرف الدين المدفون بالحسينية بين اليقظة والنوم ، وأنا جالس فانتبهت فرأيت النور قد ملأ المحل ، فخرجت منها هائمًا ، فحاشنى بعض من كان فى المحل ، فوقفت عند الشيخ ، ولم

(١) ١١٤٤ هـ/ ٦ يوليه ١٧٣١ - ٢٣ يونيه ١٧٣٢م .

(٢) الطيبرسية : مدرسة تقع غربى الجامع الأزهر ، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى ، نقيب الجيوش وقرر بها درسًا للفقهاء الشافعية ، وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ/ ١١ يونيه ١٣٠٩ - ٣٠ مايو ١٣١٠م . ، وفيها خزانة كتب .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٤٤ .

أقدر علـى العود إلـى الخـلوة من الهيبـة إلى آخر الليـل ، وتبسم فى وجـهى مرة ، وأعطانى خـاتمًا » وقال لى : « والذى نفسى بيـده فى غد يظهر ماكان مـنى وما كان منك » ، وأخذنى الشـيخ الكردى ، وأوصلنى إلى مكة ، وأرانيـها عيانًا ، ودخلت على الـسيد أحمد البـدوى ، وعنده النبـى ﷺ ، فحكم فيّ وأنـا أستغيث بالـنبى ﷺ ، وكان سبب ذلك التردد فى نزولى مولده ، فأغاثنى الله بعد ذلك ببركة النبى ﷺ ، وكان قبل ألبسنى بيده الزى الأحمر مرتين ، مرة فى بركة الحج ، ومرة فـى مقامه ، داخـل الـضـريح ، وقال : « اذهب إلـى الكـردى » ، قـال ورأيت نفسـى مـرة خـارج المدينـة ، وقلـت لا أدخل حتى أعلم رضاه عنـى والقبول ، فأرسل لى إنسانًا بمروحة يروح بها عَلَيَّ ، ويقـول : « القبـول حاصــل » ، ورأيته يقول لى : « أنا أحـب محادثتـك ، وأوقفنـى بين يديه » ، وقـال لى : « أتعـترض على حـكم الربوبية فاستيقظت وأنا أجد أثر ذلك ، ولم أعرف السبب » .

ورأيت : بهامش تلك الرسالة ماصـورته : ورأيته ﷺ ، فى آخر رمضان ليلة الإثنين سنة سبع وخـمسين ومائة وألف [1] ، فى الطبقة التـى بجانب الرواق ، وهو مسرع فى المشـى ، فسعيت خلفه ، وقـلـت : « لاتفتنى يارسول الله » ، فـوقفنا فى فضاء واسع ، فأدركته ووقفت بجانبه ، وقـلـت لمن كان حاضراً ، : « انظر إلى لحيته الشريفة ، وعد مافيها من الشعرات البيض » .

ومن كراماته : أنه كـان يتوِّب العصاة من قطاع الطريق ، ويـردهم عن حالهم ، فيصيرون مريدين له ، وذا سمعته من الثقات ، ومنهم من صار من السالكين ، وكان تارة يربطهم بـسلسلة عظيمة من حـديد فى عمدان مسجد الظاهـر ، وتارة بالطوق فى رقبتهم ، يؤدبهم بما يقتضيه رأيـه ، وكان إذا ركب ساروا خلفه بالأسلحة والعصى ، وكانت عليه مهابـة الملوك ، وإذا ورد المشهد الحسينى يغلب علـيه الوجد فى الذكر ، حتـى يصير كالـوحش النافـر فى غاية القـوة ، فإذا جلس بعـد الذكر تراه فـى غاية الضعف ، وكان الجالس يرى وجهه تارة كالوحش ، وتارة كالعجل ، وتارة كالغزال ، ولما كان بمصـر مصطفى باشا مال إلـيه ، واعتقده وزاره ، فقال له : « إنَّك سـتطلب إلى الصـدارة فى الوقت الفلانِّى » ، فـكان كما قال له الـشيخ ، فلما ولـى الصدارة بعـث إلى مصر ، وبـنى له المسـجد المعروف بـه بالحسـينية ، وسـبيلاً وكُتابًا وقـبة ، وبداخلهـا مدفن للشيـخ على يد الأمير عـثمان أغا ، وكيل دار السـعادة ، ولما مات

(١) آخر رمضان ١١٥٧ هـ / ٧ نوفمبر ١٧٤٤م .

خرجوا بجنازته ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم ، ودفن بالقبر الذى بنى له بداخل القبة بالمسجد المذكور .

ومات : علامة وقته وأوانه ، الآخذ من كميت البلاغة بعنانه ، الولى الصوفى ، من صفا فصوفى ، الشيخ حسن الشبينى ، ثم الفوى ، رحل من بلدته فوة [1] ، إلى الجامع الأزهر ، فطلب العلم ، وأخذ عن الشيخ الديربى ، فجعله مُمليًا عليه فى الدرس ، فقيل له فى ذلك ، فقال : « هذا عالم ماجاء من بلده ، حتى قرأ الأشمونى ، والمختصر ، ونحو ذلك » ، وأخبر عن نفسه أنه كان ملازمًا لولى من أولياء الله تعالى ، فحين تعلقت نفسه بالمجىء إلى الجامع الأزهر ، توجه مع هذا الولى لزيارة ثغر دمياط ، فنام إلى جانبه ليلة ، فرآه فى النوم ، وقد سقاه لبنًا من إبريق ، وقال له : « هذا علم النحو ، وهو أصعب العلوم فى الأزهر » ، قال ثم انتبهت ، فقلت له : « يامولانا الشيخ ، رأيت كذا وكذا » ، فقال على الفور : « اسكت أضغاث أحلام » ، لأن الولى المذكور ، كان من الملامتية لايحب أن يظهر لنفسه حالاً ، ثم إنه جاور عقيب ذلك ، فحين اشتغل بهذا العلم فتح الله عليه فى أقرب مدة ، ثم اشتغل بالفقه وغيره ، من أصول ، ومنطق ومعان ، وبيان ، وتفسير وحديث ، وغير ذلك ، حتى فاق على أقرانه ، وصار علامة زمانه ، ثم أخذ عن الشيخ الحفنى الطريق ، وتلقن الأسماء ، وسار على حسب سلوكه وسيره ، وألبسه التاج ، وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك ، وصار خليفة محضًا ، فأدار مجالس الأذكار ، ودعا الناس إليها فى سائر الأقطار ، وفتح الله عليه باب العرفان ، حتى صار ينطق بأسرار القرآن ، ويتكلم فى الحقائق ، نقل عن الشيخ الحفنى أنه ورد عليه منه مكتوب ، فقال : « الحمد لله الذى فى أتباعنا من هو كمحيى الدين بن العربى » ، وسمع منه أيضًا أنه يقول فى حقه : « الشيخ حسن الشبينى هذا أكبرى ، أعطاه الله قوة فى معرفة أهل العرفان ، وأنَّه أعلم منى بهذا الفن ، وإذا تكلمت معه فيه فإنما هى مشاركة ، وإلا فأنا لاأفهم كفهمه » ، وناهيك بهذه الشهادة ، توفى رحمه الله تعالى فى هذه السنة [2] ، وخلف ولده السيد أحمد ، موجود فى الأحياء بارك الله فيه ، وممن أخذ عنه ، صاحبنا العمدة العلامة الصالح السيد عليّ ، المعروف : بزيارة الرشيدى ، وهو خليفة الخلوتية الآن بثغر رشيد نفع الله به .

---

(1) فوة : قرية قديمة ، اسمها القديم (POEI) ، وذكرها شامبليون باسم (MELIDJ) ، وفى ١٨٢٦م ، أنشىء قيم بلاد الأرز غربًا ، وجعلت قاعدة له ، لأنها أكبر قراه وأعمرها ، وفى ١٨٧١م . سمى مركز بلاد الأرز غربًا ، وفى ١٨٩٦م ، سمى مركز فوة لوجود المركز بها ، وهى قاعدة مركز فوة ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٢ ، ص ١١٣ - ١١٥ .

(2) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠م .

ومات : الجناب المبجل الفريد ، الكاتب الماهر المنشئ البليغ المجيد ، محمد أفندى ابن إسماعيل السكندرى ، العارف بالألسنة الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والتركية ، وكان لديه محاورات ولطائف أدبية ، وميل شديد إلى علم اللغة ، وبحث عن الأدوات المتعلقة به ، ورسائله فى الألسن الثلاثة ، غاية فى الفصاحة مع حسن خط ووفور حظ ، ومهابة عند الأمراء ، وقبول عند الخواص ، ووالده كان إسرائيليًا، فأسلم وحسن إسلامه ، وتولى مناصب جليلة بالثغر ، وله هناك شهرة ، فولد هذا هناك ، وهذبه وأدبه حتى صار إلى ماصار ، واستقر بمصر ، ومازالت له أملاك هناك ، وقرابة ، رأيته يأتى لزيارة الشيخ الوالد ، وقد اكتهل وتناهى فى السن، وأبقى الدهر فى زواياه خبايا مستحسنة ، ورأيت بخط يده كتاب بهارستان ، لمولانا جامى ، قد أحسن فى كتابته ، وأتقن فى سياقه ، ومجموعًا فيه النوادر ، من أشعار الألسن الثلاثة ، وبالجملة لم يكن فى عصره من يدانيه فى الفنون التى كان تحمل بها ، قد ذكره الأديب الشيخ عبد الله الإدكاوي فى بضاعة الأريب ، وأثنى على محاسنه ، وكانت بينهما ألفة تامة ، ومصافاة ومصادقة ، ومحاورات أدبية ، قال فيه : « وكتبت لحضرة أخينا المولى الأكرم محمد أفندى ابن المرحوم إسماعيل أغا السكندرى ، رحم الله والده، وأدام لنا فوائده وعوائده، « كتاب الفتح القدسى »[1]، تأليف العماد الكاتب ، وكتبت بعد إتمامه ، وحسن ختامه ، مانصه : « قد يسر الله سبحانه ، إتمام هذا الكتاب ، بل العجب العجاب ، بل الروض المستطاب ، فكم فيه من فصل ينبى عن فضل، ومن نوع بديع يخمل نور ربيع » ، إلى آخر ماأطال فى مدحه إلى أن قال : « وقد كتبته برسم الماجد الكامل ، والهمام الفاضل ، ملاذ الأفاضل ، ومعاذ الأماثل ، ومحل الفواضل ، ومحط الفضائل ، أوحد أهل العصر للإنشاء صياغة ، وأبرعهم بالألسن الثلاثة براعة وبلاغة ، حتى كأنه المعنى بقول من قال ، وأحسن فى المقال » :

إنْ هَزّ أقلامَهُ يومًا ليُعْمِلَها ... أنساكَ كُلَّ كَمِيٍّ هَزَّ عَامِلَهُ
وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أنامِلَهُ ... أقَرّ بالرِّقّ كُتَّابُ الأنامِ لَهُ

وهو الآن بمصرنا ، أوحد المنشئين بعصرنا ، فلا أحد فى فنه يماثله ، ولا يضاهيه ولا يشاكله ، ولا يستطيع يساجله ، أو يناضله ، فلو رأى مايخبره منشىء هذا الكتاب العماد ، لقال والله هذا الذى عليه الاعتماد ،وسَلَّم له القياد ، وأذعن لبلاغته وانقاد ، ولو أدركه الشيرازيان ، سعدى ، وحافظ ، لاقتفى كل منهما ما هو

(١) صحة اسم الكتاب « الفيح القسى فى الفتح القدسى » ، تأليف : أبو عبدالله محمد بن محمد ، الشهير بعماد الدين ، الكاتب الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .

به لافظ ، ولو سمع بديع إنشائه النامى ، الملاّ جامى ، لقال ههنا جُل مرامى ، وإصابة المرامى ، ولو رام ويس مضاهاة غرره ، ومحاكاة درره ، لقيل له ياويس ويسك ، لقد اتعبت نفسك ، وكددت وأوهنت حدسك ،ولو قفا الزركشى أثره ، لاستحسن الأفاضل نظمه ونثره ، ولو عاصره نفعى ، قال لقد رق بلطائفه طبعى ، ولو طلب النابى مجاراته لنبا عن مباراته ، وأذعن لبراعاته وبديع عباراته ، من هو اخى وصديقى ، وعلى الحقيقة هو أشفق من شقيقى ، فكم له علَيَّ من أياد لا أقدر ان اعددها ، ولا احصرها فاسردها ، المولى الأمجد ، والأكمل الأوحد ،من هوْ بكل وصف جميل حَرِيّ ، حضرة محمد أفندى الإسكندرى فهو الآن أوحد الكتاب، والآتى فى صناعة الإنشاء بالعجب العجاب ، والمعظم عند أرباب الدولة الكرام ، والمخصوص بينهم بالتبجيل والإعظام ، والمعوّل عليه دون سائر الكتاب ، والمنظور إليه لسعة دائرته فى الآداب ، ثم أتبعه بنظم ، فقال :

فَعلَتْ أعينُ الظِّبَاءِ السَّواجِى ... بفُؤادى فِعْلَ العَدُوّ المداجِى
قُلتُ كُفّى كُفّى فَقَالَتْ أقالَتْـ ... ـك شِراكِى فَسِرْ لسربكَ نَاجِى
قُلْتُ انّى لِيَ النّجَاةُ وإنّى ... بِك أصبَحْتُ مُوثَق الأودَاجِ
يا عيونًا اسَرْنَ لُبّى واسْهَرْ ... نَ جُفُونى مِنْ هُدْبها فى دَيَاجِى
بِفتُورٍ فيكُنّ بالقَتْل والفتْـ ... ـك غَدَا فى القتَال نَامِى الهِيَاجِ
وفُنُونٍ به الخلى لَقَدْ زا ... د افتِنَانًا وكَانَ صَلْدَ المِزَاجِ
ولحاظ أمضَى فعَالاً واقضَى ... فى الوَرى من صَوارِم الحجّاجِ
هل سَبِيلٌ إلى الوصُول إلى مَو ... لاك أو مَنْحه إلى مُحتَاجِ
قُلْنَ نَرجُو مَعًا وغنحُ ما نر ... جُوه فاقصُد بالمدْح كَهفَ الرَّاجِى
هو نَامى العُلا مُحَمّدٌ المحمـ ... ـودُ فعلاً بَدَا كضَوءِ السّراجِ
وهو فَردُ الزمَان نَثرًا ونَظْمًا ... مَا قَريضُ الكُمَيْتِ والعَجَّاجِ
وهوَ فى الخَطّ أوحَدٌ فإذا مَدّ ... يَراعًا فى صَفْحَة الأوراجِ
جَاءك الروضُ مُثْمِرًا ولَدَيْه ... كُلُّ حَرف مثلُ الهَزَار يُنَاجِى
والمعَانِى التى تعزّ عن الغَيْـ ... ـرِ ابْتكَارًا عفوًا بغَير علاَجِ
ذو السنا والسناء والراحة الطّلْـ ... ـقَة بالجُود كالحَيَا الثَّجَّاجِ
حَفظَ اللهُ ذاتَهُ وعُلاه ... ووقَاهُ شُرُورَ كُلّ مُفَاجِى
سَيّدى قد خدَمتُ بالفَتْح عَلْيَا ... ك وتنْميقه فَسَرّى انزعَاجِى
فتنزهه فى رَوْضَه دُمْتَ مَولَى ... هُو لِى عُدةٌ إذا عَزّ حَاجِى

هُو نـعِمْ الـكِتـابُ كَمْ فـقرة فِيـ ـــــه لـــهَا رَونَقٌ كَدُرة تَاجِ
كـيـفَ لا والـعِمَادُ مُنْشِيـه قَدْ كـا ن لَهُ الـقَصْدُ مِن جَمِيع الـفِجَاجِ
قـــد صفَا خَاطِرى بمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ بَديـــع الإنْشَاء والإزْدواجِ
وزكَا مَنْطِقِـــى فَرُحْت أؤرخْ فيـح فَتْح الـعِمَاد زَادَ ابـتِهَاجِى

وأهدى : إليـه الشيخ عبـد الله الإدكاوى ، رحمهما الله ، رسـالة تصحيـفية ، وسماهـا بالمقامة الـسكندرية ، أشـار فيها بقـوله : « وفيها خـل جل شأنه بيـانه إلى المترجم ، والمقـامة هذه ، ومن خطه ، فقلت حدثـنا خدننا ، حديثا جذبنـا ، بحسنه تحسبه ، للـطافته كل طائفة أنه آية ، قـال قال أمنى أمنت حين جئت سكـندرية سكن دربه ،غيم غنم ، أنسى أنست ، وفيه فئة ، علت غلت آدابهم إذابهم أخلاء أجلاء ، حكماء حـلماء ، يحلو بحلـو بلاغتهم تلاعبهـم ، صفا ضفا ، سائع سائـغ ، وقتهم وفيهم ، خل جل ، شأنه ببيانـه ، مهذب مهدت ، ظرف طرف ، آدابه أداته ، عذب غدت ، تذيع بديـع ، صفائه صفاته ، يجلـب بحلى ، مزحه مرحه ، فمـازجنى فما رخيت ، عـنان عيان ، ناظـرى باضرب ، منه مـنة ، وفاه وقاه ، خلاتـى خلانى ، وقال وقاك ، واجب واحب ، لاجلا لك لاخلالك ، ريع ربع ، انى أبث لك كل ، بشر يسر ، للقائك كلفا بك ، تيمن بيمن ، جبين حبيب ، غرير غزير ، بديع يذيع ، سرى بنيرى ، جبينيه جننت به ، سبانـى شبانى ، بجفن يخفى ، سحره بت بحره ، سهران شهران ، أهيف أهتف ، باسمـه بـاسمـة ، أيامه إن أمه ، أحد أخذ ، بلحظ يلحظ ، بعـين تعين ، بهدبها تهـديها ، لمبتلى لـم ينكـث ، عقـدة عـقـده ، قانص قابض ، يبخـل بنحـل ، شهدة شهده .

قَاتِل فَإنكَ أعزّ أغَـــــــــرّ حُسْنـــه جَيـــشُه كَثِيـــرٌ كَبِيـــرُ
سَاحِرٌ سَاخِرٌ تَجـــــنَبَ يَجْنِى شَائـــقٌ سَائـــقٌ مُنِيـــرٌ مُبِيـــرُ
حبُّه جَنّة يُحَلّى بِحلْـــــــــى لِيـــنُه لـــيتُه بِبِشْرِ يُشِيـــرُ
مَائِلٌ مَائـــــــلٌ يَجُورُ بِجَوْرٍ تَائـــــه نـــــابه بِزَورِ يَزُورُ
نَشْرُهُ بِشْرُه بَهَـــــاهُ نَهَاهُ سَيْرُه سِيـــرة بِجَبْرٍ يُجِيـــرُ
رائـــقٌ راتِقٌ قَلاَنـــى فَـــكَانَتْ مُنْيَتِـــى مِيتـــتِـــى بِحُورٍ تَجُورُ

جائر حائز ، حبه حبـة قلبى قليت ، عدوّه غدوة ، شنع يبتغ ، معاينة معايبة ، مشرق مـشـرف ، نزق ترف ، تـعرفه بعرفـه ، أوحـد أوجـد ، يسر بشر ، جـنانى

حيانى ، تلفظه بلفظه ، تحيى نحبى ، بجيب نجيب ، نجيى بجنى ، تفاح نفاح ، نسم بشم ، عبيره عنبرة ، عربى عزنى ، غـريب عريب ، حسنه حسبه ، ذاك زال ، بلبى بليت ، بصدوره بصـدوده ، عاملنى عامل بت ، استخبره آس تجـبره ، على غلب ، فكرتى فكربى ، ينـمو بنمو ، بعده بعده ، فليت قلبـى ، يعده بعدة ،تورده بوردة ، مخبـأة محياه ، لكنـه لليه ، مطـلبى مطلـنى ، ثم نم ، بوجدى توحـدى ، وبعدى وتعدى ، حسن حبيبى ، الحد ألحد ، جسمى حين نمى ، همى همت ، حين خيب ، ظنى ظبى ، راتع رائع ، رائغ زائغ ، حسنى حبشى ، اللون الكون ، يشهد بشهد ، ثغره بغرة ، قـمرية قمرته ، بلألاء بها بلاء لأنـها ، تحبس بحسن ، ضيائهـا صبابها ، نيرة تنزه ، فتى فنى ، فـى فىء ، مغانيها معانيها ، تزهو بزهو ، ظبـيها طيبها ، فائح فانح ، نحوهـا بجوها ، ترى ثرى ، يطيـب بطيب ، رياه رباه ، يجلـو بحلو ، مرآه مرآة ، قلبك فـلتك ، مـن مـن ، عشـقه عشقة ، عذرية عذرتـه ، حين جبن ، عن غى ، حمل جمل ، الآثام الأنام » ، وقبل أن يقدمهـا له ، كتب بظاهرها ما نصـه : « طرفة ظرفت، وهديت وهذبت لمحمدكم حمد، خلقه خلفه ، ماجد ماحد ، منطقه منطقة ، نجوم تحوم ، حول حوك ، يراعته براعتـه ، يبدى بيدى ، بنانه بيانه ، لبيب كتبت ، برسمه بـرسمة ، حالته جالبة ، لك كل ، خير خيـر جبر ، كسرى كسرت ، على علىّ ، محله مجلة ، مدحتى مذحبب ، إلىّ آلت إلى ، أغذاذ أعداد ، محاسنه مجانبته ، معاليه مـغالبة ، وقتى وقيـت ، عن غب ، دائه ذاته ، بمنّ يمـن ، الحليم الحكيم » ، فلما قدمهـا إليه ، قبلها وقبلها ، وأجازها بما جملـها ، ثم قرظ عليها من جنسها تـقريظًا بديعًا ، ملأه بيانًا وبـديعًا ، وهذا نصه : « هذه عروس حسـن جليت على منصـة البراعـة ، افتضهـا فارس الـيراعة ، أتحفنى بها المولى الـوحيد فى فنه ، والبليغ الذى تكبـو جياد هذه الصناعة من حدة ذهنه ، من هو لمحـاسن البلاغة مالك وحاوى ، مولانا الشيخ عبد الله الإدكاوى ، فتلقيتها بالراحتين ، وفديتها وعوذتها من العين بكل عين ، وتـطفلت على تقريظهـا بنوع من فنها ، فقلت وإن لـم أبلغ مراقى حسنهـا تحف ، تحف بحق ، لدى لذت بـحسنها تحسبـها لجودتها ، كخود بـها جلاها حلاها ، وسوغها وشوعـها ، بحلى تجلت ، بغير تغير ، صيـغة صنعة ، ترام برام ، يعيبهـا يعى بها ، صنفها صنـعها ، فاضل فاصل ، أريب أريت ، بلاغـاته بلا غاية ، تنور بنور ، تأديه ناديه ، بـقيت تفتن ، معاينة معانيه » ، وقد كتب عـليها جملة مـن أفاضـل العصر ، كـما تقدم بعض ذلك فى تراجمهم ، وبالجمـلة فإن المترجم ، كان أوحد عصـره ، ووحيد مصـره ، لم يدانيه فـى مجموعة الـفضائل أحـد ، ولم يزل

حميد المسعى جميل السيرة ، بهيًا وقوراً مهيبًا عند الأمراء ، والوزراء ، حتى وافاه الحِمام ، فى يوم الجمعة حادى عشر المحرم من السنة [1]

ومات : الأستاذ العارف سيدى عليّ بن العربى بن العربى بن عليّ بن العربى ، الفاسى المصرى ، الشهير بالسقاط ، ولد بفاس ، وقرأ على والده ، وعلى العلامة محمد بن أحمد بن العربى بن الحاج الفاسى ، سمع منه الإحياء جميعًا بقراءة ولد عمه النبيه الكاتب أبى عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن عليّ السقاط ، وعلى ولده أبى العباس أحمد بن محمد العربى ابن الحاج ، وعلى سيدى محمد بن عبد السلام البنانى ، كتب العربية ، والمعقول والبيان ، ولما ورد مصر حاجا لازمه ، فقرأ عليه بلفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمايل بطرفيه بالجامع الأزهر ، وكثير من المسلسلات والكتب التى تضمنتها فهرست ابن غازى ، قراءة بحث وتفهيم ، وأجازه حينئذ بأواسط جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف [2] ، وجاور بمكة ، فسمع على البصرى الصحيح كاملاً ، ومسلمًا بفوت ، وجميع الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وذلك خلف المقام المالكى ، عند باب إبراهيم ، وأجازه ، وعلى النخلى أوائل الكتب الستة ، وأجازه ، وعاد إلى مصر ، فقرأ على الشيخ إبراهيم الفيومى أوائل البخارى ، وعلى أحمد بن أحمد الغرقاوى ، وأجازه ، وعلى عمر بن عبد السلام التطاونى جميع الصحيح ، وقطعة من البيضاوى بجامع الغورى [3] ، سنة ست وثلاثين ومائة وألف [4] ، وجميع المنح البادية فى الأسانيد العالية ، وأضافه على الأسودين وشابكه وصافحه ، وناوله السبحة وأجازه بسائر المسلسلات ، وعلى محمد القسطنطينى ، رسالة ابن أبى زيد برواق المغاربة ، وعلى محمد بن زكرى ، شرحه على الحكم بجامع الغورى ، وعلى سيدى محمد الزرقانى ، كتاب الموطأ من باب العتق إلى آخره ، وأجازه به يوم ختمه ، وذلك ثامن شعبان فى سنة ثلاث عشرة ومائة وألف [5] ، وروى حديث الرحمة عن سيدى السيد مصطفى البكرى ، فى سنة ستين ومائة وألف [6] ، وأجازه ابن الميت فى العموم ، واجتمع به شيخنا السيد مرتضى فى منزل السيد على المقدسى ، وكان قد أتى إليه لمقابلة المنح البادية على نسخته ، وشاركهما فى المقابلة وأحبه وباسطه وشافهه بالإجازة العامة ، وكان إنسانًا

(1) ١١ محرم ١١٨٣ هـ / ١٧ مايو ١٧٦٩م . (2) ١٥ جمادى الثانية ١١٤٣ هـ / ١٦ أكتوبر ١٧٦٩م .

(3) جامع الغورى : أنشأه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى ، يقع فى شارع الغورية بجوار الشرم والجمالون بين الأشرفية والفحامين ، يشتمل على إيوانين كبيرين وآخرين صغيرين ، ووقف عليه أوقافا كثيرة.
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ - ١٥٤ .

(4) ١١٣٦ هـ / ١ أكتوبر ١٧٢٣ - ١٩ سبتمبر ١٧٢٤م . (5) ٨ شعبان ١١١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٠٢م .

(6) ١١٦٠ هـ / ١٣ يناير ١٧٤٧ - ١ يناير ١٧٤٨م .

مستأنسًا بالوحدة ، منجمعًا عن الناس ، محبًا للانفراد ، غامضًا مخفيًا ، ولا زال كذلك حتى توفى فى أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف [١]، ودفن بالزاوية بالقرب من الفحامين .

ومات : الجناب الأجل ، والكهف الأظل ، الجليل المعظم ، الملاذ المفخم ، الأصيلى الملكى ، ملجأ الفقراء والأمراء ، ومحط رحال الفضلاء والكبراء ، شيخ العرب الأمير شرف الدولة ، همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيح بن سيبيه الهوارى ، عظيم بلاد الصعيد ، ومن كان خيره وبره يعم القريب والبعيد ، وقد جمع فيه من الكمال ،ماليس فيه لغيره مثال ، تنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار ، وتلقى عنده عصى التسيار ، وأخباره غنية عن البيان ، مسطرة فى صحف الإمكان ، منها : أنه إذا نزل بساحته الوفود والضيفان ، تلقاهم الخدم ، وأنزلوهم فى أماكن معدة لأمثالهم ، وأحضروا لهم الاحتياجات واللوازم من : السكر ، وشمع العسل ، والأوانى ، وغير ذلك ، ثم مرتب الأطعمة فى الغداء ، والعشاء ، والفطور ، فى الصباح ، والمربيات والحلوى مدة إقامتهم لمن يعرف ومن لايعرف ، فإن أقاموا على ذلك شهوراً لايختل نظامهم ، ولا ينقص راتبهم ، وإلا قضوا أشغالهم على أتم مرادهم ، وزادهم إكرامًا ، وانصرفوا شاكرين ، وإن كان الوافد ممن يرتجى البر والإحسان أكرمه وأعطاه ، وبلَّغه أضعاف مايترجاه ، ومن الناس من كان يذهب إليه فى كل سنة ، ويرجع بكفاية عامه ، وهذا شأنه فى كل من كان من الناس ، وأما إذا كان الوافد عليه من أهل الفضائل ،أو ذوى البيوت قابله بمزيد الاحترام ، وحياه بجزيل الإنعام ، وكان ينعم : بالجوارى والعبيد ، والسكر والغلال ، والتمر والسمن والعسل ، وإذا ورد عليه إنسان ورآه مرة ، وغاب عنه سنين ثم نظره ، وخاطبه عرفه وتذكره ، ولا ينساه ، وحاله فيما ذكر من الضيفان والوافدين والمسترفدين أمر مستمر على الدوام ، لاينقطع أبداً ، وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر الفطور من طلوع الفجر فلا يفرغون من ذلك إلا ضحوة النهار ، ثم يشرعون فى أمر الغداء من الضحوة الكبرى إلى قريب العصر ، ثم يبتدئون فى أمر العشاء فلا يفرغون من ذلك إلا بعد العشاء ، وهكذا ، وعنده من الجوارى والسرارى ، والمماليك ، والعبيد شىء كثير ، ويطلب فى كل سنة دفتر الأرقاء ، ويسأل عن مقدار من مات منهم، فإن وجده خمسمائة أو أربعمائة، استبشر وانشرح، وإن وجده ثلثمائة أو أقل أو نحو ذلك اغتم وانقبض خاطره ، ورأى أنَّ ربما كانت فى

(١) آخر جمادى الأولى ١١٨٣ هـ / ١ أكتوبر ١٧٦٩ م .

أعظم من ذلك ، وكان له برسم زراعة قصب السكر وشركه ، فقط اثنا عشر ألف ثور ، وهذا بخلاف المعد للحرث ، ودراس الغلال ، والسواقي والطواحين ، والجواميس والأبقار الحلابة وغير ذلك ، وأما شون الغلال ، وحواصل السكر والتمر بأنواعه ، والعجوة ، فشيء لايعد ولا يحد ، وكان الإنسان الغريب إذا رأى شون الغلال من البعد ، ظنها مزارع مرتفعة لطول مكث الغلال وكثرتها ، فينزل عليها ماء المطر ، ويختلط بالتراب ، فتنبت وتصير خضراء ، كأنها مزرعة ، وكان عنده من الأجناد والقواسة ، وأكثرهم من بقايا القاسمية، انضموا إليه وانتسبوا له ، وهم عدة وافرة ، وتزوجوا وتوالدوا ،وتخلقوا بأخلاق تلك البلاد ولغاتهم ، وله دواوين ، وعدة كتبة ، من الأقباط والمستوفين [١] والمحاسبين [٢] ، لايبطل شغلهم ولا حسابهم، ولا كتابتهم ليلاً ونهاراً ، ويجلس معهم حصة من الليل إلى الثلث الأخير بمجلسه الداخل ، يحاسب ويملي ويأمر بكتابة مراسيم ومكاتبات ، لايعزب عن فكره شيء قل ولا جل ، ثم يدخل إلى الحريم فينام حصة لطيفة ، ثم يقوم إلى الصلاة ، وإذا جلس مجلسًا عامًا ، وضع بجانبه فنجانًا فيه قطنة وماء ورد ، فإذا قرب منه بعض الأجلاف ، وتحادثوا معه ،وانصرفوا مسح بتلك القطنة عينيه وشمها بأنفه ، حذراً من رائحتهم وصنانهم ، وكان له صلات وإغداقات ، وغلال يرسلها للعلماء ، وأرباب المظاهر بمصر فى كل سنة ، وكان ظلاً ظليلاً بأرض مصر ، ولما ارتحل لزيارته شيخنا السيد محمد مرتضى ، وعرف فضله أكرمه إكرامًا كثيراً ، وأنعم عليه بغلال وسكر وجوار وعبيد ، وكذلك كان فعله مع أمثاله من أهل العلم والمزايا ، ولم يزل هذا شأنه حتى ظهر أمر عليّ بيك ، وحصل ماتقدم شرحه من وقائعه مع خشداشينه ،وذهابه إلى الصعيد ، وصلحه مع صالح بيك ، وانضمامه إليه ، وكان المترجم صديقًا لصالح بيك وعشيرته ، فأمدهما بالمال والرجال ، مراعاة لسعى صالح بيك ، حتى تم لهما الأمر وغدر عليّ بيك بصالح بيك ، وخرجت رجاله وأتباعه إلى الصعيد ، وأعلموه بما أوقعه بهم عليّ بيك ، فاغتم على فقد صالح بيك غمًا شديداً، وحمله ذلك على أن أشار عليهم بذهابهم إلى أسيوط ، وتملكهم إياها فإنها باب الصعيد ، فذهبوا إليها مع جملة المنافى من مصر والمطرودين كما تقدم ، وأمدهم شيخ العرب المترجم ، حتى ملكوها وأخرجوا من كان بها ، واستوحش منه عليّ بيك بسبب ذلك ، وتابع إرسال التجاريد ، وقدر الله بخذلان القبالى ورجوعهم إلى قبلى على تلك الصورة ، فعند ذلك علم همام أنه لم يبق مطلوباً لهم سواه ، وخصوصًا

---

(١) المستوفون : انظر ، ص ٣٤١ ، حاشية رقم (٢) . (٢) المحاسبون : انظر ، ص ٧١، حاشية رقم (١١) .

مع ما وقع من فشل كبار الهوارة وأقاربه ، ونفاقهم عليه ، فلم يسعه إلا الارتحال من فرشوط ، وتركهـا بما فيها من الخيرات ، وذهب إلـى جهة إسنا [1] ، فمات فى ثامن شعبان من السنة [2] ، ودفن فـى بلدة تسـمـى قمولة [3] ، فقضى عليـه بها ، رحمه الله ، وخلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهـم : درويش ، وشاهين ، وعبد الكريم ، ولما مات انكسرت نفوس الأمراء ، ثم إنَّ أكابر الـهوارة قدموا ابنه درويشًا لكونه أكبر إخوته، وأشاروا عليه بمقابلة محمد بـيك ، ففعل ، وأما الأمراء فمنهم من أخذ أمانًا من محمد بيك ، وقابله وانضم إليه ، ومنهم من ذهب إلى ناحية درنة ، ونزل البحر وسافر إلى الشام والـروم ، ومنهم من انزوى إلى الهوارة بالصـعيد ، وحضر درويش صحبة محمد بيك إلى مصر ، وقابـل عليّ بيك وأعطاه بلاد فرشوط ، ورجع مكرمًا إلى بلاده ، فلـم يحسن السيـر ولم يفلح ، وأول مابـدأ فى أحكامه أنَّه صار يـقبض على خدام أبـيه وأتباعه ويعاقـبهم ، ويسلب أمـوالهم ، وقبض على رجـل يسمى ، زعيتر : وكيل ، البصل المرتب لمطابخ أبيه ، فأخذ منه أموالاً عظيمة فى عدة أيام على مرار ، أخذ منه فى دفعة من الدفعات من جنس الذهب البندقى أربعين ألفًا ، وكذلك مـن يصـنع الـبرد للـجوارى الـسود والـعبيـد ، وذلك خـلاف : وكلاء الـغلال ، والأقصاب ، والسكر ، والـسمن ، والعسل ، والتمر ، والشـمع ، والزيت ، والبن والشركـاء فـى المزارع ، ووصلـت أخبار بذلك إلـى عليّ بيـك ، فعين عليـه أحمد كتخدا ، وسـافر إليه بعدة من الأجـناد والمماليك ، وطـالبه بالأموال حتى قـبض منه مقادير عظـيمة ، ورجع بها إلى مخدومـه ، واقتدى به بعد ذلك محمـد بيك فى أيام إمارته ، وأخذ منـه جملة ، وكذلك أتباعـه من بعده حتى أخرجوا مـافى دورهم من المتاع والأوانى والنحاس قناطير مقنطرة ، ثم تـتبعوا الحفر لأجل استخراج الخبايا حتى هدموا الدور والمجالس ونبشوها وأخربوهـا ، وحضر درويش المذكور بآخرة إلى مصر جاليًا عن وطنه ، ولم يزل بها حتى مات كـآحاد الناس ، واستمر شاهين وعبد الكريم يزرعان بأرض الوقف أسوة المزارعين ، ويتعيشون حـتى ماتا ، فأما شاهين فقتله مراد بيك فى سـنة أربع عشرة ومائـتين وألف [4] ، أيام الفـرنسيس لأمور نـقمها عـليه ، وخلف ولداً يدعى محـمداً ، وأما عبد الكريم ، فإنه مات على فـراشه قريبًا من ذلك التاريخ ، وترك ولداً يدعى ، همامًا ، دون البلوغ ، يوصف بالنجابة حسبما نقل إلينا

---

(١) إسنا : انظر ، ص ٩١ ، حاشية رقم (٣) . (٢) ٨ شعبان ١١٨٣ هـ / ٧ ديسمبر ١٧٦٩م .

(٣) قمولة : قرية قديمة ، اسمها القبطى (Kamouli) ، وهى إحدى قرى مركز قوص ، محافظة قنا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠م .

من السفار ، وكاتبنى وكاتبته فى بعض المقتضيات ، ورأيت ابن عمه محمد المذكور حين أتى إلى مصر ، بعد ذهاب الفرنسيس ، وتردد عندى مراراً ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ومات : الجناب الكبير ، والمقدام الشهير ، من سرت بذكره الركبان ، وطار صيته بكل مكان ، الفارس الضرغام النجيب ، شيخ العرب ، سويلم بن حبيب ، من أكابر عظماء مشايخ العرب بالقليوبية ، ومسكنهم دجوة على شاطىء البحر ، وهو كبير نصف سعد ، مثل أبيه حبيب بن أحمد ، وليس لهم أصل مذكور فى قبائل العرب ، وإنما اشتهر بالفروسية والشجاعة ، وحبيب هذا أصله من شطب [1] ، قرية قريبة من أسيوط ، ولما مات حبيب ، خلف ولديه سالمًا وسويلمًا ، وكان سالم أكبر من أخيه ، وهو الذى تولى الرياسة بعد أبيه ، واشتهر بالفروسية ، وعظم أمره وطار صيته ، وكثرت جنوده وفرسانه ورجاله وخيوله ، وأطاعته جميع المقادم ، وكبار القبائل ، ونفذت كلمته فيهم ، وعظمت صولته عليهم ، وامتثلوا أمره ونهيه ، ولايفعلون شيئًا بدون إشارته ومشورته ، وصار له خفارة البرين الشرقى والغربى ، من ابتداء بولاق إلى رشيد ودمياط ، وكان هو وفرسه مقومًا على انفراد بألف خيال ، وكان ظهور حبيب هذا فى أوائل القرن [2] ، واتفق له ولابنه سالم هذا ، وقائع وأمور مع إسماعيل بيك ابن إيواظ وغيره ، لابأس بذكر بعضها فى ترجمته ، منها أنَّ فى سنة خمس وعشرين ومائة وألف [3] ، أرسل حبيب ولده سالم إلى خيول الأمير إسماعيل بيك ابن إيواظ وهجم عليها بالمربع ، وجم معارفها وأذنابها ، وتركها وذهب ، ولم يأخذ منها شيئًا ، وذلك بإغراء بعض الناس مثل ، قيطاس بيك وخلافه ، وكانت الخيول بالغيط ، جهة القليوبية ، وحضر أمير أخور وأخبر مخدومه ، فاغتاظ لذلك ، وعزم على الركوب عليه ، فلاطفه يوسف بيك الجزار حتى سكن غيظه ، ثم أحضر حسنًا أبا دفيَّة زعيم مصر سابقًا من القاسمية ، مشهور بالشجاعة ، وجعلوه قائمقام الأمانة ، فسافر بجبخانة ومدفعين ، وصحبته طوائف ورجال ، وأمره بأنْ يطلب شر حبيب ، وإن قدر على قتله فليفعل ، وكتب مكاتبات للنواحى بأن يكونوا مطيعين للمذكور ، فلم يزل حتى نزل فى غيط برسيم عند ساقية خراب ، وعمل هناك متراسًا ، ووضع المدفعين وغطاهما بلباد ، وأقام رصد

(١) شطب : قرية قديمة ، إسمها المصرى (Chashtep) ، والرومى (Hypselis) ، والقبطى (Chotp) وهى إحدى قرى قسم أسيوط ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٤ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) أول ١١٠١ هـ / ١٥ أكتوبر ١٦٨٩م .

(٣) ١١٢٥ هـ / ٢٨ يناير ١٧١٣ - ١٦ يناير ١٧١٤م .

خياله بالطرق ، وإذا بسالم بن حبيب ركب فى عبيده ورجاله متوجهين إلى الجزيرة ، فنزل بطريقه بغيط الأوسية ، فحضر الخيالة الرصد إلى الأمير حسن أبى دفية ، وأخبروه ، فركب برجاله وأبقى عند المدافع عشرة من السجمانية ، وأوصاهم بأنهم إذا انهزموا من القوم ، فإنهم يرمون بالمدفعين سواء ، ففعلوا ذلك بعدما لاقاهم ورمى منهم رجالاً ، ووقع منهم أيضًا عند رمى المدافع والرصاص ثلاثة عشر خيالاً ، وأخذوا منهم نحو ستة قلائع ، ورجع سالم بن حبيب بمن بقى من طائفته إلى أبيه ، وعرفه بما وقع له مع الأمير حسن أبى دفية ، فأرسل إلى عرب الجزيرة ، فأحضر منهم فرسانًا كثيرة ، وكذلك من إقليم المنوفية ، وركب الجميع قاصدين مناوشته ، ووصلته أخبار ذلك ، فركب بمن معه ، وفعل كالأول وركب مبحراً ، وانعطف عليهم وحاربهم ، فرمى منهم فرسانًا ، فانهزموا أمامه ، فوقف مكانه ،فرجعت عليه العرب والعبيد ، فانهزم أمامهم ، فرمحوا خلفه طمعًا منهم ، حتى وصل المدافع ، فرموا بهم وأتبعوهم بطلق الرصاص ، فولوا هاربيّن ، وسقط من عرب الجزيرة وغيرها عدّة فرسان ، وأخذوا منهم خيولاً وسلاحًا ، وحضرت نساؤهم ، ورفعوا القتلى ، ورجع سالم إلى أبيه ، وعرفه بما جرى عليهم من حرقهم ، وقتل فرسانهم ، فأرسل حبيب إلى غيطاس بيك ، يقول له : « إنَّك أغريتنا بابن إيواظ ، وتولد من ذلك أنه وجه علينا قائمقامه ، حرقنا بالنار ، وقتل منا أجاويد » ، فأرسل إليه مكاتبة خطابيًا للقصاصين بمعاونته ومساعدته ، فحضر إليه منهم عدّة فرسان ضاربى نار ، وجمع إليه عربان الجزيرة وخيالة كثيرة ، من المنوفية ، وركب حبيب وأولاده ، وجموعه إلى جسر الناحية ، ونزل هناك ، وأرسل أولاده بخيول يطلبون شر أبى دفية ، وإذا ركب عليهم انهزموا أمامه حتى يصلوا إلى محل رباطهم بالجسر ، ففعلوا ذلك إلى أن وصلوا إلى الجسر ، فضربت القصاصة بنادقهم طلقًا واحداً ، فرموا نحو ثلاثين جنديًا من الكبار ، والذى ما أصيب فى بدنه أصيب حصانه ، وردت عليهم الخيول ، وانهزم الأمير حسن أبو دفية بمن بقى معه إلى دار الأوسية ، فأخذت العرب الخيول الشاردة ، وغروا الغز ورموهم فى مقطع من الجسر ، وأرسل العبيد أتوا بالجراريف ، وجرفوا عليهم التراب من غير غسل ولا تكفين ، ورجع إلى بلده ، وخلص ثأره وزيادة ، وحضرت الأجناد إلى مصر ، وأخبروا الصنجق بما وقع لهم مع حبيب وأولاده ، فعزل الأمير حسن أبا دفية من قائمقامية ، وولى خلافه ، وأخذ فرمانًا بضرب حبيب وأولاده ، وركب عليهم من البر والبحر ، ووصلت النذيرة [1] إلى حبيب ، فرمى مدافع أبى دفية البحر ، ووضع

(١) النذيرة : الرسل التى أتت بالأخبار لحبيب .

النحاس فى أشناف ، وألقاها أيضًا فى البحر ، وقيل إن حبيب قبل هذه الواقعة بأيام ، أحضر ستة قناديل وعمرها بعدما عاير فتائلها ، ووزنها بالميزان عياراً واحداً ، وكتب على كل قنديل ورقة باسمه ، واسم أخيه ، وأولاده ، واسم ابن إيواظ ، وأسرجها دفعة واحدة ، فانطفأ الذى باسمه أولاً ،ثم انطفأ قنديل ابن إيواظ ، ثم قناديل أخيه ، وأولاده شيئًا بعد شيء ، فقال : « أنا أموت فى دولة ابن إيواظ » ، ولما وصل إليه الخبر بحركة ابن إيواظ ، وركوبه عليه ، فركب بأخيه وأولاده ، وخرجوا هاربين ، ووصل ابن إيواظ إلى دجوة ، ورمحوا على دواويرهم ورموا الرصاص ، وكانت المراكب ، وصلت إلى البر الغربى تجاه دجوة ورسوا هناك ، وموعدهم سماع البنادق ، فعند ذلك عدوا إلى البر الشرقى ، وطلعوا إليه ، فأمر ابن إيواظ بهدم دواوير الحبايبة ، فهدموها بالقزم والفوس ، وأنشأ كفراً بعيداً عن البحر بساقية وحوض دواب وجامع وميضأة ، وطاحونين ، وجمع أهل البلد فعمروا مساكنهم فى الكفر وسموه كفر الغلبة [1] ، ورجع الأمير إسماعيل بيك إلى مصر ، وأخذ الغز والأجناد أبقارا وعجولاً ، وأغنامًا وجواميس ، وأمتعة وفرشًا وأخشابًا ، شيئًا كثيراً ، ووسقوه فى المراكب وحضروا به من البر أيضًا إلى مصر ، وكتب مكاتبات إلى سائر القبائل من العربان بتحذيرهم من قبولهم حبيبًا وأولاده ، وأن لاينجمع عليه أحد ، ولا يؤويه ، فلم يسعهم إلا أنّهم ذهبوا عند عرب غزة ، فأكرموهم ، ولم يزل بها حتى مات ، وحضر سالم ابنه بعد ذلك إلى قليوب [2] ، ببيت الشواربى شيخ الناحية سراً ، وأخذ له مكاتبة من إبراهيم بيك أبى شنب ، خطابًا إلى ابن وافى المغربى ، بأن يوطن أولاد حبيب عنده ، حتى يأخذ لهم إجازة من أستاذهم ، فأرسل أحضر عمه وأخاه سويلمًا ، وعدوا إلى الجبل الغربى ، وساروا عند ابن وافى شيخ المغاربة ، فرحب بهم وضرب لهم بيوت شعر ، وأقاموا بها إلى سنة ثلاثين ومائة وألف [3] ، فمات إبراهيم بيك أبو شنب ، وكان يواسى أولاد حبيب ، ويرسل لهم وصولات بغلال يأخذونها من بلاده القبلية ، فلما مات فى الفصل ، ضاقت معيشتهم ، فحضر سالم بن حبيب من عند ابن وافى خفية ، وذلك قبل طلوع ابن إيواظ بالحج ، سنة إحدى وثلاثين [4] ، ودخل بيت السيد

---

(١) كفر الغلبة : كفر حديث النشأة بالقرب من دجوة .

(٢) قليوب : كانت قرية قديمة ، وكانت قاعدة إقليم القليوبية ، وهى الآن قاعدة مركز قليوب ، محافظة القليوبية. رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) ١١٣٠ هـ / ٥ ديسمبر ١٧١٧ - ٢٤ نوفمبر ١٧١٨م .

(٤) ١١٣١ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧١٨ - ١٣ نوفمبر ١٧١٩م .

محمد دمرداش ، وسلم عليه وعرفه بنفسه ، فرحب به وشكا له حال غربته ، وبات عنده تلك الليلة ، وأخذه فى الصباح إلى ابن إيواظ فدخل عليه وقبل يده ، ووقف، فقال السيد محمد الصنجق : « عرفت هذا الذى قبل يدك ؟ » ، قال : «لا»، قال : « هذا الذى جم أذناب خيولك » ، قال: « سالم » ، قال :« لبيك » ، قال : « أتيت بيتى ولم تخف » ، قال له : « نعم أتيت بكفنى ، إما أن تنتقم ، وإما أن تعفو ، فإننا ضقنا من الغربة ، وها أنا بين يديك » ، فقال له : « مرحبًا بك أحضر أهلك وعيالك وعمر فى الكفر ، واتق الله تعالى وعليكم الأمان » ، وأمر له بكسوة وشال ، وكتب له أمانًا ، وأرسل به عبده ، وركب سالم وذهب عند إبراهيم الشواربى بقليوب ، فأقام عنده حتى وصل العبد بالأمان إلى عمه وأخيه فى بنى سويف ، فحملوا وركبوا وساروا إلى قليوب ، ونزلوا بدار أوسية الكفر ، حتى بنوا لهم دواوير وأماكن ومساكن ، وأتتهم العُرُبية ، ومشايخ البلاد ومقادمها للسلام والهدايا والتقادم ، فأقام على ذلك حتى تولى محمد بيك ابن إسمٓاعيل بيك أمير الحاج ، فأخذ منه إجازة بعمار البلد الذى على البحر ، وشرع فى تعمير الدور العظيمة والبساتين والسواقى والمعاصر والجوامع ، وذلك سنة أربع وثلاثين ومائة وألف [1] ، واستقام حال سالم ، واشتهر ذكره ، وعظم صيته ، واستولى على خفارة البرين ، ونفذت كلمته بالبلاد البحرية من بولاق إلى البغارين ، وصارت المراكب والرؤساء تحت حكمه، وضرب عليها الضرائب ، والعوائد الشهرية والسنوية، وأنشأ الدواوير الواسعة والبستان الكبير بشاطىء النيل ، وكان عظيمًا جداً ، وعليه عدّة سواق ، وغرس به أصناف النخيل والأشجار المتنوعة ، فكانت ثماره وفاكهته، وعنبه تجتنى بطول السنة ، وأحضر لها الخولة من الشام ورشيد ، وغير ذلك ، ولما وقعت الوقائع بين ذى الفقار بيك ، ومحمد بيك چركس المتقدم ذكرها ، وحضر چركس بمن معه من اللموم إلى قرب المنشية [2] ، وخرجت إليه عساكر مصر ، وأرسلوا إلى سالم بن حبيب فجمع العربان ، وحضر بفرسانه وعبيده إلى ناحية الشيمى [3] ، وحارب مع الأجناد المصرية حتى قتل سليمان بيك فى المعركة ، وولى

---

(١) ١١٣٤ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٧٢١ - ١١ أكتوبر ١٧٢٢م .

(٢) المنشية : قرية قديمة ، عرفت باسم الحى الصغير ، وعرفت بالمنشية ، وهى الآن تسمىٰ «الحى والمنشىء» وهى إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) الشيمى : هذه القرية اندثرت وحل محلها اليوم «عزبة الشيمى» ، وهى من توابع البدرشين ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق١ ، ص ٣٠٤ .

جركس ، ورجعت التجريدة ، وتبعه سالم بن حبيب والأسباهية وذهبوا خلفه ، فعدى الشرق فعدّوا خلفه ، وطلعت تجريدة أخرى من مصر فتلاقوا معهم ، وتحاربوا مع محمد بيك جركس ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، فكانت الهزيمة على جركس ، وحصل ما حصل من وقوع جركس فى الروبة وموته ودفنوه بناحية شرونة [1] كما تقدم ، ورجع سالم بن حبيب بما غنمه فى تلك الوقائع إلى بلده واشتهر أمره ، واشترى السرارى البيض ، ولم يزل حتى توفى سنة إحدى وخمسين ومائة وألف [2]، وخلف ولداً يسمى عليًا ،اشتهر أيضًا بالفروسية والنجابة والشجاعة ، ولما مات سالم ترأس عوضه أخوه سويلم فى مشيخة نصف سعد ، فسار بشهامة واشتهر ذكره ، وعظم صيته فى الإقليم المصرى زيادة عن أخيه سالم ، ووسع الدواوير والمجالس ، ولما سافر الأمير عثمان بيك الفقارى بالحج ورجع سنة إحدى وخمسين [3] المذكورة ، فأرسل هدية إلى سويلم المذكور ، وأرسل له الآخر التقادم ، ثم إن الأمير عثمان بيك تغير خاطره على سويلم لسبب من الأسباب ، فركب عليه على حين غفلة ليلاً وتعالى به الدليل ، ونزل على دجوة طلوع الشمس ، وكان الجاسوس سبق إليهم وعرفهم بركوب الصنجق عليهم ، فخرجوا من الدور ، ووقفوا على ظهور خيولهم بالغيط بعيداً عن البلد ، فلما حضر الصنجق ورمح على دورهم ورمى الطوائف بالرصاص ، فلم يجدوا أحداً ، فلم يتعرض لنهب شيء ، ومنع الغز والطوائف عن أخذ شيء ، وبلغ خبر ركوب الصنجق عمر بيك رضوان ، وإبراهيم بيك ، فركبا خلفه حتى وصلا إليه ، وسلما عليه ، فعرفهما أنه لم يجدهم بالبلد ، فركب عمر بيك ، وأخذ صحبته مملوكين فقط ، وسار نحو الغيط ، فرآهم واقفين على ظهور الخيل ، فلما عاينوه وعرفوه ، نزلوا عن الخيل وسلموا عليه ، فقال لهم : « لأى شيء تهربون من أستاذكم ؟ » ، وعرفهم أنه أتى بقصد النزهة ، وأحضر عليّ بن سالم ، فقابل به الأمير وقبل يده ، ورجع إلى دوّاره ، وأحضر أشياء كثيرة من أنواع المآكل حتى اكتفى الجميع ، وعزموا عليهم تلك الليلة ، فبات الصنجق وباقى الأمراء ، وذبح لهم أغنامًا كثيرة وعجلين جاموس ، وتعشى الجميع ، وأخرجوا لهم فى الصباح شيئًا كثيراً من أنواع الفطورات ، ثم قدم لهم خيولاً صافنات ، وركبوا ورجعوا إلى منازلهم ، ولما هرب إبراهيم بيك قطامش فى أيام راغب محمد باشا ، وكان سويلم مركونًا

---

(١) شرونة : قرية قديمة ، اسمها القبطى (Schenerou) ، وهى إحدى قرى مركز مغاغة ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٨ . .

(٢) ١١٥١ هـ / ٢١ ابريل ١٧٣٨ - ٩ ابريل ١٧٣٩م .

(٣) ١١٥١ هـ / ٢١ ابريل ١٧٣٨ - ٩ ابريل ٩٧٣٩م .

عليه ، فجمع سويلم عرب : بلى [1] ، وضرب ناحية شبرا المعدية ، فوصل الخبر إلى إبراهيم جاويش القازدغلى ، فأخذ فرمانًا بضرب ناحية دجوة ، والخروج من حق أولاد حبيب ، فعين عليهم ثلاثة صناجق ، وهم : عثمان بيك أبو سيف ، وأحمد بيك كشك ، وآخر ، ووصلتهم النذيرة بذلك فوزعوا دبشهم وحريمهم فى البلاد ، وركبوا خيولهم ، ونزلوا فى الغيط ، ونزلت لهم التجريدة ومعهم الجبخانة والمحاربون وهجموا على البلد ، فوجدوها خالية ، ولما رأى الحبايبة كثرة التجريدة ، فوسعوا وذهبوا إلى ناحية الجبل الشرقى ، وأرسل إبراهيم جاويش إلى عثمان بيك أبى سيف أمير التجريدة ، بأنه ينادى فى البلاد عليهم ، ولم يدع أحداً منهم ينزل الريف، فركب عثمان بيك وطاف بالبلاد يتجسس عليهم ، وظفر لهم بقومانية ، وذخيرة ذاهبة إليهم من الريف على الجمال فحجزها ، وأخذها ، وذلك مرتين ، ورجع عثمان بيك ومن معه إلى مصر ، وصحبتهم ماوجدوه فى البلاد من مواش وسكر وعسل وأخشاب ، وهدموا جانبًا من بيوتهم ، وكان عليّ بن سالم لم يذهب مع سويلم إلى الجبل ، بل أخذ عياله وذهب عند أولاد فودة ، فلما سمع بالتقريط على أصحاب الدرك ، فأتى إلى مصر ، ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش ، وعرفه بنفسه ، وطلب منه الأمان ، فعفا عنه بشرط أنْ لايقرب دجوة ، ويسكن فى أي بلد شاء ، يزرع مثل الناس ، ثم إن سويلمًا ومن معه أرسلوا إلى حسيّن بيك الخشاب بأن يأخذ لهم أمانًا من إبراهيم جاويش ففعل ، وقبل شفاعة حسين بيك بشرط إبطال حماية المراكب ، وأذية بلاد الناس ، ويكفيهم الخفارة التى أخذوها بالقوة ، واستخلص لهم المواشى التى كان جمعها عثمان بيك أبو سيف ، واستقر سويلم كما كان بدجوة ، وبنى له دوّاراً عظيمًا ، ومقاعد مرتفعة شاهقة فى العلو ، يحمل سقوفها عدة أعمدة ، وعليها بوائك مقوصرّة ، ترى من مسافة بعيدة فى البر والبحر، وبها عدة مجالس ومخادع ، ولواوين وفسحات علوية ، وسفلية ، وجميعه مفروش بالبلاط الكدان ، وبنى بداخل ذلك الدوّار مسجداً ومصلى ، وبداخل حوش الدوّار مساطب ومضايف لأجناس الناس الآفاقية ، وغيرهم ، وبنى تحت ذلك الدوار

---

(١) عرب بلى : من أشهر فروع بلى فى مصر فى سيناء والإسماعيلية والشرقية والقليوبية ثم : المقابلة ، والأحامدة ، والمطارفة ، والعودات ، وبعض عائلات من : وابه ة ، والزبالة ، والمعاقلة ،والقرينى ، أبو رواس ، أبو منشار ، أبو وادى ، أبو شتيوى ، أبو حرمان والعظمة ، أبو بصيلان ، وهناك من بلى القدامى سكنت الصعيد وما زال لها سلالات فى محافظتى سوهاج وقنا .
الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص

بشاطىء النيل رصيفًا متينًا ومساطب يجلس عليها فى بعض الأوقات ، وأنشأ عدة مراكب ، تسمى الخرجات [1] ، ولها شرافات وقلوع عظيمة ، وعليها رجال غلاظ شداد ، فإذا مَرّت بهم سفينة صاعدة أو حادرة صرخ عليها أولئك الرجال قائلين : « البر » ، فإن امتثلوا وحضروا أخذوا منهم ما أحبوه من حمل السفينة ، وبضائع التجار ، وأن تلكأوا فى الحضور قاطعوا عليهم بالخرجات فى أسرع وقت ، وأحضروهم صاغرين ، وأخذوا منهم أضعاف ما كان يؤخذ منهم لو حضروا طائعين من أول الأمر ، وكان له قواعد وأغراض وركائز وأناس من الأمراء وأعوانهم بمصر ، يراسلهم ويهاديهم فيذبون عنه ولا يسمعون فيه شكوى ، وله عدة من العبيد السود النجارية الفرسان ملازمين له ، مع كل واحد حرمدان مقلد به ملآن بالدنانير الذهب، وكان لايبيت فى داره ، ويأتى فى الغالب بعد الثلث الأخير ، فيدخل إلى حريمه حصة ، ثم يخرج بعد الفجر ، فيعمل ديوانًا ويحضر بين يديه عدة من الكتبة ، ويتقدم إليه أرباب الحاجات مابين مشايخ بلاد وأجناد وملتزمين وعرب وفلاحين وغير ذلك ، والجميع وقوف بين يديه ، والكتاب يكتبون الأوراق والمراسلات إلى النواحى ، وغالب بلاد القليوبية والشرقية تحت حمايته ، وحماية أقاربه وأولاده ، ولهم فيها الشركاء والزروع والدواوير الواسعة المعروفة بهم ، والمميزة عن غيرها بالعظم والضخامة ، ولا يقدر ملتزم ولا قائمقام على تنفيذ أمر مع فلاحيه إلا بإشارته أو بإشارة مَن بالبلد فى حمايته مِن أقاربه ، وكذلك مشايخ البلاد مع أستاذيهم ، وكان له طرائق وأوضاع فى الملابس والمطاعم ، فيقول الناس : « سرج حبيبى ، وشال حبايبى ، ومركوب حبايبى إلى غير ذلك » ،وكان مع شدة مراسه وقوة بأسه ، يكرم الضيفان ، ويحب العلماء وأرباب الفضائل ، ويأنس بهم ويتكلم معهم فى المسائل ، ويواسيهم ويهاديهم ، وخصوصًا أرباب المظاهر ، واتفق أنَّ الشيخ عبد الله الشبراوى أضافعه ، فقدّم له جملاً ، ولم يزل على ماذكرنا حتى جرد عليهم علىّ بيك ، وهرب سويلم إلى البحيرة فى السنة الماضية [2] ، ثم جرد عليه فى هذه السنة [3] ، وعلى الهنادى ، وقتل شيخ العرب سويلم ، وخمسة وأربعون شخصا من الحبايبة ، وأتوا برأسه ، وعلقت بالرميلة ثلاثة أيام ، وبقى من أولادهم خمسة وهم: سيد أحمد ، وسالم ، ومحمد أخو أحمد [4] ، فنزلوا على حكم إسماعيل بيك ، فأرسل إلى علىّ بيك ليأمنهم فامتنع ، وقال : « لابد من قتل الجميع ،

---

(١) الخرجات : نوع من المراكب النيلية

(٢) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩م . (٣) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠م .

(٤) كتب أمام الأسماء بهامش ص ٣٤٩ ، طبعة بولاق «قوله : وهم خمسة ، المذكور هنا ثلاثة والرابع أحمد والخامس على ، كما يؤخذ من العبارة الآتية » .

فأرسل إسماعيل بيك إلى محمد بيك ، فكلم عليّ بيك فى ذلك ، وترضى خاطره فأمنهم ، بشرط أن لايسكنوا محلهم ، ولا يكون لهم ذكر ، وشتت قبيلتهم إلى أن عمَّرهم مراد بيك تابع محمد بيك أبى الذهب ، وترأس عليهم شيخ العرب أحمد بن علي بن سويلم ، ولكن دون الحالة الأولى بكثير ، من غير صولة ولا مقارشة ، ولا تعد ولا خفارة ، وكان إنسانًا حسنًا وجيهًا محتشمًا ، مقتصراً على حاله وشأنه ملازمًا على قراءة الأوراد والمذاكرة ، ويحب أهل الفضل والصلاح ويتبرك بهم ، وبدعائهم وترددنا عليه ، وتردّد إلينا بمصر كثيراً ، وبلونًا منه خيراً وحسن عشرة ، وكان معه أخوه شيخ العرب محمد على مثل حاله ، ويزيد عنه الانجماع عن الناس لغير مايعنيه، ويعانيه فى خاصة نفسه ، وكان أبوهما عليّ نزل بقليوب بدار فيحاء ، وكان حسن الخَلْق والخُلق ، وله حشم وأتباع كثيرة ، وله هيبة عندهم ، وكان طيب السيرة ، فصيحًا مفوهًا فى حفظه أشعار ونوادر ، ولديه معرفة ، وكان يفهم المعنى ، ويحقق الألفاظ ويطالع الكتب ، ومقامات الحريرى ، ونحو ذلك .

ومات : الأمير المبجل عليّ كتخدا مستحفظان الخربطلى ، وهو من مماليك أحمد كتخدا الخربطلى الذى جدد جامع الفاكهانى الذى بخط العقادين ، وصرف عليه من ماله مائة كيس ، وذلك فى سنةثمان وأربعين ومائة وألف [1] ، وأصله من بناء الفائز بالله الفاطمى ، وكان إتمامه في حادى عشر شوّال من السنة المذكورة [2] ، وكان المباشر على عمارته عثمان چلبى شيخ طائفة العقادين الرومى ، وفى تلك السنة [3] ، ألبس مملوكه المترجم عليّ أوده باشة الضلمة ، وجعله ناظراً ، ووصيًا ، ومات سيده فى واقعة محمد بيك الدفتردار فى جملة الأحد عشر أميراً المتقدّم بيانهم ، وعمل جاويش فى الباب ، ثم عمل كتخدا ، واشتهر ذكره بعد انقضاء دولة عثمان بيك الفقارى ، واستقلال إبراهيم كتخدا ، ورضوان كتخدا الجلفى ، بإمارة مصر ، وزوّج ابنته لعليّ بيك الغزاوى ، وعمل لها فرحًا عظيمًا ببركة الرطلى عدّة أيام ، كانت من مفترجات مصر ، وبعد انقضاء أيام الفرح زفت العروس فى زفة عظيمة ، اجتمع العالم من الرجال والنساء والصبيان للفرجة عليها ، ودخل بها عليّ بيك المذكور ، وولد له منها حسن چلبى المشهور ، وأنشأ عليّ كتخدا المترجم داره العظيمة برأس عطفة خشقدم ، جهة الباطلية ، وداره المطلة على بركة الرطلى ، والقصر على

(١) ١١٤٨ هـ / ٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦م .

(٢) ١١ شوال ١١٤٨ هـ / ٢٤ فبراير ١٧٣٦م . (٣) ١١٤٨ هـ / ٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦ م .

الخليج الناصرى ، والقباب المعروفة به وغير ذلك ، ونفاه عليّ بيك إلى جهة قبلى كما تقدم ، فلما ذهب عليّ بيك إلى قبلى صالحه وانضوى إليه ، وكان هو السفير بينه وبين صالح بيك فى الصلح ، وبذل جهده فى ذلك ، هو وخليل بيك الأسيوطى حتى أتموه على الوجه المتقدم ، وحضر صحبة عليّ بيك إلى مصر ، وسكن بداره ، وأقبلت عليه الناس وقصدوه فى الدعاوى والشكاوى ، وأمن جانب عليّ بيك ، واعتقد صداقته ، وظن أنّه قلدة منته ، فلم يلبث إلا أيامًا وأخرجه منفيًا إلى رشيد ، ثم أرسل من خنقه هناك ، وكان أميراً جليلاً وجيهًا جميل الصورة ، واسع العينين ، أبيض اللحية ، ضخمًا مهاب الشكل ، بهيّ الطلعة ، ودفن هناك .

ومات : الأمير محمد بيك أبو شنب ، وهو من مماليك عليّ بيك ، وقتل فى معركة أسيوط كما تقدم ، ودفن هناك ، وكان من الشجعان المعروفين .

سنة اربع وثمانين ومائة وألف [1]

فيها [2] ، ورد على عليّ بيك الشريف عبد الله من أشراف مكة ، وكان من أمره ، أنه وقع بينه وبين ابن غمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد ، منازعة فى إمارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشربف أحمد ، واستقل بالإمارة ، وخرج الشريف عبد الله هاربًا ، وذهب إلى ملك الروم ، واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعليّ بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر إلى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية [3] ، وكان عليّ بيك مشتغلاً بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى ، وهو طمعه فى الاستيلاء على الممالك ، فأنزله فى مكان وأكرمه ورتب له كفايته ، وأقام بمصر حتى تمم أغراضه بالقطر ، وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج من أخرجه ، فالتفت عند ذلك إلى مقاصده البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والإقامات ، وعمل البقسماط الكثير حتى ملئوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة ، والقصور البرانية ، وبيوت الأمراء المنافى الخالية ، ثم عبوا ذلك ، وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من : الدقيق ، والسمن ، والزيت ، والعسل ، والسكر والأجبان ، فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر

(١) ١١٨٤ هـ / ٢٧ أبريل ١٧٧٠ - ٥ أبريل ١٧٧١م .
(٢) ١١٨٤ هـ / ٢٧ أبريل ١٧٧٠ - ٥ أبريل ١٧٧١م .
(٣) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ، ١٧٦٩ - ٢٦ إبريل ١٧٧٠م .

أتراكًا ، ومغاربة ، وشوامًا ، ومتاولة ، ودروزاً ، وحضارمة ، ويمانية ، وسودانًا ، وحبوشًا ، ودلاة ، وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدّمات ، والمشاة أنزلوهم من القلزم فى المراكب ، وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب ، وخرجت التجريدة فى شهر صفر [1] ، بعد دخول الحجاج ، فى تجمل زائد ومهياً عظيم ، وسارى عسكرها محمد بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ، ومصطفى بيك ، وخلافهم .

وفى ثانى عشرين ربيع الأوّل [2] ، وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع ، وخلافهم من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير الينبع المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه خلائق كثيرة .

وفى تاسع شهر ربيع الآخر [3] ، وصل نجاب مصر إلى الدّيار الحجازية ، وأخبر بدخول محمد بيك ، ومن معه مكة ، وانهزام الشريف أحمد ، وخروجه هاربًا ، ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر ، وجلس الشريف عبد الله فى إمارة مكة ، ونزل حسن بيك إلى بندر جدة ، وتولى إمارتها عوضًا عن الباشا الذى تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك عرف بالجداوى ، وأقام محمد بيك أيامًا بمكة ، ثم عزم على المسير والرجوع إلى مصر ، ووصلت الأخبار والبشائر بذلك ، وأرسلت إليه الملاقاة بالعقبة وخلافها ، فلما ورد الخبر بوصوله إلى العقبة ، خرجت الأمراء إلى بركة الحاج ، والدار الحمراء لانتظار قدومه ، فوصل فى أوائل شهر رجب [4] ، ودخل إلى مصر فى ثامنه [5] ، فى موكب عظيم ، وأتت إليه العلماء والأعيان للسلام ، وقصدته الشعراء بالقصائد والتهانى .

وفى منتصف رجب المذكور [6] ، عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان ، وقلد عوضه سليم أغا الوالى ، وقلد عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر إلى ناحية غزة ، وهى أوّل حركاته إلى جهة الشام ، وأمره بقتل

---

(١) صفر ١١٨٤ هـ/ ٢٧ مايو - ٢٤ يونيه ١٧٧٠م . (٢) ٢٢ ربيع الأول ١١٨٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٧٠م .
(٣) ٩ ربيع الأول ١١٨٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٧٠م . (٤) ١ رجب ١١٨٤ هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٧٠م .
(٥) ٨ رجب ١١٨٤ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٧٠م . (٦) ١٥ رجب ١١٨٤ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٧٠م .

سليط شيخ عربان غزة ، فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو وإخوته وأولاده ، وكان سليط هذا من العصاة العتاة له سير وأخبار .

وفيه [1] ، زاد اهتمام عليّ بيك بالتحرك على جهة الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل البقسماط والبارود والذخائر ، والمؤن وآلات الحرب ، وأمر بسفر تجريدة ، وأميرها إسماعيل بيك ، وصحبته عليّ بيك الطنطاوى ، وعليّ بيك الحبشى ، فبرزوا إلى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام والجبخانات والعربان والضويّة[2]، وقرب الماء الكثيرة ، على الجمال والكرارات ، والمطابخ ، والطبول والزمور ، والنقاقير ، وغير ذلك ،فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أيامًا حتى قضوا لوازمهم ، وارتحلوا وسافروا إلى جهة الشام .

وفى حادى عشرينه [3] ، برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك ، وعمر كاشف ، وجملة كثيرة من العساكر ،فنزلوا من طريق البحر على دمياط .

وفى عاشر شهر القعدة [4] : وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

وفى منتصفه [5] ، خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر على النسق .

وفى سابع عشره [6] : طلب عليّ بيك حسن أغا تابع الوكيل ، والروزنامجى ، وباش قلفة ، وإسماعيل أغا الزعيم ، وآخرين ، وصادرهم فى نحو أربعمائة كيس ، بعد ماعوّقوهم أيامًا .

وفى أواخره [7] ، عمل عليّ بيك دراهم على القرى ، وقرر على كل بلد مائة ريال ، وثلاثة ريال حق طريق ، فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى والقبط مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفًا ، وقبضت جميعها فى أسرع وقت .

---

(1) ١٥ رجب ١١٨٤ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٧٠م .
(2) أى حملة المصابيح والضوء
(3) ٢١ رجب ١١٨٤ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٧٠م .
(4) ١٠ ذى القعدة ١١٨٤ هـ / ٢٥ فبراير ١٧٧١م .
(5) ١٥ ذى القعدة ١١٨٤ هـ / ٢ مارس ١٧٧١م .
(6) آخر ذى القعدة ١١٨٤ هـ / ١٧ مارس ١٧٧١م .
(7) آخر ذى القعدة ١١٨٤ هـ/ ١٧ مارس ١٧٧١ م .

ذكر من مات فى هذه السنة

مات : العمدة الفاضل الكامل ، الأديب الماهر ، الناظم الناثر ، الشيخ عبد الله ابن عبد الله بن سلامة الإدكاوى، المصرى الشافعى ، الشهير بالمؤذن ، ولد بإدكو [1] وهى قرية قرب رشيد، سنة أربع ومائة وألف [2] ، كما أخبر من لفظه ، وبها حفظ القرآن ،وورد إلى مصر ، فحضر دروس علماء عصره ، وأدرك الطبقة الأولى ، واشتهر بفن الأدب ، وانضوى إلى فخر الأدباء فى عصره ، السيد على أفندى برهان زادة ، نقيب السادة الأشراف ، فأنزله عنده فى إكرام ، واحتفل به وكفاه المؤنة من كل وجه ، وصار يعاطيه كؤوس الآداب ، ويصافيه بمطارحة أشهى من ارتشاف الرضاب ، وحج بصحبته بيت الله الحرام ، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة وألف [3] وعاد إلى مصر ، وأقبل على تحصيل الفنون الأدبية ، فنظم ونثر ومهر وبهر ، ورحل إلى رشيد وفوّة والإسكندرية ، مراراً ، واجتمع على أعيان كل منها ، وطارحهم ومدحهم ، وفى سنة تسع وثمانين [4] رأيت من نظمه بيتين بخطه فى جدار جامع ابن نصر الله بفوّة ، تاريخ كتابتهما سنة خمس وأربعين [5] ، وبعد وفاة السيد النقيب ، تزوج وصار صاحب عيال ، وتنقلت به الأحوال ، وصار يتأسف على ماسلف من عيشه الماضى فى ظل ذلك السيد ، قدّس سره ، فلجأ إلى أستاذ عصره الشيخ الشبراوى ، ولازمه واعتنى به ، وصار لاينفك عنه ، ومدحه بغرر قصائده ، وكان يعترف بفضله ويحترمه ، ولما توفى انتقل إلى شيخ وقته الشمس الحفنى ، فلازمه سفراً وحضرا ، ومدحه بغرر قصائده ، فحصلت

---

(1) ادكو : اسمها الأصلى «إتكو» ، بلدة قديمة ، ذكرها جوتييه (Tekebi) أو (Thkobi)، اسمها القديم (Tkou) وهى إحدى قرى مركز رشيد ، محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ٢ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ،
كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٥٢ ، طبعة بولاق «وجد بهامش بعض النسخ مانصه ، وقد رثاه الشيخ علي الشرنفاسى بقوله :

إن الإدكاوى فاقا	بفنون الشعر حلّه
كان فى الفن إماما	منجزاً فى الفضل وعده
ولقد مات فأرخ	مات أس الشعر بعده

(2) ١١٠٤ هـ / ١٢ سبتمبر ١٦٩٢ - ١ سبتمبر ١٦٩٣ م.
(3) ١١٤٧ هـ / ٣ يونيه ١٧٣٤ - ٢٣ مايو ١٧٣٥ م .
(4) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦ م.
(5) ١١٤٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٧٣٢ - ١٣ يونيه ١٧٣٣م .

له العناية والإعانة ، وواساه بما به حصلت الكفاية والصيانة ، وله تصانيف كلها غرر ، ونظم نظامه عقود الدرر ، « فمنها الدرة الفريدة والمنح الربانية فى تفسير آيات الحكم العرفانية » ، و القصيدة اللزدية [1] ، فى مدح خير البرية ، ألفها العليّ باشا الحكيم ، « ومختصر شرح بانت سعاد للسيوطى » ، « والفوائح الجنانية فى المدائح الرضوانية » ، جمع فيها أشعار المادحين للمذكور ، ثم أورد فى خاتمتها ماله من الأمداح فيه نظمًا ونثراً ،و « وهداية المتهومين فى كذب المنجمين » و«النزهة الزهية بتضمين الرحبية» ، نقلها من الفرائض إلى الغزل ، و « عقود الدرر فى أوزان الأبحر الستة عشر » التزم فى كل بيت منها الاقتباسات الشريفة ، والدّر الثمين فى محاسن التضمين ، وبضاعة الأريب فى شعر الغريب ، وذيلها بذيل يحكى دمية القصر ، وله « المقامة التصحيفية » ، و « المقامة القمذية فى المجون » ، وله تخميس بانت سعاد صدرها بخطبة بديعة ، وجعلها تأليفًا مستقلاً ، و « ديوانه المشهور على حروف التهجى » ، وغير ذلك ، وقد كتب بخطه الفائق كثيراً من الكتب الكبار ، ودواوين الأشعار ، وكمل عدة أشياء من غرائب الأسفار ، رأيت من ذلك كثيراً ، وقاعدة خطه بين أهل مصر مشهورة لاتخفى ، ورأيت مما كتب كثيراً ، فمن الدواوين : « ديوان حسان » رضى الله عنه ، رأيته بخطه وقد أبدع فى تنميقه ، وكتب على حواشيه شرح الألفاظ الغريبة ، ونزهة الألباب ، الجامع لفنون الآداب ، وله مطارحات لطيفة مع شعراء عصره ، والواردين على مصره ، ولم يزل على حاله حتى صار أوحد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، ولما توفى الأستاذ الحفنى اضمحل حاله ، ولعب بلباله ، واعترته الأمراض ، ونضب روض عزه وغاض ، وتعلل مدة أيام ، حتى وافاه الحمام فى نهار الخميس خامس جمادى الأولى من السنة [2] ، وأخرج بصباحه ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالمجاورين قرب تربة الشيخ الحفنى ، ومما اخترته من شعره قوله متوسلاً بالنبى ﷺ :

يَاربٌ بالهَادِى الشَفِيعِ مُحَمَّدٍ	مَن قَد بدَا هذَا الوُجُود لأجْلِهِ
وبآلِهِ الأمجَادِ ثم بِصَحْبِهِ الأخْـ	ـيارِ يا مغْنِى الورَى مِن فَضْلِهِ
كُنْ لى مُعِينًا فى مَعَادِى واكْفِنِى	هَمَّ المعَاشِ ومَا أرى مِن ثقْلِهِ

(١) اللزدية : كتب أمامها بهامش ص ٣٥٢ ، طبعة بولاق «قوله اللزدية هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ، ولعلها الدرية أو نحو ذلك ، وقوله : القمذية هكذا أيضًا فى النسخ بالذال المعجمة ، ولعله بالدال المهملة نسبة إلى القمد بالتحريك وهو الطول أو بالراء أو نحو ذلك»

(٢) ٥ جمادى الأول ١١٨٤ هـ / ٢٧ اغسطس ١٧٧٠م .

واسْتــرُ بِفَضْلِكَ زلَّتــى واغْفِرْ بِعَدْ   لِكَ سيئتى[1] واشْفِ الحشَا مِن غِلِّه

ولـــــــــــــه :

سَلِ اللهَ ذا المنِّ العَظِيــم ولا تَسلْ   سِواه فَإِنّ اللهَ يـــعْطِيـــك مَا تَبْغِى
ومَهْمَا تَنــلْ مَا رُمْتَه يَا أخـا الحِجَا   مِنَ الأملِ المطْلُوب فـاقْنع ولا تَبْغِى

وله فى آل البيت وفيه اقتباس :

آل طَهَ يَا أُولِـــــــى كُلّ هُدَى   نَزل الـــقُرآنُ فـــى تَطْهِيـــرِكُمْ
نُورُكُمْ يـــــجلُو دُجَا كُلّ عنَا   انظُرونَا نَقْتَبِسْ مِـــن نُورِكُـــم

ومن غرر صنائعه النوع المخترع المسمى بوسع الاطلاع ، وقد قسمه إلى أربعة أقسام ، الأول أن يكون أول كل كلمة أولا لأختها : وفيه قوله :

بَهِىٌ بَدَا بِالـــوَصْلِ بَرا بِصبِّه   بِزَوْرتِه بـــــــانَتْ بَلابِلُ بَالِه

الثانى : حرف عاطل ، وحرف منقوط ، سوى القافية ، وفيه قوله :

جَمِيــلٌ بَدِيـع جَلّ ذاتًا بَهِـيــةٌ   بـــه زِدْتُ حبًا فَاتِكٌ بِـــجَالِه

الثالث : كلمة منقوطة ، وكلمة عاطلة ، ويسمى الأخيف ، وفيه قوله :

جُننتُ ولَو عَافى هَواه شُغِفْت بِكم   فُتِنْتُ عَسَـــاه يَجْتبِى لِكَمَالِــــه

الرابع: جميع الكلمات منقوطة ، وفيه قوله :

شَفِيـقٌ شَقِيــقٌ شَيّقٌ شَنِبٌ شَقِى   يَغنّج بِجَفْـــنٍ شَـــفّنِى بِنِبَالِـــه

وله فيما لايستحيل بالانعكاس :

بـانــعِكَاسٍ قَولُنَا لــمْ يـنْعكِسْ   الْغِ مَنْ نَمّ فَمَـــنْ نـــــمّ غَلاَ

ولـــه فيـــه أيضـًا :

ارْعَ لخـــلـــل إن أمـــا   وائـــس أن الخـــلـــل عـــرا

---

(١) كتب أمام هذا البيت بهامش ص ٣٥٣ ، طبعة بولاق «قوله سيئتى يقرأ بتخفيف الياء للوزن»

ارثِ لِمَنْ مَـــلَّ قَـــلاَ	والْقِ لِمَـــنْ مَلَّ ثَرَا
ارمِ عَـــدُوا إذا حَمَا	وامـــحُ إذا ودَعَ مِرَا

ولـه فيـه أيضـًا :

صَديـقِي فى الأنـامِ حَليـفُ حِلْمٍ	عَلَيـه الجـهْلُ حَتْمًا لا يـحُومُ
مـتَّـه تُنِيـمُ لـهَجْو ذام	أذُو جَهْل مـنـتـه تَنِيـمُ

وله فى وسع الاطلاع ، وهـو أنَّ الحرف الذى تختم به الكـلمة تبدأ به الكلـمة التى بعدها إلى آخر البيت قوله :

تأملْ لما أبداهُ هذا المهفْهفُ [1]

فَزيـدُ دَلال لا انفصَال لحـسْنه	هَنـاى يُوَاتِـى يَومَ مَولاَى يُسْعفُ
حَبـيـبٌ بَهِيٌّ يـومَ مـلْقاهُ هَنَّنِى	يَمَيـنًا إذا الـقَاهُ هَمّى يُكْشَفُ
بـه هَم مِثْلـى يَا اخلاءُ أيَة	تمـنُّوا إذا أمُّوا الحـمَى يـتَعـطَفُ
وكَم مَلـكُوه هـائـمِينَ نُفُوسَهُم	مَرامُهـم منْه هبَاتٌ تـؤلَفُ
رَشَا أتمـنى يـصْطَفِينى يَودّنى	يُوَاصِلُنـى يَومًا إذا اتـلَهّفُ
فـنَعَم مَتْعـوبٌ بَرتْه هُمُومُه	هيـامى يَنَـادى يـا مَليـحًا اتـعْطفُ
فـزادَ دلالاً إذْ ذكَرْت تَعَطـفًا	أظـلمًا إذا أصبَحْتَ تَـسخُو وتُسْعِفُ

وله فى النوع المسمى بالعود :

دَلالُه بِوُلاة الحـبّ زادَ فَلَوْ	قَد عَادَ بالقرب ياصَحْبِى شَفَى سَقَمِى
دَلالُه زادَ صَحْبِـى	بالقربِ زاد دَلاَلُه
وصِالُه طِب لـى لَو يعـوْدُ عسـى	بالوصْلِ يـحْسِمُ دائى بل يَصُونُ دمِى
وصـالُه طِبٌ دائـى	عسَى يعُود وصَالُه
نـبالُه قـد أبادت عـاشـقيـه فكَم	عـادت بهِم نـافذاتُ الـعَود فانـتقم
نِبَالُه نـافِذَاتٌ	فكَم أذ ساءت نبالُه

---

(۱) كتب أمام هذه الشطرة بهامش ص ٣٥٣ ، طبعة بولاق «قوله تأمل الخ ، هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ، هذه الشطرة فقط فلعله اقتصر على محل الفرض ، أو تكون الشطرة الاولى سقطت من النساخ ، فليتأمل» . .

قِتَالُهُ فى الرعَايا لأيُطاق فَلاَ تَهْزا فقَدْ عَاد جداً ذاكَ فاعتَصِمِ
قِتَالُه فى الرعَايا فلا يُطاقُ قِتَالُه

وله فى بناء مسجد الشيخ مطهر بيت تاريخ:

إنمَا يعْمُرُ المسَاجِدَ مَنْ آ مَنَ بِالله مُوقِنًا بالمقدارِ

وله تشطير ذالية ظافر الحداد :

لو كَان بالصّبرِ الجميلِ مَلاذُه ما ضَلّ عنه هُجُوعُه ولذَاذُه
خلا ولَولاَ برقُ ثَغْر جَبِينه ماسَحّ وابلُ جَفْنهُ ورذَاذه

إلى آخرها ، وله من قصيدة يمدح بها بعض أمراء مصر ، ويهنته بعام أربع وستين [1] ، فيها تاريخ كل مصراع منه ، تاريخ على حدته ، ومنقوط المصراعين ، تاريخ ، ومهملهما تاريخ ، ومنقوط الأول مع مهمل الثانى تاريخ ، وبالعكس فالجملة ستة تواريخ فى البيت الواحد ، مطلعها :

سلُوه عن جَفْنِى مَا أرقَهُ وخَاطِرى المشغُوف مَنْ شوَّقَهُ

وبيت التاريخ :

عَام بِكُم فَرقَد إشرَاقِه بِسُوحِكم راقَ فمَا أشْرَقَهُ

وله

وافَى المحبُّ إليكُمُ يَرْجُو اللقَا كَمْ مَرة فَأبى قَضَاءُ الله
فَلَئِنْ مَنَنْتُم بالتلاقى مَرةً ألبَسْتُموه حُلّة المتَباهِى

وكان فى مجلس وفيه أعيان الكتاب من الخطاطين ، فطلب منه وصفهم فقال :

انظرْ لمجْلس ذَا الكتّاب تَلقَهُم مثلَ النّجُومِ التى يَسْرِى بِهَا السّارِى
قد أحْرزُوا قَصَبَ الأرقَام واقتَطفُوا جَنَى حُروف لقَدْ زينت بأسفَار
ما منْهم مَن يُرى يَومًا بَرَاعَتَه إلا وقِيلَ لَهُ مَا أحْكَمَ البَارِى

---

(١) ١١٦٤ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٥٠ - ١٩ نوفمبر ١٧٥١م .

وله مؤرخًا عذار محبوب :

يـا رَعَى اللهُ دَهـرَ أنـسٍ تقَضَّى ... بكَ يـا أيهَا الـظريـفُ الشَّمَائـلْ
حَيْثُ وردُ الخـدُود زاه نَضِيـرٌ ... مُثمِرٌ بـالجمَالِ يَا غُصْن مَائـلْ
ولِيَ الـدهرُ مـا سَعَيْتُ مُطـيـعٌ ... مُسْعِدَاتٌ بـكُورِه والأصَائِل
إنْ أقُلْ آمـرًا أجَابَ وحَظِّى ... بِتَمَلِّيكَ فـى حُلَى السَّعْد رَافِلْ
مُذْ تـبـدَّى مُسَلْسـلاً آس خدَيْـ ... ـنِيكَ وأمسَى لماءِ وَرْدِكَ نَاهِلْ
مَلّ عـنِّى ظَنًا بـأنِّى سَالٍ ... مَعَ أنّ الحـشَا بِحُبِّك ذَاهِلْ
قـالَ مَا ملْتُ عـنْكَ لـكـنّ مَالاً ... تـشتَهِيـه بَدَا فَمَا أنـتَ فَاعِلْ
قلْتُ يـا منْيـتِى خُدُودُك أضْحَتْ ... جَنـةٌ تجـذب الحشَا بـسَلاَسِلْ
قَال إيـهِ شبّه عِذَارِى وأرّخْ ... قلت مِسْكٌ لـلوَرْدِ قدْ جَاء سَائِلْ

وله وهو منقول من معنى فارسى :

شكَا لى أهلُ الكَئِيبِ شَهرَ الصيّامِ إذ ... أتَى ودَمُ الأجـفَانِ قـد سَفَحُوهُ
فقُلْتُ لـهمْ يـا قَومُ إنْ جَاء نَحوكُم ... يُطَالِبكُم بـالـصَّوْم فـيـهِ كُلُوهُ

وله أيضـا :

جلَسَ الـرقيـبُ حذَاء آ ... سِ الخدّ فى الـوجْه البَدِيعْ
فكَأنَه بَردُ الـعَجُو ... زِ مُقَابلٌ فَصل الـرّبـيـعْ

وله مستعطفًا :

يـا سَيّدِى بـقَدِيم وُدٍّ بَيْنَنَا ... بحَدِيثِنَا الممزُوجِ بـالسَّراءِ
بـسَمِيّك الـكَرَارِ قَصرْ مدّ هـ ... ـذَا الصَّدِّ واحفَظ صُحبَتِى وإخَائِى
فالـصبْرُ عنِّى قد نـأى والشَوقُ منِّـ ... ـى قـد دنَا وتـشـتَّتَتْ آرائِى
وجَفَاك قـدْ هدّ الـقُوى ونَواك قـدْ ... أضنَى الحشَا وعلى يَدَيكَ شفَائِى
وَوَحقّ مـا لاقيـتُه أنـا ذلـك الخـ ... ـلُّ الـوفِىُّ وإنْ أطـلْتَ جفَائِـى
والـذنبُ ذَنْبِى فـاعفُ عنّى سَيـدِى ... فـالـعـفْوُ شـانُ الـسَّادةِ الـكُرمَاءِ

ولـه :

ليتَ شعْرى ماذا تقولُون فى حـ ـبٌّ مُعنّى مُغرى بكُم لا ينَامُ
واصِلُوهُ أو عامِلُوه بلُطفٍ فعَسَى أنْ تَزُوره الأحلاَمُ

وله فى المواعظ :

لَيتَ شعْرى إذا دنَا يا رِفَاقى أجَلِى ثُم هيّئُوا لى تُرابى
واغتَدَوا بى إلى مَحَلٍّ به صَحْـ ـبِى جفُونى ولَيْسَ يُرجَى إيَابى
هَل إذَا غَربَلُوا التراب أيلقَوا ذَرةً من عَظْمى فيَا لمصَابى
ويحَ هذه الدنْيا التى تحرقُ الأكْـ ـبَادَ قد مَزقَتْ بلَحْدِى إهَابى
وبذاكَ القَفْرِ اغتَديتُ رَهِينًا ليسَ لى مِن زَادٍ ولا مِنْ رِكَابِ
فإذا رُمت يا دغستان تدرى شقوة من سعادة فى المآبِ
فانظُرنْ ما خَطّتْ يمينُك فى لَو حِكَ لما تَأتى غدًا لِلْحِسَابِ

وقال لأمر اقتضى :

وعُصْبَةِ سُوء تجَافَيتُهُمْ ونزهْتُ نَفْسِى عَن دَائِهِم
لحانى قَومٌ على تَرْكِهِم وقالُوا الَسْتَ مِن اكْفائِهِم
فقلْتُ لهم عُذْرُنا واضحٌ علىَ تَرِكِ سَاحَةِ أحيَائهِم
فنَحْنُ نعِيشُ بأقلاَمِنَا وهُمْ عائشُون بأقْفَائِهِم

وقال فى الرد على المنجمين :

اللهُ يعلَمُ ما يكُون ومَا بِه تَسْرِى الرياحُ وما لَهُ يَجْرِى الفَلَكْ
فَدَعِ المنَجّمَ فى ضَلالَته ومَا يُنْبِيكَ عنْه فَفِى مَقَالته أفَكْ
واحذَر تُصَدِّقُه فَتَهلَكَ جَاهلاً يَا مُدّعِى الإيمانَ فيمَنْ قَد هَلَكْ
عِلْمُ الإلـه مُحَجّبٌ إلا عَلَى مَن يرتَضِيه مِن رسُولٍ أو مَلَكْ
هذا اعتقَادِى والذّى ألقَى بِه ربّى لأسْلُكَ نَاجِيًا مع مَنْ سَلَكْ
ثم الصّلاةُ على النّبِى وآلِهِ والصّحْبِ ما انشَقّ الضّياءُ مِنَ الحلَكْ

وأنشده بعض أدباء الروم تاريخًا بالتركية ، يخرج منه ستة تواريخ ، وزعم أنَّ شعراء العرب لايحسنون مثل ذلك ، فعمل تلك اللية ، قوله ، وهو أول ما عمل من هذا النوع :

عامٌ جديدٌ بالهنَا مُقْبل وكلُّ خيرٍ ذكْرُه يُؤثَرُ
أتَى لَنا أهلاً وسَهْلا بِه ربى أنلْنا فيه مَا يجبُر
قال لى الوقتُ وقدْ راقَ من مَنْهَله المَوردُ والمصْدَرُ
صِفه بمدْحٍ رائقٍ لائقٍ فهوَ بما تمدَحُه يُشْهَرُ
علَى لِسَانى قلْتُ أرختُه فى بيتِ شِعْرٍ حَسَنٌ يَذْكُرُ
إبّانَ عامِى روحُه يشمر ووَعْد مِثْلى نوره يبْهرُ

فكل مصراع تاريخ ، ومهمل المصراع الأول مع مهمل الثانى تاريخ ، ومنقوط الأول مع منقوط الثانى تاريخ ، ومهمل الأولى مع منقوط الثانى تاريخ ، وعكسه فليعلم ، وله تشطير على لامية ابن الوردى مشهور ، وله فى الزهديات :

اللهُ ربى لاشَريكَ لَه ولا ندٌّ ولا ضدٌّ ولا أعْوانُ
يقْضِى ويفعلُ ما يشَاء كَمالُه سُبْحانَه فى كُلّ يوم شَانُ

وله تخميس بيتى الرقمتين :

وحَوراءُ النواظِر أسهَرَتْنى ليالى هَجْرِها بل حيّرتْنى
ومُذْ حصَلَ الوفَاءُ بشرّتْنى رأتْ قمرَ السَّماء فأذكَرتْنى

ليالى وَصْلِهَا بالرقْمتين

وأبدتْ لى شَمائلَها الفَواتنْ ووجْها نَيراً للبدْرِ فَاتنْ
وقالتْ لى وخَوفى صَار آمِن كِلاَنا نَاظِر قَمَراً ولكِنْ

رأيتُ بِعَينها ورأتْ بِعَينى

وقال :

لَمْ أقل قَد نَام حَظّى إنما نامَ أهلُ الحظّ فى وقْتِ أنْتباهْ
لَكِن اللهَ تَعَالى قَادرٌ فى بَقَائى فى تَولّيه وجَاهْ

وقال فى تضمين المصراع الأخير الفارسى :

وخَودٍ مِنْ بناتِ الفُرسِ ألقتْ مَحَبتَها لَهيبًا فى حَشَائى
وقد مَلَكتُها رِقى وحلَّتْ مَحَل السّرِّ منّى والوفاء
تُعَاملُنى بما يَسْبى فُؤادى وتمنَحُنى سُروراً بالـلِّقَاء
سَطَا فينَا النّوى فأتيتُها كَىْ أمتّع ناظرى قَبْلَ التّنائى
وقالَتْ لى وقَدْ اذرتْ دُمُوعًا علَى الخدِّ المكَلّلِ بالبهاءِ
بألفَاظٍ تُحاكِى عِقْد دُر جه بودى كرنبودى آشنائى

وله قصيدة ليس فيها حرف منقوط من أسفل ، منها :

كَمُلَتْ مَحَاسنُه فَتَاهَا ومَسَتْ تُفَاخِرُ مَن عَدَاهَا
رَشَأً لَواحِظُه غَدَتْ فَتَّاكَة أو مَا كَفَاهَا

وله أخرى ليس فيها حرف منقوط من أعلى ، منها :

يا مَليحًا يَهْوى دَوَامًا صُدُودى لِمَ يا بَاهِى الجمَالِ الوَحِيدِ
أحَرامٌ لو مِيلُوك لوَصْلٍ لمحِبٍّ يَرَى الوِصَالَ كَعِيدِ

وله نظم البحور على ترتيبها فى الدوائر بأسمائها :

أطلْتَ مَديدَ الهَجْرِ فابسُطْ لوافرِ الْـ ـوِداد بقُربٍ كَامِلٍ وارثِ مَالكِى
وكُنْ هَزَجًا أو أرجزْ بوصْلى وارمِلَنْ سَرِيع انسراحٍ يا خَفيفَ المسَالك
وضَارع إذا رُمْتَ اقتضَاب حَسُودنا لمُجْتَثّه أصْلاً وقَارِبْ ودَارِكِ

وله فى التضمينات نبذة صغيرة ، جمعها على حروف المعجم ، للمرحوم الشيخ محمد سعيد السمان الدمشقى حين قدم مصر ، واجتمع به سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف [1] ، منها على حرف الألف :

قالَ لى مَن هَوِيتُ يـاذَا المعَالِى إنْ تكُن تشْتهى حُصولَ لِقَائى
صِفْ كَلامى وحُسْنَ نُطقى بَديها قلتُ حُسنُ الكَلام نِصْفُ الوَفَاءِ

وعلى حرف الباء :

(1) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ اغسطس ١٧٥٩م .

أفدى حَبيبًا سبانى ... وقد حبانى قُربَه
عاتَبتُه قال دَعنى ... فالعتْبُ نصفُ المسبّه

وعلى حرف التاء :

قلتُ للشادن المليح وقدْ حلّ بخَـ ... ـدّيك مَا رماه بِفَوتِ
نبتَ الشّعْرُ فوقَ صَفْحةِ خدّيـ ... ـكَ وهذا واللهِ نِصفُ الموْتِ

وعلى حرف الشين :

قلتُ للمسْرِف المبذّر دبّر ... أمرَ دُنْياك تُدْركن خيرَ عيشَه
إنّ سَاداتنَا الأفَاضِلَ قَالوا ... إنّ حُسن التدْبِير نِصفُ المعيشَه

وقال فى تفضيل القديم على الجديد والجديد على القديم :

كُن للمُعَاصِرِ خيْرَ نَاصِر ... كَمْ للأوائِل مِنْ مَفَاخِرْ
لا تحقِرَنّ جَدِيدَهم ... كَمْ فى جَديدهِم جَواهِرْ
ودَع التّعَصّبَ للأوا ... ئلِ يا فَتى أوْ للأواخِرْ
مَن كَان مِنهُم مُبْدِعًا ... فاعقِدْ عَليه مِن الخنَاصِرْ

وقال يمدح الشمس الحفنى قدّس الله سره :

فى كُلّ شَارِقَة طَرْفِى أردّدُه ... فى روضة أنف مِن وَجْهِكَ الحسَنِ
يا بهْجَةَ العصْر يا مَنْهاج كُلّ عُلاً ... يا مُحْيِىَ الدّين بالآثَارِ والسُّنَنِ
فأحْمَدُ الله إذْ بالحبّ قَرّبنى ... من قَلْبِكَ النّير الصَافِى مِن الدّرنِ
وأرْتَجى مِنْه بعدَ الحبّ ما بقِيتْ ... رُوحى تردّد منّى داخِل البَدَنِ
آمينُ قلْ سيدى كىْ يُستَجابُ دعَا ... رَاجٍ بَقَاءكَ يا عَلاّمَةَ الزّمَنِ

فلما سمعه الممدوح ووعاه ، قال بلفظه المبين ، آمين اللهم آمين ، وقال مُخَمِّسًا أبيات ابن منجك المشهورة :

طَافَ بالراحِ مُشْتَهانَا المدلّلْ ... يَنْثَنِى مثلُ بَانَة تَتَميّلْ
قلتُ مذْ زَمزَمَ الكؤوس وأقبَلْ ... نَتفَدّاك سَاقيًا قدْ كَسَاك الْ

حُسنَ مِن فَرقِكَ المضيءِ لِسَاقِك

فى مَعانيكَ حَار فكرى ووَصفى ... فلأيّ الصفَات أبْدى واخفِى
وعَجيبٌ مِن حيثُ تبدُو لِطَرْفى ... تُشْرِقُ الشّمسُ مِن يَدَيكِ ومِنَ فى

كَ الثُّريا والبدْرُ مِن أطْواقِكْ

وقال مضمنًا وقد بلغ عمره سبعين من السنين :

قَد شِبتُ مَوْلاَى والسَّبعُون قَد كَمُلَت ... فلا تُنلْنى فى جِسْمى الضّعيف اذَى
وإنَّنى لَكَ عَبْدٌ فَاقضِ لِى كَرمًا ... بالعِتْقِ يَا سَيّدى أنّ الملُوكَ إذا

وله مضمنا :

قالُوا تَغَربتَ يا هذا فَقلْتُ لَهم ... دعُوا مَلامى فإنى غَيرُ مُسْتَمِع
إذَا تغَربتُ والدينَارُ يصْحَبنى ... لمْ أدرِ مَا غربةُ الأوطانِ وهْو مَعِى

وله فى المجون مضمنا :

ورُبَّ صَغير مِن بنى الترك جَاءنى ... وفى خدَه وردٌ تَشُوق كَمائمُه
فسَاومتُه وصْلا ولا طفتُ خُلْقه ... إلى أنْ دنا نَحوى ولانَتْ شكَائمُه
فلَمّا رأى إيرى توقّاه خائفًا ... كمَا يتوقّى ريضَ الخيْل حَازِمُه

وقال أيضًا من هذا النوع :

أقولُ وقد طَالتْ يَدى مَن هَوِيتُه ... ويَا طالما قَدْ مَال عنّىَ بالقَبْضِ
أيا عَطفةٌ للصبّ يا فَاتر المهَا ... فأدركَ مَطلُوبِى ومَالَ إلى الأرضِ
ولكنه لَمّا رأى الإيرَ راعَهُ ... وقال وبَرقُ الشّوقِ يزْدادُ فى الوَمضِ
بِحقّكَ لا تُدخِلْه فىّ جَميعُه ... حَنانيك بعضُ الشرّ أهْونُ مِن بَعضِ

وقال مضمنا :

بقُبلَة جادَ حِبّى ... وكانَ منّى يَفرُّ
فقلتُ يا قلبُ أبشِرْ ... فأولُ الغَيْثِ قَطْرُ

وله تقريظ بديع على شرح رسالة اسم الجنس والعلم ، لسيدنا الشيخ السادات ، حفظه الله تعالى ، والمتن للشيخ العيدروس ، رحمه الله تعالى : « هذا عِلْم علامة ، علم فعلم ، وفهم فهامة ، فهم ففهم ، وجنس خاص ، من خاص الخواص ، ودرة من بحر علم لامن بحر غواص ، وأديب أبرز غامض تحف أتحف بها طالبيها ، ولبيب كشف النقاب عن وجه حسناء تمنعت عن غير عار فيها ، فنزهت طَرْفى فى محاسن ما أبدع ، وحبست طرف نظرى متأملاً بدائع ما أودع ، وقلت عين الله عليه من رئيس أمعن نظره ، وأنعم فى تنقيح أبحاثها فكره ، وأتقن ضم المتن لشرحه المجيد ، حتى صار فى الالتئام كعقد درّ دار بالجيد ، كيف لا وهو من نخبة قوم عارفين ، ولكلٍ وجهة خير همهم صارفين . وعن كل شر عازفين :

قَومٌ هُم زِينةُ الدنيا وبهجَتُها ... بهم نُغَاثُ إذا خَطبٌ لَنَا زَحَفَا
لا سيما حَبْرنا ذا الفَرعِ سَيِّدُنا ... مُحَمَّد سبْط أهلِ الصِّدق آل وَفَا
أدامهُ مَن حَباه الفضْلَ يتحِفُنا ... بِكُلّ أعْجُوبةٍ تَنْحُو لها اللُّطَفَا
وحَاطه مِن عُيون الحاسِدين وأوْ ... لاَه المُنَى ووقَاهُ ربُّه وكَفَى

وله هذه الأبيات الثلاثة أودع فى أوائل كل كلمة منها حرفا من الحروف الهجائية :

إلى بَاب تَواب ثَنيتُ جَوارحِى ... حَلِيمٍ خَبيرٍ دَرءُ ذَنْبى رضَاؤُهُ
زكَا سِرُّ شَانى صِفْ ضَفَا طَال ظلّه ... عنَايَتُه غَاثَتْ فَجَل قَضَاؤُهُ
كَفانى لِفَيْضٍ مَا عَدانى نَوالُه ... هِدَايَتُه وَافَت لأمْرٍ يَشَاؤُهُ

وقال مؤرخًا وصول العين بالماء الكثير إلى مكة شرفها الله :

جَادَ بالعَين الإلهُ لَنَا ... بَعدَ مَا كُنَّا فَقَدْنَاهَا
وجَرتْ بالماء طَافحَةً ... فَغَدَوْنَا نَحْمدُ اللهَ
فَلِذَا قُلْ إذا تُؤرخُه ... هُو فَيضُ اللهِ أجْراهَا

وكان الأغا المعين عليها من الدولة يقال له فيض الله ، وله تشطير بيتى الشقائق لمولانا العارف بالله تعالى ، الشيخ عبد الغنى النابلسى ، رحمه الله ، مسئولاً فى ذلك ، وكان قد ورد على السائل جملة تشاطير عليهما لأدباء الشام ، فقال :

وشَقَائقٌ قالَتْ لنَا بَين الرُّبا ... بَديع لَفظ بالعقُول يُسَامُ
إنْ كُنتَ ترغَبُ فى شَميم عَبيرنا ... دعْ وَجنةَ المحْبوب فهى ضرامُ
هلْ أنبتَتْ قبلُ العَوارضِ مثلَنا ... ذا مَنْظرٌ تهفُو لهُ الأحْلامُ
حُزنا الفخَار على الزهُور ببهْجةٍ ... قلتُ اسكُتوا لا يسْمَعَ النَّمَّامُ

وقال أيضا :

وشَقَائقٌ قالت لَنَا بينَ الربُّا ... ردْ روضنَا هو جنَّةٌ وسَلاَمُ
مَن امنَا واشتَمّ نَفحَتنَا يقُل ... دَعْ وجنةَ المحْبوبِ فهى ضرامُ
هل أنبَتَتْ قُبلُ العَوارض مثْلنا ... حُسْنًا وإشراقًا هَواهُ يُرَامُ
أو ما استَحتْ مِنْ عَرفنا الذاكِى شَذَا ... قلتُ اسكُتُوا لا يسْمَعَ النَّمَّام

وقال أيضًا :

وشَقَائقٌ قالت لنَا بينَ الربُّا ... ببَهَائها شُغفَ الملُوكُ وهَامُوا
وبنَا غَدا النُّعمَان يَعْجَبُ قائلاً ... دعْ وجنَةَ المحْبوب فَهى ضرامُ
هل أنبتَتْ قُبلُ العَوارض مثْلَنَا ... زهرًا تَحارُ لوَصْفه الأفْهَامُ
أو مَا دَرتْ أننا نَفُوق مَحَاسِنًا ... قلتُ اسكُتوا لايسْمَعَ النَّمَّامُ

وقال أيضًا :

وشَقَائقٌ قالتْ لنَا بَين الربُّا ... أنَا للزُّهُورِ إذا حَضرْتُ إمَامُ
بى يفْخَرونَ ومَن رَأى حُسنِى يقُلْ ... دعْ وَجنَة المحْبوبِ فهى ضرَامُ
هل أنبتَتْ قُبلُ العوارضِ مثْلَنا ... والوردُ فيها قَدْ عَلاَه قَتَامُ
وشَقيقُنا يزْهُو عَلى طُول المدَى ... قلتُ اسكُتوا لايسْمعَ النَّمَّامُ

وقال أيضًا وفيه توجيه علم المنطق :

وشَقَائقٌ قالتْ لَنَا بَين الربُّا ... بمُقَدّمَات مَا بهَا إيهَامُ
بُرْهَان سَعْدى الآنَ أنتجَ قَائلاً ... دَعْ وجنَّةَ المحْبوب فَهى ضرَامُ
هل أنبتَتْ قُبْلُ العَوارضِ مثْلنا ... حتّى أضيفَ لهَا هوًى وغَرَامُ
لكنّها حصَلَ التمَانُعُ عِنْدهَا ... قلتُ اسكُتُوا لا يسْمَعَ النَّمامُ

وقال أيضًا وفيه توجيه النحو :

وشقائقٌ قالَتْ لَنا بَين الربا	إنْ جئتَ نَحْوى سَرَّك الإقْدَامُ
وإن ابتَغَيْت لعَائدى صِلةَ الوَفا	دعْ وجْنَةَ المحْبوب فهىَ ضِرَامُ
هل أنبتَتْ قَبلُ العَوارِضِ مِثْلَنا	حتى أُضيفَ لَهَا هَوًى وغَرَامُ
لَكِنّها قَدْ عُطِّلَتْ مِنْ عَامِلٍ	قَلتُ اسْكتُوا لايسْمَعَ النَّمَّامُ

وقال أيضًا وفيه توجيه النجوم :

وشَقَائقٌ قالتْ لنَا بينَ الربا	ميزَانُ عزِّى لايزَالُ يُقَامُ
والزهْرةُ الغَرّاءُ قالتْ للسُّها	دعْ وجْنَةَ المحْبُوبِ فَهى ضِرامُ
هل أنبتَتْ قُبلُ العَوارِضِ مثْلَنا	نجمًا أضاءَ بنُوره بهرَامُ
أو ما ترَانَا كالثُّريَّا بَهْجَةً	قلتُ اسْكتُوا لايسْمَع النَّمَّامُ

وقال يخاطب الأستاذ الحفنى قد سره :

يا سَيداً عظُمَتْ جَلالَةُ قدْره	ولجاهه انْحَازَتْ جَميعُ النَّاسِ
قدْ أذهَبَ اللهُ الكَريمُ بفَضْلَه	وبلُطْفَه ما حَلَّ بى من بَاسِ
وأزالَ شكْوايَ التّى قَدْ أوهَنتْ	عظْمِى فَلا أشكُو سِوَى الإفْلاسِ

وقال متغزلاً :

يمرُّ عَلَيَّ مَن أهْوى الْ	تفَاتًا منه نحْوى إذ يَمُرّ
فيعْرِضُ حين يلْحَظُنى دَلالا	فيَا عَجَبِى يَمُرّ ولا يمرّ

وكان قد مرض مرضًا أعيا الأطباء ، ورثى له فيه الأعداء ، فضلاً عن الأحباء ، فلما عوفى ، قال :

قد حَصَلَ اللطفُ فى القَضَاءِ وقد	أزالَ ربّى ما كُنْتُ أخْشَاهُ
ولسْتُ أشْكُو لِغَيْرِه أبداً	فأحْمَدُ اللهَ ليس إلاَّ هُو

.وقال أيضـــا :

ربّ بـــالمـــصْطـــفَى رسُولكَ طَه   المـــصْطَفَى مـــن سَائـــر الأدنَاسِ
حـفـنى مـنـك يـا إلـهـى بلـطـف   وأزِلْ مَا يَسُوءنِى مِـــن بَـــاسِ

وقال أيضـــا :

لـــطـــفُ إلَهِى حـــفّنـــى   ممّا دَهَانِى فـــى الـــبَدَنْ
فـــالحـــمْدُ لله الـــذى   أذْهَبَ عـــنّى الحـــزَنْ

وقال أيضـــاً :

لَطَـــفَ اللهُ بِحَالـــى   بـــعـــدَ أنْ أوهَنَ عَظْمِى
فـلَهُ الحـــمْدُ عـــلـــى مَا   زَال مِـــنْ هَمّـــى وغَمّـــى

وقال وهو معنى منقول من الفارسية :

أعيـــذُك أنْ تـــكُونَ لـــدَى الـــبَرَايَا   تُسَمّى سَارقًا يـــاذَا المـــعَانِى
ولـــكِنْ إنْ سَرقْتَ فَلدُرّ مَعْنَى   بِه تـــزدَانُ لادرّ الـــغَوانِى

وقال مؤرخًا وقد كتب على حنفية للوضوء :

يـا نـاظـراً فـى حُسْنْ وضْعِى لـقَدْ   صـرتُ سَبِـيـلاً لـطـريـق الـنَّجَاة
لـــسَان حَالـــى قَائـــلٌ أرخُوا   سَبِـيـلُ مَاءٍ لـلـوُضُو والـصَّلاة

وقال فى غرض عرض :

نَحْنُ قـــومٌ إذا رأيـــنَا مَليـــحًا   جَامعًا فـــى جَمَـــاله كـــلّ بـــهْجَهْ
وأردنَا بـــالاحْتِيَال تَرَاهُ   نجْـــعَلُ الـــشرْبَ لـــلـــتفَرج حُجّهْ

وقال يخاطب الشمس الحفنى فى يوم عيد :

عـــيدٌ بـــكُم يـــزهُو سُرورا   ويَزِيـــدُ إشْراقًا ونُوراَ
فـــأدامكُم ربُّ الـــعُلا   لمـــعَاقِل الإسْلام سُوراَ

ولما زوجنى المرحوم الوالد ، فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف [1] ، كتب إليه مهنئًا ومؤرخًا ، قوله :

يَا مَاجِدًا أقْـــوالُهُ	وفعَالُه طـــابَا بذِكْرِكْ
يـــا كنْزَ طــلابِ المــعَا	رِف جُلّهـــا من دُرِّ بَحْرِكْ
يُهْنيك نجلُك عـابدُ الـرحْمَـ	ـــن زادَ عُلاً بـــفَخْرِك
هـــنّيْتَه مَلّيْتَه	مــتّعْتَه يــا فَرْدُ عَصْرِك
زوجتَـــه بكْرَ المحَــا	سِن فـانثَنى يـتْلُو لـشُكْرِكْ
أبـــقَاهُمَا اللهُ الـــكَرِيـــ	ـــمُ مــنَعّمين بــطُول عُمْرِك
هَذَا هَنــاءُ مُحِبّك الــدّاعــ	ـــى لكُم بـــسُمُوّ قَدْرِك
والحَـــالُ قَـــدْ أرختُـــه	شَمْسُ الـــبَهَا زُفّت لـــبَدْرِك

وفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [2] ، لما اختلف خدّام المشهد النفيسى ، وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبد اللطيف ، فى أمر العنز ، وذلك أنّهم أظهروا عنزا صغيرة مدرة ، زعموا أنّ جماعة من الأسرى ببلاد الإفرنج توسلوا بالسيدة نفيسة ، وأحضروا تلك العنز ، وعزموا على ذبحها فى ليلة يجتمعون فيها يذكرون ويدعون ويتوسلون فى خلاصهم ونجاتهم من الأسر ، فأطلع عليهم الكافر فزجرهم وسبهم ومنَعَهم من ذبح العنز ، وبات تلك الليلة فرأى رؤيا هالته ، فلمّا أصبح أعتقهم وأطلقهم وأعطاهم دراهم ، وصرفهم مكرمين ، ونزلوا فى مركب وحضروا إلى مصر وصحبتهم تلك العنز ، وذهبوا إلى المشهد النفيسى بتلك العنز ، وذكروا فى تلك العنز غير ذلك من اختلاقهم وخورهم ، كقولهم : « أنهم يوم كذا ، أصبحوا فوجدوها عند المقام أو فوق المنارة ، وسمعوها تتكلم ، أو أن السيدة تكلمت ، وأوصت عليها ، وسمع الشيخ المذكور كلامها من داخل القبر ، وأبرزها للناس وأجلسها بجانبه » ، ويقول للناس : « مايقوله من الكذب والخرافات التى يستجلب بها الدنيا ، وتسامع الناس بذلك فأقبل الرجال والنساء من كل فج لزيارة تلك العنز ، وأتوا إليها بالنذور والهدايا ، وعرفهم أنها لاتأكل إلا قلب اللوز والفستق ، وتشرب

---

(١) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩م .

(٢) ١١٧٣ هـ / ٢٥ أغسطس ١٧٥٩ - ١٢ أغسطس ١٧٦٠م .

ماء الورد والسكر المكرر ، ونحو ذلك ، فأتوه بأصناف ذلك بالقناطير ، وعمل النساء للعنز القلائد الذهب والأطواق والحلى ونحو ذلك ، وافتتنوا بها ، وشاع خبرها فى بيوت الأمراء وأكابر النساء ، وأرسلن على قدر مقامهن من النذور والهدايا ، وذهبن لزيارتها ومشاهدتها ، وازدحمن عليها ، فأرسل عبد الرحمن كتخدا إلى الشيخ عبد اللطيف المذكور ، والتمس منه حضورَه إليه بتلك العنز ليتبرك بها هو وحريمه ، فركب المذكور بغلته وتلك العنز فى حجره ، ومعه طبول وزمور وبيارق ومشايخ وحوله الجم الغفير من الناس ، ودخل بها بيت الأمير المذكور على تلك الصورة ، وصعد بها إلى مجلسه ، وعنده الكثير من الأمراء والأعيان فزارها وتلمس بها ، ثم أمر بإدخالها إلى الحريم ليتبركن بها ، وقد كان أوصى الكلارجى قبل حضوره بذبحها وطبخها ، فلما أخذوها ليذهبوا بها جهة الحريم ، أدخلوها إلى المطبخ وذبحوها وطبخها قيِّمه ، وحضر الغذاء وتلك العنز فى ضمنه فوضعوها بين أيديهم ، وأَكَلُوا منها ، والشيخ عبد اللطيف كذلك صار يأكل منها ، والكتخدا يقول : « كل ياشيخ عبد اللطيف من هذا الرميس السمين » ، فيأكل منها ، ويقول : « والله إنَّه طيب ومستو ونفيس » ، وهو لايعلم أنَّه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون ، فلما فرغوا من الأكل وشربوا القهوة ، وطلب الشيخ العنز ، فعرفه الأمير أنَّها هى التى كانت بين يديه فى الصحن وأكلها ، فبهت ، فبكَّته الأمير ووبخه وأمره بالانصراف ، وأنْ يوضع جلد العنز على عمامته ، ويذهب به كما جاء بجمعيته وبين يديه الطبول والأشاير ، ووكل به من أوصله محله على تلك الصورة ، فقال فى ذلك المترجم :

بِبِنْتِ رسُولِ اللهِ طـيـبـةِ الـثَّنـا ... نَفيَسـةَ لُذ تـظْفَرْ بمـا شِئـتَ مِن عِزِّ
ورُمْ مِن جِداهُا كـلَّ خَيْرٍ فـإنـهَا ... لِطُلابِهَا يـا صَاحِ أنـفـعُ مِن كـنْزِ
ومِنْ أعجَبِ الأشيَـاءِ تَيسٌ أرادَ أنْ ... يُضِلَّ الـورَى فـى حُبـهـا منْه بالـعَنْزِ
فَعَاجَلَهـا مَن نَوَّرَ اللهُ قـلبَهُ ... بِذَبْحِ واضْحَى التَّيسُ مِن أجْلِها مَخزِى

ورأيت كثيراً من قصائده فى طيارات وأوراق لم تدون ، وسمعت كذلك من إنشاداته لنفسه ولغيره ، لو كنت تيقظت لجمع ذلك لكان ديوانًا كبيراً ، ولكن كان ما كان ، فما عَلِقَ بالبال مما أنشده لغيره وفيه تورية :

هيّا السبلاّن موسَى خُلْوةٌ تُحيى النُّفوسَا
قيلَ مَا تَعمَل فيها قُلتُ أستَعمِل موسَى

ولـه :

إذا المرءُ لمْ ينفَعْكَ والدهرُ مُقْبلٌ عليْه ولمْ تَخطرْ عَليه ببَالِ
فَصَورْهُ فى وسَطِ الكَنيفِ بفَحْمَةٍ وشَرْشِرْ عَلَيه عِنْد كُل مَبَالِ

وقد خمسهما ما بين المصراعين فقال :

(إذا المرءُ لمْ ينفَعكَ والدهرُ مُقْبلٌ) عَليه بما قَدْ كَانَ يرْجُو ويأمُلُ
وأضْحَى بِثَوبِ التيْهِ والكِبْرِ يَرْفُلُ وصَارَ يَرَى مِنْك المودّة تَثْقُلُ
(عليهِ ولَم تخطُرْ عليه ببَالِ)

(فَصَوّرهُ فى وسَط الكَنيف بفَحْمةٍ) وكُن حالة التصْوير فى وقت ظُلْمَة
ومُرْ كُلّ مبْطُونٍ وصَاحِبِ تُخْمَةٍ علـى رَأسِه يَخْرَىَ بِعَزْمٍ وهِمَّةٍ
(وشَرْشِرْ عليه عند كُلّ مَبَالِ)

ومما أنشده لنفسه وفيه اقتباس :

يا صِبَاحَ الوَجْهِ يا بِيضَ الثَّنا راقبُوا الرحْمَنَ فى أمُورِكُم
وإذا أظْلَمَ دَهْرٌ جَائرٌ انْظُرونَا نقْتَبَسْ مِنْ نُورِكُمْ

ولم يزل المترجم حتى تعلل بالأمراض والأسقام ، واضمحل منه الجسم والقوى بالآلام ، حتى وافاه الحِمام ، فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى من السنة [١] ، رحمه الله ، وابنه العلامة السيد أحمد المعروف بكتيكت ، مفتى الشافعية بثغر سكندرية ، والسيد هلال الكتبى ، توفيا بعده بسنين ، والشيخ صالح الصحاف موجود مع الأحياء ، أعانه الله على وقته .

ومات : الإمام الفصيح البارع الفقيه ، الشيخ جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن

(١) ٥ جمادى الأولى ١١٨٤ هـ / ٢٧ اغسطس ١٧٧٠م .

محمد بن رسول ، الحسينى البرزنجى المدنى ، مفتى الشافعية بها ، ولد بالمدينة ، وأخذ عن والده والشيخ محمد حيوة السندى ، وأجازه السيد مصطفى البكرى ، وكان يقرأ دروس الفقه داخل باب السلام ، وكان عجيبًا فى حسن الإلقاء والتقرير ، ومعرفة فروع المذهب تولى الإفتاء والخطابة مدة تزيد على عشرين سنة ، وكان قوالاً بالحق أماراً بالمعروف ، واجتمع به الشيخ سليمان بن يحيى شيخ المشايخ ، وذكره فى رحلته ، وأثنى عليه ، وله مؤلفات منها البر العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل ، والفيض اللطيف بإجابة نائب الشرع الشريف ، وفتح الرحمن على أجوبة السيد رمضان ، توفى فى شهور هذه السنة [1] ، قيل مسمومًا ، والله أعلم .

ومات : الولى العارف ، أحد المجاذيب الصادقين ، الأستاذ الشيخ أحمد بن حسن النشرتى ، الشهير بالعريان ، كان من أرباب الأحوال والكرامات ، ولد فى أوائل القرن [2] ، وكان أول أمره الصحو ، ثم غلب عليه السكر ، فأدركه المحو ، وكان له فى بدايته أمور غريبة ، وكان كل من دخل عليه زائراً يضربه بالجريد ، وكان ملازمًا للحج فى كل سنة ، ويذهب إلى موالد سيدى أحمد البدوى المعتادة ، وكان أميًا لايقرأ ولا يكتب ، وإذا قرأ قارىء بين يديه وغلط ، يقول له : « قف فإنك غلطت » ، وكان رجلاً جلاليًا يلبس الثياب الخشنة ، وهى جبة صوف ، وعمامة صوف حمراء ، يعتم بها على لبدة من صوف ، ويركب بغلة سريعة العدو ، وملبسه دائما على هذه الصفة شتاء وصيفًا ، وكان شهير الذكر ، يعتقده الخاصة والعامة ، وتأتى الأمراء والأعيان لزيارته والتبرك به ، ويأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء المجتمعين عليه ، وأنشأ مس-ده تجاه الزاهد جوار داره وبنى بجواره صهريجًا ، وعمل لنفسه مدفنًا ، وكذلك لأهـ وأقاربه وأتباعه ، واتحد به شيخنا السيد أحمد العروسى ، واختص به اختصاصًا زائداً ، فكان لايفارقه سفراً ولا حضراً وزوجه إحدى بناته ، وهى أم أولاده ، وبشره بمشيخة الجامع الأزهر والرئاسة ، فعادت عليه بركته ، وتحققت بشارته ، وكان مشهوراً بالاستشراف على الخواطر ، توفى رحمه الله فى منتصف ربيع الأول [3] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بقبره الذى أعده لنفسه فى مسجده ، نفعنا الله به ، وبعباده الصالحين .

---

(١) ١١٨٤ هـ / ٢٧ ابريل ١٧٧٠ - ١٥ ابريل ١٧٧١م . (٢) ١ محرم ١١٠١ هـ / ١٥ أكتوبر ١٦٨٩م .
(٣) ١٥ ربيع الأول ١١٨٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٧٠م .

ومات : الفقيه الصالح ، الشيخ عليّ بن أحمد بن عبد اللطيف ، البشبيشى الشافعى ، روى عن أبيه عن البابلى ، توفى فى غاية ربيع الثانى من السنة (١) .

ومات : الشيخ المبجل ، الصالح المفضل ، الدرويش ، الشيخ أحمد المولوى شيخ المولوية بتكية المظفر ، وكان إنسانًا حسنًا لابأس به ، مقبلاً على شأنه ، منجمعًا عن خلطة كثير من الناس إلا بحسب الدواعى ، توفى فى سابع عشرين ربيع الآخر من السنة (٢) ، ولم يخلّف بعده مثله .

ومات : المقدام الخير الكريم ، صاحب الهمة العالية ، والمروءة التامة ، شمس الدين حمودة شيخ ناحية برمة (٣) بالمنوفية ، أخذ عن الشيخ الحفنى ، وكان كثير الاعتقاد فيه ، والإكرام له ولأتباعه ، وله حب فى أهل الخير واعتقاد فى أهل الصلاح ، ويكرم الوافدين والضيفان ، وكان جميل الصورة طويلاً مهيبًا ، حسن الملبس والمركب ، توفى يوم الخميس حادى عشر رجب من السنة (٤) ، وخلف أولاداً منهم محمد الحفنى الذى سماه على اسم الشيخ لمحبته فيه ، وأحمد وشمس الدين .

ومات : لسلف ، ونتيجة الخلف ، الشيخ أحمد سبط الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وشيخ السجادة ، كان إنسانًا حسنًا وقوراً سالكًا منهج الاحتشام والكمال ، منجمعًا عن خلطة الناس إلا بقدر الحاجة ، توفى يوم السبت ثامن صفر من السنة (٥) وخلف ولده سيدى عبد الرحمن مراهقًا ، تولى بعده على السجادة ، مع مشاركة قريبه الشيخ أحمد الذى تزوّج بوالدته .

ومات : الإمام العلامة الفقيه ، الصالح الناسك ، صائم الدهر الشيخ محمد الشوبرى ، الحنفى ، تفقه على الشيخ الإسقاطى ، والشيخ سعودى ، وبعد وفاة المذكورين ، لازم الشيخ الوالد ، وتلقى عنه كثيراً ، وكان إنسانًا حسنًا وجيهًا لايتداخل فيما لا يعنيه ، مقبلاً على شأنه ، صائم الدهر ، ملازمًا لداره بعد حضور درسه ، وكان بيته بقنطرة الأمير حسين ، مطلاً على الخليج .

---

(١) غاية ربيع الثانى ١١٨٤ هـ / ٢٢ أغسطس ١٧٧٠م .

(٢) ٢٧ ربيع الثانى ١١٨٤ هـ / ٢٠ أغسطس ١٧٧٠م .

(٣) برمة : قرية قديمة ، وردت بهذا الرسم فى معجم البلدان ، وتكتب اليوم «برما» اسمها المصرى القديم (Perma) ، واسمها القبطى (Baramai) وهى إحد ى قرى مركز طنطا ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٤) ١١ رجب ١١٨٤ هـ / ٣١ أكتوبر ١٧٧٠م . .

(٥) ٨ صفر ١١٨٤ هـ / ٣ يونية ١٧٧٠م .

سنة خمس وثمانين ومائة وألف [1]

فيها [2] : أخرج عليّ بيك تجريدة عظيمة ، وسر عسكرها وأميرها ، محمد بيك أبو الذهب ، وأيوب بيك ، ورضوان بيك ، وغيرهم كشاف ، وأرباب مناصب ، ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من : المغاربة ، والترك ، والهنود ، واليمانية ، والمتاولة ، وخرجوا فى تجمل زائد ، واستعداد عظيم ومهيأ كبير ، ومعهم الطبول ، والزمور ، والذخائر ، والأحمال ، والخيام ، والمطابخ ، والكرارات ، والمدافع، والجبخانات ، ومدافع الزنبلك على الجمال ، وأجناس العالم ألوفًا مؤلفة ، وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال ، وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط فى البحر ، فلما وصلوا إلى الديار الشامية ، فحاصروا يافا ، وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة، ثم توجهوا إلى باقى المدن والقرى، وحاربهم النواب والولاة، وهزموهم وقتلوهم ، وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية إلى حد حلب ، ووردت البشائر بذلك ، فنودى بالزينة ، فزينت مصر ، وبولاق ، ومصر العتيقة ، زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها ، وتفاخروا فى ذلك إلى الغاية ، وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق ، وسائر الجهات وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولاً وشنكا وحراقات ، وغير ذلك ، وذلك فى شهر ربيع أوّل من السنة [3] ، وتعاظم عليّ بيك فى نفسه ، ولم يكتف بذلك ، فأرسل إلى محمد بيك ، يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها ، وملكوها ، وأن يستمر فى سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك إلى حيث شاء ، وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به ، فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة ، وعرض عليهم الأوامر فضاقت نفوسهم ، وسئموا الحرب والقتال والغربة ، وذلك مافى نفس محمد بيك أيضًا ، ثم قال لهم : « ماتقولون ؟ » قالوا : « وما الذى نقوله ، والرأى لك فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك وإشارتك ، ولانخالفك فيما تأمر به » ، فقال : « ربما يكون رأيى مخالفًا لأمر أستاذنا » قالوا : « ولو مخالفًا لأمره ، فنحن جميعًا لانخرج عن أمرك وإشارتك » ، فقال : « لاأقول لكم شيئًا حتى نتحالف جميعًا ونتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » ، ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا

---

(1) ١١٨٥ هـ / ١٦ ابريل ١٧٧١ - ٣ ابريل ١٧٧٢م .

(2) ١١٨٥ هـ / ١٦ ابريل ١٧٧١ - ٣ ابريل ١٧٧٢م .

(3) ربيع الأول ١١٨٥ هـ / ١٤ يونيه - ١٣ يوليه ١٧٧١م .

وحلفوا على السيف والكتاب ، ثم إنه قال لهم : « إن أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم فى الغربة والحرب والأسفار ، والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنا من شيء ، فتح علينا غيره ، فرأيى أنْ نكون على قلب رجل واحد ،ونرجع إلى مصر ولانذهب إلى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وإن كان يريد غير ذلك من المماليك ، يولى أمراء غيرنا ويرسلهم إلى مايريد ، ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا ، وعند عيالنا» ، فقالوا جميعًا : « ونحن على رأيك » ، وأصبحوا راحلين ، وطالبين إلى مصر ، فحضروا فى أواخر شهر رجب [1] على خلاف مراد مخدومهم ، وبقى الأمر على السكوت ، ثم إنَّ عليّ بيك قلد أيوب بيك إمارة جرجا ، وقضى أشغاله ، وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه ، وانقضى شهر شعبان ورمضان [2] ، وعليّ بيك مصمم على رجوع محمد بيك إلى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية ، فلما كان ليلة رابع شهر شوال [3] بيت عليّ بيك مع عليّ بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غدر محمد بيك ، فركبوا عليه ليلاً ، وأحاطوا بداره ، ووقفت العساكر بالأسلحة فى الطرق ، فركب فى خاصته ، وخرج من بينهم ، وذهب إلى ناحية البساتين ، وارتحل إلى الصعيد ، فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعليّ كاشف تابع سليمان أفندى كاشف شرق أولاد يحيى ، وقدموا له مامعهم من الخيام والمال ، والاحتياجات ، ولم يزل فى سيره حتى وصل إلى جرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك وخشداشه ، وأظهر له المصافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخيولاً وخيامًا ، فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق ، رجلاً ومعه مكاتبة من عليّ بيك خطابًا لأيوب بيك ، يأمره ويستحثه على عمل الحيلة ، وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ، ويعده إمارته وبلاده وغير ذلك ، فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها ، أكرم الرجل ، وقال له : « تذهب إليه بالكتاب وائتنى بجوابه ، ولك مزيد الإكرام » ، فذهب ذلك الساعى ، وأوصل الكتاب إلى أيوب بيك ، وطلب منه ردّ الجواب ، وأعطاه الجواب ، وذكر فيه أنه مجتهد فى تتميم الغرض ، ومترقب حصول الفرصة ، فحضر به إلى محمد بيك ، فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق خيانته ونفاقه ، فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب ، وأنَّه إذا حضر إليه أيوب بيك ، أخذ أرباب المناصب نظرائهم ، وتحفظوا عليهم ، فلما حضر فى صبحها أيوب بيك جلس معه فى

(١) آخر رجب ١١٨٥ هـ / ٨ نوفمبر ١٧٧١م .

(٢) شعبان ورمضان ١١٨٥ هـ / ٩ نوفمبر ١٧٧١ - ٨ يناير ١٧٧٢م .

(٣) ٤ شوال ١١٨٥ هـ / ١٠ يناير ١٧٧٢م .

خلوة ، وأخذ كل من الخازندار ، والكتخـذا ، والجوخدار ، والسلحدار ، نظراءهم من جماعة محمد بيك ، ثم قال محمـد بيك يخاطب أيوب بيك : « ياهل ترى نحن مستمـرون على الأخـوة والمصافـاة والصـداقة ، والعهـد واليمين الذى تعاقدنـا عليه بالـشام » ، قال : « نـعم وزيـادة »، قال : « ومن نـكث ذلك ، وخـان اليـمين ، ونقض الـعهد » ، قال : « يقـطع لسانه الـذى حلف به ، ويـده التى وضعهـا على المصحف » ، فعند ذلك ، قال له : « بلغنـى أنه أتاك كتاب من أستاذنا عليّ بيك » ، فجحد ذلـك ، قال : « لعل ذلك صحـيح وكتبت له الجـواب أيضًا » ، قال : « لم يكن ذلك أبدًا ، ولو أتانـى منه جواب لأطلعتك عليه ، ولايصـح أنى أكتمه عنك أو أرد له جوابًا » ، فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، وأحضر إليه ذلك الرسول ، فسقط فى يده ، وأخذ يـتنصل ببارد العذر ، فعند ذلك ، قال لـه : « حينئذ لاتصح مرافقـتك معـى ، وقم فاذهب إلـى سيدك » ، وأمر بـالقبض عـليه ، وأنزلـوه إلى المركب ، وأحـاط بوطاقه وأسبابه ، وتفرقـت عنه جموعه ، فلمـا صار وحيداً فى قبضته ، أحـضر عبد الرحمن أغا ، وكان إذ ذاك بـناحية قبلى ، وانضـم إلى محمد بيك ، فقال له : « اذهب إلـى أيوب بيك ، واقطع يده ولسانه كما حـكم على نفسه بذلك » ، فأخذ معه المشاعلى ، وحضر إليه فى الـسفينة ، وقطعوا يمينه ، ثم شبكوا فـى لسـانه سنارة وجذبوه ليقـطعوه فتخلص منهـم ، وألقى بنفسه إلى الـبحر فغرق ومات ، وكان قصـد محمد بيك أن يفعـل به ذلك ، ويرسله على هـذه الصورة إلى سيده بمصر ، ثـم إنَّهم أخرجوه وغسلوه وكفنـوه ودفنـوه ، فعندما وقـع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محـمد بيك ، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا منجمعين علـى الحضور إليه ، ويظنون خلاف ذلك ، وحضر إليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهـوارة الذين شردهم عليّ بيك ، وسلب نعمتهم فأنعم عـليهم وأكرمهم وتلـقاهم بالبشاشـة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهـم وقلدهم الخدم ، والمنـاصب ، وهم أيـضًا تقيـدوا بخدمـته ، وبذلـوا جهدهـم فى طاعـته ، ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر ، وحضر إليه كـثير من مماليك أيوب بيك وأتباعه ، سوى من انضم مـنهم ، والتجأ إلى محمد بـيك وأتباعه ، فعند ذلك نزل بـعلى بيك من القهر والغيظ المـكظوم مالا يوصف ، وشرع فى تشهيل تجريدة عـظيمة ، وأميرها وسر عسـكرها إسماعـيل بيك ، واحـتفل بها احـتفالاً كثيـراً ، وأمر بجمـع أصناف العساكر ، واجـتهد فى تنجيز أمـرها فى أسرع وقت ، وسافروا براً وبـحراً فى أواخر ذى القعدة [1] ، فلمـا التقى الجـمعان خامر إسـماعيل بيـك، وانضم بمن مـعه من

---

(١) آخر ذى القعدة ١١٨٥ هـ / ٥ مارس ١٧٧٢م .

الجموع إلى محمد بيك ، وصاروا حزباً واحداً ، ورجع الذين لم يميلوا ، وهم القليل إلى مصر ، فعند ذلك اشتد الأمر بعليّ بيك ، ولاحت على دولته لوائح الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر ، وقلد سبع صناجق ، والكل مزلقون [1] وسماهم أهل مصر السبع بنات ، وهم : مصطفى بيك ، وحسن بيك ، ومراد بيك، وحمزة بيك ، ويحيى بيك ، وخليل كوسة ، ومصطفى بيك أوده باشة ، وعمل له يرقا وداقما ، ولوازم وطبلخانات فى يومين ، وضم إليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعًا ، وبرز بنفسه إلى جهة البساتين ، وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى ، وأميرها عليّ بيك الطنطاوى ، وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس من البحر إلى جهة الجبل ، وانقضت السنة [2] .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر

مات : الإمام الفقيه ، الصالح الخير ، الشيخ على بن صالح بن موسى بن أحمد بن عمارة ، الشاورى المالكى ، مفتى فرشوط ، قرأ بالأزهر العلوم ، ولازم العلامة الشيخ عليّ العدوى ، وتفقه عليه وسمع الحديث من الشيخ أحمد بن مصطفى السكندرى ، وغيره ، ورجع إلى فرشوط فولى إفتاء المالكية بها ، فسار فيها سيرا مقتصداً ، ولما ورد عليه الشيخ ابن الطيب راجعًا من الروم ، تلقى عنه شيئًا من الكتب ، وأجازه ، وكان لشيخ العرب همام بن يوسف فى حقه عناية شديدة وصحبة أكيدة ، وكانت شفاعات العلماء مقبولة عنده بعناية ، ولذلك راج أمره ، واشتهر ذكره ، وطار صيته ، وكان حسن المذاكرة والمحاورة ، محتشمًا فى نفسه ، مجملاً فى ملابسه ، وجيهًا معتبراً فى الأعين ، وألف شيخنا السيد محمد مرتضى ، باسمه : « نشق الغوالى من المرويات العوالى » ، وذلك أيام رحلته إلى فرشوط ، ونزوله عنده ، ورفع من شأنه عند شيخ العرب وأكرمه إكرامًا كثيراً ، ولما تغيرت أحوال الصعيد ، قدم إلى مصر مع ابن مخدومه ، ومازال بها حتى توجه إلى طندتا ، وكان يعتريه حصر البول ، فيجلس أيامًا ، وهو ملازم للفراش فزار وعاد ، توفى يوم دخوله إلى بولاق نهار الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة [3] ، وكان يومًا مطيراً ، ذا رعد وبرق ، فوصل خبره إلى الجامع الأزهر ، فخرج إليه الشيخ عليّ الصعيدى ، وكثير من العلماء ، وتخلف من تخلف لذلك العذر ، فجهزوه هناك ، وكفنوه وأتوا

---

(١) كتب أمامها بهامش ص ٣٦٦ « طبعة بولاق » قوله : «مزلقون بالقاف من التزليق أى متزينون متنعمون أ هـ» .

(٢) ١١٨٥ هـ / ١٦ أبريل ١٧٧١ - ٣أبريل ١٧٧٢م .

(٣) ١٣ شعبان ١١٨٥ هـ / ٢١ نوفمبر ١٧٧١م .

به إلى الأزهر ، وأراد الشيخ الصعيدى دفنه فى مـدفن عبد الرحمن كتخدا ، لصعوبة الذهاب به إلى الـقرافة ، ثم دفنوه بالمجاورين بـجانب تربة الشيخ الصـعيدى ، التى دفن فيها .

ومات : الفقيـه الفاضل العلامة ، الشيخ عـليّ بن عبد الرحمن بن سـليمان بن عيسى بن سليمان الخطيب ، الجديمى الـعدوى المالكى الأزهرى ، الشهير بالخرائطى ، ولد أول القـرن ، وقدم الجامع الأزهر فـحضر دروس جمـاعة من فضلاء الـعصر ، ولازم بلديه الشيخ على الصعيدى ، مـلازمة كلية ، ودرس بالأزهر ، ونفع الطلبة ، وكان إنسـانًا حسنًا منوّر الشـيبة ، ذا خلق حسـن وتودّد وبشاشة ، ومروءة كـاملة ، وكان له ميل تـام فى علم الحديث ، ويتأسـف على فوات اشتغاله بـه ، ويحب كلام السلف ، ويتأمل فـى معانيه مع سلامة الاعتقاد ، وكثـرة الإخلاص ، توفى عشية ، يوم الأربعاء ثانى المحرم افتتاح سنة خمس وثمانين ومائة وألف [1] .

ومات : الإمام العـلامة ، الفاضل المحقق الـدرّاك ، المتفنن ، الشيخ مـحمد بن إسماعيل بن محـمد بن إسماعيل بن خضر ، النفراوى المـالكى ، كان والده من أهل العلم والصلاح ، والزهد عن جانب عظيم ، وعـمر كثيراً حتى جاوز المائة ، وانحنى ظهره ، وتوفـى سنة ثمان وسبعـين ومائة وألف [2] ، تربى المـترجم فى حجـر أبيه ، وحفـظ القرآن والمتـون ، وحضر دروس الشـيخ سالـم النفراوى ، والـشيخ خلـيل المالكى ، وغيرهما ، وتفقه وحضر المعـقول على كثير من الفضلاء ، ومهر وأنجب ، ودرس وكان جيد الحـافظة ، قوى الفهم والغـوص على عويصات المسـائل ، ودقائق العلوم ، مستحضراً للمسائل الفقهية والـعقلية ، ولما بلغ المنتهى فى العلوم المشهورة ، تاقت نفسه لـلعلوم الحكمية والرياضـية ، فأحضره والده للشيخ الـوالد ، سنة إحدى وسبعين ومائـة وألف [3] ، والتمس منه مطالعته عـليه ، فأجابـه إلى ذلك ، ورحب به ، وكان عـمره إذ ذاك نيفًا وعشريـن سنة ، ولما رأى مافـيه من الذكاء والنـجابة ، والقوة الاستعدادية ، والجـد فى الطلب اغتبط به كثيراً ، وصرف إلـيه همته ، وأقبل عليـه بـكليته ، وأعطاه مفتـاح خزانة بالمنزل يضـع فيها كتبه ومتاعـه ، واشترى له حماراً ، ورتب له مصروفًا وكسوة ، ولازمه ليـلاً ونهاراً ، ذهابًا وإيابًا ، حتى اشتهر بنسبته إلـيه ، فكان يرسله فى مهماتـه وأسـراره إلى أكابر مصر وأعيانـها ، مثل عليّ

---

(1) ٢ محرم ١١٨٥ هـ / ١٧ أبريل ١٧٧١م .

(2) ١١٧٨ هـ / ١ يوليه ١٧٦٤ - ١٩ يونيه ١٧٦٥م .

(3) ١١٧١ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨م .

بيك ، وعبد الرحمن كتخدا ، وغيرهما ، فيحسن الخطاب والجواب مع الحشمة ، وحسن المخاطبة مع معرفتهم بفضله وعلمه ، وكانوا يكرمونه ومدحهم بقصائد ، لم أعثر على شيء منها للإهمال وطول العهد ، فكان لايذهب إلى داره إلا فى النادر ، بعد حصة من الليل ، ويرجع فى الفجر ، وينزل إلى الجامع بعد طلوع النهار ، فيقرأ درسين ، ثم يعود فى الضحوة الكبرى ، فيقيم إلى بعد العصر ، فيذهب إلى الجامع ، فيقرأ درسًا فى المعقول ، ثم يعود ، وهكذا كان دأبه إلى أن مات ، وتلقى عنه : فن الميقات ، والهيئة ، والهندسة ، وهداية الحكمة ، وشرحها لقاضى زاده ، والجغمينى ، والمبادىء والغايات ، والمقاصد ، فى أقل زمن مع التحقيق والتدقيق ، وحضر عليه المطول ، والمواقف والزيلعى فى الفقه ، برواق الْجَبَرت بالأزهر ، وغير ذلك ، كل ذلك بقراءته ، وعانى علم الأوفاق ، وتلقاه عن الشيخ المرحوم حتى أدرك أسراره ، وأقبلت عليه روحانيته ، وأجازه : الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، والعفيفى ، وغيرهم ، ولما نُفِيَ عليّ بيك إلى النوسات أرسل إلى الشيخ ، فطلب منه أشياء يرسلها إليه مع المترجم ، فأرسله إليه ، وأقام عنده أيامًا ، ورجع من غير أن يعلم أحد بذهابه ورجوعه ، وكان يكتب الخط الجيد ، وجَوّده على الشيخ أحمد حجاج المعروف بأبى العز ، وكتب بخطه كثيراً ، وألف : « حاشية على شرح العصام على السمرقندية » ، و « أجوبة عن الأسئلة الخمسة » ، التى أوردها الشيخ أحمد الدمنهورى على علماء العصر ، وأعطاها إلى عليّ بيك ، وقال له : « أعطها للعلماء الذين يترددون عليك يجيبونى عنها إن كانوا يزعمون أنَّهم علماء » ، فأعطاها على بيك للشيخ الوالد ، وأخبره بمقالة الشيخ الدمنهورى ، فقال له : « هذه وإن كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراويّ » ، والخمسة الأسئلة المذكورة ، الأولى : فى إبطال الجزء الذى لايتجزأ ، الثانى : فى قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق مامعناه ، الثالث : فى قول أبى منصور الماتريدى ، معرفة الله واجبة بالعقل ، مع أنَّ المجهول من كل وجه يستحيل طلبه ، الرابع : فى قول البر جلى إنَّ من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام ، الخامس : فى الاستثناء فى الكلمة المشرفة ، هل هو متصل أو منفصل ، فأجاب عنها بأجوبة منطوية على مطارح الإنظار دلت على رسوخه وسعة اطلاعه وغوصه ، ومعرفته بدقائق كلام أذكياء الحكماء والمتكلمين ، وفضلاء الأشعرية والماتريدية ، وعانى الرسم فرسم عدة بسائط ومنحرفات ، وحسب كثيراً من الأصول والدساتير ، وتصدى لتعليم الطلبة الذين كانوا يردون من الآفاق لطلب العلوم الغريبة ، وكتب شرحًا على متن نور

الإيضاح فى الفقه الحنفى ، باسم الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وله رسالة سماها «الطراز المذهب» ، وهى عبارة عن جواب على سؤال ورد من ثغر سكندرية نظمًا ، وكان له سليقة جيدة فى النثر والنظم ، ولما ورد إلى مصر محمد أفندى سعيد قاضيًا فى سنة إحدى وثمانين ومائةوألف [1] ، امتدحه بقصيدة بليغة ، لم أعثر عليها ، ومن نظمه وكتب على باب ضريح السيدة نفيسة بالذهب على الرخام :

عَرْشُ الحقَائِق مَهْبِطُ الأسْرَارِ   قَبرُ النَّفيسَةِ بنت ذِى الأنْوارِ
حَسَن بنِ زَيد ابنِ الإمَا   م عَلِي ابن عَمّ المصْطفَى المخْتارِ [2]

وذلك حين جدد بناءه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، ومنه ما كتب على باب القبة :

عَبدُ رحْمَن لعَفْو قد تَرجَّى   قدْ بنَاهَا رَوضَةً للزّائرِين
فلذَا أرختُها يا رائديهَا   ادخلُوهَا بسَلامٍ آمِنِين

وله غير ذلك كثير ، لم يحضرنى منه إلا هذان البيتان ، لكونى حفظتهما وأنا صغير أيام العمارة المذكورة ، وكان به حدة طبيعة ، وهى التى كانت سببًا لموته ، وهو أنه حصل بينه وبين الشيخ سليمان البجيرمى منافسة ، فشكاه إلى الشيخ الدمنهورى ، وهو إذ ذاك شيخ الجامع ، فأرسل إليه فلما حضر عنده فى مجلسه بالأزهر فتحامل عليه ، فقام من عنده ، وقد أثر فيه القهر ، ومرض أيامًا ، وتوفى فى شهر جمادى الثانية من السنة [3] واغتم عليه الشيخ المرحومى غمًا شديداً ، وتأثر لفراقه ، وحزن لموته وتوعك أيامًا بسبب ذلك .

ومن مآثره : هذه الصيغة اللهم صل على مظهر الجمال ، ومنبع الكمال ، مهبط الوحى ، ومصدر الأمر والنهى ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وتذكرت له هذين البيتين أيضًا .

بالعِزّ سيرُوا وبالسّلاَمَة   فالسَّعدُ أضْحَى لكُم عَلاَمه
واللطفُ حِصْن مع الكَرَامَة   لكُم دوامًا إلى القِيَامَه

(١) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨م .

(٢) كتب أمام هذا البيت . بهامش ص ٤٦٩ ، طبعة بولاق «قوله : ابن الحسن إلخ ، يقرأ بسكون النون من الحسن ، وبقطع الهمزة من ابن الإمام ، وبتخفيف الياء من على للضرورة أ هـ مصحح» .

(٣) جمادى الثانية ١١٨٥ هـ / ١١ سبتمبر - ٩ أكتوبر ١٧٧١م .

ومات : الإمام الفقيه العلامة ، المفتى ، الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله الشرقاوى ، الشافعى ، تفقه على علماء عصره ، وحضر دروس الأشياخ المتقدمين : كالمولى ، والحفنى ، والبراوى ، والشيخ أحمد رزه ، والشيخ عطية الأجهورى ، وأنجب فى الأصول والفروع الفقهية ، وتصدر ودرس ، وانقطع للإفادة والإفتاء والقضاء بين المتخاصمين من أهل القرى ، وأكثرهم من أهل بلاده ، وكان لايُفارق محل درسه بالأزهر من الشروق إلى الغروب ، وانفرد بالإفتاء مدة طويلة على مذهبه ، وقلما يرى فتوى وليس عليها جوابه ، ولم يزل هذا دأبه ، حتى تعلل أيامًا ، وتوفى ثالث ربيع الثانى من السنة [1] .

ومات : أحد أذكياء العصر ، ونجباء الدهر ، من جمع متفرقات الفضائل ، وحاز أنواع الفواضل ، الصالح الرحلة ، الشيخ عليّ بن محمد الجزائرلى ، المعروف بابن الترجمان ، ولد بالجزائر ، سنة ثلاثين ومائة وألف [2] ، وكان ينتمى إلى الشرف ، وزاحم العلماء بمناكبه فى تحصيل أنواع العلوم ، وأجازه الشيخ سيدى محمد المنور التلمسانى ، رحمه الله ، ودخل الروم مراراً وحظى بأرباب الدولة ، وأتى إلى مصر ، وابتنى بها داراً حسنة قرب الأزهر ، وكان يخبر عن نفسه ، أنه لايستغنى عن الجماع فى كل يوم ، فلذلك ماكان يخلو عن امرأة أو اثنتين حتى فى أسفاره ، ولما ورد الأمير أحمد اغا أمينًا على دار الضرب بمصر المحروسة ، الذى صار فيما بعد باشا ، كان مختصًا بصحبته لايفارقه ليلاً ولا نهاراً ، وله عليه إغداقات جميلة ، وهو حسن العشرة ، يعرف فى لسانهم قليلاً ، وبآخرة توجه إلى دار السلطنة ، وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى الجهاد ، كتب هذا عرضحالاً إلى السلطان مصطفى ، صورته : « إنَّ من قرأ استغاثة أبى مدين الغوث فى صف الجهاد ، حصلت النصرة » ، وقدمه إلى السلطان فاستحسن أنْ يكون صاحب هذا العرض ، هو الذى يتوجه بنفسه ، ويقرأ هذه الاستغاثة تبركًا . ففجأه الأمر من حيث لايحتسب ، وأخذ فى الحال ، وكتب مع المجاهدين ، وتوجه رغمًا عن أنفه ، ووصل إلى معسكر المسلمين ، وصار يقرأ ، فقدر الله الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمراء العسكر ، فأسر مع من أسر ، وذهب به إلى بلاد موسقو ، وبقى أسيراً مدة ، ولم يغثه أحد بخلاصه منهم لاشتغال الناس بما هو أهم ، حتى توفى هناك شهيداً غريبًا فى هذه السنة [3] ، رحمه الله .

---

(١) ٣ ربيع الثانى ١١٨٥ هـ / ١٦ يوليه ١٧٧١م .
(٢) ١١٣٠ هـ / ٥ ديسمبر ١٧١٧ - ٢٣ نوفمبر ١٧١٨م .
(٣) ١١٨٥ هـ / ١٦ ابريل ١٧٧١ - ٣ ابريل ١٧٧٢م .

ومات : الشيخ الصالح ، العلامة ، على الفيومى المالكى ، شيخ رواق أهل بلاده ، حضر دروس الشيخ إبراهيم الفيومى ، وشيخنا الشيخ على الصعيدى ، ودرس برواقهم ، وكان سريع الإدراك متين الفهم ، له فى علم الكلام باع طويل ، وتزوج ابنة الشيخ أحمد الحماقى الحنفى ، وتوفى ثانى شهر رمضان من السنة [1] . ودفن بالمجاورين .

ومات : الشيخ الفاضل الصالح ، على الشيبينى الشافعى ، نزيل جرجا ، قرأ على جماعة من مشايخ عصره ، وتكمل فى العربية والفقه ، وتوجه إلى الصعيد فخالط أولاد تمام من الهوارة فى بيج القرمون [2] ، فأحبوه وسكن عندهم مدة ، ثم سكن جرجا ، وكان يتردد أحيانًا إلى مصر ، وكان كثير الاجتماع بصهرنا على أفندى درويش المكتب ، وكان يحكى لى عنه أشياء كثير ، من مآثره من الصلاح والعلم ، وحسن المعاشرة ، ومعرفة التجويد ، ووجوه القراءات ، فلما تغيرت أحوال الصعيد ، أتى المترجم إلى مصر ، وكان حسن المذاكرة ، والمرافقة ، مع مداومة الذكر وتلاوة القرآن غالبًا ، توفى تاسع عشر رمضان [3] ، فى بيت بعض أحبابه بعلة البطن ، وصلى عليه الشيخ أحمد بن محمد الراشدى ، ودفن بالمجاورين .

ومات : العمدة الفاضل ، اللغوى الماهر ، المنشىء الأديب ، الشيخ عبد الله بن منصور التلبانى ، الشافعى ، المعروف بكاتب المقاطعة ، وهو ابن أخت الشيخ المعمر أحمد بن شعبان الزعبلى ، ولد سنة ثمان وتسعين وألف [4] ، تقريبًا ، وأدرك الطبقة الأولى من الشيوخ : كالعزيزى ، والعشماوى ، والنفراوى ، وكانت له معرفة تامة بعلم اللغة والقراءة ، واقتنى كتبًا نفيسة فى سائر الفنون ، وكان سموحًا بإعارتها لأهلها ، وكان يعرف مظنات المسائل فى الكتب ، وكان الأشياخ يجلونه ويعرفون مقامه ، ولما دخل الشيخ ابن الطيب أحبه واغتبط به ، وبصحبته ، وحصل حاشيته على القاموس فى مجلدين حافلين ، استكتابًا ، وقرظ على شرح البديعية ، لعليّ بن تاج الدين القلعى ، ذكر فيه من نوع وسع الاطلاع له :

سُعَادٌ دعتْنِى يومَ مَرتْ تَواصُلاً   إلا أيّها الحَادُون نِيخُوا المطَايَا

(١) ٢ رمضان ١١٨٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٧١م .

(٢) بيج القرمون : لم نعثر على تعريف بها، ولكن واضح من النص أنها قرية من مدينة جرجا ، محافظة سوهاج.

(٣) ١٩ رمضان ١١٨٥ هـ / ٢٦ ديسمبر ١٧٧١م .   (٤) ١٠٩٨ هـ / ١٧ نوفمبر ١٦٨٦ - ٦ نوفمبر ١٦٨٧م .

وكتب على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الإدكاوى ، وقد أهدى إليه نسخة منها ما نصه : « عبد الله عند الله ، وجيه وحبه ، محتم مخيم ، بقلوبنا تعلو بنا ، سماته سمايه ، عمله عم له ، التواب الثواب ، ولاه حرمنا ولاه حرمنا ، الأبهج الأنهج، مهدى مهذب ، نوّاله نقاله ، ما ألهم ما الهم ، دونه دوّنه ، يقالب تعالى، بنية بينة ، فاحلاً لنا إخلا لنا ، لحبر حبر بفصاحته فضاءحية ، وخير جبر ، أحبابًا أحيا ، بأثره بره ، ومنال محب من المحب ، من من السلام السلام » .

واتفق أنّ بعض المعترضين فى مجلسه قد وضع من هذا الوضع ، فرد عليه المترجم ، وانتصر لصاحب المقامة ، فلما بلغ ذلك كتب إليه يشكره : « عبد الله عند الله ، أوجه أوجه ، لجهته لج هبة ، نخبة تحية ، ندية ندية ، ينبئه ببينه ، ثابتات باثبات ، حبى حيث نصر لى نصرين ، نبير ينبر سير ، ذكى دلت ، معاينه معانيه ، على علىّ ، رتبته زينته ، حلة خلة ، ورفانى ورقانى ، غيب عيب ، عيى غبى ، يعيب بعين، حاسد حاشد، قوله فوله ، ودعه ودغه ، فإنهما فاتهما ، حسن جنس ، المعنى المعنى ، بفصاحته نقض أخيه ، بقيت تفتى ، بحق يحف ، بتحف تتحف ، بهانها محب محت ، أذاه أداة ، أدبك إذك ، آسى أسى ، قلبه فلبه ، أراحه أزاحه ، فصل فضل سيده شيده ، البصير النصير » ، ولم يزل حتى فاجأته المنون ، فى ثالث عشرين شعبان من السنة [1] ، وصلى عليه بالجامع الأزهر ، ودفن شرقى مقام سيدى عبد الله المنوفى ، بالمجاورين ، رحمه الله .

ومات : الأمير الجليل إبراهيم أفندى الهياتم جمليان ، مطعونًا ، فى نهار الأربع ثالث عشرين المحرم [2] من السنة .

سنة ست وثمانين ومائة وألف [3]

فيها : فى المحرم [4] ، خرج عليّ بيك إلى جهة البساتين كما تقدم ، فى أواخر العام الماضى ، وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر إلى الجبل ، واجتهد فى تشهيل تجريدة ، وأميرها عليّ بيك الطنطاوى ، وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم ، والعسكر قعدوا فى منتصفه [5] ، لمحاربة محمد بيك أبى الذهب وإسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين يريدون مصر ، فتلاقوا معهم عند بياضة ، ووقعت بينهم

(1) ٢٣ شعبان ١١٨٥ هـ / ١ ديسمبر ١٧٧١م .
(2) ٢٣ محرم ١١٨٥ هـ / ٨ مايو ١٧٧١م .
(3) ١١٨٦ هـ / ٤ أبريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣م .
(4) محرم ١١٨٦ هـ / ٤ أبريل - ٣ مايو ١٧٧١م .
(5) ١٥ محرم ١١٨٦ هـ / ١٨ أبريل ١٧٧١م .

معركة قوية ، ظهر فيها فضل القاسمية ، وخصوصًا أتباع صالح بيك ، وعليّ أغا المعمار ، ووقعت الهزيمة على عسكر عليّ بيك وساق خلفهم القبالى مسافة ، تمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان عليّ بيك مقيمًا به ، فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد ، وترتيب المدافع ، وأقام إلى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم ، وحضر محمد بيك إلى البر المقابل لعليّ بيك ، ونصب صيوانه وخيامه تجاهه ، فتفكر عليّ بيك فى أمره ، وركب عند الغروب ، وسار إلى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع إلى باب العزب ، فأقام به حصة من الليل ، وأشيع بالمدينة أنَّ مراده المحاصرة بالقلعة ، ثم إنَّه ركب إلى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب إلى جهة الشام ، وذلك ليلة الخامس والعشرين من شهر المحرم [1] ، وصحبته عليّ بيك الطنطاوى ، وباقى صناجقه ومماليكه ، وأتباعه وطوائفه ، فلما أصبح يوم الخميس سادس عشرينه [2] ، عدئ محمد بيك إلى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير ، بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك إلى مصر وصار أميرها ، ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه ، بأن لا أحد يأويهم ولايتاويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يومًا ، وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى عبد الله كتخدا الباشا ، فذهب إليه بداره ، وقبض عليه ، وقطع رأسه ، ونادى بإبطال المعاملة التى ضربها المذكور بيد رزق النصرانى ، وهى قروش مفرد ومجوز، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف ، وخمسة أنصاف ، ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسًا ، وعليها علامة عليّ بيك .

وأما من مات فى هذه السنة من العظماء [3]

• فمات : السيد الإمام العلامة ، الفقيه المحدث الفهامة ، الحسيب النسيب ، السيد على بن موسى بن مصطفى بن محمد بن شمس الدين بن محب الدين بن كريم الدين بن بهاء الدين داود بن سليمان بن شمس الدين بن بهاء الدين داود الكبير بن عبد الحافظ بن أبى الوفا محمد البدرى بن أبى الحسن على بن شهاب الدين أحمد بن بهاء الدين داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر ساكن وادى النسور ، ابن يوسف

---

(١) ٢٥ محرم ١١٨٦ هـ / ٢٨ أبريل ١٧٧١م

(٢) ٢٦ محرم ١١٨٦ هـ / ٢٩ أبريل ١٧٧١م .

(٣) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٣٧١ ، طبعة بولاق «ذكر من مات فى هذه السنة من العظماء» .

بن بدران بن يعقوب بن مطر بن زكى الدين سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن حسن ابن السيد عريض ، المرتضى الأكبر ابن الإمام زيد الشهيد بن الإمام على زين العابدين ابن السيد الشهيد الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب ، الحسينى المقدسى الأزهرى المصرى ، ويعرف بابن النقيب ، لأن جدوده ، تولوا النقابة ببيت المقدس ، ولد تقريبًا ، سنة خمس وعشرين ومائة وألف [1] ، ببيت المقدس ، وبها نشأ ، وقرأ القرآن ، على الشيخ مصطفى الأعرج المصرى ، والشيخ موسى كيبة على عود ومحمد بن نسيبة ، الفضلى المكى ، وأخذ العلم عن عم أمه ، صاحب الكرامات حسين العلمى ، نزيل اللّد[2] ، وأبى بكر بن أحمد العلمى ، مفتى القدس ، والشيخ عبد المعطى الخليلى ، ووصل إلى الشام ، فحضر دروس الشيخ أحمد المتيتى ، والشيخ إسماعيل العجلونى ، والشيخ عبد الغنى النابلسى ، واجتمع على الشيخ صالح البشيرى الآخذ عن الخضر عليه السلام ، وعامر بن نعير ، وأحمد القطانى ، ومصطفى بن عمرو الدمشقى ، وكان من الأبدال ، وأحمد النحلاوى ، وكان من أرباب الكشف ، ومحمد بن عميرة الدمشقى ، وعمران الدمشقى ، وزيد اليعبداوى ، وخليفة بن على اليعبداوى ، ورضوان الزاوى ، وأحمد الصفدى المجذوب ، والشيخ مصطفى بن سوار ، ودخل حماة [3] ، فأخذ عن القطب السيد ياسين القادرى ، وحلب [4] ، فأخذ بها عن أحمد البنى ، وعبد الرحمن السمان ، كلاهما من تلاميذ الشيخ أحمد الكتبى ، وعن الشيخ محمد بن هلال الرامهدانى ، والشيخ عبد الكريم الشرباتى ، وعاد إلى بيت المقدس ، فاجتمع بالشيخ عبد الغنى النابلسى أيضًا ، وبالسيد مصطفى البكرى بحلب حين كان راجعًا من بغداد ، فأخذ عنه الطريقة ، ورغبه فى مصر ، فوردها ، وحضر على الشمس السجينى ، ومصطفى العزيزى ، والسيد على الضرير الحنفى ، وأحمد بن مصطفى الصباغ ، والشهابين : الملوى ، والجوهرى ، والشمس الحفنى ، وأحمد العماوى ، وشيخ المذهب سليمان المنصورى ، وأجازه سيدى يوسف بن ناصر الدرعى ، وأحمد العربى ، وأحمد بن عبد اللطيف زروق ، وسيدى محمد العيانى الأطروش ، والشيخ ابن الطيب ، فى آخرين ، ورأس فى المذهب ، وتمهر فى الفنون ، ودرس بالمشهد الحسينى فى التفسير والفقه ، والحديث ، واشتهر أمره ، وطار صيته ، وكان فقيهًا

---

(١) ١١٢٥ هـ / يناير ١٧١٣ - ١٦ يناير ١٧١٤م .

(٢) اللّد : مدينة فلسطينية .

(٣) حماة : مدينة سورية .

(٤) حلب : مدينة سورية .

فى المذهب بارعًا فى معـرفة فنونه ، عارفًا بأصوله وفروعه ، يستـنبط الاحكام بجودة ذهنه ، وحـسن حافظته ، ويـكتب على الفـتاوى برائق لفـظه ، وكانت له فى الـنثر طريقة غريبة ، لايتكلف فى الأسجاع ، وإذا سئل عن مسئلة ، كتب عليها الجواب ، أحسن من الروض جاد بـه الغمام ، وأغزر من الوبل ساعده نوء النـعام ، ويكتب فى الترسل ، على سـجية بادرة ، وفكرة على السرعـة صادرة ، وكان ذا جود وسخاء ، وكرم ومروءة ووفاء ، لايدخل فى يده شىء من متاع الدنيا إلا وبذله لسائليه ، وأغدق به علـى معتفيه ، وكـان منزله الذى قـرب المشهد الحسـينى مورداً للآملـين ، ومحطًا لرحال الوافديـن ، مع رغبته فى الخيل المنـسوبة ، وحسن معرفته لأنـسابها ، وعزوه لأربابهـا ، وكان اصطبله دائـمًا لايخلو من اثـنين أو ثلاثة يركـب عليها ، ويضـمرها ويعتنى بأحوالها ، ويـرغب فى شرائها لمعرفته بالفروسية فى رمـى السهام ، واستعمال السلاح ، واللعب بالـرماح ، وغير ذلك ، ولما ضاق عليه منزله لكـثرة الوفاد عليه ، ولكثرة ميلـه إلى ربط الخيول انتقل إلى منـزل واسع بالحسينية فى طرف الـبلد ، بناء على أن الأطراف مسـاكن الأشراف ، فسكنه وعمـر فيه فى الزاوية التى قـرب بيته ، وصرف عليـها مالاً كثيراً ، وفى سـنة سبع وسبعـين ومائة وألف [1] ، استخـار الله تعالى فى الـتوجه إلى دار السلطنة ، لأمـور أوجبت رحلته إليها ، مـنها : أنَّه ركبت عليه الديون ، وكثر مطالبوهـا ، وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له ، وكان إذ ذاك محل تدريسـه بالمشهد الحسينى ، وعزم عـبد الرحمن كتخدا على هـدمه وإنشائه على هذه الـصورة ، ورأى أنَّ هذه البطالة ، تسـتمر أشهرا ، فوجد فـرصة ، وتوجه إليها ، وأقـرأ درسًا فى الحديث فى عدة جوامـع ، واشتهر هناك بالمحـدث ، وأقبلت عليه الناس أفواجًا للتلقى، وأحبته الأمراء وأرباب الدولة ، وصارت له هناك وجاهة إلا أنَّه كان فـى درسه يتنـقل تارة إلـى الرد العـنيف علـى أرباب الأموال والأكـابر ، وملوك الزمـان ، وينسبهم إلى الجور والـعدوان ، وانحرافهم عن الحـق ، فوشى به الحاسدون ، فبـرز الأمر بخروجه من البـلد ، وكان تزوج هناك ، فعـاد إلى مصر ، فلما وصل إلى بولاق ذهب إلـيه جماعة من الفضلاء واستقبلوه ، واسـتقر فى منزله وعاد إلى دروسه فـى المشهد ، وذلك سنـة ثلاثة وثمانين ومائة وألف [2] ، ولـم يترك عادته المـألوفة من إكـرام الضيوف ، وبـذل المعروف ، وكان لايـصبر علـى الجماع ، وعنـده ثلاث نسوة شـامية ، ومصـرية ، وروميـة ، وإذا خرج إلى الخلاء أو بـعض المنتزهات أخذ صحبته من يريدها منهن ، ونصب لها خيمة ، وآلة الاغتسال مدة إقامته

---

(١) ١١٧٧ هـ / ١٢ يوليه ١٧٦٣ - ٣٠ يونيه ١٧٦٤م .

(٢) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ ابريل ١٧٧٠ م .

يومًا أو يومين أو أكثر ، واتفق له فى آخر أمره ، أنه ذهب عند محمد بيك أبى الذهب ، وكان فى ضائقة ، فحادثه الأمير على سبيل المباسطة ، وقال له : « كيف رأيت أهل إسلامبول » ، فقال : « لم يبق بسلامبول ولا بمصر خير ، ولايكرمون إلا شرار الخلق وأما أهل العلم والأشراف فإنهم يموتون جوعًا ، ففهم الأمير تعريضه ، وأمر له بمائة ألف نصف فضة من الضربخانة ، فقضى منها بعض ديونه ، وأنفق باقيها على الفقراء ، وعاش بعدها أربعين يومًا ، وتعلل بِخُراج أيامًا ، وأحضروا له رجلاً يهوديًا ، ففصده بمشتر [1] قيل إنه مسموم ، فكان سببًا لموته ، وتوفى عصر يوم الأحد سادس شهر شعبان من السنة [2] ، وجهز فى صبح يوم الإثنين [3] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بمقبرة باب النصر على أكمة هناك ، ولما مات أحضر له الناس من الأعيان عدة أكفان ، وكل منهم يريد أن لايوضع إلى فى كفنه ، فأخذوا من كل كفن قطعة ، وكفنوه فى مجموع ذلك جبراً لخواطرهم ، وأعطى الأمير محمد بيك لأخيه مولانا السيد بدر الدين عندما أخبره بموته ، خمسمائة ريال التجهيزة ولوازمه ، وجلس مكانه فى الدار أخوه السيد بدر المذكور ، وتصدر مكانه لإملاء درس الحديث النبوى بمسجد المشهد الحسينى ، وأقبلت عليه الناس والأعيان ، ومشى على قدم أخيه ، وسار سيراً حسنًا ، وجرى على نسقه وطبيعته فى مكارم الأخلاق ، وإطعام الطعام وإكرام الضيفان ، والتردد إلى الأعيان والأمراء ، والسعى فى حوائج الناس ، والتصدى لأهل حارته وخطته فى دعاويهم وفصل خصوماتهم وصلحهم ، والذب عنهم ، ومدافعة المتعدى عليهم ، ولو من الأمراء والحكام فى شكاويهم ، وتشاجرهم وقضاياهم ، حتى صار مرجعًا ، وملجأ لهم فى أمورهم ، ومقاصدهم ، وصار له وجاهة ، ومنزلة فى قلوبهم ، ويخشون جانبه وصولته عليهم ، ثم أنَّه هدم الزاوية وما بجانبها ، وأنشأ مسجداً نفيسًا لطيفًا ، وعمل به منبراً وخطبة ، ورتب به إمامًا وخطيبًا وخادمًا ، وجعل بجانبه ميضأة ومصلى لطيفة ، يسلك إليهما من باب مستقل ، وبها كراسى راحة ، وأنشأ بجانب المسجد داراً نفيسة ، وانتقل إليها بعياله ، وترك الدار التى كانت سكنه مع أخيه لأنها كانت بالأجرة ، وبنى لأخيه ضريحًا بداخل المسجد ، ونقله إليه ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف [4] ، فلما كانت الحوادث فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف [5] ، واستيلاء الفرنسيس على الديار المصرية ، وقيام سكان الجهة الشرقية من أهل البلد ،

(١) المشتر : أى مشرط ، وتعنى موس الحلاق . (٢) ٦ شعبان ١١٨٦ هـ / ٢ نوفمبر ١٧٧٢م .
(٣) ٧ شعبان ١١٨٦ هـ / ٣ نوفمبر ١٧٧٢م . (٤) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ أغسطس ١٧٩١م .
(٥) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩م .

وهى القومة الأولى التى قتل فيها دبوى [1] قائمقام ، تحركت فى السيد بدر الدين المذكور الحمية ، وجمع جموعه من أهل الحسينية ، والجهات البرانية ، وانتبذ لمحاربة الإفرنج ومقاتلتهم ، وبذل جهده فى ذلك ، فلما ظهر الإفرنج على المسلمين لم يسع المذكور الإقامة ، وخرج فاراً إلى جهة البلاد الشامية وبيت المقدس ، وفحص عنه الإفرنج وبثوا خلفه الجواسيس ، فلم يدركوه ، فعند ذلك نهبوا داره ، وهدموا منها طرفًا ، وكمل تخريبها أوباش الناحية ، وخربوا المسجد ، و صارت فى ضمن الأماكن التى خربها الفرنسيس بهدم ماحول السور من الأبنية ، ثم فى الواقعة الكبيرة الثانية ، عندما حضر الوزير والعساكر الرومية ، ورجعوا بعد نقض الصلح بدون طائل ، كما يأتى تفصيل ذلك ، فلما حضروا ثانيا بمعونة الإنكليز ، وتم الأمر ، وسافر الفرنسيس إلى بلادهم ، ورجع المذكور إلى مصر ، وشاهد ماحصل لداره ومسجده من التخريب ، أخذ فى أسباب تعميرهما ، وتجديدهما حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك ، وسكن بها ، وهو الآن بتاريخ كتابة هذا المجموع ، سنة عشرين ومائتين وألف [2] قاطن بها ومحله مجمع شمل المحبين ، ومحط رحال القاصدين ، بارك الله فيه .

ومات : الفقيه المتقن ، العلامة الشيخ على بن شمس الدين بن محمد بن زهران بن على ، الشافعى الرشيدى ، الشهير بالخضرى ، ولد بالثغر ، سنة أربع وعشرين [3] ، وأمه آمنة بنت الحاج عامر بن أحمد العراقى ، وأمها صالحة بنت الشريف الحاج على زعيتر ، أحد أعيان التجار برشيد ، حفظ المترجم الزبد ، والخلاصة ، وسبيل السعادة ، والمنهج إلى الديات ، والجزرية ، والجوهرة ، وسمع على الشيخ يوسف القشاشى الجزرية وابن عقيل ، والقطر ، وعلى الشيخ عبد الله بن مرعى الشافعى ، فى شوال سنة إحدى وأربعين [4] ، جمع الجوامع والمنهج ، وألقى منه دروسًا بحضرته ، ومختصر السعد ، واللقانى على جوهرته ، وشرح ابنه عبد السلام ،والمناوى ، على الشمائل ، والبخارى ، وابن حجر على الأربعين ، والمواهب ، وعلى الشمس محمد بن عمر الزهيرى ، معظم البخارى ، دراية ، والمواهب ، وابن عقيل ، والأشمونى على الخلاصة ، وجمع الجوامع ، والمصنف على أم البراهين ، ونصف النفراوى على الرسالة ، والبيضاوى إلى قوله تعالى ، ﴿ وإذا وقع القول ﴾ ، فكمله بعد موته ، وفى سنة ثمان وثلاثين [5] ، وفد

---

(1) دبوى : Dupy .
(2) ١٢٢٠ هـ / ١ أبريل ١٨٠٥ - ٢٠ مارس ١٨٠٦ م .
(3) ١١٢٤ هـ/ ٩ فبراير ١٧١٣م .
(4) شوال ١١٤١ هـ / ٧ اغسطس ١٧٢٨ - ٢٦ يوليه ١٧٢٩م .
(5) ١١٣٨ هـ / ٩ سبتمبر ١٧٢٥ - ٢٨ اغسطس ١٧٢٦م .

على الثغر ، الشيخ عطيه الأجهورى ، فقرأ عليه العصام فى الاستعارات مع الحفيد ، وعلى الشيخ محمد الإدكاوى : شرح السيوطى على الخلاصة ، والشنشورى على الرحبية ، والتحرير لشيخ الإسلام ، ثم قدم الجامع الأزهر سنة ثلاث وأربعين (١) ، فجاور ثلاثة سنوات ، فسمع على الشيخ مصطفى العزيزى شرح المنهج مرتين ، والخطيب والشمائل ، وأجازه بالإفتاء والتدريس ، فى رجب سنة ست وأربعين (٢) ، وكان به باراً رحيمًا شفوقًا بمنزلة الوالد حتى بعد الوفاة ، وجرت له معه وقائع كثيرة ، تدل على حسن توجهه له دون غيره من الطلبة ، وسمع على السيد على الحنفى الضرير : الأشمونى ، وجمع الجوامع ، والمغنى ، وبعض المنفرجة ، والقسطلانى على البخارى ، وتصريف العزى ، وعلى الشمس محمد الدلجى : المغنى كله قراءة بحث ، والخطيب ، وجمع الجوامع ، وعلى الشيخ على قايتباى الخطيب فقط ، وعلى الشيخ الحفنى : الخطيب والمنهج ، وجمع الجوامع ، والأشمونى ، ومختصر السعد ، والفية المصطلح ، ومعراج الغيطى ، وعلى أخيه الشيخ يوسف : الأشمونى ، والمختصر ، ورسالة الوضع ، وعلى الشيخ عطية الأجهورى : المنهج ، والمختصر ، والتحرير ، وبعض العصام ، ومنظومة فى أقسام الحديث الضعيف ، وعلى الشيخ محمد السجينى : الشمائل ، ومواضع من المنهج ، وأجازه الشيخ الشبراوى بالكتب الستة بعد أن سمع عليه بعضًا منها ، ورجع عن فتواه مرتين فى وقفين ، وعلى الشيخ أحمد بن سابق الزعبلى ، المنهج كله ، مرتين ، وعلى الشيخ أحمد المكودى ، كبرى السنوسى ، وبعض مختصره دراية ، وعلى الشيخ محمد المنور التلمسانى شيخ المكودى المذكور ، أم البراهين دراية ، وعلى الشيخ أحمد العماوى المالكى : بعض سنن أبى داود ، وجمع الجوامع ، والمغنى ، والأزهرية ، ولما رجع إلى الثغر ، لازم الشيخ شمس الدين الفوى ، خطيب جامع المحلى ، فسرد عليه معظم متن الزبد والمنهج ، وشرحه ، والشنشورى ، ومتن العباب ، وهو الذى عرف به ، وبطريق تركيب الفتاوى أسئلة وأجوبة ، وكان يقول لابد للمبتلى بالإفتاء من العباب ، لوضوحه ، واستيعابه ، وأجازه الشيخ شلبى البرلسى ، والشيخ عبد الدائم ابن أحمد المالكى ، وأحمد بن أحمد بن قاسم الونى ، وله مؤلفات جليلة منها : « شرح لقطة العجلان » ، و « حاشية على شرح الأربعين النووية للشبشيرى » ،

---

(١) ١١٤٣ هـ / ١٧ يوليه ١٧٣٠ - ٥ يوليه ١٧٣١م .

(٢) رجب ١١٤٦ هـ / ١٧ يوليه ١٧٣٣ - ٥ يوليه ١٧٣٤م .

أجاد فيها كل الأجادة ، وقد رأيت كلاً منهما بالثغر عند ولده السيد أحمد توفى ، فى خامس عشرين من شعبان من السنة [١] .

ومات : الشاب الصالح ، والنجيب الأريب الفالح ، العلامة المستعد النبيه الذكى ، الشيخ محمد بن عبد الواحد بن عبد الخالق البنانى ، أبوه وجده وعمه من أعيان التجار ، والثروة بمصر ، نشأ فى عفة وصلاح ، وحفظ القرآن والمتون ، وحبب إليه طلب العلم ، فتقشف لذلك وتجرد ، ولازم الحضور والطلب ، ودأب واجتهد فى التحصيل ، وسهر الليل ، وكان له حافظة جيدة ، وفهم حاد ، وقوة استعدادية وقابلية ، فأدرك فى الزمن اليسير ، مالم يدركه غيره فى الزمن الكثير ، ولازم شيخنا الشيخ محمد الجناجى ، المعروف بالشافعى ملازمة كلية ، وتلقى عنه غالب تحصيله فى الفقه ، والمعقول والمنطق ، والاستعارات والمعانى والبيان ، والفرائض والحساب ، وشباك ابن الهائم ، وغير ذلك ، وحضر دروس الشيخ الصعيدى ، والدردير ، وغيرهم ، حتى مهر وأنجب ، ودرس واشتهر بالفضل ، وعمل الختوم ، وحضره أشياخ العصر ، وشهدوا بفضله وغزارة علمه ، وانتظم فى عداد أكابر المحصلين ، والمفيدين والمستفيدين، ولم يزل هذا حاله حتى وافاه الحمام ، وانمحق بدره عند التمام ، ومات مطعونًا فى هذه السنة[٢] ، وهو مقتبل الشبيبة ، لم يجاوز الثلاثين عوضه الله الجنة ، وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن ، بارك الله فيه .

ومات : الفقيه الفاضل ، المحقق الشيخ ، أحمد بن أحمد الحمامى ، الشافعى الأزهرى ، ولد بمصر ، واشتغل بالعلم من صغره ، ومال بكليته إليه ، وحبب إليه مجالسة أهله ، فلازم الشيخ عيسى البراوى ، حتى مهر وتفقه عليه ، وحضر دروس الشمس الحفنى ، والشيخ عليّ الصعيدى ، وغيرهما ، وأجازوه ، وحج فى سنة خمس وثمانين [٢] ، مرافقًا لشيخنا مصطفى الطائى ، ورجعا إلى مصر ، وتصدر للتدريس والإفتاء فى حياة شيوخه ، ودرس وأفاد ، وكان أكثر ملازمته لزاوية الشيخ الخضيرى [٣] ، ويقرأ درسًا بالصرغتمشية ، وانتفع به جماعة ، وله حاشية على

---

(١) ٢٥ شعبان ١١٨٦ / ٢١ نوفمبر ١٧٧٢م .

(٢) ١١٨٦ هـ / ٤ أبريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣ م .

(٣) ١١٨٥ هـ / ١٦ أبريل ١٧٧١ - ٣ أبريل ١٧٧٢م .

(٤) زاوية الخضيرى : تقع بحارة درب شعلان من شارع التبانة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٧٣ .

الشيخ عبد السلام مفيدة ، وأخرى على الجامع الصغير للسيوطى لم تتم ، وكان ذا صلاح وورع وخشية من الله ، وسكون ووقار ، توفى يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول من السنة [1] ، ودفن ثانى يوم [2] ، بمشهد عظيم بالقرب من السادة المالكية .

ومات : الإمام الصوفى العارف المعمر ، الشيخ عليّ بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القدوس ابن القطب شمس الدين محمد الشناوى الروحى الأحمدى ، المعروف ببندق ، ولد قبل القرن ، وأخذ عن عميه ، محمد العالم ، وعليّ المصرى ، وهما عن عمهما الشمس محمد بن عبد القدوس ، الشهير بالدناطى ، عن ابن عمه الشهاب الخاسى ، ومسكنهم بمحلة روح [3] ،وهو شيخ مشايخ الأحمدية فى عصره ، وانتهت إليه الرياسة فى زمنه ، وعاش كثيراً حتى جاوز المائة ممتعًا بالحواس ، وكان له خلوة فى سطح منزله ، ولها كوة مستقبلة طندتاء بيّن يديها فضاء واسع ، يرى منها آثار طندتاء ، وهو مستقبل القبلة فى حال جلوسه ونومه ، ونظره إلى تلك الكوة ، وأخبرنى أولاده أنَّه هكذا ، هو مستمر على هذه الطريقة من مدة طويلة، توفى فى أوائل جمادى الأولى من السنة [4] ، واجتمع بمشهده غالب أهل البلاد من المشايخ والأعيان ، والصلحاء من الآفاق ، والسيد محمد مجاهد الأحمدى ، والشيخ محمد الموجه ، والسيد أحمد تقى الدين وغيرهم ، ودفن عند أسلافه بمحلة روح .

ومات : الأمير خليل بيك ابن إبراهيم بيك بلفيا ، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده ، وفتح بينهم ، وأحيا مآثرهم ، وكان أهلاً للإمارة ، ومحلاً للرآسة وتقلد إمارة الحج فى سنة إحدى وثمانين [5] ، ورجع فى أمن وسخاء ، وطلع إيضًا فى هذه السنة [6] ، ومات بالحجاز ، ورجع بالحج أخوه عبد الرحمن أغا بلفيا .

ومات : الأجل المكرم ، الرئيس محمد تابع المرحوم محمد أوده باشة طبال مستحفظان ، ميسو الجداوى ، وهو زوج الجدة أم المرحوم الوالد تزوج بها بعد موت الجد ، فى سنة أربع عشرة ومائة وألف [7] ، وقطن بها ببندر جدة ، وأولدها

(١) ٩ ربيع الأول ١١٨٦ هـ / ١٠ يونيه ١٧٧٢م .   (٢) ١٠ربيع الأول ١١٨٦ هـ / ١١ يونيه ١٧٧٢م .

(٣) محلة روح : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز طنطا ، محافظة الغربية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

(٤) ١ جمادى الأولى ١١٨٦ هـ / ٣١ يوليه ١٧٧٢م .   (٥) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨م .

(٦) ١١٨٦ هـ / ٤ أبريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣م .   (٧) ١١١٤ هـ / ٢٨ مايو ١٧٠٢ - ١٦ مايو ١٧٠٣م .

حسينًا ، ومحمد ، وتوفى سنة أربع وخمسين [١] ، عن ولديه المذكورين ، وأخيهما محمود من أبيهما وعتقائه ، ومنهم المترجم ، فرباه ابن سيده ، وهو العم حسين ، فأنجب وعانى التجارة ، ورئاسة المراكب الكبار ببحر القلزم ، حتى صار من أعيان النواخيد الكبار ، واشتهر صيته ، وذكره ، وكثر ماله ، وبنى داراً بمصر بجوار المدارس الصالحية [٢] ، واشترى المماليك والعبيد والجوارى ، وصار له دار بمصر ، وبجدة ، ولم يزل حتى توفى بالشام ، وهو راجع إلى مصر ووصل نعيه فى سابع عشرين ربيع الثانى [٣] ، رحمه الله .

ومات : الخواجا الصالح المعمر ، الحاج محمد بن عبد العزيز البندارى ، وكان إنسانًا حسنًا ، وهو الذى عمر العمارة ، والمساكن بطندتاء ، واشتهرت به ، توفى فى غرة ربيع أول [٤] بعد تعلل ، رحمه الله تعالى .

سنة سبع وثمانين ومائة وألف [٥]

فيها [٦] : تواترت الأخبار والإرجافات بمجيء عليّ بيك من البلاد الشامية ، بجنود الشام ، وأولاد الظاهر عمر ، فتهيأ محمد بيك للقائه ، وبرز خيامه إلى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك ، وهو صيوان صالح بيك ، وهو فى غاية العظَم والاتساع ، والعلّو والارتفاع ، وجميعه بدوائره من جوخ صاية ، وبطانته بالأطلس الأحمر ، وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر ، بوصول على بيك بجنوده إلى الصالحية [٧] ، فارتحل محمد بيك ، فى خامس شهر صفر [٨] ، فالتقيا بالصالحية ، وتحاربا فكانت الهزيمة على عليّ بيك وأصابته جراحة فى وجهه ، فسقط عن جواده ،

---

(١) ١١٥٤ هـ / ١٩ مارس ١٧١٤ - ٧ مارس ١٧١٥ .

(٢) المدارس الصالحية : أنشأ هذه المدرسة والجامع الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سنة ٦٤٠ هـ / بخط بين القصرين ، تجاه الصاغة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢١ .

(٣) ٢٧ ربيع الثانى ١١٨٦ هـ / ٢٨ يوليه ١٧٧٢م .

(٤) غرة ربيع الأول ١١٨٦ هـ / ٢ يونيه ١٧٧٢م .

(٥) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤م .

(٦) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤م .

(٧) الصالحية : أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى ٦٤٤ هـ / ٤٦ / ١٢٤٧م ، بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام لتكون منزلة للعساكر ، عند ذهابهم إلى الشام ، وعند عودتهم منها ، وهى إحدى قرى مركز فاقوس ، محافظة الشرقية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٨) ٥ صفر ١١٧٨ هـ / ٢٨ أبريل ١٧٧٣م .

فاحتاطوا به ، وحملوه إلى مخيم محمد بيك ، وخرج إليه وتلقاه ، وقبل يده ، وحمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه ، وقتل عليّ بيك الطنطاوى ، وسليمان كتخدا ، وعمر جاويش وغيرهم ، وذلك يوم الجمعة ثامن شهر صفر [١] ، ووصل خبر ذلك إلى مصر ، فى صبح يوم السبت [٢] ، وحضروا إلى مصر ، وأنزل محمد بيك أستاذه فى منزله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته .

وفى خامس عشر صفر [٣] : وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر وأمير الحاج إبراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة [٤] ، توفى الأمير عليّ بيك ، وذلك بعد وصوله بسبعة أيام قيل إنه سم فى جراحاته ، فغسل وكفن ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

وفى سابع عشر ربيع الأول [٥] ، وصل الوزير خليل باشا والى مصر ، وطلع إلى القلعة فى موكب عظيم وذلك يوم الخميس تاسع عشره [٦] ، وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج ، وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان ، وخلع الخلع

ذكر من مات فى هذه السنة من العلماء والأمراء [٧]

ومات : فى هذه السنة [٨] ، الشيخ الإمام الصالح العلامة ، المفيد ، الشيخ أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسن الجوهرى ، الخالدى الشافعى ، ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف [٩] ، وبها نشأ ، وسمع الكثير من والده ، ومن شيخ الكل ، الشهاب الملوى وآخرين ، وتصدر فى حياة أبيه للتدريس ، وحج معه وجاور سنة ، وكان إنسانًا حسنًا ذا مودّة وبر ، وشهامة ومروءة تامة ، وأخلاق لطيفة ، توفى بعد أنْ تعلل أيامًا ، فى حادى عشرين ربيع الأول [١٠] ، وصلى عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ، ودفن على والده بالزاوية القادرية بدرب شمس الدولة :

---

(١) ٨ صفر ١١٨٧ هـ / مايو ١٧٧٣م .

(٢) ٩ صفر ١١٨٧ هـ / ٢ مايو ١٧٧٣م .

(٣) ١٥ صفر ١١٨٧ هـ / ٨ مايو ١٧٧٣م .

(٤) ١٥ صفر ١١٨٧ هـ / ٨ مايو ١٧٧٣ .

(٥) ١٧ ربيع الأول ١١٨٧ هـ / ٨ يونيه ١٧٧٣م .

(٦) ١٩ ربيع الأول ١١٨٧ هـ / ١٠ يونيه ١٧٧٣م .

(٧) كتب العنوان بهامش ص ٣٧٧ ، طبعة بولاق .

(٨) ١١٨٧ هـ ./ ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤م .

(٩) ١١٣٢ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧١٩ - ١ نوفمبر ١٧٢٠م .

(١٠) ٢١ ربيع الأول ١١٨٧ هـ / ١٢ يونيه ١٧٧٣م .

ومات : المبجل المفضل ، الإمام العارف ، صاحب المعارف ، على بن محمد ابن القطب الكامل السيد محمد مراد الحسينى ، البخارى الأصل ، الدمشقى الحنفى ، ويعرف بالمرادى ، نسبة لجده المذكور ، ولد بدمشق وأخذ عن أبيه وغيره من العلماء ، كعلى بن صادق الداغستانى ، وغيره ، وكان إنسانًا عظيم الشأن ، ساطع البرهان ، طيب الأعراق ، كريم الأخلاق ، منزله مأوى القاصدين ، ومحط رحال الواردين ، وهو والد خليل أفندى المفتى بدمشق ، نزل عنده السيد العيدروس ، فأكرمه وبره ، ولم يزل حتى توفى فى هذه السنة [1] ، وتوفى بعده بشهرين أيضًا ، أخوه حسين أفندى المرادى ، رحمهما الله .

ومات : الماهر الأديب الشاعر ، الكاتب المنشىء ، الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر ، الحسنى الإدريسى المنوفى ، المكى الشافعى ، ولد فى آخر القرن الحادى عشر [2] ، بمكة ، وأخذ عن كبار العلماء : كالبصرى ، والنخلى ، وتاج الدين القلعى ، والعجمى ، ثم من الطبقة التى تليه مثل : على السخاوى ، وابن عقيلة فى آخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد ، وأعلى ما عنده إجازة الشيخ إبراهيم الكورانى له ، وله شعر نفيس ، وقد جمع فى ديوان ، وبينه وبين السيد جعفر البيتى ، والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات ، وكان الشيخ العيدروس يقول فى حقه ، إنَّه أديب جزيرة الحجاز ولا أستثنى : وفيه يقول :

أنّ إبراهيمَ أضْحَى أمَّةً ... قَانتًا لله رَبّ العَالَمين
عَالِمٌ أخْلَصَ فى أعْمَالِه ... هكَذَا شَأنُ العِبَادِ المخْلِصين

وله معارضة القصيدة الحائية لابن النحاس ، أبدع فيها وأغرب ودخل الهند بسفارة صاحب مكة ، فأكرم ، وعاد إلى مكة ، وولى كتابة السر لملكها [3] ، وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه ، على اختلاف طبقاتهم ، وكان قلمه كلسانه سيالاً ، وربما شرع فى كتابة سورة من القرآن ، وهو يتلو سورة أخرى بقدرها ، فلا يغلط فى كتابته ، ولا فى قراءته حتى تتما معًا ، وهذا من أعجب ماسمعت ، وكان له مهارة ومعرفة فى علم الطب ، وأما إنشاءاته فإليها المنتهى فى العذوبة ، وتناسب القوافى ، وأما من نظمه فهو فريد عصره ، لايجاريه فيه مجار ، ولا يطاوله مطاول ، فمن مشهور كلامه :

---

(١) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤م . (٢) آخر ذى الحجة ١١٠٠ هـ / ١٤ أكتوبر ١٦٨٩م .
(٣) ملك مكة : تعنى الشريف أمير مكة وتطلق عليه المصادر لقب « ملك » و « سلطان » .

أعَاتِـــبُ ريمَ الـسِرِّ فـــى لَفَتَاتِه　　　وأعْذُرُه إنْ قَامُ فــــــى خُلُوَاتِه
تُراهُ رأى ظَبْيَ الأوَانـــــسِ آنِسًا　　　فـــأشْرِبَ حُبّاً فِي رَنَى لَحــظَاتِه
أمْ اغْتَاظَ لَمَّا أن رَأى كُلَّ عَاشِق　　　يُوَحِّدُهُ فـــــى ذاتـــــه وصِفَاتِه
لحَا اللهُ صَبًّا حَاوَل الـــقَلْبَ سَلْوة　　　ولَمْ يَـــدرِ أنَّ المــوْتَ عَينُ حَيَــاتِه
ولَولاَ النَّوى لَمْ يُطعَمِ الوصلَ ذائقًا　　　أو الـفَرَقَ لمْ يـرغَبْ لجـمْعِ شتَاتِه
ولَولاَ مَجَازِى مَـا عَلِمْتُ حَقِيـقَتِى　　　وعــــلْمِى بِجَهْلِى زَادَ عَنْ شُبُهَاتِه

ومن كلامه بيتان من قصيدة اشتهرا على الألسنة وهما :

كـيـفَ يقْوَى عـلَى الـمَقَامِ مُحِبٌّ　　　قَدْ أتَاهُ الـــــــــنّدا من المحْبُوبِ
قــدْ رَحِمـنـاك إنّنَا نـقـبـل الـعُذْ　　　رَ ونَمْحُو بـــالــعَفْو رَيْنَ الـــعُيُوبِ

وله ديوان سماه : « السّبع السّنَابل فـى مدح سيد الأواخر والأوائل » ، ورسالة فى علم الطب مفيدة ، توفى فى هذه السنة بمكة .

ومات : البارع المقرىء المجـوّد المحدث ، الشيـخ عبد القادر بن خلـيـل بن عبد الله ، الرومى الأصل ، المدنى ، المعروف بكدك زاده ، ولد بالمدينة سنة أربعين ومائة وألف [1] وبها نـشأ وحفظ القرآن وجـوّده ، على شيخ الـقراء شمس الدين مـحمد السجاعى ، نزيل المدينة ، تلميذ البقرى الكبير وحفظ الشاطبية ، واشتغل بالعلم على علماء بـلده والواردين عليه ، سـمع أكثر كتب الحديـث على الشيخين ابـن الطيب ، ومحمد حياة ، بقراءته عليهما فى الأكثر ، ولازم الشيخ ابن الطيب ، ملازمه كلية ، حتى صار معيداً لدروسه ، وكان حسن النغمة ، طيب الأداء ، ولى الخطابة والإمامة بالروضة المطهـرة ، وكان إذا تقدم إلى المحراب فى الصلوات الجهريـة ، تزدحم عليه الخلق لسماع القـرآن منه ، ثم ورد إلى مصر ، فأدرك الشيخ المعـمر داود بن سليمان الخربتاوى ، فتلقى منه أشياء وأجازه ، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة وألف [2] ، وحضر الشـيخ الملوى ، والجوهرى والحـفنى ، والبليـدى ، وحمل عنهم الـكثير ، وتزوج ثم توجه إلى الـروم ، ثم عاد إلى المدينة ، فلم يقر له بـها قرار ، ثم أتى إلى مصر ، ودار عـلى الشيوخ البـقية ثانيًا ، وأخـذ عنهم ، وأحبـه السيد إسماعـيل بن مصطفى الكمـاخى ، وصار يجلس عنده أيامًا فى منزلـه ، الملاصق لجامع قوصون ،

---

(١) ١١٤٠ هـ / ١٩ أغسطس ١٧٢٧م .　　(٢) ١١٦٨ هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٥٤ - ٦ أكتوبر ١٧٥٥م .

فشرع فى أخذ خطابته له ، فاشترى له الوظيفة ، فخطب به على طريقة المدينة المنورة ، وازدحمت عليه الناس ، وراج أمره وتزوّج ، ثم توجه إلى الروم وباع الوظيفة ، وانخلع عما كان عليه وجلس هناك مدة ، وسمع السلطان قراءته فى بعض المواضع فى حالة التبديل ، فأحب أن يكون إمامًا لديه ، وكاد أن يتم ذلك ، فأحس إمام السلطان بذلك ، فدعاه إلى منزله وسقاه شيئًا مما يفسد الصوت حسداً عليه ، فلما أحس بذلك ، خرج فاراً فعاد إلى مصر واشتغل بالحديث ، وشرع فى عمل المعجم لشيوخه الذين أدركهم فى بلده ، وفى رحلاته إلى البلاد ، ودخل حلب ، فاجتمع بالشيخ أبى المواهب القادرى ، وقرأ عليه شيئًا من الصحيح ، وأجازه ، وأخذ عن السيد المعمر إبراهيم بن محمد الطرابلسى ، النقيب ، ومن درويش مصطفى الملقى ، ودخل الطرابلسى الشام ، وأخذ الإجازة من الشيخ عبد القادر الشكعاوى ودخل خادم إحدى قرى الروم ، فاجتمع بالشيخ المعروف بمفتى خادم ، ورام أن يسمع منه الأولية ، فلم يجد عنده إسناداً ، وإنما هو من أهل المعقول فقط ، ورجع إلى مصر ، فاجتمع بشيخنا السيد مرتضى ، وتلقى عنه الحديث ، واهتم فى جمع رجاله ، وتمهر فى الإسناد ، وجمع من ذلك شيئًا كثيراً فى مُسَوّدات بخطه ، ثم عاد إلى الحرمين ، ومنهما إلى أرض اليمن ، فاجتمع بمن بقى من الشيوخ ، وأخذ عنهم ودخل صنعاء ، ومدح كلاً من الوزير والإمام بقصيدة ، فأكرم بها ، واجتمع على علمائها ،وتلقى عنهم وصار بينه وبين الشيخ أحمد قاطن أحد علمائها محاورات ، ثم دخل كوكبان [1] ، فاجتمع على فريد عصره السيد عبد القادر بن أحمد الحسنى من بيت الأئمة ، ودخل شبام [2] ، فاجتمع على السيد إبراهيم بن عيسى الحسنى ، واللُّحية [3] ، فاجتمع بها على الشيخ عيسى زرايق ، وذلك فى سنة خمس وثمانين ومائة وألف [4] ، وعاد إلى مصر بالفوائد الغزار ، بما حمل فى طول غيبته من النوادر والأسرار ، وفى هذه الخطرات التى ذكرت ، دخل الصعيد من طريق القصير ، واجتمع على مشايخ عربان الهوّارة ، ومدحهم بقصائد طنانة ، وأكرموه وله ديوان جمع فيه شعره ، وما مدح به الأكابر والأولياء ، وكان عنده مُسَوّدة بخطه ، وهذا قبل أن يسافر إلى الشام والروم واليمن والصعيد ، فقد تحصل

---

(١) كوكبان : مدينة يمنية .

(٢) شبام : إحدى مدن الجنوب اليمنى .

(٣) اللحية : كتب أمامها بهامش ص ٣٧٩ ، طبعة بولاق «اللحية بضم اللام أ هـ ،مؤلف كذا بهامش بعض النسخ»

(٤) ١١٨٥هـ / ١٦ أبريل ١٧٧١ - ٣ أبريل ١٧٧٢م .

له فى هـذه السفرات كلام كـثير مفرق ، لم يـلحقه بالـديوان ، وكان كلمـا نزل فى موضع ينشيء فيه قـصيدة غريبة فى بابها ، وكان يغوص على المعـانى بفكرة الثاقب ، فيستخرجـها ويكسوها حلة الألفاظ ، ويبـرزها أعجوبة تلعب بالعقـول ، وتعمل على الشمول ، فالله دره من بليغ ، لم يبـلغ معاصروه شأوَه ، ولو أقام فى موضع كغيره لأطلع ضياه ، ولكنه ألف الغربة ، وهانت عـنده الكربة ، فلم يبال بخشن ولالين ، ولم يكترث بصعب ولاهين ، وأجازه الشيخ محمد السفارينى إجازة طويلة فى خمسة كراريس ، فيها فوائد جمة ، ومن كلامه ما كتبه لبعض أحبابه :

ولمـــا نَمَا سُقْمِى تَنَـــشَّقْتُ تُربكُم ... ومِـنهُ شَمَمْتُ الـبُرءَ غِبَّ التـنَشُّقِ

فَزِدْنـى نشـوقًا مِن تُرابٍ بهِ الـشِّفَا ... وإلاّ صِفِ الأجْزَاءَ لِــلْـــمُتَشَوِّقِ

ولم يزل تتـنقل به الأحـوال ، حـتى سافر إلـى القـدس الشريفّ فمكـث هناك قليلاً ، وزار المشاهد الكرام ، ومراقد الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام ، ثم ارتحل إلى نابلس [1] ، فنزل فى دار السيـد موسى التميمى ، وهو إذ ذاك قاضى الـبلد ، فأكرمه وآواه واحترمـه ، ومرض أيامًا ، وانـتقـل إلـى رحمة الله تعـالى فى سلـخ جمادى الثانية [2] منها ، ووصل نعيه إلى مصر ، وكانت مـعه كتبه ، وماجمعه من سفره من شعره ، والمعـجم الذى جمعه فى الشـيوخ والأجزاء والأمالى التى حصـلها ، وضاع ذلك جميعه ، ولله فى خلقه ما أراد .

ومات : العمدة الشاب الصالح ، الشيخ مـحمد بن حسن الجزايرلى ، ثم المدنى الحنفى الأزهرى ، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين فى حدود الستين [3] ، وقدم به إلى مصر ، فلازم الشيخ حسن المقدسى ، مفتى الحنفية ، ملازمة كلية ، وانضوى إليه ، فقـرأ عليه المتون الـفقهية ، ودرجة فى أدنـى زمن إلى معرفة طـرق الفتوى ، حتى كان معـيداً لدروسه ، وكاتبًا لسؤالاتـه ، وربما كتب على الفتـوى بإذن شيخه ، وفى أثناء ذلك حضر فى المـعقول على الشيخ الصعيدى ، والشيـخ البيلى ، والشيخ محمد الأميـر وغيرهما من مشايـخ الوقت ، وحصل طرفًا من العـلوم ، وصارت له الشهرة فى الجملة ، وأعطاه شيخه تدريس الحديـث بالصرغتمشية فكان فى كل جمعة يقرأ فيه البخارى ، وزوجه امرأة موسرة لها بـيت بالأزبكية ، وبعد وفاة شيخه تصدر

(١) نابلس : انظر ، ص ٢٨ ، حاشية رقم (١) .

(٢) سلخ جمادى الثانية ١١٨٧ هـ / ٩ أكتوبر ١٧٧١م .

(٣) ١١٦٠ هـ / ١٣ يناير ١٧٤٧ - يناير ١٧٤٨م .

للإقراء فى محله ، وصار ممن يشار إليه ، ولم يزل حتى مات فى عنفوان شبابه فى هذه السنة [1] ، ويقال إن زوجته سمته .

ومات : الأمير الكبير ، عليّ بيك الشهير ، صاحب الوقائع المذكورة ، والحوادث المشهورة ، وهو مملوك إبراهيم كتخدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كتخدا القازدغلى ، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه ، فى سنة ثمان وستين ومائة وألف [2] ، وكان قوى المراس ، شديد الشكيمة ، عظيم الهمة ، لايرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى ، والرياسة الكبرى ، لايميل لسوى الجد ، ولا يحب اللهو ، ولا المزاح ، ولا الهزل ، ويحب معالى الأمور من صغره ، واتفق أنَّ بعض ولاة الأمور تشاوروا فى تقليده الإمارة فنقل إليه مجلسهم ، وذكر له مساعدة فلان ، وممانعة فلان ، فقال : « أنا لا أتقلد الإمارة إلا بسيفى ، لابمعونة أحد » ، ولم يزل يرقى فى مدارج الصعود حتى عظم شأنه ، وانتشر صيته ، ونما ذكره ، وكان يلقب ، بجن عليّ ، ولقب أيضًا : ببلوط قبان ، وانضم إلى عبد الرحمن كتخدا ، وأظهر له خلوص المحبة ، واغتر هو أيضًا به ، وظن صحة خلوصه ، فركن إليه وعضده وساعده ، ونوه بشأنه ليقوى به على نظرائه من الاختيارية والمتكلمين ، واتفق أنَّه وقع بين أحمد جاويش المجنون تابعه ، وبين أهل وجاقه حادثة نقموا عليه فيها ، وأوجبوا عليه النفى بحسب قوانينهم واصطلاحهم ، وأعرضوا الأمر على عبد الرحمن كتخدا أستاذه ، فعارض فى ذلك ، ولم يسلم لهم فى نفى أحمد جاويش ، ورأى أنَّ ذلك نقصًا فى حقه ، فتلطف به بعضهم ، وترجوا فى إخراجه ولو إلى ناحية ترسا بالجيزة أيامًا قليلة ، مراعاة وحرمة للوجاق ، فلم يرض وحنق واحتد ، فلما كان فى اليوم الثانى ، واجتمع عليه الأمراء والأعيان على عادتهم ، قال لهم : « أيها الأمراء من أنا ؟ » ، أجابه الجميع بقولهم : « أنت أستاذنا وابن أستاذنا ، وصاحب ولائنا » ، قال : « إذا أمرت فيكم بأمر تنفذوه وتطيعوه » ، قالوا : « نعم » ، قال : « عليّ بيك هذا يكون أميرنا ، وشيخ بلدنا ، ومن بعد هذا اليوم ، يكون الديوان والجمعية بداره ، وأنا أول من أطاعه ، وآخر من عصى عليه » ، فلم يسعهم إلا قبول ذلك بالسمع والطاعة ، وأصبح راكبًا إلى بيت عليّ بيك ، وتحول الديوان والجمعية إليه من ذلك اليوم ، واستفحل أمره ، ولم يمض على ذلك إلا مدة يسيرة حتى أخرج أحمد جاويش المذكور ، وحسن كتخدا الشعراوى ، وسليمان بيك

(١) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤م .

(٢) ١١٦٨ هـ / ١٨ أكتوبر ١٧٥٤ - ٦ أكتوبر ١٧٥٥م .

الشابورى ، كما تقدم ، ثم غدر به أيضًا ، وأخرجه إلى الحجاز من طريق السويس ، وأرسل معه صالح بيك ليوصله إلى ساحل القلزم ، فلما شيعه هناك ، أرسل بنفي صالح بيك إلى غزة ، ثم رد إلى رشيد ، ومنها ذهب إلى منية ابن خصيب ، وتحصن بها ، وجرد عليه المترجم التجاريد ، ولم يزل ممتنعًا بها حتى تعصب على المترجم خشداشينه ، وأخرجوه منفيًا إلى النوسات ، ثم وجهوه إلى السويس بعد قتل حسن بيك الأزبكاوى ، ثم منها إلى الجهة القبلية بعد قتل عثمان بيك الجرجاوى ، وانضم إلى صالح بيك وتعاقد معه ، وحضر معه إلى مصر ، وقتل الرؤساء من أقرانه ، ثم غدر بصالح بيك أيضًا كما تقدم مجمل ذلك ، ثم نفى باقى الأعيان ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتتبعهم خنقًا وقتلاً ، وأبادهم فرعًا وأصلاً ، وأفنى باقيهم بالتشريد ، وجلوا عن أوطانهم إلى كل مكان بعيد ، واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته ، وأقصى صغارهم عن ساحته وسدته ، وأخرب البيوت القديمة ، وأخرم القوانين الجسيمة ، والعوائد المرتبة ، والرواتب التى من سالف الدهر كانت منظمة ، وقتل الرجال واستصفى الأموال ، وحارب كبار العربان والبوادى وعرب الجزيرة والهنادى ، وأعاظم الشجعان ، ومقادم البلدان ، وشتت شملهم ، وفرق جمعهم واستكثر من شراء المماليك ، وجمع العسكر من سائر الأجناس ، واستخلص بلاد الصعيد ، وقهر رجالها الصناديد ، ولم يزل يمهد لنفسه حتى خلص له ولأتباعه الإقليم المصرى من الإسكندرية إلى أسوان ، ثم جرد عساكره إلى البلاد الحجازية ، ونفّذ أغراضه بها ثم التفت إلى البلاد الشامية ، وتابع إرسال البعوث والسرايا والتجاريد إليها ، وقتل عظماءها وكبراءها وولاتها ، واستولت أتباعه على البلاد الشامية ، حتى أنَّهم أقاموا فى حصار يافا [1] أربعة أشهر حتى ملكوها ، وعمَّر قلاع الإسكندرية ودمياط ، وحصنها بعساكره ، ومنع ورود الولاة العثمانيين ، وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ ، وسير الملوك المصرية ، ويقول لبعض خاصته : « إن ملوك مصر كانوا مثلنا مماليك الأكراد ، مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون ، وأولادهم ، وكذلك ملوك الجراكسة ، وهم مماليك بنى قلاوون إلى آخرهم ، كانوا كذلك ، وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها » ، وينوّه ويشير بمثل هذا القول بما فى ضميره وسريرته ، ولو لم يخنه مملوكه محمد بيك لرد الأمور إلى أصولها ، وكان لايجالس إلا أهل الوقار والحشمة ، والمسنين مثل محمد أفندى كاتب

---

(١) يافا : إحدى المدن الفلسطينية .

كبير السينكجرية ، ومصطفى أفندى توكلى ، وعبد الله كتخدا محمد باشا الراقم ، ومرتضى أغا ، وأحمد أفندى يجالسونه بالنوبة ، فى أوقات مخصوصة مع غاية التحرز فى الخطاب ، والمسامرة بوجيز القول ، وكاتب إنشائه العربى الشيخ محمد الهلباوى الدمنهورى ، وكاتبه الرومى مصطفى أفندى الأشقر ، ونعمان أفندى ، وهو منجمه أيضًا ، ويجل من العلماء : المرحوم الوالد ، والشيخ أحمد الدمنهورى ، والشيخ عليّ العدوى ، والشيخ أحمد الحماقى ، وكاتبه القبطى : المعلم رزق بلغ فى أيامه من العظمة ما لم يبلغه قبطى فيما رأينا ، ومن مِسْقَاتِه كرع المعلم إبراهيم الجوهرى ، وأدرك ما أدركه بعده فى الأيام محمد بيك وأتباعه من بعده ، وتتبع المفسدين والذين يتداخلون فى القضايا والدعاوى ، ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات والجعالات ، وعاقبهم بالضرب الشديد ، والإهانة والقتل والنفى إلى البلاد البعيدة ، ولم يراع فى ذلك أحدًا ، سواءً كان متعممًا أو فقيهًا أو قاضيًا أو كاتبًا ، أو غير ذلك بمصر ، أو غيرها من البنادر والقرى ، وكذلك المفسدون قطاع الطريق من العرب ، وأهل الحوف ، وألزم أرباب الأدراك ، والمقادم ، بحفظ نواحيهم ، ومافى حوزهم وحدودهم ، وعاقب الكبار ، بجناية الصغار ، فأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام ، وانكمشوا عن قبائحهم وإيذائهم ، بحيث إنَّ الشخص كان يسافر بمفرده ليلاً ، راكبًا أو ماشيًا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أىّ جهة ، ويبيت فى الغيط أو البرية آمنًا مطمئنًا ، لايرى مكروها أبداً ، وكان عظيم الهيبة اتفق لا ناس ماتوا فرقًا من هيبته ، وكثيراً من كان يأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه ، فيقول له : « هون عليك » ، ويلاطفه حتى ترجع له نفسه ، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده ، وكان صحيح الفراسة شديد الحذق ، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ، ولايحتاج فى التفهيم إلى ترجمان ، أو من يقرأ له الصكوك والوثائق بل يقرؤها بنفسه ، كالماء الجارى ، ولو كان خطها سقيمًا ، ولايختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ، ثم يمضيها أو يمزقها وألبس سراجينه قواويق فتلى بالفاء من جوخ أصفر تمييزاً لهم عن غيرهم من سراجين أمرائه ، ولم يزل منفرداً فى سلطنة مصر لايشاركه مشارك فى رأيه ولافى أحكامه ، وأمراؤها وحكامها مماليكه وأتباعه ، فلم يقنع بما أعطاه مولاه وخَوّله من ملك مصر بحريها وقبليها ، الذى افتخرت به الملوك والفراعنة على غيرها من الملوك ،وشرهت نفسه ، وغرته أمانيه ، وتطلبت نفسه الزيادة ، وسعة المملكة ، وكلف أمراءه الأسفار ، وفتح البلاد حتى ضاقت أنفسهم ، وسئموا الحروب والغربة والبعد عن الوطن ،

فخالف عليه كبير أمرائه محمد بيك ، ورجع بعد فتح البلاد الشامية بدون استئذان منه ، واستوحش كل من الآخر ، فوثب عليه ، وفرمنه إلى الصعيد ، وكان ماكان من رجوعه بمن انضم إليه وخامر معه وكانت الغلبة له على مخدومه ، وفَرّ منه إلى الشام ، وجند الجنود ، وقصد العود لمملكته ، ومحل سيادته فوصل إلى الصالحية ، وخرج إليه محمد بيك وتلاقيا ، وأصيب المترجم بجراحة فى وجهه وأخذ أسيراً وقتل من قتل من أمرائه ، ورجع محمد بيك وصحبته مخدومه المذكور محمولاً فى تخت ، فأنزلوه فى داره بدرب عبد الحق ، فأقام سبعة أيام ، ومات ، والله أعلم بكيفية موته ، وكان ذلك فى منتصف شهر صفر من السنة [1] ، فغسل وكفن وخرجوا بجنازته ، وصلى عليه بمصلى المؤمنين ، فى مشهد حافل ، ودفن بتربة أستاذه إبراهيم كتخذا بالقرافة الصغرى ، بجوار الإمام الشافعى ، ومدفنهم مشهور هناك ، وبواجهته سبيل يعلوه قصر مفتح الجوانب .

ومن مآثره العمارة العظيمة بطندتا ، وهى المسجد الجامع والقبة ، على مقام سيدى أحمد البدوى [2] ، رضي الله عنه ، والمكاتب والميضأة الكبيرة ، والحنفيات وكراسى الراحة المتسعة ، والمنارتان العظيمتان ، والسبيل المواجه للقبة ، والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين ، وما بها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية لنزول تجار أهل الغورية بمصر ، فى حوانيتها أيام مواسم الموالد المعتادة لبيع الأقمشة ، والطرابيش والعصائب ، وكان المشَدّ على تلك العمارة المعلم حسن عبد المعطى ، وكان من الرجال أصحاب الهمم ، وولاه سدانة الضريح عوضًا عن أولاد سعد الخادم لسوء سيرتهم وظلمهم ، فنكبهم المترجم ، وأخذ ما أمكنه أخذه من مالهم ، وهو شىء كثير وأنفقه فى هذه العمارة ، ووقف عليها أوقافًا ، ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين وجعل لهم خبزاً وجرايات وشوربة فى كل يوم وجدد أيضًا قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه [3] ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس [4] ، وقد نشعت وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد ، المثبت بالمسامير

---

(١) ١٥ صفر ١١٨٧ هـ / ٨ مايو ١٧٧٣م .

(٢) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٨٢ ، طبعة بولاق «ذكر العمارة العظيمة بطندتا وهى المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، رضى الله عنه وغيرها» .

(٣) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٣٨٢ ، طبعة بولاق «تجديد قبة الإمام الشافعى ، رضى الله عنه وغيرها» .

(٤) القرن الخامس الهجرى / ١٥ أغسطس ١٠١٠ - ٢١ أغسطس ١١٠٧م .

العظيمة ، وهو عمل كثير وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ ، وكتب بإفريزها تاريخًا منظومًا بخط صالح أفندى ، وهدم أيضًا الميضأة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا ، وكانت صغيرة مثمنة الأركان ووسعها ، وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة ، وهى مربعة مستطيلة متسعة ، وبجانبها حنفية وبزابيز يصب منها الماء ، وحول الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة ، تجرى مياهها إلى بعضها ، وماؤها شديد الملوحة ، ومن إنشائه أيضًا العمارة العظيمة التى أنشأها بشاطىء النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب تحت ربع الخرنوب ، وهى عبارة عن قيسارية عظيمة ببابين يسلك منها من بحرى إلى قبلى وبالعكس ، وخانًا عظيمًا يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ومسجد متوسط ، فحفروا أساس جميع هذه العمارة ، حتى بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير ، مثل المنارات من الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصوا بها فى ذلك الخندق ، حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنازير ، بالمؤن والأحجار ، واستعلوا عليه بعد ذلك البناء المحكم بالحجر النحيت وعقدوا العقود والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ، وكان العمل فى ذلك سنة خمس وثمانين [1] ، ومات المترجم قبل إتمامها ، وبناء أعاليها ، وكانت هذه العمارة من أشأم العمائر ، لأن النيل انحسر بسببها عن ساحل بولاق ، وبطل تياره واندفع إلى ناحية إنبابه ، ولم تزل الأرض تعلو والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة إلى شون الغلال ، ويزيد نموّها فى كل سنة حتى صار لايركبها الماء إلا فى سنين الغرق ، ثم فحش الأمر ، وبنى الناس دوراً وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا إلى جهة قرب الماء مغربين ، وألقوا أتربة العمائر ، وما يحفرونه حول ذلك واقتدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم يجدوا مانعًا ولا رادعًا ، كلما فعلوا ذلك هرب الماء ، وضعف جريانه ، وربت الأرض ، وعلت وزادت حتى صارت كيمانا تنقبض النفوس من رؤيتها ، وتمتلىء المنافس من عجاجها ، وخُصُوصًا فى وقت الهجير بعد أن كانت نزهة للناظرين ، ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من ناحية بولاق التكرور [2] ، إلى تلك الجهة ، ويمر بقوة تحت جدران الدور والوكائل القبلية ، وساحل الشون ،

---

(١) ١١٨٥هـ / ١٦ أبريل ١٧٧١ - ٣ أبريل ١٧٧٢م .

(٢) بولاق التكرور : قرية قديمة ، كانت تعرف بـ «منية بولاق» ، ثم عرفت ببولاق التكرور ، حيث نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، فى زمن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمى ، ولما مات الشيخ محمد بنى عليه العزيز قبة وجامعًا ، فاشتهرت القرية باسم بولاق الدكرور ، وهى الآن قاعدة قسم بولاق الدكرور ، محافظة الجيزة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ .

ووكالة الأبزار [1] ، وخضرة البصل ، وجامع السنانية [2] ، وربع الخرنوب إلى الجيعانية ، وينعطف إلى قصر الحلى ، والشيخ فرج صيفًا وشتاء ، ولايعوقه عائق ، ولايقدر أحد أن يرمى بساحل النيل شيئًا من التراب ، فإن اطلع الحاكم على ذلك ، نكل به أو بخفير الناحية ، وهذا شيء قد تودع منه ومن أمثاله ، وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التى يترتب بزيادتها الضرر العام ، عبد الرحمن أغا مستحفظان ، فإنه كان يحذو طريق الحكام السالفين إلى أن ضعفت شوكته بتآمر الأصاغر ، وقيد حكمه بعد الإطلاق ، وترك هذا الأمر ، ونسى بموته ، وتقليد الأغاشم ، وتضاعفت الحال ، حتى أنَّ بعض الطرق الموصلة إلى بولاق انسدت بتراكم الأتربة التى يلقيها أهل الأطارف خارج الدروب ، ولايجدون من يمنعهم أو يردعهم ، وقدرت علو الأرض بسبب هذه العمارة ، زيادة عن أربع قامات ، فإننا كنا نعد درج وكالة الأبزاريين من ناحية البحر ، عندما كنا ساكنين بهّا قبل هذه العمارة نيفًا وعشرين درجة ، وكذلك سلم قيطون بيت الشيخ عبد الله القمرى ، وقد غابت جميعًا تحت الأرض ، وغطتها الأتربة ، ولله عاقبة الأمور .

ومن إنشاء المترجم داره المطلة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق التى مات بها ، والحوض والساقية والطاحون بجوارها ، وهى الأن مسكن الست نفيسة .

وبالجملة فأخبار المترجم ، ووقائعه ، وسيرته ، لو جمعت من مبدأ أمره إلى آخره ، لكانت مجلدَات ، وقد ذكرنا فيما تقدم لُمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، مما استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفاتر ، بتراكم الهموم ، وكثرة الغموم ، وتزايد المحن ، واختلاط الفتن واختلال الدول ، وارتفاع السفل ، ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يبسم الدهر بعد كشارة أنيابه ، أو يلحظنا من نظره المتغابى فى إيابه ، شعر :

زَمَنٌ كأحْلامٍ تَقَضَّى بَعْدَهَ ... زمَنٌ نُعَلَّلُ فِيهِ بالأحْلاَمِ

ولله فى خلقه من قديم الزمان عادة ، وانتظار الفرج عبادة ، نسأله انقشاع المصائب ، وحسن العواقب .

ومات : سلطان الزمان السلطان مصطفى بن أحمد خان ، تولى السلطنة فى سنة

(١) وكالة الأبزار : أى وكالة الغلال وهى قريبة من ساحل النيل ببولاق .

(٢) جامع السنانية : أنظر ، ص ٣٦٤ ، حاشية رقم (٣) .

إحدى وسبعين ومائة وألف [1] ، فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة . وكانت له عناية ومعرفة بالعلوم الرياضية والنجومية ، ويكرم أرباب المعارف ، وكان يراسل المرحوم الوالد ، والشيخ أحمد الدمنهورى ويهاديهما ، ويرسل إليهما الصلات ، والكتب وأرسل مرة إلى الشيخ الوالد ثلاثة كتب مكلفة من خزانته ، وهو كتاب القهستانى الكبير ، « وفتاوى أنقروى » و « نور العين فى إصلاح جامع الفصولين » ، كلاهما فى الفقه الحنفى ، وله مؤلف فى الفن دقيق ينسب إليه ، وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان جعل الله أيامه سعيدة .

ومات : الأمير عليّ بيك الشهير بالطنطاوى ، وهو من مماليك عليّ بيك المذكور، وكان من الشجعان ، المعروفين ، والفرسان المشهورين ، ولم ينافق على سيده مع المنافقين ، ولم يمرق مع المارقين ، ولم يزل مع مخدومه فيما وجهه إليه ، حتى قتل بالصالحية بين يديه .

ومات : الرئيس المبجل ، الأمير إسماعيل أفندى الروزنامجى ، رئيس الكتبة بمصر ، وكان إنسانًا حسنًا منوّر الوجه والشيبة ، ضابطًا محررا خيراً ، أصيب بوجع فى عينيه ، فوعده الحاج سليمان الحكاك بشيء من الكحل ، وأودعه فى ورقة ، وضعها فى طى عمامته ، وكان بها ورقة أخرى فيها شيء من السليمانى ، لم يتذكرها ، وهو أبيض ، والكحل أيضًا أبيض ، فلما حضر عنده أخرج الورقة التى بها السليمانى من عمامته ، وأعطاها له ، وأمره أن يكتحل منها وقت النوم ، يظنها أنها ورقة الكحل ، ثم انصرف إلى داره فلما نزع عمامته وقت النوم رأى ورقة الكحل ، وتذكر عند ذلك الأخرى ، فلم يمكنه الذهاب والتدارك ليلاً لبعد المكان ، وفوات الوقت ، والمسكين صلى العشاء واكتحل من الورقة ، فزل بصره فى الحال ، واستمر مكفوفًا إلى أن مات سَحَر ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة من آخر السنة [2] ، وصلى عليه من الغد بسبيل المؤمنين ، ودفن بقبره الذى أعده لنفسه بالقرب من ابن أبى جمرة ، عوضه الله الجنة .

ومات : الرجل الصالح الأمير مراد أغا ، تابع قيطاس بيك القطامشى ، وكان منجمعًا عن الناس ، راضيًا بحاله ، قانعًا بمعيشته ، ملازمًا على حضور الجماعة ، والصلوات فى المسجد ، توفى يوم الأربعاء سابع عشرين شوّال [3] ، وصلى عليه بمصلى أيوب بيك ، ودفن بالقرافة عند الطحطاوى .

---

(١) ١١٧١هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٥٧ - ٣ سبتمبر ١٧٥٨ ، كتب أمام هذه الفقرة ص ٣٨٣ ، طبعة بولاق «ترجمة السلطان مصطفى ، وتولية السلطان عبد الحميد» .

(٢) ١٦ ذى الحجة ١١٨٧ هـ / ٢٨ فبراير ١٧٧٤م .

(٣) ٢٧ شوال ١١٨٧ / ١١ يناير ١٧٧٤م .

ومات : الأمير حسن كتخدا مستحفظان القازدغلى ، الملقب بقرا ، وكان من الأمراء الكبار أصحاب الحل والعقد بمصر ، فى الزمن السابق ، وانقطع فى بيته عن المقارشة ، والتداخل فى الأمور ، وكان مريضًا بمرض الأكلة فى فمه ، ولذلك تركه عليّ بيك ، وأهمله حتى مات يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة [1] ، عن ذلك المرض وورم فى رجليه أيضًا ، ودفن فى يومه ذلك بالقرافة .

ومات : أيضًا مصطفى أفندى الأشقر ، كاتب ديوان عليّ بيك ، خنقه خليل باشا بالقلعة ، فى سابع عشرين جمادى الأولى [2] ، بموجب مرسوم من الدولة ، حضر بطلب رأسه ، ورأس عبد الله كتخدا ، ونعمان أفندى ، ومرتضى أغا ، فوجد محمد بيك أمضى الأمر فى عبد الله كتخدا ، وقطع رأسه فى منزله بيد عبد الرحمن أغا ، ونعمان أفندى ذهب إلى الحجاز إثر موت عليّ بيك ، وكذلك مرتضى أغا اختفى وتغيب ، وذهب من مصر ، ولم يعلم له مكان ، واستمر المترجم ، فطلبه الباشا ، فلما حضر إليه أمر بخنقه ، فخنقوه وسلخوا رأسه ، ودفنوه بالقرافة ، وأخذ موجوداته الباشا إلى الميرى .

ومات : الأجل المبجل ، المجيد الضابط الماهر ، إسماعيل بن عبد الرحمن الرومى الأصل ، ثم المصرى ، المكتب الملقب بالوهبى ، شيخ الخطاطين بمصر ، كتب الخط ، وجَوَّده على شيخ عصره السيد محمد النورى ، وبرع واجتهد ، واشتغل قليلاً بالعلم ، وكتب بيده المصاحف مراراً ، وأما نسخ الدلائل والأحزاب والأوراد السبعة ، فمما لايحصى كثرة ، وكان إنسانًا حسنًا بشوشًا محبًا للناس فيه مكارم الأخلاق ، وطيب النفس ، كتب عليه غالب من بمصر من أهل الكتابة ، وكان صاحب نفس وهمة عالية ، وكان يلى منصب سيده فى الخدمة العسكرية ، وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينة المنورة ، فعلقها فى المواجهة الشريفة بيده ، ونال بهذه الزيارة الشريفة ، والخدمة المنيفة سروراً وشرفًا ، ولما كان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [3] ، أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين ، فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيسًا فى طائفتهم ، فتوجه إلى الإسكندرية ، وركب منها إلى الروم ، وأبلى فى تلك السفرة بلاء حسنًا ، وبعد مدة أذن لهم بالانصراف ، فعاد إلى مصر ، وقد وهنت قواه ، واعترته الأمراض وزادت شكواه ، وهو مع ذلك يكتب ويفيد ، ويجيز ويعيد ،

---

(١) ١٣ذى القعدة ١١٨٧ هـ / ٢٦ يناير ١٧٧٤م . (٢) ٢٧ جمادى الأولى ١١٨٧ هـ / ١٦ اغسطس ١٧٧٣م .
(٣) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨م .

ويحضر مجالس أهل الخط على عادتهم ، وجلس ملازمًا لفراشه مدة ، حتى وافاه الحمام ، ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة [1] ، فجهز وصلى عليه بمشهد حافل فى مصلى المؤمنين ، ودفن عند ابن أبى جمرة ، قرب العياشى ، فى قبر كان أعده لنفسه منذ مدة ، ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله .

سنة ثمان وثمانين ومائة وألف [2]

استهلت [3] ، ووالى مصر خليل باشا محجور عليه ، ليس له فى الولاية إلا الاسم ، والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب ، والأمراء وأعيان الدولة مماليكه وإشراقاته ، والوقت فى هدوٍّ وسكون ، وأمن ، والأحكام فى الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفى الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية ، شعر :

وما الدهرُ فى حَالِ السكُونِ بسَاكنٍ　　　ولكِنّه مُسْتَجْمِعٌ لِوثُوبِ

ومات : فى هذه السنة [4] الإمام العلامة ، والنحرير الفهامة ، حامل لواء العلوم ، على كاهل فضله ، ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم ، بتحريره ونقله ، من تكحلت بحبره عيون الفتوى ، وتشنفت المسامع بما عنه يروى ، وارتفع من حضيض التقليد إلى ذرا الفضائل ، وسابق فى حلبة العلوم ، فحاز قصب الفواضل ، الروض النضير ، الذى ليس له فى سائر العلوم نظير ، وهو فى فقه النعمان الجامع الكبير ، عمدة الأنام ، وفيلسوف الإسلام سيدى ووالدى بدر الملة والدين أبى التدانى حسن بن برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ العلامة حسن ابن الشيخ نور الدين على بن الولى الصالح شمس الدين محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعى الجبرتى ، العقيلى الحنفى ، وبلاد الجبرت هى بلاد الزيلع بأراضى الحبشة ، تحت حكم الحطى ملك الحبشة ، وهم عدة بلاد معروفة ، تسكنها هذه الطائفة ، وهم المسلمون بذلك الإقليم ، ويتمذهبون بمذهب الحنفى ، والشافعى لاغير ، وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وكان أميرهم فى عهد النبى ﷺ ، النجاشى المشهور الذى آمن به ، ولم يره ، وصلى عليه النبى ﷺ صلاة الغيبة ، كما هو مشهور فى كتب الأحاديث ، وهم قوم يغلب عليهم التقشف

---

(١) ١٦ ذى الحجة ١١٨٧ هـ / ٢٨ فبراير ١٧٧٤م .
(٢) ١١٨٨ هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥م .
(٣) ١ محرم ١١٨٨ هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤م.
(٤) ١١٨٨ هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥م .

والصلاح ، ويأتون من بلادهم بقصد الحج و المجاورة فى طلب العلم ، ويحجون مشاة ، ولهم رواق بالمدينة المنورة ، ورواق بمكة المشرفة ، ورواق بالجامع الأزهر بمصر ، وللحافظ المقريزى ، مؤلف فى أخبار بلادهم ، وتفصيل أحوالهم ونسبهم .

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير ، الشيخ إسماعيل بن سودكين الجبرتى تلميذ الشيخ ابن العربى ، ويسمى قطب اليمن ، والشيخ عبد الله الذى ترجمه الحافظ السيوطى ، فى حسن المحاضرة ، وهو الذى كان يعتقده الملك الظاهر برقوق ، وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحراء .

ومنهم الولى العارف ، الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان الأشرف قايتباى ، وارتحل إلى بحيرة إدكو ، فيما بين رشيد والإسكندرية ، وبنى هناك مسجداً عظيمًا ، ووقف عليه عدة أماكن ، وقيعان وأنوال حياكة ، وبساتين ونخيل كثيرة ، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة ، وهو تحت نظر الفقير ، إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها ، وغابت تحتها ، وفيه إلى الآن بقية صالحة ، وبنى أيضًا مسجد أشرفى عمارة السلطان قايتباى ودفن به ، وقد خرب وانطمست معالمه ، ولم يبق إلا مدفنه وحوله حائط متهدم من غير باب ولا سقف ، وقبره ظاهر مكشوف يزار ، وللناس فيه اعتقاد عظيم .

ومن كراماته : التى أكرمه الله بها أنه يرى على قبره فى بعض الليالى المظلمة ، نور مثل القنديل المستنير ، يرى ذلك سكان العمارة وغيرهم ، وهو أمر مشهور ، ومنها أن السفار ، وقوافل الأعراب ، ينزلون بأحمالهم حول قبره فى الحوطة ، ويتركونها من غير حارس ليالى وأيامًا آمنين ، فلا يتعدى عليه سارق البتة ، ويعتقدون العطب للجانى فى بدنه أو ماله ، وهو أمر مشهور أيضًا ، مقرر فى إذهانهم إلى الآن .

ومنهم : الإمام الحجة المجتهد ، الفقيه الأصولى الجدلى ، صاحب التصحيح والترجيح ، فخر الدين أبى عمرو عثمان الحنفى الزيلعى ، شارح الكنز المسمى ، بتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، المدفون بحوطة سيدى عقبة بن عامر الجهنى ، والشيخ الزيلعى الشافعى ، المدفون بالقرافة الكبرى ، وغير هؤلاء كثير ببلادهم ، وبأرض الحجار ، ومصر ، والقصد بذلك التعريف بالنسبة ، قال تعالى ،

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [1] ، والنجاشى أول من آمن بالنبى ﷺ من الملوك ، ولم يره ، وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبى طالب ، وزوّجه أم حبيبة رضى الله عنها ، وجهزها من عنده ، وأرسلها للنبى ﷺ ، من الحبشة إلى المدينة ، ومن أراد الاطلاع على أخبار النجاشى ، رضى الله عنه مع النبى ﷺ ، وهداياه إلى النبى ﷺ ، وهدايا النبى إليه ، وبعض أخبار الحبشة ، وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث ، والآثار ، فلينظر فى كتاب « الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش » ، للإمام العلامة علاء الدين محمد بن عبد الله البخارى ، خطيب المدينة المنوّرة ، و «رفع شأن الحبشان» للعلامة جلال الدين السيوطى ، و «تنوير الغبش فى فضائل السودان والحبش» ، لابن الجوزى ، وفى تفسير البغوى ، أخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « لما مات النجاشى ، كنا نحدث أنَّه لايزال يرى على قبره نور » ، وفى أزهار العروش ، من عرف اسمه من الصحابة من الحبوش ، ومن عبيده ﷺ .

ومنهم : أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، ومولى أبى بكر الصديق ، وهو أول من أذن فى الإسلام ، وأول من ثوّب الفجر ، كما فى الأوائل للسيوطى ، وكان خازن رسول الله ﷺ على بيت المال ، كما فى تهذيب الأسماء واللغات ، وكان يبدل الشين بالسين ، فقال رسول الله ﷺ فى شأنه : « شين بلال سين عندى ، وعند الله » ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول : « كان أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا » يعنى بلالاً ، وروى عنه كثير من كبار الصحابة ، ومنهم أبو بكر وعمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر ، وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدرى وكعب بن عرفجة والبراء بن عازب وغيرهم ، وجماعة من التابعين ، رضى الله عنهم أجمعين .

ومنهم : شُقْران بضم الشين المعجمة ، مولى رسول الله ﷺ ، وأما خدَّامه من الحبشة الأحرار فكثيرون ، وكذلك الصحابيات من إمائه وأهل بيته .

ومنهم : أم أيمن ذات الهجرتين ، وهى مرضعته وحاضنته ، وحليمة السعدية [2] ، وثويبة ، وبركة جارية أم حبيبة ، وبُريرة مولاة عائشة ، رضى الله عنها ، ونبعة جارية أم هانىء بنت أبى طالب ، وغفرة وسعيرة ، وكذلك عبيد الصحابة .

---

(١) سورة : الحجرات ، رقم (٤٩) ، آية رقم (١٣)

(٢) كتب أمامها بهامش ص ٣٨٧ ، طبعة بولاق «قوله : وحليمة السعدية ، هو سهو بيِّن ، لان حليمة السعدية عربية من بنى سعد ، وليست من الحبشة كما لايخفى» .

ومنهم : مهجع بكسر الميم وفتح الجيم ، مولى عمر بن الخطاب ، وهو أول من استشهد ببدر ، وكان من المهاجرين الأولين ، وعدّه النبى ﷺ من سادات أهل الجنة ، وقال فى شأنه يوم قتل سيد الشهداء : « مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة » .

ومنهم : أسلم مولى عمر بن الخطاب ، وأيمن الحبشى المكى ، والد عبد الواحد ابن أيمن ، ويسار مولى المغيرة بن شعبة ، أخرج الحسن بن محمد الخلال فى كرامات الأولياء عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « دخلت على النبى ﷺ ، فقال لى يا أبا هريرة يدخل عَلَيّ الساعة من هذا الباب ،رجل من أجلّ السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى ، فإذا حبشى قد طلع من ذلك الباب ، أقرع أجدع على رأسه جرة فيها ماء » ، فقال رسول الله ﷺ « ياأبا هريرة هو هذا » ، ثم قال : « مرحبًا بيسار ثلاث مرات » ، وكان يرش المسجد ويكنسه ، ومات فى عهده ﷺ .

وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته ، فكثيرون جداً ، لايمكن استيعابهم فى هذا الاستطراد ضبطًا وعدداً ، وكذلك أبناء الحبشيات من قريش من الصحابة والتابعين ، وأهل البيت الطاهرين ، والخلفاء العباسيين، ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشيات مثل : صفوان بن أمية بن خلف الجمعى ، وعمرو بن العاص ، وغيرهما ، مثل عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب ، وهو أول مولود فى الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق ، وكان يسمى بحر الجود ، وأخباره فى السخاء والكرم مشهورة ، والحرث بن حاطب الصحابى ، ومحمد بن حاطب ، وعمرو بن أبى سلمة ، وفى الحبوش أخلاق لطيفة ، وشمائل ظريفة ، وفيهم الحذق والفطانة ، ولطافة الطباع ، وصفاء القلوب لكونهم من جنس لقمان الحكيم ، وهم أجناس منهم السحرتى والأمحرى ، وهم أحسن أجناس الحبوش الموصوفين بالصباحة والملاحة ، والفصاحة والسماحة ، والنعومة فى الخد ، والرشاقة فى القد ، ولله در الشيخ العلامة القاضى عبد البر بن الشّحنّة الحنفى ، حيث يقول :

حَبشيةٌ سَاءلتُها عن جنسِهَا	فتبسّمَتْ عن دُرِ ثَغْرٍ جَوْهَرِىّ
فَطفِقْتَ أسْألُ عن نُعُومة ما خَفَى	قالتْ فَما تَبغيه جِنْسِى أمْحَرِىّ

والأمحرية تفوق على السحرتية باللطف والظرف ، والسحرتية تفوق على

الأمحرية بالشـدة والعنف فبينهما عـموم وخصوص مطلق ، وقيل إنَّ النـجاشى منهم رضى الله عنـه ، ويقال « إنَّ بنـى أرفدة الذين لـعبوا بحـرابهم بين يـدى رسول الله ﷺ ، وفازوا بخـطابه » ، أعنـى قولـه لهـم : « دونكم يابـنى أرفـدة » مـنهم ، ويقرب من هذين النوعين ، نوعـان آخران نوع الدموات ، وبلين ، ونوعان آخران ، وهما قـمر وقتر ، ونوع آخر يـسمى أزاره ، وقال الشيـخ شهاب الدين البـزاعى من أبيات :

وخُذْ مـا حَلاَ مِن بَنَات الحـبُو ش مِـن جَلْبِ زيْلَع أو مِنْ أزَارَهْ

وقـال غيـره :

يـا سَائـلـى عَن زيـلَعٍ وعـن طَرِيـق الحـبَشَه
صَحبتُهـا وصـيـفَةٌ بـحُسْنِهـا مُشَربـشَه
تَذكُرُ أنّ أصْلَهـا مِنْ فـتَيَات الأنْجـشَهْ
وعَمّهَا الخـالُ فـيـا طُوبَى لمـن قَدْ خَمَّشَهْ
وخَدهـا لـو مَر فيـه الـوَهْمُ يـومًا خَدَّشَهْ

عود وانعطاف

إن الشيـخ عبد الرحـمن ، وهـو الجـد السابـع لجامعـه ، وإليه ينـتهى علـمنا بالأجداد، هو الذى ارتحل من بلاده ، ووصل إلينا خبره سلف عن خلف ، فقدم من طريق البحر إلى جدة ، وانتقل إلى مـكة فجاور بها ، وحج مراراً ، وذهب أيضًا إلى المدينة المـنورة ، فجاور بها سـنتين ، ولقى من لقـى بالحرمين من الأشيـاخ ، وتلقى عنهم ، ثم رجع إلى جدة ، وحضر إلى مصـر من طريق القلزم ، فدخل إلى الجامع الأزهر فى أوائل العاشر [1] ، وجاور بالـرواق ، ولازم حضور الأشياخ واجتـهد فى التحصيل ، وتولى شيخًا على الرواق والتكـلم على طائفته ، وتزوج وولد له ، فلما مات خلف ولـده الشيخ شمس الـدين محمد ، ونشـأ على قدم الصلاح والاشـتغال بطلب العلم ، وتولى مشيخة الرواق كوالده ، وأنجب وأقرأ دروسًا فى الفقه والمعقول بالرواق ، وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن ، ولايبيت عند عياله إلا ليلة أو ليلتين فى الجـمعة ، وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجـل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة ، والتهجد آخره ، ومما اتفق له ، وعد من كراماته أن السراج

---

(1) ١ محرم ٩٠١ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٤٩٥م .

انطفأ فى بعض الليالى الشتوية ، فأيقظ النقيب ليسرج له سراجًا ، فقام من نومه متكرهًا وأخذ قنديلاً وذهب ليسرجه ، فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نوراً فستر ذلك القنديل ، ونظر إليه من بعد لينظر من أين أتاه الإسراج فوجده يطالع فى الكراس ، وهو فى يده اليسار وسبّابة يده اليمنى رافعها ، وهى تضئ مثل الشمعة المستنيرة ، ويطالع فى نورها ، ثم دخل النقيب بالقنديل فاختفى ذلك الضوء ، وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاقبه على التجسس ، وأشار إليه بكتمان سره ، ولم يعش الشيخ بعد ذلك إلا قليلاً ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى وخلف ابنه الشيخ عليّ فنشأ أيضًا على قدم أسلافه فى ملازمة العلم والعمل ، وصار له شهرة وثروة ، وتزوج بزينب بنت الإمام العلامة القاضى عبد الرحيم الجوينى، ولم يزل مواظبًا على شأنه ، وطريقة أسلافه حتى توفى ، وخلف ولديه الإمام العلامة الشيخ حسن الذى تقدم ذكر ترجمته ، المتوفى سنة سبع وتسعين وألف [1] ، وأخاه الشيخ عبد الرحمن ، ومات فى حياة أخيه ، سنة تسع وثمانين وألف[2] ، وكان لزينب الجوينية أماكن جارية فى ملكها ، وقفتها على ولدى زوجها المذكورين ، ولما توفى الشيخ حسن ، أعقب الجد إبراهيم رضيعًا ، فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الأنصارى ، فنشأ أيضًا نشوءاً صالحًا حتى بلغ الحلم فزوّجوه بستيته بنت عبد الوهاب أفندى الدجلى ، فى سنة ثمان ومائة وألف [3] ، وبنى بها فى تلك السنة ، وحملت بالمترجم وولدته فى سنة عشر ومائة وألف [4] ، ومات والده وعمره شهر واحد ، وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة ، فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة ، ووصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشرتى وقرّروه فى مشيخة الرواق كأسلافه ، والمتكلم عنه الوصى المذكور ، فتربى فى حجورهم حتى ترعرع ، وحفظ القرآن وعمره عشر سنين ، واشتغل بحفظ المتون ، فحفظ الألفية ، والجوهرة ، ومتن كنز الدقائق فى الفقه ، ومتن السلم والرحبية ، ومنظومة ابن الشِّحنَة فى الفرائض ، وغير ذلك ، واتفق له فى أثناء ذلك ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، أنه مرّ مع خادمه بطريق الأزهر ، فنظر إلى شيخ مقبل منوّر الوجه والشيبة ، وعليه جلالة ووقار ، طاعن فى السن والناس يزدحمون على تقبيل يده ، ويتبركون به ، فسأل عنه ، وعرف أنه ابن الشيخ الشرنبلالى ، فتقدم إليه ليقبل يده كغيره ، فنظر

---

(١) ١٠٩٧ هـ / ٢٨ نوفمبر ١٦٨٥ - ١٦ نوفمبر ١٦٨٦م .

(٢) ١٠٨٩ هـ / ٢٣ فبراير ١٦٧٨ - ١١ فبراير ١٦٧٩ م .

(٣) ١١٠٨ هـ / ٣١ يوليه ١٦٩٦ - ١٩ يوليه ١٦٩٧م .

(٤) ١١١٠ هـ / ١٠ يوليه ١٦٩٨ - ٢٨ يونيه ١٦٩٩م .

إليه الشيخ وتوسمه وقبضَ على يده ، وقال : « من يكون هذا الغلام ، ومن أبوه ؟ » ، فعرَّفوه عنه ، فتبسم ، وقال : « عرفته بالشبه » ، ثم وقف ، وقال : « اسمع ياولدى أنا قرأت على جدك ، وهو قرأ على والدى ، وأحب أنْ تقرأ علىّ شيئًا ، وأجيزك وتتصل بيننا سلسلة الإسناد ، ونلحق الأحفاد بالأجداد » ، فامتثل إشارته ، ولازم الحضور عنده فى كل يوم ، وقرأ عليه متن نور الإيضاح ، تأليف والده فى العبادات ، وكتب له الإجازة ونصها : « الحمد لله الذى أنعم على عبده بتوفيقه ، وأرشده إلى سواء طريقه ، وأذاقه حلاوة التفقه فى دينه ، وتمام تحقيقه ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، المنعم بلطائف الإنعام ، وعظيمه ودقيقه ، وأشهد أن سيدنا وسندنا محمداً ﷺ ، عبده ورسوله الهادى إلى الخير الكامل ، والجبر الشامل ، فأصبح كل أحد مغموراً فى بحر فضله وجوده ، محفوظًا من كيد الشيطان وجنوده وتعويقه ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، وبعد فقد حضر لدى الولد النجيب ، الموفق اللبيب ، الفطن الماهر ، الذكى الباهر ، سليل العلماء الأعلام ، ونتيجة الفضلاء العظام ، نور الدين حسن بن برهان الدين إبراهيم ابن العلامة مفتى المسلمين ، وإمام المحققين ، الشيخ حسن الجبرتى الحنفى ، رحم الله أسلافه ، وبارك فيه ، وقرأ عَلَىَّ متن نور الإيضاح من أوله إلى آخره ، تأليف والدى المندرج إلى رحمة الله تعالى ، سيدى وسندى الإمام العلامة الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى ، وأجزته أن يروى ذلك عنى ، وجميع مايجوز لى روايته إجازة عامة ، كما أجازنى به ، وبفقه أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه ، كما تلقى ذلك هو عن الشيخ علىّ المقدسى ، شارح نظم الكنز ، عن العلامة الشلبى ، شارح الكنز ، عن القاضى عبد البر بن الشِّحنَة ، عن المحقق الكمال بن الهمام عن سراج الدين قارىء الهداية ، عن علاء الدين السيرامى ، عن السيد جلال الدين شارح الهداية ، عن علاء الدين بن عبد العزيز البخارى ، عن حافظ الدين صاحب الكنز ، عن شمس الأئمة الكردى ، عن برهان الدين صاحب الهداية ، عن فخر الإسلام البرذى ، عن شمس الأئمة السرخسى، عن شمس الأئمة الحلوانى ، عن القاضى ابن على النسفى، عن الإمام محمد بن الفضل البخارى ، عن عبد الله السندمونى ، عن الأمير عبد الله بن أبى حفص البخارى ، عن أبيه المذكور ، عن الإمام محمد بن الحسن الشيبانى ، عن الإمام أبى يوسف ، عن الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، رضى الله عنه ، عن الإمام حماد بن سليمان ، عن إبراهيم النخعى ، عن الإمام علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى ﷺ ، عن أمين الوحى جبريل ، عليه السلام ، عن الله عز وجل ، وأوصى الولد الأعز بالتقوى ، ومراقبة الله فى

السر والنجوى ، والله تعالى يوفقه ، وينفع به وبعلومه ، ويهدينا وإياه لما كان عليه السلف الصالح فى أساس الدين ورسومه ، قال ذلك الفقير إلى الله تعالى حسن بن حسن الشرنبلالى الحنفى فى ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف » [1] ، وتوفى الشيخ فى آخر تلك السنة [2] ، وقد جاوز التسعين ، واشتغل المترجم ، واجتهد فى طلب العلوم ، وحضر أشياخ العصر ، وتفقه على الإمام العلامة السيد عليّ السيواسى الضرير ، وحضر عليه : شرح الكنز للعينى ، والدر المختار ، وكتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم ، وشرح المنار لابن فرشته ، وشرح التحرير للكمال بن الهمام ، وشرح جمع الجوامع ، ومختصر السعد ، وعلى العلامة الشيخ أحمد التونسى المعروف بالدقدوسى الحنفى : شرح الكنز للعلامة الزيلعى ، والدرر لملاً خسرو ، والسيد على السراجية فى الفرائض ، وشرح منظومة ابن الشحنة فى الفرائض ، والشنشورى على الرحبية ، والتلخيص ، ومتن الحكم ، وشرح التحفة ، وعلى الشيخ على العقدى الحنفى : ملامسكين على الكنز ، ومتن الهداية ، والسراجية ، والمنار والنزهة فى علم الغبار والقلصادى ، ومنظومة ابن الهائم ، وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزيادى الحنفى : ملتقى الأبحر وفتح القدير ، والحكم لابن عطاء الله ، والقدورى ، وعقود الجمان فى المعانى والبيان ، وإيساغوجى ، وعلى الشيخ الفقيه المحدث الشهاب أحمد بن مصطفى الإسكندرى ، الشهير بالصباغ : شرح الكبرى وأم البراهين ، وشرح العقائد والمواقف ، وشرح المقاصد للسعد ، والكشاف ، والبيضاوى ، والشمائل ، والصحيحين رواية ودراية ، والأربعين النووية ، والمشارق والقطب على الشمسية ، والمواهب اللدنية ، وشرح النخبة ، وعلى الشيخ منصور المنوفى : شرح ابن عقيل على الألفية ، والشيخ خالد على الأجرومية والأزهرية، والتوضيح، وشرح تصريف العزى ، وشرح التلمسانية ، والخبيصى على التهذيب ، وشيخ الإسلام على الخزرجية ، وعلى الشيخ عيد النمرسى : شرح الورقات ، والسمرقندية ، وآداب البحث والعضدية ، والعصام على السمرقندية ، وعلم الجبر والمقابلة والعروض ، وأعمال المناسخات ، والكسورات ، والأعداد الصم والغربال والمساحة والحساب ، وعلى الشيخ شلبى البرلسى : تلخيص المفتاح ، والمطول والتجريد ، وعلى الشيخ محمد السجينى الضرير : المكودى على الألفية ، والفاكهى ، وشرح الشذور ، وملاجامى ، وشرح مختصر ابن الحاجب والمطول ، وعلى الشيخ أحمد العماوى : شرح الجوهرة لعبد السلام ، والكتانى على

---

(1) ٣ ربيع الأول ١١٢٣ هـ / ٢١ ابريل ١٧١١م .

(2) آخر ذى الحجة ١١٢٣ هـ / ٨ فبراير ١٧١٢م .

الصغرى ، وشرح مختصر السنوسى والكافى ، ونوادر الأصول ، والجامع الصغير ، وشرح المقاصد ، وعلى الشيخ حسن المدابغى : الأشمونى على الألفية ، وشرح المراح ، وقواعد الإعراب ، والمغنى ، وعلى الشيخ الملوى : شرحه على السلم ، وشرح معراج الغيطى ، وأوضح المسالك ، وأوائل الكتب الستة ، والمسلسلات والمسندات، وحضر أيضًا دروس الشيخ عبد الرءوف البشبيشى ، وأبو العز العجمى ، وغيزهما ، وجَدّاً فى التحصيل حتى فاق أهل عصره ، وباحث وناضل ودرس بالرواق فى الفقه والمعقول ، وبالسنانية ببولاق ، وكان لجدته أم أبيه مكان مشرف على النيل بربع الخرنوب [1] ، عندما كان النيل ملاصقًا لسدته ، فساكنها مدة ، فكان يغدو إلى الجامع ، ثم يعود إلى بولاق ، وله حاصل بربع الخرنوب ، يجلس فيه حصة ، ثم يعود إلى السناني ، فيملى هناك درسًا ، ثم احترق ذلك المنزل بما فيه ، وتلف فيه أشياء كثيرة من المتاع والصينى القديم ، فانتقلت إلى مصر ، وكانوا يذهبون إلى مكان لها بمصر العتيقة فى أيام النيل بقصد النزاهة ، وهى التى أعانته على تحصيل العلوم ، حتى أنَّه كان يقول : « ماعرفت المصرف ، واحتياجات المنزل والعيال ، إلا بعد موتها » ، ومع اشتغاله بالعلم ، كان يعانى التجارة والبيع والشراء ، والمشاركة والمضاربة والمقايضة ، وكانت جدته ذا[2] غُنْيَة ، وثروة ، ولها أملاك وعقارات ، ووقفت عليه أماكن ، ومنها الوكالة بالصنادقية ، والحوانيت بجوارها ، وبالغورية ، ومرجوش ، ومنزل بجوار المدرسة الأقبغاوية [3] ، ورتبت فى وقفها عدة خيرات ، ومكتب لإقراء أيتام المسلمين بالحانوت المواجه للوكالة المذكورة ، ورَبْعَة تقرأ فى كل يوم ، وختمات فى ليالى المواسم وقصعتين[4] ثريد فى كل ليلة من ليالى رمضان ، وثلاث جواميس تفرق على الفقهاء والأيتام والفقراء فى عيد الأضحية ، وتزوج بجدته المذكورة بعد موت جده الأمير علىّ أغا باش اختيار متفرقة ، المعروف بالطورى، وتزوج المترجم بابنته ، وله حكم قلاع : الطور ، والسويس ، والمويلح ، وكانت إذ ذاك عامرة ، وبها المرابطون ، ويصرف عليهم العلوفات ، والاحتياجات ،

---

(١) ربع الخرنوب : ربع كان قائما على النيل ببولاق القاهرة .

(٢) هكذا بالأصل وصحتها « ذات » .

(٣) المدرسة الأقبغاوية : أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد ، استدار الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٤٠ هـ/ ٩ يوليه ١٣٣٩ – ٢٦ يونيه ١٣٤٠م ، تقريبًا ، بجوار الأزهر على يسرة الداخل إليه من بابه الكبير الغربى ، تجاه المدرسة الطيبرسية ، كان فيها عدة من الصوفية ، وطائفة من القراء ، وإمامًا راتبًا ، ومؤذنًا ، وفراشين وقومة ومباشرين .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٤٥ – ٤٦ ، جـ ٦ ، ص ٥ .

(٤) هكذا بالأصل وصحتها « قصعتى » ، ثريد .

ولما مات عليّ أغا المذكور سنة سبع وثلاثين [١] ، تقلد ذلك بعده المترجم مدة مع كونه في عداد العلماء ، وربى معتوقيه عثمان وعليًا ، ولم يزالا في كنفه حتى ماتا بعد مدة طويلة ، وأرسل خادمًا له يسمى : سليمان الحصافى جربجيًا على قلعة المويلح ، فقتلوه هناك ، فتكدر لذلك ، وترك هذا الأمر وأعرض عنه ، وأقبل على شأنه من الاشتغال ، وماتت زوجته بنت الأمير عليّ أغا المذكور في حياة أبيها ، فتزوج ببنت رمضان چلبى بن يوسف ، المعروف بالخشاب ، تابع كور محمد ، وهم بيت مجد وثروة ببولاق ، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف ، ومن ذلك وكالة الكتان ، وربع وحوانيت تجاه جامع الزردكاش ، وبيت كبير بساحل النيل ، وآخر تجاه جامع مرزة چربجى [٢] ، وهو سكن رمضان چلبى المذكور ، وكان إنسانًا حسنًا رقيق الحاشية ، وفيه فضيلة ، وسليقة جيدة ، ومن نظمه في إعارة الكتب قوله :

كتَابُك لا تُعِرْه ولا لإلـــف ... فـــإنّك لا تَعُودُ لذَاك تُلْفِى
فَخُذْ قَولـــى وَشُدّ يَدًا عَلَيْـــه ... فـإنْ خَالَفْتَ فَقْدك فـيه يـكْفـى
ولَستُ مُقَلدًا فى الـنصْحِ بلْ قدْ ... تكَرر فَقْدُ مــــا اعْطَيْته كَفّى
فـإنْ أُلجِئْتَ لـلإعـطَاء فـاقْبِضْ ... نَظِيــرًا مثــلَهُ إنْ كَان يكْفِى
وإنْ تَرُم اســـمَ نَاظِمِه حِسَابًا ... فضـفْ أحَدًا إلى تِسْعِين والـفِ

ومات : رمضان چلبى المذكور ، سنة تسع وثلاثين ومائة وألف [٣] ، واستمرت ابنته في عصمة المترجم حتى ماتت ، فى المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف [٤] ، وعمرها ستون سنة ، وكانت من الصالحات الخيرات المصونات ، وحجت صحبته في سنة إحدى وخمسين [٥] ، وكانت به بارة وله مطيعة ، ومن جملة برها له وطاعتها ، أنها كانت تشترى له من السرارى الحسان من مالها ، وتنظمهنّ بالحلى والملابس ، وتقدمهن إليه وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك ، وكان يتزوج عليها كثيراً من الحرائر ، ويشترى الجوارى ، فلا تتأثر من ذلك ، ولا يحصل عندها ما يحصل فى النساء من الغيرة ، ومن الوقائع الغريبة ، أنه لما حج المترجم ، فى سنة ست

(١) ١١٣٧ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ - ٨ سبتمبر ١٧٢٥م .
(٢) جامع مرزة : يقع فى بولاق بشارع خط حبو ، أنشأه الأمير مصطفى جوربجى مرزة ، سنة ١١١٠ هـ / ١٠ يوليه ١٦٩٨ - ٢٨ يونيه ١٦٩٩م ، وجعل محلاً به مشغول بالرخام والصدف ، ووقف عليه أوقافًا دارة ، وتاريخ بنائه واسم بانيه على بابه الثانى من الداخل .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .
(٣) ١١٣٩ هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٢٦ ـ ١٨ أغسطس ١٧٢٧م .
(٤) محرم ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو - ١٦ يونيه ١٧٦٨م .
(٥) ١١٥١ هـ / ٢١ ابريل ١٧٣٨ - ٩ ابريل ١٧٣٩م .

وخمسين [1] ، واجتمع به الشيخ عمر الحلبى بمكة أوصاه بأن يشترى له جارية بيضاء ، تكون بكراً دون البلوغ ، وصفتها كذا وكذا ، فلما عاد من الحج طلب من اليسرجية الجوارى لينقى منهن المطلوب ، فلم يزل حتى وقع على الغرض ، فاشتراها وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبته ، فلما حضر وقت السفر ، أخبرها بذلك لتعمل لهم مايجب من الزوادة ونحو ذلك ، فقالت له : « إنى أحببت هذه الوصيفة حبًا شديداً ولا أقدر على فراقها ، وليس لى أولاد ، وقد جعلتها مثل ابنتى » ، والجارية بكت أيضًا ، وقالت : « لاأفارق سيدتى » ، ولاأذهب من عندها أبداً ، فقال : « وكيف يكون العمل ؟ » ، قالت : « ادفع ثمنها من عندى ، واشتر أنت غيرها » ، ففعل ، ثم إنها أعتقتها وعقدت له عليها ، وجهزتها وفرشت لها مكانًا على حدتها ، وبنى بها فى سنة خمس وستين [2] ، وكانت لاتقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولاداً ، فلما كان فى سنة اثنتين وثمانين [3] المذكورة ، مرضت الجارية ، فمرضت لمرضها ، وثقل عليهما المرض فقامت الجارية فى ضحوة النهار ، فنظرت إلى مولاتها ، وكانت فى حالة غطوسها ، فبكت ، وقالت « إلهى وسيدى إن كنت قدرت بموت سيدتى اجعل يومى قبل يومها » ، ثم رقدت وزاد بها الحال ، وماتت تلك الليلة ، فاضجعوها بجانبها ، فاستيقظت مولاتها آخر الليل وجستها بيدها ، وصارت تقول زليخا زليخا فقالوا : « إنها نائمة » ، فقالت : « إن قلبى يحدثنى أنها ماتت ، ورأيت فى منامى مايدل على ذلك » ، فقالوا لها : « حياتك الباقية » ، فلما تحققت ذلك قامت وجلست ، وهى تقول : « لاحياة لى بعدها » ، وصارت تبكى وتنحب حتى طلع النهار » وشرعوا فى تشهيلها وتجهيزها وغسلوها بين يديها ، وشالوا جنازتها ، ورجعت إلى فراشها ، ودخلت فى سكرات الموت ، وماتت آخر النهار ، وخرجوا بجنازتها أيضًا فى اليوم الثانى ، وهذا من أعجب ماشاهدته ورأيته ووعيته ، وكان سنى إذ ذاك أربع عشرة سنة .

واشتغل المترجم فى أيام اشتغاله بتجويد الخط ، فكتب على عبد الله أفندى الأنيس ، وحسن أفندى الضيائى ، طريقة الثلث ، والنسخ ، حتى أحكم ذلك وأجازه الكتبة ، وآذنوه أن يكتب الإذن على اصطلاحهم ، ثم جوّد فى التعليق على

---

(١) ١١٥٦ هـ / ٢٥ فبراير ١٧٤٣ - ١٤ فبراير ١٧٤٤م .

(٢) ١١٦٥ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٧٥١ - ٧ نوفمبر ١٧٥٢م .

(٣) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩م .

أحمد أفندى الهندى النقاش لفصوص الخواتم ، حتى أحكم ذلك ، وغلب على خطه طريقته ، ومشى عليها ، وكتب الديوانى والقرمة [1] ، وحفظ الشاهدى ، واللسان الفارسى ، والتركى ، حتى أن كثيراً من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته فى التكلم بلسانهم ولغتهم ، وفى سنة أربع وأربعين [2] ، اشتغل بالرياضيات ، فقرأ على الشيخ محمد النجاحى رقائق الحقائق للسبط الماردينى ، والمجيب والمقنطر ، ونتيجة اللاذقى والرضوانية والدرّ لابن المجدى ، ومنحرفات السبط ، وإلى هناك انتهت معرفة الشيخ النجاحى ، وعند ذلك انفتح له الباب ، وانكشف عنه الحجاب ، وعرف السمت والارتفاع ، والتقاسيم والأرباع ، والميل الثانى والأول ، والأصل الحقيقى والمعدل ، وخالط أرباب المعارف ، وكل من كان من بحر الفن غارف ، وحل الرموز وفتح الكنوز ، واستخرج نتائج الدر اليتيم ، والتعديل والتقويم ، وحقق أشكال الوسائط فى المنحرفات والبسائط ، والزيج والمحاولات ، وحركات التداوير والنطاقات والتسهيل والتقريب ، والحل والتركيب ، والسهام والظلال ، ودقائق الأعمال ، وانتهت إليه الرياسة فى الصناعة ، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة ، وسلم له عطارد ، وجمشيد الراصد ، وناظره المشترى ، وشهد له الطوسى والأبهرى ، وتبوأ من ذلك العلم مكانًا عليًا ، وزاحم بمنكبه العيوق والثريا ، وقَدِمَ القدوة العلامة ، والحكيم الفهامة ، الشيخ حسام الدين الهندى ، وكان متضلعًا من العلوم الرياضية ، والمعارف الحكمية والفلسفية ، فنزل بمسجد فى مصر القديمة ، واجتمع عليه بعض الطلبة مثل الشيخ الوسيمى ، والشيخ أحمد الدمنهورى ، وتلقوا عنه أشياء فى الهيئة ، فبلغ خبره المترجم ، فذهب إليه للأخذ عنه ، فاغتبط به الشيخ وأخيه، وأقبل بكليته عليه ، فلم يزل به حتى نقله إلى داره، وأفرد له مكانًا وأكرم نُزُله ، وقام بأوده ، وطالع عليه الجغمينى ، وقاضى زاده ، عليه ، والتبصرة ، والتذكرة ، وهداية الحكمة ، لأثير الدين الأبهرى ، وما عليها من المواد والشروح ، مثل السيد والميبدى قراءة بحث وتحقيق ، وأشكال التأسيس فى الهندسة ، وتحرير إقليدس ، والمتوسطات ، والمبادى والغايات ، والأكر ، وعلم الأرثماطيقى ، وجغرافيا وعلم المساحة ، وغير ذلك ، ثم أراد أن يلقنه علم الصنعة الإلهية ، وكان من الواصلين فيها ، فغالطه عن ذلك ، وأبت نفسه الاشتغال بسوى

---

(١) الديوانى والقرمة : الديوانى الخط الذى كان مستعملا فى كتابة الرسائل الديوانية الرسمية ، والقرمة الخط الذى كان يستعمل فى كتابة حسابات الروزنامة .

(٢) ١١٤٤ هـ / ٦ يوليه ١٧٣١ - ٢٣ يونيه ١٧٣٢م .

العلوم المهذبة للنفس ، وكان يحكى عنه أموراً وعبارات وإشارات ، تشعر بأنه كان من الكمل الواصلين فى كل شىء ، ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة ، وسافر إلى بلاده .

وقدم إلى مصر الإمام العلامة ، الشيخ محمد الغلانى الكشناوى ، وسكن بدرب الأتراك ، فاجتمع عليه المترجم ، وتلقى عنه علم الأوفاق ، وقرأ عليه شرح منظومة الجزنائية للقوصونى ، والدر والترياق والمرجانية ، فى خصوص المخمس الخالى الوسط ، والأصول والضوابط ، والوفق المئينى ، وعلم التكسير للحروف وغير ذلك ، وسافر الشيخ إلى الحج ، وجاور هناك ، فلما رجع ، أنزله عنده وصحبته زوجته وجواره وعبيده ، وكمل عنده غالب مؤلفاته ، ولم يزل حتى مات كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمته ، ولقى المترجم فى حجاته : الشيخ النخلى ، وعبد الله بن سالم البصرى ، وعمر بن أحمد بن عقيل المكى ، والشيخ محمد حياة السندى الكورانى ، وأبو الحسن السندى ، والسيد محمد السقاف وغيرهم ، وتلقى عنهم وأجازوه ، وتلقوا هم أيضًا عنه ، ولقنه الشيخ أبو الحسن السندى طريق السادة النقشبندية ، والأسماء الإدريسية : وهذه صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ، ومن خطه ، نقلت : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، خصوصًا أفضل أنبيائه ، وعترته الطاهرين ، وصحابته أجمعين ، وبعد : فإنَّ مما تطابقت عليه النصوص ، وتوافقت عليه ألسنة العموم والخصوص ، أن الباحث عن السنة الغراء ، لاتباع هَدْيِ سيد الأنبياء ، الموجب لمحبة ذى الآلاء والنعماء ، هو الفائز بالقدح المعَلَّى ، والمرفوع إلى المقام الأعلى ، ومن المعلوم أنه لم يبق فى زماننا مايتداول منها إلا التعلل برسوم الإسناد ، بعد انتقال أهل المنزل والناد ، فذو الهمة هو الذى يثابر على تحصيل أعلاه ، وينافس فى فهم متنه ، ويفحص عن معناه ، ويناقش فى رجاله الذين عليهم مغناه ، ألا وهو الشيخ الأجل الراقى بعزمه ، المتين من العلم والعمل ، إلى أعلى محل ، سيدنا وأستاذنا الشيخ حسن ابن المرحوم إبراهيم ابن الشيخ حسن الجبرتى أمده الله بالمدد الإلهى ، فطلب من هذا الفقير ، أنْ أجيزه ، فلما لم أجد بدأً من الامتثال ، قلت سائلاً التوفيق فى القول والفعال ، أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوّه بذكره أعلى السطور ، أجزل الله تعالى له الأجور مايجوز لى وعنى روايته من مقروء ومسموع ، وأصول وفروع ، بشرطه المعتبر من تقوى الله والصيانة ، وضبط الألفاظ ، وسِير الرجال والديانة ، حسبما أجازنى بذلك شيوخ أكابر عدة ، هم فى

الشدائـد عدة ، ومنهم بل مـن أجلهم ، سيـدى وجدى لأمى ، بعد أن قرأت عـليه جانبًا كبيراً مـن كتب الحديث وغيره ، قـراءة تحقيق وتدقيق ، وغيره من الشيوخ أهل التوفيـق ، وقد سمع مولانا الـشيـخ حسـن مـنّى ، أوائل البخـارى ، ومـسلم وأبى داود ، والنسائى ، والترمذى ، وابن ماجه ، والموطأ ، فليرو عنى المجاز المذكور متى شاء ، مما اتصلت بى روايته ، متى أراد رفع سند أو كتاب لمن هو أهل الدراية ، وهو دام أنسه ، وزكـا قدسه ، فى غنـية عن ذلك ،ولكن جـرت العادة بأخذ الأكـابر عن الأصاغـر ، تكثـيراً لسَوادِنا فـهى سنة سـيد الأوائل والأواخـر ، وكذلك أجـزت له بالصلاة المشـهورة النفع بهذه الصيغـة : اللّهم صل على سيدنا محـمد وآله ، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله ، بنصب عد وجره ، حسبما أجازنى بها مولانا الشيخ طاهر ابن الملا إبراهيم الكورانـى ، عن شيخه الشيخ حسن المنوفى ، مفتى الحـنفية بالمدينة سابقًا ، عـن شيخه مولانـا الشيخ على الـشبراملسـى ، عن بعض أجلاء شـيوخه ، وأمره أن يصلى بها بين المـغرب والعشاء بلا عدد معين ، وبالمواظبة عليـها يظهر نتائج فتحـها ، خصوصًا لمبتـغى هذا العلـم ، المجد فى طلبـه من ذويه ، نفعه الله تـعالى بالعلم، وجعله من أهليه ، وقد أجزت الشيخ المذكور ، ضاعف الله تعالى له الأجور بالأسماء الأربعـينية الإدريسية الـسـهروردية بقراءتها ، وإقرائـها لخل صادق ، إنْ وجد كما أجازنى بذلك جملة من الشيوخ ، وقـد اتصل سندى بها أيضًا عن مولانا وسيدنا الأمجد ، مـولانا الشيـخ أحمد بن محـمد النخـلى ، أنزل عليـه شآبيب الـرحمة ، والغفران الواحد العلى ، وهو يرويها عن الشيخ حجازى الديربى ، عن الشيخ شهاب الدين أحمد بـن على الخامى الشناوى ، وأجازه شيـخه أيضًا بشرحها للشـيخ عثمان النحراوى ، قال الـشيخ عثمان ، أجازنى بالأسـماء الإدريسية العظام ، الـشيخ كمال الدين السودانـى ، وهو يرويها عن شيخـه أبى المواهب أحمد الشنـاوى ، عن السيد صبغة الله أحمد ، عن السيد وجيه الدين العلوى ، عن الحاج حميد ، الشهير بالشيخ محمد الغوث ، عن الحاج حصور ، عن أبى الفـتح هدية الله سيرمست ، عن الشيخ قاضن الستارى ، عن الشيخ ركن الدين حينوووى ، عن الشيخ بابو تاج الدين ، عن السيد جلال الـدين البخارى ، عن الشيـخ ركن الدين أبى الفتح ، عـن الشيخ صدر الدين أبى الـفضل ، عن الشيـخ أبى البركات بهاء الـدين زكريا ، عن شيـخ الشيوخ شهاب الدين الـسهروردى ، عن سيدى وجيه الـدين المعروف بعموديه ، عـن الشيخ أحمد أسود الدينورى ، عـن الشيخ ممشاد الدينورى ، عن الشيخ أبـى القاسم الجنيد البغدادى عن خاله سـرى السقطى ، عن الشيخ معروف الكـرخى ، عن الشيخ داود

الطائى ، عن الشيخ حبيب العجمى ، عن سيد التابعين حسن البصرى ، عن إمام المشارق والمغارب ، سيدنا على بن أبى طالب ، عن سيدنا ومولانا سيد الخلق ، حبيب الحق ، عبده ورسوله ، وحبيبه وصفيه وخليله ، النبى الرسول ، الحاوى لجميع الكمالات الأصلية والفرعية ، الجامع لكل الصفات السنية ، والمراتب العلية ، المبعوث لـ كل الخلق ، المتخصص بالقرب من العالم الحق ، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم ، محمد ﷺ ، قال ذلك بفمه ، وكتب بقلمه ، أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوى حفيد مولانا الشيخ عبد الله بن سالم البصرى ، عفا الله تعالى عنهم أجمعين ، سائلاً من الشيخ المذكور أن لاينسانى، وأصولى ومشايخى فى الدين ، وجميع أقاربى من صالح الدعوات فى خلواته ، وجلواته وحركاته وسكناته ، وأوصيه بما أوصى به نفسى ، وسائر المسلمين من ملازمة التقوى ، وكمال الاستعداد ، واتباع سبيل الهدى والرشاد ، وأسأل الله تعالى الكريم المنان ، أن يوفقنى وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل ، ويجنبنا الخطأ والزلل ، ويجعلنا من العلماء العاملين ، والهداة الراشدين ، وأن يميتنا على سنة سيد المرسلين ، ﷺ ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، فى كل وقت وحين » ، وللمترجم أشياخ غير هؤلاء كثيرون ، اجتمع بهم ، وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه ، مثل على أفندى الداغستانى ، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد الفشتالى الفاسى ، والشيخ عبد اللطيف الشامى ، والجمال يوسف الكلارجى ، والشيخ رمضان الخوانكى ، والشيخ محمد النشيلى ، والشيخ عمر الحلبى ، والشيخ حسين عبد الشكور المكى ، والشيخ إبراهيم الزمزمى ، وحسن أفندى قطة مسكين ، وأحمد أفندى الكرتلى ، والأستاذ عبد الخالق بن وفى ، وكان خصيصًا به ، وأجازه بالأحزاب ، وهو الذى كناه بأبى التدانى ، وألبسه التاج الوفائى ، والسيد مصطفى العيدروس ، وولده السيد عبد الرحمن ، والسيد عبد الله العيدروسى ، والشيخ على بندق الشناوى الأحمدى ، وكثير من المشايخ الأزهرية مثل : السيد محمد البنوفرى ، والشيخ عمر الأسقاطى ، والشيخ أحمد الجوهرى ، والشيخ أحمد الدلجى [1] ، ابن خال المترجم ، والشيخ أحمد الراشدى ، والشيخ إبراهيم الحلبى ، صاحب حاشية الدر ، والسيد سعودى محشى ملا مسكين وغيرهم ، من الأكابر والأخيار ، وأهل الأسرار والأنوار ، حتى كمل فى المعارف والفنون ، ورمقته بالأجلال العيون ،

---

(١) كتب أمام الاسم بهامش ص ٣٩٥ ، طبعة بولاق « قوله : أحمد الدلجى ، فى بعض النسخ بدل أحمد محمد ا هـ»

وعلا شأنه على علماء الزمان ، وتميز بين الأقران ، وأذعنت له أهل الأذواق ، وشاع ذكره فى الآفاق ، ووفدت عليه الطلاب البلدانية ، والواردون من النواحى الآفاقية ، وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته ، ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته، فمنهم من ينفر بعد إتمام نسكه وبلوغ أمنيته ، ومنهم من يواظب على الاعتكاف بساحته ، وكان رحمه الله عذب المورد للطالبين ، طلق المحيا للواردين ، يكرم مَن أمَّ حماه ، ويبلغ الراجى مناه ، والمقتفى جدواه ، والراغب أقصى مرماه ، مع البشاشة والطلاقة ، وسعة الصدر والرياقة ، وعدم رؤية المنة على المجتدى ، ومسامحة الجاهل والمعتدى ، مع حسن الأخلاق والصفات ، التى سجدت لها الخناصر كأنها آيات سجدات :

لَهُ صَحَائِفُ أخلاقٍ مُهَذَّبَةٍ ... منها العُلا والحِجَا والفَضْلُ يَنْتَسِجُ

وكانت ذاته جامعة للفضائل والفواضل ، منزهة عن النقائص والرذائل ، وقوراً محتشمًا مهيبًا فى الأعين ، معظمًا فى النفوس ، محبوبًا للقلوب ، لايعادى أحدًا ، ولايخاصم على الدنيا ، فلذلك لاتجد من يكرهه ، ولا مَن ينقُم عليه فى شىء من الأشياء ، وأما مكارم الأخلاق ، والحلم والصفح والتواضع والقناعة ، وشرف النفس ، وكظم الغيظ ، والانبساط إلى الجليل والحقير ، كل ذلك سجيته وطبعه من غير تكلف لذلك ، ولا يرى لنفسه مقامًا أصلاً ، ولايعرف التصنع فى الأمور ولا دعوى علم ولا معرفة ، ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة ، ولايرضى التعاظم ، ولاتقبيل اليد ، وله منزلة عظيمة فى قلوب الأكابر والأمراء ، والوزراء ، والأعيان ، ويسعون إليه ، ويذهب إليهم لبعض المقتضيات والشفاعات ، ويرسل إليهم فلا يردّون شفاعته ، ولا يتوانون فى حاجة ، يتكلم فيها ، وله عندهم محبة ، ومنزلة فى قلوبهم زيادة عن نظرائه من الأشياخ ، لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم ، ورغبتهم فيما يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف ، المختص بها دون غيره ، وخصوصًا أكابر العثمانيين والوزراء ، وأهل العلوم والفضلاء منهم ، مثل : على باشا ابن الحكيم ، وراغب باشا ، وأحمد باشا الكور ، وغيرهم ، ويأتون إليه أحيانا فى التبديل ، وأكرموه وهادوه كل ذلك مع العفة والعزة ، وعدم التطلع لشىء من أسباب الدنيا ، بوظيفة أو مرتب أو فائظ أو نحو ذلك ، وكان بينه وبين الأمير عثمان بيك ذى الفقار صحبة ومحبة ، وحج فى أيام إمارته على الحج ، مرافقًا له ثلاث مرات من ماله وصلب حاله ، ولم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه على سبيل الهدية ، وكان منزل سكنه الذى بالصنادقية ، ضيقًا من أسفل ، وكثير الدرج ،

فعالجه إبراهيم كتخدا على أن يشترى له ، أو يبنى له داراً واسعة ، فلم يقبل ، وكذلك عبد الرحمن كتخدا ، وكان له ثلاثة مساكن أحدهما هذا المنزل بالقرب من الأزهر ، وآخر بالإبزراية بشاطىء النيل ، ومنزل زوجته القديمة تجاه جامع مرزه ، وفى كل منزل زوجة وسرار وخدم ، فكان يتنقل فيها مع أصحابه وتلاميذه ، وكان يقتنى المماليك والعبيد والجوارى البيض ، والحبوش السود . ومات له من الأولاد نيف وأربعون ولداً ذكورا وإناثًا ، كلهم دون البلوغ ، ولم يعش له من الأولاد سوى الحقير ، وكان يرى الاشتغال بغير العلم من العبثيات ، وإذا أتاه طالب فرح به ، وأقبل عليه ، ورغبه وإكرمه ، وخصوصًا إذا كان غريبًا ، وربما دعاه للمجاورة عنده ، وصار من جملة عياله ، ومنهم من أقام عشرين عامًا قيامًا ونيامًا ، لايتكلف إلى شىء من أمر معاشه ، حتى غسل ثيابه من غير ملل ولاضجر ، وانجب عليه كثير من علماء وقته ، المحققين طبقة بعد طبقة ، مثل الشيخ أحمد الراشدى ، والشيخ إبراهيم الحلبى ، والشيخ مصطفى أبى الإتقان الخياط ، والسيد قاسم التونسى ، والشيخ العلامة أحمد العروسى ، والشيخ إبراهيم الصيحانى المغربى ، والطبقة الأخيرة التى أدركناها مثل : الشيخ أبى الحسن القلعى ، والشيخ عبد الرحمن البنانى ، وأما الملازمون له فهم الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى ، والشيخ محمد الصبان ، والشيخ محمد عرفة الدسوقى ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد الشافعى الجناجى المالكى ، والشيخ مصطفى الريس البولاقى ، والشيخ محمد الشوبرى ، والشيخ عبد الرحمن العريشى ، والشيخ محمد الفرماوى ، وهؤلاء كانوا المختصين به ، الملازمين عنده ليلاً ونهاراً ، وخصوصًا الشيخ محمد النفراوى ، والصبان ، ومحمود أفندى النيشى ، والفرماوى ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عرفة ، فإنهم كانوا بمنزلة أولاده ، وخصوصًا الأولين ، فإنهما كانا لايفارقانه إلا وقت إقراء دروسهما ، وكان يباسط أخصاءه منهم ، ويمازحهم ويروحهم بالمناسبات والأدبيات والنوادر ، والأبيات الشعرية والمواليات ، والمجونيات والحكايات ، اللطيفة ، والنكات الظريفة ، ويتنقلون صحبته فى منازل بولاق ، ومواطن النزهة فيقطعون الأوقات ، ويشغلونها حصة فى مدارسة العلم ، وأخرى فى مطارحات المسائل ، وأخرى للمفاكهة والمباسطة ، والنوادر الأدبية من الملازمين على الترداد عليه ، والأخذ عنه : الشيخ محمد الجوهرى ، والشيخ سالم القيروانى ، ومحمد أفندى مفتى الجزائر ، والسيد محمد الدمرداش ، وولداه ، السيد عثمان ، والسيد محمد ، وممن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ على العدوى ، تلقى شرح الزيلعى على

الكنز فى الفقه الحنفى ، وكثيراً من المسائل الحكمية ، ولما أقرأ كتاب المواقف ، فكان يناقشه فى بعض المسائل محققو الطلبة ، فيتوقف فى تصويرها لهم ، فيقوم من حلقته ، ويقول لهم: « اصبروا مكانكم حتى أذهب إلى من هو أعرف منى بذلك، وأعود إليكم » ، ويأتى إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة ، ويقوم فى الحال ، فيرجع إلى درسه ، ويحققها لهم ، وهذا من أعظم الديانة والإنصاف ، وقد تكرر منه ذلك غير مرة ، وكان يقول عنه : « لم تر ولم نسمع من توغل فى علم الحكمة والفلسفة ، وزاد إيمانه إلا هو رحم الله الجميع » « أولئك آبائى فجئنى بمثلهم » وممن تلقى عنه من أشياخ العصر ، العلامة الشيخ محمد المصيلحى ، والعلامة الشيخ حسن الجداوى ، والشيخ محمد المسودى ، والشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ محمد الهلباوى ، والشيخ أحمد السجاعى ، لازمه كثيراً وأخذ عنه فى الهيئة والفلكيات ، والهداية ، وألف فى ذلك متونًا وشروحًا وحواشى ، وأما من تلقى عنه من الآفاقيين ، وأهالى : بلاد الروم ، والشام ، وداغستان ، والمغاربة ، والحجازيين ، فلا يحصون ، وأجل الحجازيين الشيخ إبراهيم الزمزمى .

وأما مااجتمع عنده ، وما اقتناه من الكتب فى سائر العلوم ، فكثير جداً ، قلما اجتمع مايقاربها فى الكثرة عند غيره من العلماء أو غيرهم ، وكان سموحًا بإعارتها ، وتغييرها للطلبة ، وذلك كان السبب فى تلاف أكثرها وتخريمها ، وضياعها ، حتى أنه كان أعد محلاً فى المنزل ، ووضع فيه نسخًا من الكتب المستعملة التى يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة ، مثل : الأشمونى ، وابن عقيل ، والشيخ خالد وشروحه ، والأزهرية وشروحها ، والشذور ، وكذلك من كتب التوحيد مثل : شروح الجوهرة ، والهدهدى ، وشروح السنوسية ، والكبرى والصغرى ، وكتب المنطق ، والاستعارات ، والمعانى والبيان ، وكذلك كتب الحديث والتفسير ، والفقه فى المذاهب ، وغير ذلك ، فكانوا يأتون إلى ذلك المكان ، ويأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان ، فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ، ومنهم من يهمل التغيير ، فتضيع الكراريس ، ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره ، ومنهم من يهمل آخر الكتاب ، ويتفق أن الاثنين والثلاثة ، يشتركون فى الكتاب الواحد ، والنسخة الواحدة ، ولابدّ من حصول التلف من أحدهم ، ولابد من حصول الضياع ، والتلف فى كل سنة ؛ وخصوصًا فى أواخر الكتب عندما تفتر هممهم ، وأكثر الناس منحرفوا الطباع ، معوجوا الأوضاع ، واقتنى أيضًا كتبًا نفيسة خلاف المتداولة ، وأرسل إليه السلطان مصطفى نسخًا من خزائنه ، وكذلك أكابر الدولة بالروم ،

ومصر وباشة تونس ، والجزائر ، واجتمع لديه من كتب الأعاجم مثل : الكلستان ، وديوان حافظ ، وشاه نامة ، وتواريخ العجم ، وكليلة ودمنة ، ويوسف زليخا ، وغير ذلك ، وبها من التشاويه والتصاوير البديعة الصنعة ، الغريبة الشكل ، وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس ، التى كان اعتنى بوضعها حسن أفندى الروزنامجى ، بيد رضوان أفندى الفلكى ، كما تقدم فى ترجمتهما ، ولما مات حسن أفندى المذكور ، اشترى جميعها من تركته ، وكذلك غيرها من الآلات الارتفاعية ، والميالات وحلق الأرصاد والإسطرلابات والأرباع ، والعدد الهندسية ، وأدوات غالب الصنائع ، مثل النجارين ، والخراطين ، والحدادين ، والسمكرية ، والمجلدين ، والنقاشين ، والصوّاغ ، وآلات الرسم والتقاسيم ، ويجتمع به كل متقن وعارف فى صناعته ، مثل : حسن أفندى الساعاتى ، وكان ساكنًا عنده ، وعابدين أفندى الساعاتى ، وعلى أفندى رضوان ، وكان من أرباب المعارف فى كل شىء ، ومحمد أفندى الإسكندرانى ، والشيخ محمد الأقفالى ، وإبراهيم السكاكينى ، والشيخ محمد الزبدانى ، وكان فريداً فى صناعة التراكيب والتقاطير ، واستخراج المياه والأدهان ، وغير هؤلاء ممن رأيت ، ومن لم أر ، وحضر إليه طلاب من الإفرنج ، وقرأوا عليه : علم الهندسة ، وذلك سنة تسع وخمسين [1] ، وأهدوا له من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت ، وأخرجوه من القوة إلى الفعل ، واستخرجوا به الصنائع البديعة ، مثل طواحين الهواء ، وجر الأثقال ، واستنباط المياه وغير ذلك ، وفى أيام اشتغاله بالرسم ، رسم ما لا يحصى من المنحرفات والمزاول على الرخامات ، والبلاط الكدان ، ونصبها فى أماكن كثيرة ، ومساجد شهيرة ، مثل الأزهر والأشرفية ، وقوصون ، ومشهد الإمام الشافعى ، والسادات ، وفى الآثار منها ثلاثة واحدة بأعلى القصر ، وأخرى على البوابة ، وأخرى عظيمة بسطح الجامع بقى منها قطعة ، وكسر باقيها فراشو الأمراء الذين كانوا ينزلون هناك للنزاهة ، ليمسحوا بها صوانى الأطعمة الصفر ، وكذلك بوردان بالتماس مصطفى أغا الوردانى ، وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان چربجى الرزاز ، رحمه الله ، ونقش عليها تاريخًا ، منظومًا ينوّه فيه بذكر رضوان المذكور وهو هذا :

رِضْوانُنَا الــرَّزاز حَازَ دُعَاءَ مَن ... صَلَّى ورَاءَ كُلَّ وقْت والْتَزَمْ
لِيَسَاره بِحِـذَاءِ مِزْوَلَةٍ أتـى ... تَارِيخُهَا حَسَنُ الجبرتى قَدْ رَسَمْ

---

(١) ١١٥٩ هـ / ٢٤ يناير ١٧٤٦ - ١٢ يناير ١٧٤٧م .

وغير ذلك بمنازله وغيرها ، حتى أنَّ الخدم تعلموا ذلك ، فصاروا يقطعون البلاط بالمناشير ويمسحونه بالمماسح الحديد ، والمبارد ، ويهندسون اعتداله بالمساطر والقياسات بالبياكير ، بل ويرسمونه أيضًا ، وأمَّا ما كان على الرخامات ، فيباشر صناعته . وحفره صناع الرخام بالأزمير ، بعد التعليم على مواضع الرسم ، ومقادير أبعاد المدارات والظلال ، وما عليها من الكتابة والتعاريف ، ولما تمهر الآخذون عنه والملازمون عنده ، ترك الاشتغال بذلك ، وأحال الطلاب عليهم ، فإذا كان الطالب من أبناء العرب تقيد بتلميذ الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى ، وإن كان من الأعاجم والأتراك تقيد بمحمود أفندى النيشى ، واشتغل هو بمدارسة الفقة وإقرائه ، ومراجعة الفتاوى ، والتحرى فى الفروع الفقهية ، والمسائل الخلافية ، وانكب عليه الناس يستفتونه فى وقائعهم ودعاويهم ، وتقرر فى أذهانهم تحريه الحق والنصوص ، حتى أنَّ القضاة لايثقون إلا بفتواه دون غيره ، وتقيد للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشى ، فانفتحت قريحته ، وراج أمره ، وترشح بعده للإفتاء ، وكان المترجم لايعتنى بالتأليف إلا فى بعض التحقيقات المهمة ، منها : « نزهة العينين فى زكاة المعدنين » ، و « رفع الإشكال بظهور العشر فى العشر فى غالب الأشكال » ، والأقوال المعربة عن أحوال الأشربة »، و « كشف اللثام ، عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام » ، و « الوشى المجمل فى النسب المحمل » ، و « القول الصائب فى الحكم الغائب » ، و « بلوغ الآمال فى كيفية الاستقبال » ، و« الجداول البهية برياض الخزرجية » فى علم العروض « وإصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار » ومآخذ الضبط فى اعتراض الشرط على الشرط ، والنسمات الفيحية على الرسالة الفتحية ، والعجالة على أعدل آلة ، وحقائق الدقائق على دقائق الحقائق ، وأخصر المختصرات على ربع المقنطرات ، والثمرات المجنية ، من أبواب الفتحية ، والمفصحة فيما يتعلق بالأسطحة ، والدر الثمين فى علم الموازين، وحاشية على شرح قاضى زاده على الجغمينى لم تكمل ، وحاشية على الدر المختار لم تكمل ، ومناسك الحج وغير ذلك حواش ، وتقييدات على العصام ، والحفيد ، والمطول ، والمواقف ، والهداية فى الحكمة ، والبرزنجى على قاضى زاده، وأمثلة ، وبراهين هندسية شتى ، وماله من الرسومات المخترعة ، والآلات النافعة المبتدعة ، ومنها الآلة المربعة لمعرفة الجهات ، والسمت والانحرافات بأسهل مأخذ ، وأقرب طريق ، والدائرة التاريخية وبركار الدرجة ، واتفق أنه فى سنة اثنتين وسبعين [1] ، وقع الخلل فى الموازين ، والقبابين ، وجهل أمر وضعها ، ورسمها ،

---

(1) ١١٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٧٥٨ - ٢٤ أغسطس ١٧٥٩م .

وبعد تحديدها وريحها ، ومشيلها واستخراج رمـامينها ، وظهر فيها الخطأ ، واختلفت مقادير الموزونات ، وتـرتب على ذلك ضياع الحقوق ، وتلاف الأمـوال ، وفسد على الصناع تقليـدهم الذى درجوا عليه ، فعند ذلك تحركت همة المترجم لتصحيح ذلك ، وأحضر الـصناع لذلك مـن الحدادين ، والسبـاكين ، وحرر المثاقيـل والصنج الـكبار والصغـار ، والقرسطونات ورسـمها بطريـق الاستخراج علـى أصل العلم العـملى ، والوضع الهندسـى ، وصرف على ذلك أموالاً من عنده ابتغـاء لوجه الله ، ثم أحضر كبار القبانية والـوازنين ، مثل : الشيخ على خليل ، والسيد مـنصور ، والشيخ على حسن ، والشيخ حسـن ربيعْ ، وغيرهم ، وبين لهم ماهم عليـه من الخطأ ، وعرفهم طريق الصواب فى ذلك ، وأطلعهم على سر الـوضع والصنعة ومكنونها ، وأحضروا العدد وأصـلحوا منهـا مايمكن إصلاحه ، وأبـطلوا ما تقـادم وضعه ، وفسدت لـقمه ومراكزه ، وقـيدوا بصناعة ذلـك الأسطى مراد الحداد ، ومـحمد بن عثمـان ، حتى تحررت المـوازين ، وانضبـط أمرها ، وانـصلح شأنـها ، وسرت فـى الناس العـدالة الشرعية المأمورين بإقامتها ، واستمر العمل فى ذلك أشهراً ، وهذا هو السبب الحامل له على تـصنيف الكتاب المـذكور ، وهذا هو ثمرة العلـم ، ونتيجة المعرفـة والحكمة المشار إليها ، بـقوله تعالى : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [1] .

حَلَفَ الـــزمَانُ لَيَاتِينَّ بمـــثْلِهِ ... حَنِـثَتْ يَمِينُكَ يـا زمَانُ فَكَفِّرِ

وأما النـظم فنروى عنـه القليل فـى بعض فوائد وفـرائد وضوابط ، منـها فى : معانى الإعراب اللغوى قوله :

وفـى اللُّغـةِ الإعْرابُ جَاء مُفَصَّلاً ... بِثِنْتَين مَع عَشْرٍ يُعَدُّ مـــفَادُه
إبَان وتحـــسِينٌ وجَول تحَبّب ... إزالـةُ عَرب الـشّىء وهُو فَسَادُه
تكَلّمَ بالفُصْحَى أو الفُحْشِ أو وُلِدْ ... لَهُ عَربـىٌّ الـلّون صَارتْ جيـاده
عِرَابًا ولـم يَلْحَنْ كـلامًا تـغـيـر ... وإعْطـاء عَربُون لـيـنْجُو فُؤَادُه

وله فى ساعات النهـار :

إذا رُمْتَ سَاعاتِ النَّهارِ وحَصْرِها ... مُرتَّبـةٌ فـاقْبلْ عَلَيـهـا بـالاعْتنَا
شُروقٌ بُكُورُ ثـم غُدْوة ضَحْوة ... فـهـاجِرةٌ ثُمّ الـهَجِير فُظـهرنَا
ظَهِيـرتُه ثـم الـرّواحُ فَعَصْره ... اصِيـلٌ غُروبٌ بِالـهَنَا اَتى لـنَا

(1) سورة : البقرة ، رقم (2) ، آية رقم (269) .

وله فى ساعات الليـــل :

وإنْ رُمْتَ سَاعـــات للَيــلِ فَأوّلٌ ... بـها شَفَـقٌ يأتـيكَ فـى العَدّ بَيـنَا
غُسَيـــقٌ عشاءٌ عـــتمَةٌ جَهْمَةٌ ... فـزلْقَتُه ثـــمّ السَّديــفَةُ فـافطِنَا
فــبـــهْرَتُه ثُم الـــسُّحَيْر فَصُبْحُه ... صَبَـــاحٌ فـإسفَارٌ فَخُذْهَا بِلاَعَنـــا

وله فيما لايسوغ الشراب بعده :

توقّ لـشُربِ الماءِ مِنْ بَعـد عَشْرةٍ ... طَعَامٍ وحَمَّـــامٍ وحُـــلوٍ مُجَامِعِ
ومـتْعبَةٍ مِن بـعـدِ مسْهِل فـاكِهَةٍ ... ويقظـتهـا مِن بَعدِ سـخْنٍ وجَائِعِ

وله فى الدم الطاهـر :

فــــــطَاهِرُه بَاقٍ بِلَحْمٍ وعِرْقه ... وكَبـدٍ وقَلْبٍ مَع طُحَالٍ بِلا شَكّ
ومـــــا لَمْ يَسِلْ مِنّا وبَقٌ وقُمّلٍ ... والْحقْ بَراغـيثًا كَذلـكَ والسَّمَك

وله فى وضع الكتب فوق بعضها :

إذَا رُمْتَ وضْعًا للْعُلُوم مُرَتّبًا ... فـبـادرْ إلـى حَوزٍ وحِفْظ لِشَارِدِه
فـنـحـوٌ فـتَعْبـيـرُ كَلامٍ فَفِقْهُهُم ... كـذلـــكَ أخْبـارٌ ودَعَوات وَارِدَه
ومِن بَعْدِ ذا عِلْم الـقراءةِ فَوْقَهـا ... ومِنْ فَوقِه الـتفْسِيـر فَادْرِ مَوَارِدَه

وله فى ألقاب البناء والإعراب :

الا إن ألْقَابَ الـــبِنَاء بَيَانُهـــا ... سُكُونٌ وكَسْرٌ ثُم فَتـحٌ كـذا ضَمُّ
فالـقابُ إعْرابٍ أتتْ يـا مسَامِرِى ... بِرَفْعٍ ونَصْبٍ ثُم جَرٌّ كـذا جـــزمُ

وله فى لفظ شفة على مافى المصباح :

وشَفَةٌ لــــــــكُلّ ذات تَنْطقُ ... قَدْ وُضِعَتْ فاحـفَظْ لما قَدْ حَقّقُوا
جَحْفَلَةٌ مَقَمَّـــــــــة ومشْفَرٌ ... لحـــافـرٍ ظــلفٌ وخُفٌ حَرّرُوا
ومِنْسَرٌ لذى جَنـــــــاحٍ صَائد ... مِنْقَارُ مَوضُوعٌ لـغيـــرِ الـصَّائِـد
خَطْمٌ وخَرْطُومٌ لـــسَبْعٍ ثَبـــتَا ... فَـــنـطْسَةٌ لـكـلٌ خنْزِيـرٍ أتَى

وله فى ياء المخاطبة على مذهب الأخفش :

وأخفشٌ فـي يَا اضْرِبى مُخَالـفٌ ... وتَضْرِبِــين قــائــلاً ذى أحْرُفُ

وله فى تفصيل الثياب :

لتـفْصِيـلِ الـثّيَـابِ بِيَوْمِ سَبـتٍ ... سِقَامٌ قــدْ تَزايـــدَ أو تجَدَّدْ
وفـى الـتـالِى لِهَمٍّ مـع غُمُوم ... وفـى الإثـنـين مَبْرُوك ومُسْعَدْ
ويُسْرق أو يُحَرّق فـى الثُّلاثــا ... وتــاليـه لجـلْبِ الـرزْقِ يُعْهَدْ
وفـى يـومِ الخـميـسِ لِرزْق عِلْمٍ ... وفـى الغَرّا لِطُولِ الـعُمـرِ يُقْصَدْ

وله فى العقود التى تتعين فيها النقود ، كما فى الفصول العمادية :

خُذْ عينَ مـالِكَ فى مَواطِنِ عَشْرةٍ ... هبـة وغـصب ثـم شركَة الـسّلَمْ
وكذلك المقبوضُ فى دعْوى غَدتْ ... بـتَصَادق من غَيـر مَا أصْلٍ حتَمْ
وكذلـكَ العـبدُ المـعيبُ إذا قَضَى ... قــاضٍ بردّ وهو فـى بَابِ الـسَّلَمْ
وكـذلـك المشْرِى بِثَوب ثُم قـبـ ... ـلَ القبـضِ مَات فَعين ثَوب تلْتزمْ
وكذاك فى الـبيعِ الذى هُو فـاسدٌ ... من أصلِه كـالبـيعِ فـى حُرٍ حكَمْ

وله فيما يصح مع الإكراه :

طــلاقٌ عِتَاقٌ والــنــكَاحُ ورجْعَةٌ ... يمــينٌ وإسْلام وعــفوٌ عــن الــعَمْد
ظِهَارٌ وإيــــلاءٌ وفَىءٌ ونَذْرُه ... رِضَاع وإيمــان وتَدْبِيــر لــلــعَبْدِ
طَلاقٌ على جعْلٍ كذا العتقُ صُلْحُهم ... عن العَمْدِ الاستيلاد ألا يجاب لِلمَسْدى
قُبولٌ لإيــداعٍ فـخُذْهــا فـكُلُّهــا ... تَصحُ مــع الإكْراهِ عِشْرُون فـى الــعَدِّ

وله فى أصول المطعومات :

طُعومُنـا أصولُهـا البـسيطَة ... حَرافَةٌ مَرارةٌ مُلُوحـــــةْ
حُمــوضَةٌ عُفُوصَةٌ قُبُوضَةٌ ... دُسُومَةٌ حَلاوةٌ تَفَاهَـــــه

ورأيت بخطه عند هذه الأبيات مانـصه : « قال فى شرح المواقف حدوث الطعوم على هذا الوجـه المخصوص ، مما لم يقم علـيه برهان ، ولا أمارة عند غلـبة الظن ، ولذا قيل مباحث الطعوم دعاوى خالية عـن الدلائل ، وكتب بها مشبهًا أيضًا نقلاً عن مجمـوعة الحفيد ، الفـرق بين العفص والـقبض ، أنَّ القابـض يقبض ظاهر الـلسان والعافص ، يقبض ظاهره وباطنه ، والتفاهـة المعدومة مثل مافى الخبز واللحم ، وقد

يقال التفه لما لاطعم له أصلا ، كالحديد ، وهذا هو المشهور » ، انتهى ، وله :

إدراكُ كُلّى كـــذا مُرَكّبِ ... مَلَكَةٌ لِكُلِّ شــىء يُطْلَبُ
قَواعـدٌ تـصَاحَبت مـع أصْلِ ... كـذا اعـتقَادٌ جَازمٌ يـا خلّى
عَلَمًا عـلَيْهـا أطـلَقُوا يـا صَاحِ ... فـاحفَظْ تـفُزْ بِغُرة الإصْبَاحِ
وخُصُوصًا الجـزئىّ قُلْ بـالمعْرِفـة ... كذا البَسيـطُ يا سَميـرى فاعْرِفَهْ
كَذَاكَ إدْرَاكٌ جَديـدٌ قـدْ أتـى ... أواخرُ إدراكَين فـاحْفَظْ مُثْبتَا

وله فى نظم أصول الحلال :

أصُولُ حَلالٍ جئن فِـى العدِّ عَشْرة ... فخـذْها لكَىْ تحْظـى بخَيـرِ نَبَاهة
تجـارةُ ذى صِدْق ونُصْحُ إجَارَة ... ومُهْدَى أخٍ زاكٍ وطيـبُ وِرَاثَة
وخُمسٌ لـغُنْم حيـثُ قَسْم عادل . ... وإحْيـا مَوات ثـم نـبتُ مُبَاحَة
وصَيـدٌ لـبرّ ثـم صَيـدٌ لابـحُرِ ... كـذاك السُّؤال عـندَ مَسّ لحـاجَة

والأصل فيـه أنَّه اجتمع الإمام الطرطوشى ، والإمـام ابن السِّيد البـطَلْيوسى ، رحمهما الله تعالى ، وتذاكرا فـى الحـلال هل بقى منه شىء ، فقال البطليوسى : « أصـول الحلال عشـرة ، وسَّع الله تعالى بـها على عـباده تجارة بصـدق ، وإجازة بنصـح ، وهدية من أخ صالـح ، وميراث من أصـل طيب ، وإحيـاء الموات ، وما أنبتـه أرض غيرمملوكة ، وخمـس الغنائم إذا قـسمت بعـدل ، وصيد البـر ، وصيد البحر ، والسؤال عنـد مسيس الحاجة » ، فقال الإمام الطرطوشـى : « يجب على كل مسلم تقييـد هذه الأصول ، ليكون على أهبة من الحلال الـذى هو أهم المهمات والله تعالى الموفق للصواب » .

فائدة : رأيت بخط المترجم قال : « رأيت بخط الشيخ عثمان النجدى » ، قال : « رأيت بخط الشيخ أحمد العجمى » ماصورته : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده إلا الحمار والكلـب ، كما فى الدرّ المنثور عـن أبى الشيخ عن ابن عبـاس » ، وفيه أيضًا عن عمـرو بن عنبسة : « مـا تستقل الـشمس ، فيبـقى شىء من خلق الله إلا يـسبح بحمده ، إلا ماكـان من الشيطان ، وأغبيـاء بنـى آدم ، والأغبياء جمـع غبى ، وهو القليل الفطنة » ، وفى فتاوى الجلال السيوطى رحمه الله .

قد خُصِّصَت آيةُ الإسْرا لمتصف — وصفَ الحياةِ كـرَطبِ الزرعِ والشَّجَرِ
فـيابـسٌ مَات لا تَسْبيـحَ مِنه كَذاً — مَا زالَ مِن مَوضعٍ كالـقَطْع لِلْحَجَرِ

فزاد عليها المترجم ما تقدم ذكره ، وألحقها بها فى هذا البيت ، فقال :

والأغْبياءُ كَذَا فـى العدّ قد ثَبـتوا — كـلْبٌ حِمَارٌ وإبـلـيـسٌ بِلاَ نُكرِ

وله فى عد من يدخل الجنة من الحيوان .

وفى الجنة الفـيحاء قد كَانَ عَشْرة — منَ الحـيـوان اعــددُ وكُن مُتـأمّلا
فـأولُها فـى الـعدّ نـاقـةُ صالـحٍ — وعجلٌ لإبـراهـيـمَ كبشُ الفداَ تَلاَ
وحوتُ ابـنُ مَتَّى بقرةٌ لـكَليمهم — ونمـلُ سُلَيمَان بـنُ داودَ ذى الـعُلاَ
وهُدهـدُ بـلقـيـسٍ وإبـلُ مُحَمَّد — علـيه صَلاةٌ نـشْرُها ضَاعَ فـى الملاَ
يـلـى ذا حمَار للْعـزيـر وكَلْبُهـم — وحَسْبِى رَبِّى نَاظمًا مـــــتَوكّلا
بُراقٌ لـطـهَ ثـمَّ ذئـبٌ لـيُوسُفٍ — مُزَادَانِ فـيهـا فاحْفَظِ الـعَدَّ مُكْمَلا

وهذا ماحصلته وعثرت عليه من نظمـه ، وأما ما قيل فيه من المدائح ، فلم أعثر بشىء من ذلك مع كثرتـه إلا بقصيدة ، من نظم تلميذه العلامـة الشيخ شمس الدين محمد الـصبان ، وجدتها مثبـتة بديوانه ، وسبب ذلك أنَّه كـان رحمه الله ، لا يرى لنفـسه مقامًا ، وإذا أتـاه إنسان بأبـيات أو قصيـدة قبلهـا وأجاز قائلـها ، ثم أحرقـها والقصيدة هى هذه :

يـا مَنْ بـأفئـدة الـعُشّاق قـد لَعِبَا — رفـقًا بحـالى فإنّ الـصّبـرَ قـد هَرَبَا
كمْ يَا ظَلُومـىَ تَسْقينـى كُؤس أسَا — وكَمْ تُحـمّل قَلْبِى فى الـهـوَى كَرَبَا
مهلا رُويدَكَ يكفى ما صَنَعتَ فقد — صَيرتَنى فى الـهَوى بين الورَى عجبًا
أمـا كَفـاك لَهيـبٌ لـو قَربـتَ بـه — لِشاطىء الـبحْرِ أضْحى البـحْرُ ملتَهبا
أمـــا كَفَاك سُهـــادٌ لا بَديـــلَ لَه — ومـدْمَعٌ كـلَّمَا قـلْتُ ارتـفـعْ سكَبَا
وفَرطُ حزنٍ به الأسقـامُ قد قُرنتْ — أمْسَى وأصبـحَ بـين الـناسِ مُكْتَئِـبَا
لـك المحَاسنُ خَافيـهـا وظاهرُهـا — ولـــى الـهَوى مَانـــاى منه ومَا قَرُبَا
أفْدى بنـفْسى وبالدنيـا مُنيرَ دُجَى — الـشّمسُ والـبدْرُ من أنـواره اكتَسَبـا
أغَنّ أغيَدُ بــــــالأرواحِ مُمْتَزِجٌ — مُهَفْهَفٌ مَـــــــارنَا إلا سَطَا وسَبَا

ظَبـيٌ بـسَفْك دَمِ الـعُشَّاق ذُو وَلَعٍ   كـأنّهُ عـنْدَه مِن بَعْضِ مَا وجَبَا
إنْ كـان يُنْكِرُ قَتْلَ المـغرمـينَ به   فَخَدُّه بدَم الـعُشّاق قَدْ خُضِبَا
الحسْنُ مملُوكُه والـلُّطفُ خَادِمُهُ   والـذلُّ عبْدٌ لـه فـانظُرْ تَرَى الـعَجَبَا
مَن لى برشْفِ عَتيقِ الراحِ مِن فَمِه   وقَطـفِ وردٍ عـلـى خَدَّيْه قـد رَكِبَا
يا فتنةَ الخلقِ يا حُلْوَ الشمائلِ صِلْ   مُتَـيـمًا مُلِئـتْ أحْشَاؤه وصَبَا
لمْ يَستَمعْ فيكَ عُذَّالَ الـهوى أبدًا   ولا إلـى جِهَةِ الـسُّلْوان عَنـكَ صَبَا
لا والـذى زَانـت الأيـامُ طـلْعَتَهُ   وفَاقَ سَائـرَ أربَابِ الـعُلاَ رُتَبَا
رُكْنُ الأنـامِ فـريـدُ الـعَصْرِ أوحَدُه   مُعِيدُ دَهْرِ المـعَالى بَعـدَمَا ذَهَبـا
شَمسُ الكَمـالِ ولَكن لا كُسُوفَ له   بـحْرُ الـعُلُوم ولـكـن مَاؤه عَذْبًا
حَبرٌ أطـاعَتْه أصْنافُ الـفُنون فـفى   كـلِّ الـفُنُون تَراه الحـائـزَ الـقَصَبَا
هو الغياثُ إذا ما المشْكلاتُ عَصَتْ   هـو المـلاذُ إذا مـا مُعـضِلٌ صَعُبَا
يـحُجّ كـعْبـتَه طـلابُ جَوهَرِه   فـيَنْفـرُون وكُلٌّ أدرك الإربَا
لفَضْله تـذْعنُ الأعـيـانُ قـاطبةً   إذ كُلُّ مَا وهبُوه بـعـضُ مـا وهَبَا
أفْديـه مِن سَيـد لـمْ يُبـقِ مَحْمَدَةً   إلا وكـانَ لـهَا دُونَ الأنـامِ أبَا
الـعِلمُ والحِلـمُ والتـقْوى بضَائـعُه   واللـطفُ والحذقُ مـنه حـقًا اكتَسبا
لـكَفِّه كـرمٌ إنْ قَل أشبَهَهُ   هتـانُ ودقٍ علـى كُلّ الورَى سكَبـا
مـا جَاءهُ طَـالـبٌ يـرجُو نـوافحَهُ   إلا ونَالَ مِن الآمـال مَا طـلَبَا
لـنفْسه همـمٌ مَن قـاسَ أصغَرهـا   بـهمّة الـدهرِ فـاعلَمْ أنـهُ كَذَبَا
كنـزُ الفـصَاحَة أستـاذُ البـلاغَة إنْ   يسْمَعْـه قُسٌّ يقَلْ سُبـحان مَن وهَبـا
تـكـادُ جُلاّسُه من حُسْنِ مـنْطقه   ومِنْ لـطَافَته أنْ يَرقُصُوا طَرَبَا
مُهذبُ الـنفـسِ ما مَرَّ الـنسـيمُ بـه   إلا وكَانَ مـنَ الأخلاَق مُكْتَسِبَا
وكـمْ لَهُ مِن كَمَالاتٍ ومِنْ شِيَمٍ   يجـلُّ معْشَارُهـا عن حَصْر مَن حَسَبَا
فـاحْضرَ مـجَالسَه تـنـظُرْ مَحَاسنَهُ   واجْلسْ بـحَضْرته يَومًا تَرى العَجَبـا
مـحَاسنُ الـنـاس جُزْءٌ من مَحَاسنه   ولـمْ أقـلْ فيـه إلا بـعـضُ مَا وجَبَا
تهْ يـا زمَانُ وفـاخرْ إنّ سَيـدنَا   قـدْ قـلّدتْكَ يَداه الـدُّرَّ والـذّهَبَا
يـا مَن بطَلْعـته زَانَ الجـبَرْتَ ومَن   كـادَتْ جَبَرتُ به أنْ تـفْضُلَ الـعَرَبَا
ومَنْ تَسَمّى كـاخلاق لـه حَسَنًا   هَاكَ امـتداحًا بـذكْراك اعـتـلَى رُتَبَا
أتَاكَ يَرفُلُ فـى أثـوابِ عزّته   لـكنّه من حَيـاء أسبَلَ الحـجُبَا
فـجُدْ لـهُ بـقَبـولٍ منْكَ يـجبُرُه   وغُضّ عـن عَيبِه فـالـعفْوُ قـد طُلِبَا

واشْمَلْ مـحُمدا الـصَّبانَ نـاظمَهُ بـلحظَـة منك مَن تـلْحَظْ يَنَلْ أربَا
لازلْتَ فى حُلـلِ الأفراحِ مُرتَفِلاً ولا فَتِئْـتَ عـن الأسْواء مُحتَجِبَا
ولا بَرِحْتَ بعَينِ الـسَّعدِ مُلتَحِظـا وكـلُّ مَن لـكَ يـا أسـتاذَنـا صَحِبَا

وقال فيه أيضًا تهنئة له بمولد الحسنين سنة أربع وسبعين[1] :

بمـولْـد الحسَنَين الـسَّعـدُ هَنَّاكـا والـوقْتُ بـالعـزّ والإقـبـال وافَاكَا
وأصْبحَتْ مـصرُنا الـغَراءُ مُشْرِقَةً بـنُور ذاك ونُورِ من مُحَيَّاكـا
والوُرْقُ بـالمولـدِ الأسنى تُهـنِّئُـنـا طَوْرًا وطَوْرًا تُهَاديـنَا بذِكْراكَا
أولاكَ مولاكَ ما يرضيك فى فَرحٍ وفـى هَنـاء وأبقَى اللهُ مَحيَّاكَا
وهَاكَ مَوْلاىَ تَاريـخًا وتَهْنئَـةً فى ضِمنِ بيتٍ يفُوقُ الدُّرَّ إنْ حَاكَا
يا أزيدَ الناسِ فى عِلْمٍ وفى عَمَلٍ بمـولـدِ الحسَنَين الـسَّعـدُ هنَّاكَا

وللعلامة الشيخ سالم القيروانى :

إمَامٌ إنْ ظَفرْتَ به فَلازِمْ حماهُ وقُل لـنفْـسك قـد ظَفرْتـى
يَذِلّ لـه الجَمُوحُ منَ المـعَانى لكُلٍّ يـا قَرِيـحتُه بَهرْتى
ولمـا انـقَادَ كُلُّ عَويـصِ عِلْمٍ لـهُ جَبْرًا تَسَمَّى بـالجـبَرْتى

ذكرها فى ديباجة حاشيته التى كتبـها على لقط الجواهر ، وقد كان قرأ عليه طرفًا من العلوم الحكمية ، وهذا ما عثرت عليه ، وللشيخ قاسم ، والشيخ محمد شبانة ، وغيرهما فيه مدائح كثيرة ، وتواريخ أعـوام ومواسم ، لم أعثر على شىء منها ، ولما وصل إلى مـصر الشيخ إبراهـيم بن أبى البركـات العباسى الـبغدادى ، الشهيـر بابن السويدى ، فى سنة خمس وسبعين ومائة وألف [2] ، وكان إمامًا فاضلاً فصيحًا مفوهًا ينظم الشعر بالإملاء ارتجالاً فى أى قافية من أى بـحر من غير تكلف فأنزله المترجم ، وأكرمه ، واغتبـط به ، وصار يتنقل صحبـته مع الجماعة بمنازل بـولاق والمتنزهات ، واتفق أنَّه تمرض أيـامًا ، فأقام بمنزل بولاق المـشرف على النيـل ، فقيد به من يـعوله ويخدمه، ويعلل مزاجه ، فكان كلما اختلى بنفسه ، وهبت عليه النسمات الشمالية ، والنفحـات البحرية أخذ الـقلم ببنانه ، ونـقش على أخشابـه وحيطانه ، فكـتب نحو

(١) ١١٧٤ هـ /١٣ أغسطس ١٧٦٠ - ١ أغسطس ١٧٦١ م .
(٢) ١١٧٥ هـ / ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليه ١٧٦٢ م .

العشرين قصيدة على قواف عديدة ، كلها مدائح فى المذكور ، والرياض والزهور ، والكوثر والسلسبيل ، وجريان النيل ، وتركت بحالها ، وذهبت كغيرها ، وفى سنة تسع وسبعين [1] ، توفى ولده ، أخى لأبى أبو الفلاح عليّ ، وقد بلغ من العمر اثنتى عشر سنة ، فحزن عليه ، وانقبض خاطره ، وانحرف مزاجه ، وتوالت عليه النوازل ، وأوجاع المفاصل ، وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها ، ونقل العيال من هناك ، ولازم البيت الذى بالصنادقية ، واقتصر عليه ، وفتر عن الحركة إلا فى النادر ، وصار يملى الدروس بالمنزل ويكتب عن الفتاوى ، ويراجع المسائل الشرعية ، والقضايا الحكمية ، مع الديانة والتحرى والمراجعة والاستنباط والقياس الصحيح ، ومراعاة الأصول والقواعد ، ومطارحات التحقيقات والفوائد ، وتلقى الوافدين ، وإكرام الواردين ، وإطعام الطعام ، وتبليغ القاصد المرام ، ومراعاة الأقارب والأجانب مع البشاشة ولين الجانب ، وسعة الصدور وحسن الأخلاق ، مع الخلان والأصحاب والرفاق ، ويخدم بنفسه جلاسه ، ولا يمل معهم إيناسه ، ولايبخل بالموجود ، ولا يتكلف المفقود ، ولايتصنع فى أحواله ، ولا يتمشدق فى أقواله ، ويلاحظ السنة فى أفعاله ، ومن أخلاقه أنه كان يجلس بآخر المجلس على أى هيئة كان بعمامة ، وبدونها ، ويلبس أى شيء كان ، ويتحزم ولو بكنار الجوخ ، أو قطعة خرقة أو شال كشميرى ، أو محزم ، ولا ينام على فراش ممهد بل ينام كيفما اتفق ، وكان أكثر نومه وهو جالس ، وله مع الله جانب كبير كثير الذكر ، دائم المراقبة والفكر ، ينام أول الليل ، ويقوم آخره ، فيصلى ماتيسر من النوافل والوتر ، ثم يشتغل بالذكر حتى يطلع الفجر ، فيصلى الصبح ، ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس ، فيضطجع قليلاً أو ينام ، وهو جالس مستنداً ، وهذا دأبه على الدوام ، ويحاذر الرياء ما أمكن ، وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان ، ولا يقول : « إنى صائم » ، وربما ذهب إلى بعض الأعيان ، أو دعى إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات ، فلا يرد ذلك بل يأخذها ، ويوهم الشرب ، وكذلك الأكل ، ويضايع ذلك بالمؤانسة والمباسطة ، مع صاحب المكان والجالسين ، وكان مع مسايرته للناس وبشاشته ومخاطبته لهم على قدر عقولهم ، عظيم الهيبة فى نفوسهم ، وقوراً محتشماً ذا جلال وجمال ، وسمعت مرة شيخنا سيدى الشيخ محمود الكردى ، يقول : « أنا عندما كنت أراه داخلا فى دهليز الجامع ، يداخلنى منه هيبة عظيمة ، وأدخل إلى رواقنا ، وأنظر إليه من داخل ، وأسأل المجاورين عنه ، فيقولون لى ،

---

(1) ١١٧٩هـ / ٢٠ يوليه ١٧٦٥ - ٨ يوليه ١٧٦٦م .

هذا الشيخ الجبرتى ، فأتعجب لما يداخلنى من هيبته دون غيره من الأشياخ ، فلما تكرر على ذلك ، أخبرت الأستاذ الحفنى ، فتبسم ، وقال لى : « نعم إنّه صاحب أسرار » ، وكان صفته مربوع القامة ، ضخم الكراديس ، أبيض اللون ، عظيم اللحية منوّر الشيبة ، واسع العينين ، غزير شعر الحاجبين ، وجيه الطلعة ، يهابه كل من يراه ، ويود أنه لايصرف نظره عن جميل محياه ، ولم يزل على طريقته المفيدة ، وأفعاله الحميدة ، إلى أن آذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال ، وتعلل اثنى عشر يومًا بالهيضة الصفراوية ، فكان كلما تناول شيئًا قذفته معدته عندما يزيد الاضطجاع إلى أنْ اقتصر على المشروبات فقط ، وهو مع ذلك لايصلى إلا من قيامْ ، ولم يغب عن حواسه ، وكان ذكره فى هذه المدة يقرأ الصمدية مرة ثم يصلى على النبى ﷺ بالصيغة السنوسية كذلك ، ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية ، وهو يارحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه ، هكذا كان دأبه ليلاً ونهاراً ، حتى توفى يوم الثلاثاء قبيل الزوال ، غرة شهر صفر من السنة [1]، وجهز فى صبحه يوم الأربعاء ، وصلى عليه بالأزهر بمشهد حافل جداً ، ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء ، بجوار الشمس البابلى والخطيب الشربينى ، ومات وله من العمر سبع وسبعون سنة ، ورثاه تلميذه العلامة الشيخ محمد الصبان بهذه الأبيات ، وأنشدت وقت حضور الجنازة :

وَيْحَكِ يا نفسى كيفَ القَرار ... ودولَةُ الفضْلِ بها البينُ سَارْ
وكيفَ يصفُو العيشُ مِن بعدَمَا ... كاسُ الردَى بَين ذَوى المجْد دارْ
إنّ لهَذا الدّهْرِ أقْضِيَةٌ ... فِيهنّ للمُسْتبْصِرين اعْتَبَارْ
كمْ سَلّ أسيَافَ المنَايَا على ... قَومٍ إليهِمْ كانَ يُعْزَى الفَخَارْ
وكمْ رمَاهُم بِسِهَامِ النَّوَى ... كأنمَا يأخُذُ مِنهُم بِثَارْ
ومَا كفَاهُ مَما جرَى سَابِقًا ... منهُ ومَا صَال عَلَيْنا وجَار
حتَّى أذَاقَ الناسَ نَائبَةً ... بالبعضِ منها اسْودّ وجْهُ النهَارْ
فَقْد إمامِ المسْلِمين الَّذى ... بنُوره كانَ الوُجُودُ استَنَار
شَيخُ الشَّيوخِ المجْتَبَى المنتَقَى ... رِحلَةُ أهلِ العِلْم مِنْ كُلّ دَارْ
شَمسُ الهدَى بحْرُ السّخَاءِ الذى ... تَغْرقُ فى جُودِ يَدَيْه البِحَارْ
أنعمْ بِهِ مِنْ لَوذَعِى حَوَى ... مكَارِمَ الأخلاقِ مَا فِيه عَارْ
وطَودُ حِلْمٍ زانَهُ خُلُقٌ ... لطفُ الصّبَا مِن لُطفه مُستَعارْ

---

(1) غرة صفر ١١٨٨هـ / ١٣ أبريل ١٧٧٤م .

وروضُ فَضْلٍ طَالمـــا قَطَفَتْ أهْل الــتــقَى منه جَنىً الــثّمَارْ
ذَاكَ الـــذى مِثْلُ اسْمه حَسَنٌ أعْنى الجَــبَرْتى إمَامَ الـــوقَار
يـــا سَيــداً سَاد بَنِى دَهْره وفــاضلاً مــا لــعُلاَه انْحصَارْ
سرتَ إلـــى جنّة عَدْنٍ وقَدْ اضْرِمَتْ مِن فَقْدكَ فـى القَلْب نـارْ
أبْشِر مِن الله بِنَيْل المـــنَى فـى مَقْعـد الـصّدْق وحُسْنِ الجوارْ
يـــا ربّ حقّق مــا نُرجّى لَهُ بجَاه طَه تَاج أهْلِ الـــفَخَارْ
صَلّى عـليه خَالـقُ الخـلْق مـع تَسْلِيـــمه مَا حَلّ ركْبٌ وسَارْ
والآلِ والأصْحَابِ مـــا سكَبَتْ أعْيُنُ مَحـــزونٍ دُمُوعًا غزَار

وللشيــخ أحمـد الخامى :

بكَت الـعُيون لـفقْد هـذا الأمْجَد الـعَالم الحـبْر الـهُمَام الأوحَد
شَيْخُ الشُّيـوخ ومَعْدَنُ الجود الذى كـانَتْ بـه كُلّ الأفَاضلِ تقْتَدى
كهـفُ المحَاويج الضّعاف أذا بـهم مَحَلٌ ألَمَّ وصَاحِبُ الـكَفّ الـنَّدى
شَمسُ المعارف والـتقى حَسَنُ الجبرْ تِىّ الـذى قَدْ كـان رحْبَ المـورد
حَزِنَتْ عَلَيـه عُيُونُنـا وقُلُوبُنَا حُزن الدّروسِ على الرؤوس الرشَّدى
بـكَت المحَافـلُ والـدُّروس لِفقْده إذ كَان فيـهـا قَامعًا لـلْمُعْتَدى
وكذَا البُروجُ مع الكَواكبِ أظهرَت أسَفًا عـلـى ذَاكَ الإمَـامِ المـفْرَد
مَن لِلْمَسَائـلِ والـفُنُون مُهَذّبًا مَن لِلْفتَاوى بَعْدَ هـذا الـسّيـد
كـمْ أبـرزَ المـكْنُونَ ثَاقبُ فَهْمه ولـكَم أفَادَ الـطّالبين بمـعْهَد
واهًا عـلـى ذاكَ الـعَزيـزِ وحِلْمه وبشَاشَةَ الـوَجْه الجمِيـل المسْعد
واحَسْرتَاه قَدْ عَدمْنـا شَيْخَنـا مَن كـان للـطّلاب أقْوَى مسْنَد
يا عينُ جُودى بالـدمُوعِ على امْرِىءٍ بـهُداه أهـلُ الـعلْم كـانـت تَهتَدى
يـا عينُ سـحًى بالـبُكَا لا تنْجَلـى يـا عَينُ شـحًى بـالـكَرى لا تَرقُدى
يـا عـينُ قـدْ مَات الـذى تَبْغينَه مَن كان عَونى فـى الخُطوب ومَقْصَدى
رَحَمـاتُ مـولانَا العـظيـمِ جَلاَلُه تـغـشـاهُ دومًا سَرْمَدًا فـى سَرْمَد
وجَزَاهُ ربٌّ الـعـرشِ خَيْرَ جزائـه وحَبـاهُ فـى الـفردَوس اسْنَى مَقْعَد
ثم الصّلاةُ مع الـسّلام على الذى كُلُّ الـورَى تَرجُوه حقًا فـى غَد
وعـلـى صَحَابـته الـكرامِ وآلِه مَنْ هُم نُجـومٌ فـى الـظّلامِ لمـهتَدى
مَا أنّ مَحزُون وحَـنّ فُؤاده لِسَماعِ ذكرِ حَبِيـبه فـى مَشْهَد

ولغيــــره أيضــا :

لحـــا اللهُ دهرًا كُلُّ أيـــامه محَنْ ... وكُلُّ سُرورٍ فـــــــى أويقَاتِه حزَنْ
وما الناسُ فى ذَا الدهْرِ إلا شَوَاخِصٌ ... وكُلٌّ لـــــــهُ مِن دهْرِه مَا به افْتَتَنْ
فَمنْحَةُ هـذا الـدهـرِ لاشَكَّ محْنَـةٌ ... وإدبَـــارهُ صَعْـــبٌ وإقْبَالُه فتَنْ
فيَا طـالـبًا مِنْ ذلـك الـدَّهْرِ راحَةً ... رُوَيْدَك مَن ذَا نَالَهـــا وبهـــا اطْمَأنْ
لـقـدْ صَالَ هـذا الـدهْرُ صَولَةَ ظَالمٍ ... وسَلَّ سُيـوفَ الـبـغْى فى الـسـرِّ والـعَلَنْ
وافـجَعَنا فـى مُفْردِ الـعـصْرِ شَيخنـا ... كـريمِ الـسَّجـايَا صَاحِبِ المجْدِ والـسُّنَنْ
وذاك الجـبَرْتــىُّ الـذى كـانَ قُدْوَةً ... عـلـى مَنْهَجِ الـتَّحْقِيـق والـشَّرْعِ يُؤتَمَنْ
إمـــامٌ لـــهُ فـــى كُلِّ فَنٍّ بَراعــةٌ ... وفَهْمٌ ذَكــيٌّ واجـتــهــادٌ لـــه حَسَنْ
لـقدْ كـان هـذَا الحبْرُ قـطـبَ زَمانِنـا ... فـأحْرَمَنـا من شَخْصه ذلـــك الـــزَّمَنْ
نَعـتْهُ غَوادِى السَّحْبِ وانـهلَّ دمْعُهـا ... كـذَا الــفَلَكُ الـــدوارُ قــد مَسَّه شَجَنْ
وأظـلَمَت الـدّنـيـا وغَارتْ نجُومُهـا ... وشَمْسُ الضّحَى غَابـتْ وبَدرُ الدجَى وَهَنْ
فَمَن لِلْفَتـاوَى والمـسَائـلِ بـعْدَه ... ومَن ذَا الـــذى فـــى كُلِّ فَنٍّ لــــه فطَنْ
لَئـنْ مـات فـالـذكْرُ الجـمـيلُ مُخَلَّدٌ ... وإنْ غابَ عـن أبصَارِنـا فى الحشَا استَكَنْ
ولَمْ أنـسَهُ والـطــالــبُون ببَيْتِه ... وكُلٌّ إلـــــى ذاك المـــــهَذّبِ قَدْ رَكَنْ
يُديـرُ عـــلَيـهـــم من سُلاف عُلُومه ... كُؤسًا مِن الـــتَّسْنِيـــم أشْهَى وأعْذَبَنْ
فَواحَسْرتَاه قـد عَدمْنَاه بـيـنـنـا ... وصرنَـا حيَارَى لا نَعى بَعــدَه الــوطَنْ
فـيا عـينُ سـحّى واندُبـى فَقْدَ مَاجِد ... وسُوحِى ونُوحِى واهْجُرى لـذةَ الــوَسَنْ
عَدمْنـا فـتًى قـد كـان مـأوى ومَلْجَأً ... فـــواهًا وآهً لا نـــرى مثْلَه فــــتَنْ
ولمـــا دعَاهُ ذُو الجـــلال لـــقُرْبِه ... ولـــمْ يَبْقَ فــــى دَارِ الـــفَنَاء لَهُ وطَنْ
أجَابَ سَريــــعًا ثُم وَلَّى مُوَدّعًا ... وسَارَ لجـنَّات بـهـــا فَازَ مَنْ سكـــنْ
فـنَاديتُه من عظـــم وجْدى مُؤرخًا ... بـــــقْعَد صدقٍ قَدْ قَدمْتَ أيَا حَسَنْ
هـــنـيــاً مــريـئًا فُزتَ فَوزًا مُؤبّدًا ... بــجنّات عَدْنٍ وهــى مِنْ أعْظَمِ المـــنَنْ
عـلـيـك مِن المولَى الـكَريم تحيـةٌ ... كـــذا رحَمَاتٌ لا يـــكَدّرهـــا حزَنْ
وصَلّى مع الـتَّسليـمِ رَبُّ العلاَ عـلى ... نَبيٍّ أتـــانَا بـــالـــفُرُوضِ وبـــالـــسُّنَنْ
مـحـمـد المبـعُوث لـلـنّاسِ رحْـمـةً ... ومَن قـد بـكَى جِذْعٌ عـلـى فـقْده وحَنْ
صَلاةً وتَـسـلـيـمًا يـدُومَان سَرْمَدًا ... مَدى الــدهرِ مـــا وجْدٌ تحرّكَ أو سكَنْ
كذَا الآلِ والأصْحابِ ما كَوكَبٌ سَرَى ... ومـــا دمَعَتْ عَينٌ عـــلـــى فَقْدِ مَن ظَعَنْ

وقوله : « نعتــهُ غَوادِى السُّحْبِ » البيت وما بعده وذلك أن يوم وفـاته ، غيمت السماء ، وأرعدت وأمطـرت مطراً خفيفًا ، وكان الوقت صيـفًا ، فأشار إلى ذلك فى الأبيات ، ورثاه أيضًا الخامى بهذه القصيدة :

مُهَجٌ بـالخـطـوبِ تَعْيـا وتَعْدَمْ — وفـــؤاد من الــضنَّا يــتألَّمْ

وعُيــونٌ مــكْحُولــةٌ بــسُهَادٍ — قــد كَسَاهـا من الـنَّوى ثَوبُ عَنْدَمْ

وقُلُوبٌ ممــــلُوءةٌ حَسَراتٍ — نــارُهـا لا تــزالُ تــقْوى وتُضْرَمْ

ويْحَ دهْرِى فَكَمْ أذابَ قـلـوبًا — وبَرَى أعظُمـــًا واضنَى واسْقَمْ

لا يُبــالــى ولـيْس يَرْعَى ذِمَامًا — وعــلــى مَا جَنَاهُ لــمْ يــتَنَدَّمْ

طَالَمَا صَال واستَطـال عـلـيـنـا — وغَزانــا مِن حَيــثُ لاقَطّ نَعْلَمْ

ورَمَانَا فــصَادفَ الهَمُّ قــلبًا — كـان أقْوَى الـقُلُوبِ ديـنًا وأقـومْ

خـائـنًا فـيه ذا الـزَّمَان فـلاً كـا — ن زمَانٌ عــلــى الخَيَانـــة يُقْدِمْ

كـان بَدْرًا فــاسْرعَتْ كَسْفَه الأر — ضُ فَزال الـضيّـاءُ والجــوُّ أظـلَمْ

لَهفَ قلْبـى على امْرِىءٍ كان فيـنا — عــقلُه بـــالــورَى يُقَاسُ وأعْظَمْ

حَسَنُ الاسمِ والـصّفَات كَريمُ الْـ — خُلْق والخَلْقِ ذى الـعَطاء المـفَخّمْ

يَا لَهُ مـــــن مُمَجَّد لَوذَعىٍّ — بَحْرِ جُودٍ وكَنْزِ دُرٍ مُنـــــظَّمْ

يــا لـــهُ من مُعــظَمٍ قَلَّ أنْ يُو — جَدَ فــى الــكَونِ مِثْلُه من مُعَظَّمْ

عَالِمٌ فَاضِلٌ عـــزَيــزٌ مُهـــابٌ — بَينَ أقْرانه كَبيـــــــرٌ مُقَدَّمْ

ما عسى أنْ أقولَ فى مَدْحِ شَخْصٍ — كـان فــى اللهِ لَمْ يـخَفْ لَومَ لُوَّمْ

أقْفَرَتْ بــعــده رُبــوع المــعَالِى — وعــلــيــهـــا سُرادقُ الحـزْنِ خيَّمْ

ونــعــتْه مَجـالـسُ الـعِلْمِ إذ كـا — ن لــدَيْهـا كــفَارِسٍ فــوقَ أدهَمْ

وبكَتْهُ نكَاتُهـــا والـــفتَاوَى — بـــدُمُوعٍ كغَيـــث سُحْبٍ تَركَّمْ

كــمْ قُلـوبٍ لــفقْده قــد أتَاهَا — مـا دهَاهَا من حــيـثُ لا تــتَوهَّمْ

أيُّ قَلْبٍ يُطيــقُ فَقْدَ عَزيـــزٍ — كـــان لِلْوَارِديــن أعـــظَمُ مَغْنَمْ

سَامَهُ واردُ الـــنَّوى فـــلعَمْرى — كـمْ رَوَى ذا الــنَّوى نَكَالاً وأبـرَمْ

فـــلَوْ أنّ المـنُونَ يـــقْبـلُ جَعْلاً — كــــان لكنّه قَضاءٌ مـــحتَّمْ

مـــنــذ وافَى لـــربِّه وحَبَاهُ — فــــى جنَان تَفُوقُ مـــا يتَوهَّمْ

صَحّ تــاريــخُه فــيَا أهْلَ وُدّى — الجــــبَرْتىُّ فــــى الجنَان يُنَعَّمْ

فــعـــلـيـــه مِن ربِّه رحمَاتٌ — كُلّ وقتٍ عَلَى الـــدَّوام وأدْوَمْ

وصَلاةٌ مِن المـــهيْمِن تُهْدَى — مَع سَلامٍ عــلــى الـنَّبــىِّ المـكَرَّمْ

أشْرفِ المُـرسَلِين أزكَى الـبَرَايَا   مَن عـلـيـه الإلـهَ صلّى وسلّم
وعلـى آلـه الـكِرَامِ وصَحْبٍ   وذَويـهـم وكـلُّ مَن قَدْ تَقَدَّمْ
مـا بـكَتْ أعينٌ عـلى مِثْلِ هَذَا   أو نَعَاهُ قَلْبٌ عـلـيـه تَألَّـمْ
أو رَثَاهُ الخَـامِيُّ إذْ قَال فـيـه   مُهَجٌ بـالخـطـوبِ تَعْيا وتـعْدَمْ

ومات : الإمام الـعلامة ، الفقـيه المعمر ، الشـيخ أحمـد بـن محمـد الحـماقى الحنفى ، كان أبوه من كبار علماء الشافعـية ، فتحنف هذا بإذن الإمام الشافعى رضى الله عنه لرؤيا رآها ، وكان يخبر بها من لفظـه ، وتلقى عن أئمة عصره كالشيخ أحمد الدقدوسى ، والشيخ سليمان المنصورى وغـيرهم ، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر مدة سنين ، ثم تولى مـشيخة إفتاء الحنفية بعد موت الشـيخ حسن المقدسى ، وفى ذلك يقول الشيخ عبد الله الإدكاوى :

رجَعَ الحـقُّ بـعـدَ طُول تَنَاء   لإمـامٍ لـهُ الخـنـاصرُ تُعْقَدْ
فـى جَمِيع الـفُنُونِ فقـهًا ونَحْواً   وبَيَانًا بمـنْطقٍ لـيـسَ يُجحَـدْ
هو ذُو الـفَضْلِ لـيس يُنكرُ هـذا   غـيْرَ فدمٍ بـجَهْله قـد تَفَرَّدْ
ويَراعُ الـفَتْوى استَمـرَّ مُقيـمًا   عـنـدَ مَولَى لـه الـفَضَائـلُ تُسْنَدْ
والـورَى بـالدّعـاءِ قـالـتْ نُؤرخ   دَام فـى كَفّ أحْمَدِ الـفَضْل أحْمَدْ

وكان إنسانًا حسنًا دمث الأخلاق ، حسن العـشرة ، صافى الطوية ، عارفًا بفروع المذهب ، لين الجانب لايتحاشى الجلـوس فى الأسواق والقهاوى ، وكان إخوانه من أهل العلم يـنقمون عليه فى ذلك ، فلا يـبالى باعتراضهم ، ولـم يزل حـتى توفى فى سَحَر ليلة الجمعة ، خامس عشرين صفر من السنة [1] ، رحمه الله .

ومات : الإمام الفـقيه ، العلامة المحـدث ، الفرضى الأصولى ، الـورع الزاهد الصـالح ، الشيـخ أحمد بن مـحمـد بـن محـمـد بن شاهين ، الـراشدى الشافـعى الأزهرى ، ولد بالراشدية ، قرية بالغربية سنة ثمان عشرة ومائة وألف [2] ، وبها نشأ

(١) ٢٥ صفر ١١٨٨ هـ / ٧ مايو ١٧٧٤م .
(٢) ١١١٨ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٧١٥ - ١٥ ديسمبر ١٧١٦م .

وحفظ القرآن وجوده ، وقدم الأزهر فتفقه على الشيخ مصطفى العزيزى ، والشيخ مصطفى العشماوى ، وأخذ الحساب والفرائض ، على الشيخ محمد الغمرى ، وسمع الكتب الستة على الشيخ عيد النمرسى بطرفيها ، وبعضها على الشيخ عبد الوهاب الطندتاوى ، وسيدى محمد الصغير ، وله شيوخ كثيرون ، ورافق الشيخ الوالد ، وعاشره مدة طويلة ، وتلقى عنه ، وهو أحد أصحابه من الطبقة الأولى ، ولم يزل محافظًا غلى وده وتردده ،ومؤانسته ، ويتذكر الأزمان السالفة ، والأيام الماضية ، وله شيوخ كثيرون ، وكان من جملة محفوظاته البهية الوردية ، وقد انفرد فى عصره بذلك ، واعتنى بالكتب الستة كتابة ومقابلة وتصحيحًا ، وكان حسن التلاوة للقرآن، حلو الأداء ، مع معرفته بأصول الموسيقى ، ولذلك ناطت به رغبة الأمراء ، فصلى إمامًا بالأمير محمد بيك ابن إسماعيل بيك ، مع كمال العفة والوقار والانجماع عن الناس ، حتى أن كثيراً منهم يود أنْ يسمع منه حزبًا من القرآن فلا يمكنه ذلك ، ثم أقلع عن ذلك ، وأقبل على إفادة الناس ، فأقرأ المنهج مراراً ، وابن حجر على المنهاج مراراً ، وكان يتقنه ، ويحل مشكلاته بكمال التؤدة والسكينة ، فاستمر مدة يقرأ دروسه بمدرسة السنانية قرب الأزهر ، ثم انتقل إلى زاوية قرب المشهد الحسينى ، وكان تقريره مثل سلاسل الذهب فى حسن السبك ، ولما بنى المرحوم يوسف چربجى الهياتم المسجد [1] قرب منزله بخط أبى محمود الحنفى ، رتب فيه خطيبًا وإمامًا وأعاد دروس الحديث فيه ، فمِمَّا قرأ فيه صحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، هذا مع صيامه الدهر ، وقيامه الليل ، من مدة طويلة ، ويقوم الليل بالقرآن ، وفيه جذبة إلى الله تعالى ، وقد انتفع به كثير من الأعلام ، ولما بنى المرحوم محمد بيك أبو الذهب المدرسة تجاه الجامع الأزهر فى هذه السنة ، راوده أنْ يكون خطيبًا بها فامتنع ، فألح عليه وأرسل له صرة فيها دنانير لها صورة ، فأبى أنْ يقبل ذلك ورده ، فألحَّ عليه ، فلما أكثر عليه خطب بها أول جمعة ، وألبسه فروة سمور ، وأعطاه صرة فيها دنانير ، فقبلها كرهًا ، ورجع إلى منزله محمومًا ، يقال فيما بلغنى أنَّه طلب من الله أن لايخطب بعد ذلك ، فانقطع فى منزله مريضًا إلى أن توفى ليلة الثلاثاء ، ثانى شوّال من السنة [2] ، وجهز ثانى يوم [3] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بالقرافة الصغرى ، تجاه قبة أبى جعفر الطحاوى ،

---

(1) مسجد الهياتم : يقع هذا الجامع بحارة الهياتم من خط الحنفى ، أنشاه الأمير يوسف چربجى ، وهو جامع معلق بأسفله دكاكين موقوفة عليه ، وعلى بابه لوح رخام عليه تاريخ ١١١٧ هـ / ٢٥ أبريل ١٧٠٥ - ١٤ أبريل ١٧٠٦ م ، ودرست فيه دروس حديث .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) ٢ شوال ١١٨٨ هـ / ٦ ديسمبر ١٧٧٤م .

(٣) ٣ شوال ١١٨٨ هـ / ٧ ديسمبر ١٧٧٤م .

ولم يخلف بعده فى جمع الفضائل مثله ، وكان صفته نحيف البدن منور الوجه والشيبة ، ناتىء الجبهة ، ولا يلبس زى الفقهاء ولا العمامة الكبيرة ، بل يلبس قاووقًا لطيفًا فتلى ، ويركب بغلة وعليها سلخ شاة أزرق ، وأخذ كتبه الأمير محمد بيك ، ووقفها فى كتبخانته التى جعلها بمدرسته ، وكان لها جِرم ، وكلها صحيحة مخدومة ، وسُرق غالبها .

ومات : الشيخ الصالح سعد بن محمد بن عبد الله الشنوانى ، حصل فى مباديه شيئًا كثيراً من العلوم ، ومال إلى فن الأدب فمهر فيه ، وتنزل قاضيًا فى محكمة باب الشعرية [1] بمصر ، وكان إنسانًا حسنًا بينه وبين الفضلاء مخاطبات ومحاورات ، وشعره حسن مقبول ، وله قصائد ومدائح فى الأولياء وغيرهم ، أحسن فيها ، ولم أعثر على شىء منها ، وجدد له شيخنا السيد مرتضى نسبه إلى الشيخ شهاب الدين العراقى ، دفين شنوان [2] ، توفى يوم السبت خامس جمادى الثانية من السنة [3] ، وقد جاوز السبعين ، رحمه الله .

ومات : العلامة الفقيه الصالح الديِّن ، الشيخ على بن حسن ، المالكى الأزهرى ، قرأ على الشيخ عليّ العدوى ، وبه تخرج ، وحضر غيره من الأشياخ ومهر فى الفقه والمعقول ، وألقى دروسًا بالأزهر ونفع الطلبة ، وكان ملازمًا على قراءة الكتب النافعة للمبتدئين ، مثل أبى الحسن ، وابن تركى ، والعشماوية فى الفقه ، وفى النحو الشيخ خالد ، والأزهرية والشذور ، وحلقة درسه عظيمة جداً ، وكان لسانه أبداً متحركًا بذكر الله ، توفى ليلة الخميس منتصف ربيع الأوّل من السنة [4] ، ودفن بالمجاورين .

ومات : الشيخ الإمام ، المحدث البارع الزاهد ،الصوفى محمد بن أحمد بن سالم أبو عبد الله السفارينى النابلسى الحنبلى ، وُلد كما وجد بخطه سنة أربع عشرة ومائة وألف [5] تقريبًا بسفارين [6] ، وقرأ القرآن فى سنة إحدى وثلاثين [7] فى نابلس ، واشتغل بالعلم قليلاً ، وارتحل إلى دمشق سنة ثلاث وثلاثين [8] ، ومكث

---

(١) باب الشعرية : أحد أبواب القاهرة القديمة .

(٢) شنوان : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

(٣) ٥ جمادى الثانية ١١٨٨ هـ / ١٣ اغسطس ١٧٧٤م .

(٤) ١٥ ربيع الأول ١١٨٨ هـ / ٢٦ مايو ١٧٧٤م .

(٥) ١١١٤ هـ / ٢٨ مايو ١٧٠٢ - ١٦ مايو ١٧٠٣م .

(٦) سفارين : قرية تقع قريبا من نابلس ببلاد الشام .

(٧) ١١٣١ هـ / ٢٤نوفمبر ١٧١٨ - ١٣ نوفمبر ١٧١٩م .

(٨) ١١٣٣ هـ / ٢ نوفمبر ١٧٢٠ - ٢١ أكتوبر ١٧٢١م .

بها قدر خمس سنوات ، فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبى : دليل الطالب للشيخ مرعى الحنبلى من أوله إلى آخره قراءة تحقيق ، والإقناع للشيخ موسى الحجازى ، وحضره فى الجامع الصغير للسيوطى بين العشاءين ، وغيره مما كان يقرأ عليه فى سائر أنواع العلوم ، وذاكره فى عدّة مباحث من شرحه على الدليل ، فمنها ما رجع عنها ، ومنها مالم يرجع لوجود الأصول التى نقل منها ، وكان يكرمه ويقدمه على غيره ، وأجازه بما فى ضمن ثبته الذى خرجه له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى ، فى سنة خمس وثلاثين [1] ، وعلى الشيخ عبد الغنى النابلسى : الأربعين النووية ، وثلاثيات البخارى ، والإمام أحمد ، وحضر دروسه فى تفسير القاضى ، وتفسيره الذى صنفه فى علم التصوف ، وأجازه عمومًا بسائر مايجوز له وبمصنفاته كلها ، وكتب له إجازة مطولة ، وذكر فيها مصنفاته ، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد ثلاثيات البخارى ، وحضر دروسه العامة وأجازه ، وعلى الشيخ عبد السلام بن محمد الكاملى ، بعض كتب الحديث ، وشيئًا من رسائل إخوان الصفا ، وعلى ملا الياس الكورانى ، كتب المعقول ، وعلى الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى ، الصحيح بطرفيه ، مع مراجعة شروحه الموجودة فى كل رجب وشعبان ورمضان من كل سنة مدة إقامته بدمشق ، وثلاثيات البخارى ، وبعض ثلاثيات أحمد، وشيئًا من الجامع الصغير ، مع مراجعة شرحه للمناوى ، والعلقمى ، وشيئًا من الجامع الكبير ، وبعضًا من كتاب الإحياء ، مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقى ، والأندلسية فى العروض ، مع مطالعة بعض شروحها ، وبعضًا من شرح شذور الذهب ، وشرح رسالة الوضع ، مع حاشيته التى ألفها ، وحاشية ملا إلياس، وأجازه بكل ذلك ، وبما يجوز له روايته ، وعلى الشيخ أحمد ابن على المنينى ، شرح جمع الجوامع للمحلى ، وشرح الكافية لملا جامى ، وشرح القطر للفاكهى ، وحضر دروسه للصحيح ، وشرحه على منظومة الخصائص الصغرى للسيوطى ، وقد أجازه بكل ذلك إجازة مطولة كتبها بخطه ، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى بعضًا من شرح ألفية العراقى لزكريا ، وأوّل سنن أبى داود ، وعلى قريبه الشيخ أحمد الغزى غالب الصحيح بالجامع الأموى ، بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة ، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار ، أول صحيح مسلم ، وعلى حامد أفندى مفتى الشام ، المسلسل بالأولية ، وثلاثيات البخارى ، وبعض ثلاثيات أحمد ، وحج سنة ثمان وأربعين [2] ، فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل

---

(١) ١١٣٥ هـ / ١٢ أكتوبر ١٧٢٢ - ٣٠ نوفمبر ١٧٢٣م .

(٢) ١١٤٨ هـ / ٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦م .

بالأولية ، وأوائل الكتب الستة ، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدى ، وطه بن أحمد اللبدى ، ومصطفى بن يوسف الكرمى ، وعبد الرحيم الكرمى ، والشيخ المعمر السيد هاشم الحنبلى ، والشيخ محمد السلفينى وغيرهم ، ومن شيوخه : الشيخ محمد الخليلى ، سمع عليه أشياء ، والشيخ عبد الله البصروى، سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح ، والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة ، وقرأ عليه أشياء ، واجتمع بالسيد مصطفى البكرى ، فلازمه وقرأ عليه مصنفاته ، وأجازه بما له ، وكتب له بذلك ، وله شيوخ أخر غير من ذكرت، وله مؤلفات منها : « شرح عمدة الأحكام » ، للحافظ عبد الغنى فى مجلدين ، و«شرح ثلاثيات أحمد» ، فى مجلد ضخم ، وشرح نونية الصرصرى الحنبلى ، سماه : « معارج الأنوار فى سيرة النبى المختار » ، و « بحر الوفا ، فى سيرة النبى المصطفى » ، و « غذاء الألباب فى شرح منظومة الآداب » ، و « البحور الزاخرة فى علوم الآخرة » و « شرح الدرة المضية فى اعتقاد الفرقة الأثرية » ، و « لوائح الأنوار السنية فى شرح منظومة أبى بكر بن أبى داود الحائية » ، ومما وجدته من نظمه ، ونقلته من خطه :

لِكُلِّ امْرِءٍ عند الإله وَسِيلَةٌ	سَتُنْجِيه فى يوم الجزا من عَذَابِهِ
ومَالى سوى ذُلى وفَقْرِى وفَاقَتى	وحُسْنِ رجائى وانْكِسَارى بِبَابِهِ
عسَى خَالِقِى يمحُو ذُنوبى بِمَنّه	ويَقْبِضُنى مُتَمَسِّكًا بِكِتَابِهِ

وله أيضا :

إذا رأيتَ ذَوى ظُلْمٍ فَقُلْ لَهُمُ	سَتَنْدَمُون إذا ما جِئْتُمُو سَقَرا
عَنَفْهُم بِشَنِيعٍ مِن قِبَاحِهِمُ	واقْرأ له آيةً فى آخِرِ الشُّعَرَا

وله أيضا :

ألا لَيتَ شِعْرِى هل أبِيتَنّ لَيلةً	بمكةَ حَولِى صَالحٌ وزَمِيلُ
وهل أرِدَنْ يومًا مِيَاهَا لزَمْزَمٍ	وهل يَبْدُوَنْ لى فى الطوافِ قَبُولُ

وله أيضا :

وشادنٍ من بَنى الأتْراك قُلْتُ لَهُ	قَصْدى أقَبِّلُ يا كُلَّ المنَى شَفَتَكْ
فقالَ لَى كُفَّ عن هذا الكَلامِ ولَوْ	قَبِلْتَهَا يا صَرِيعَ الحُبِّ ما شَفَتَكْ

والأصل فيه قول من سبق :

وشَـــادن قُلْـــتُ لَهُ   دَعْنـــى أقَبّـــلْ شَفَتَكْ
فَقَـــالَ لِـــى كَـــمْ مَرّةٍ   قَبّلْتَهـــا مَـــا شفَتَكْ

وله أيضـــا :

ظَنَّ الـــــعَوَاذِلُ أنّى   مِنْ قِلّةِ المـــــال أشْقَى
فَقُلْتُ لاَ ذاك إفــــكٌ   فـــــاللهُ خَيرٌ وأبْقَى

وكان المترجم شيخًا ذا شيبة منورة ، مهيبًا جميل الشكل ، وناصرا للسنة ، قامعًا للبـدعة ، قوالاً بالحق ، مقبلاً على شأنـه ، مداوما على قـيام الليل فى المسجد ، ملازمًا على نشر عـلوم الحديث ، محبًا فى أهله ، ولا زال يملى ويفـيد ويجيز من ، سنة ثمـان وأربعين [1] ، إلى أن تـوفى يوم الإثـنين ثامـن شوّال مـن هذه السـنة [2] بنابلس، وجهز وصلـى عليه بالجامع الكبير ، ودفن بالمقبـرة الزاركنية ، وكثر الأسف عليه ، ولم يخلف بعد مثله ، رحمه الله رحمةً واسعة .

ومات : العمدة المبجل الفاضل ، الشيخ أحـمد بن عبد السلام الشرفى ، المغربى الأصل ، المصرى المولد ، وكان والده شيخًا على رواق المغاربة بالجامع الأزهر ، ومن شيوخ الشيخ أحمـد الدمنهورى ، وولده هذا كان له معرفة بعلـم الميقات ، ومشاركة حسنـة ، وفيه صداقة ودّ ، وحُسن عـشرة مع الإخوان ، ومكارم أخـلاق ، ويدعو الناس والعلماء فى المولد النبوى إلى بيـته بالأزبكية ، ويقدم لهم الموائد ، والحلوى ، وشراب السـكر ، وكان لديه فوائـد ومآثر حسنة ، تـوفى سابع عشر ربـيع الأول من السنة [3] ، وقد جاوز السبعين رحمه الله .

ومات : العمدة الفاضـل الشيخ زين الدين قاسم العبادى ، الحنـفى ، تفقه على الشيخ سليمـان المنصورى ، والشيخ أحمد عمر الأسقـاطى ، إلى أن صار يقرأ درسًا فى المذهب، ولم يزل مـلازمًا شأنه حتى توفى ثالث عشر الحـجة من السنة [4]، وقد ناهز الثمانين رحمه الله .

---

(١) ١١٤٨ هـ / ٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦م .
(٢) ٨ شوال ١١٨٨ هـ / ١٢ ديسمبر ١٧٧٤ . .
(٣) ١٧ ربيع الأول ١١٨٨ هـ / ٢٨ مايو ١٧٧٤م .
(٤) ١٣ ذى الحجة ١١٨٨ هـ / ١٤ فبراير ١٧٧٥م .

ومات : العمدة المعمر الشيخ عبد الله الموقت [١] ،بجامع قوصون [٢] ، وكان يعرف بالطويل ، وكان إنسانًا صالحًا ناسكًا ورعًا ، توفى فجأة فى الحمام ، ثانى عشر الحجة عن سبع وثمانين سنة [٣] .

ومات : العدة الفاضل ، الأديب الماهر ، الشيخ على بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عامر ، العطشى الفيومى الشافعى ، وهو أخو الشيخ أحمد العطشى ، وكان له مذاكرة حسنة ، وحضر على الشيخ الحفنى وغيره ، وكان نعم الرجل ، توفى فى جمادى الآخرة [٤] .

ومات : السيد الشريف المعمر ، محمد بن حسن بن محمد ، الحسنى الوفائى ، باش جاويش السادة الأشراف ، أخذ عن الشيخ المعمر يوسف الطولونى ، وكان يحكى عنه حكايات مستحسنة ، وغرائب ، وكان متقيداً بالسيد محمد أبى هادى الوفائى فى أيام نقابته على الأشراف، ولديه فضيلة وفوائد ، توفى فى هذه السنة [٥]، عن نحو ثمانين سنة .

ومات : الشيخ الصالح سليمان بن داود بن سليمان بن أحمد الخربتاوى ، وكان من أهل المروءة والدين ، توفى ثامن عشرين المحرم من السنة [٦] ، فى عشر الثمانين .

ومات : الجناب المكرم ، الأمير أحمد أغا البارودي ، وهو من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلى، وتزوّج بابنته التى من بنت البارودى ، وسكن معها فى بيتهم المشهور ، خارج باب سعادة والخرق ، وولد له منها أولاد ذكور وإناث ، ومنهم صاحبنا إبراهيم چلبى ،وعلى ومصطفى ،وهو أستاذ محمد أغا الآتى ذكره ، تقلد المترجم فى أيام عليّ بيك مناصب جليلة ، مثل أغاوية المتفرقة ، وكتخدا الجاويشية ، وكان إنسانًا حسنًا صافى الباطن لايميل طبعه لسوى فعل الخير ، ويحب أهل العلم ، وممارستهم ، وكان له ميل عظيم واعتقاد حسن فى المرحوم الشيخ الوالد ، ويزوره

---

(١) المؤقت : أى المؤذن الذى يقوم بالأذان عند دخول وقت كل صلاة .

(٢) جامع قوصون : أنظر ، ص ٧٨، حاشية رقم (١) . (٣) ١٢ ذى الحجة ١١٨٨ هـ / ١٣ فبراير ١٧٧٤م .

(٤) جمادى الثانية ١١٨٨ هـ / ١٩ أغسطس - ٦ سبتمبر ١٧٧٤م .

(٥) ١١٨٨ هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥م .

(٦) ٢٨ محرم ١١٨٨ هـ / ١٠ أبريل ١٧٧٤م .

فى كل جمعة مع غاية الأدب والامتثال ، ومما شاهدته من كمال أدبه وشدة اعتقاده وحبه ، أنه صادفه مرة بالطريق ، وهو إذ ذاك كتخدا الجاويشية ، وهو راكب فى أبهته وأتباعه ، والشيخ راكب على بغلته ، فعندما رآه ترجل ونزل عن جواده ، وقبل يده ، فأنكر عليه فعله ، واستعظمه واستحى منه ، والتمس منه أن يقيد به بعض الطلبة ليقرئه شيئًا من الفقه والدين ، فقيد به الشيخ عبد ا لرحمن العريشى ، فكان يذهب إليه ، ويطالع له القدورى وغيره ، وكان يكرمه ويواسيه ، ولم يزل على حسن حالته ، حتى توفى فى سابع جمادى الأولى من السنة [1] ، وكان له فى منزله خلوة ينفرد فيها بنفسه ، ويخلع ثياب الأبهة ، ويلبس كساء صوف أحمر على بدنه، ويأخذ بيده سبحة كبيرة ، يذكر ربه عليها .

ومات : الأمير الصالح ، خليل أغا مملوك الأمير عثمان بيك الكبير ، تابع ذى الفقار ، وهو أستاذ الأمير عليّ خليل توفى ببلد له بالفيوم ، وجيء به ميتًا فى عشية نهار السبت ، حادى عشرين جمادى الثانية من السنة [2] ، فغسل وكفن ودفن بالقرافة ، وكان إنسانًا دينًا خيراً محبًا للعلماء والصلحاء .

ومات : الأمير إسماعيل أفندى تابع المرحوم الشريف محمد أغا ، كاتب البيورلدى ، وكان إنسانًا خيراً صالحًا ، توفى يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الثانية [3] .

ومات : السيد المعمر الشريف عبد اللطيف أفندى ، نقيب الأشراف بالقدس ، وابن نقبائها ، عن تسعين سنة تقريبًا ، وتولى بعده أكبر أولاده السيد عبد الله أفندى ، رحمه الله .

ومات : الأمير المبجل محمد أفندى چاوچان ميسو ، وكان حافظًا لكتاب الله موفقًا ، وفيه فضيلة وفصاحة ، يحب العلماء والأشراف ، ويحسن إليهم ، توفى ليلة الإثنين عشرين ربيع الأول [4] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالمجاورين .

ومات : الأمير مصطفى بيك الصيداوى ، تابع الأمير على بيك القازدغلى ، وكان سبب موته أنه خرج إلى الخلاء جهة قصر العينى ، وركض جواده ، فسقط

---

(١) ٧ جمادى الأولى ١١٨٨ / ١٦ يوليه ١٧٧٤م . (٢) ٢١ جمادى الثانية ١١٨٨هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٧٤م .

(٣) ٢٢ جمادى الثانية ١١٨٨ هـ / ٣٠ أغسطس ١٧٧٤م .

(٤) ٢٠ ربيع الأول ١١٨٨ هـ / ٣١ مايو ١٧٧٤م .

عنـه ، ومات لوقته ، وحمـل إلى منزلـه بدرب الحجـر ، وجهـز وكـفن ودفن بالقرافة ،وذلك فى منتصف ربيع الأول من السنة [١] .

ومات : الأمير على أغا بوقوره ، من جمـاعة الوكيل ، سادس عشر ربيع الأول سنة تاريخه [٢] .

ومات : الأمير محـمد أفندى الزاملى ، كاتب قلـم الغربية [٣] ، وكان صـاحب بشاشة وتودد وحسـن أخلاق ، توفى فى رابع عشرين صفـر من السنة [٤] ، وخلف ولده حسن أفندى قلفة الغربية ، الآتى ذكره فى سنة اثنتين ومائتين وألف [٥] .

ومات : الخواجـا المكرم الحاج محمد عـرفات الغزاوى التاجر ، وهـو والد عبد الله ومصطفى ، توفى يوم الثلاثاء ثامن صفر من السنة [٦] ،والله تعالى أعلم .

سنة تسع وثمانين ومائة وألف [٧]

فيها [٨] ، عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر ، والتوجه إلى البلاد الشامية ، بقصـد محاربة الـظاهر عمـر ، واستخلاص مـابيده من البـلاد ، فبرز خيـامه إلى العادلية ، وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والـعساكر والمماليك ، واستعد لذلك استعـداداً عظيمًا فـى البحر والـبر ، وأنزل بالمراكـب الذخيرة والجـبخانة والمـدافع والقنابر ، والمدفع الكـبير المسمى بأبو مايله ، الذى كان سبـكه فى العام الماضى [٩] ، وسافر بجموعـه وعساكره فى أوائل المحرم [١٠] ،وأخذ صحبته مراد بيك ، وإبراهيم بيك طـنان ، وإسماعيل بـيـك تابع إسـماعيـل بـيك الكبيـر لاغير ، وتـرك بمصر إبراهيـم بيـك ،وجعـلـه عـوضًا عنـه فـى إمـارة مصـر وإسمـاعيـل بيـك ، وباقى الأمـراء ،والباشـا الذى بالقلعة ،وهو مصطـفى باشا النابلسى ، وأرباب الـعكاكيز ، والخدم ، والوجاقلية ، ولـم يزل فى سيره حتى وصل إلى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يـقف أحد فى وجهه ، وتحـصن أهل يافا بـها ، وكذلك الظاهـر عمر

---

(١) ١٥ ربيع الأول ١١٨٨ هـ / ٢٦ مايو ١٧٧٤م . (٢) ١٦ ربيع الأول ١١٨٨ هـ/ ٢٧ مايو ١٧٧٤ م .
(٣) كاتب قلم الغربية : أى المسئول عن تسجيل الضرائب المقررة على الغربية بديوان الروزنامة .
(٤) ٢٤ صفر ١١٨٨ هـ/ ٦ مايو ١٧٧٤م . (٥) ١٢٠٢ هـ / ١٣ أكتوبر ١٧٨٧ - ١ أكتوبر ١٧٨٨م .
(٦) ٨ صفر ١١٨٨ هـ / ١٠ أبريل ١٧٧٥م . (٧) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦م .
(٨) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦م .
(٩) ١١٨٨ هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥م . (١٠) ١ محرم ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ م .

تحصن بعكّا ، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيق على أهلها ، وامتنعوا هم أيضًا عليه ، وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليالى ، فكانوا يصعدون إلى أعلى السور يسبون المصريين وأميرهم سبًا قبيحًا ، فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنوة ونهبوها ، وقبضوا على أهلها ، وربطوهم فى الحبال والجنازير ، وسبوا النساء والصبيان ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ، ودوروا فيهم السيف وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يميزوا بين الشريف ، والنصرانى ، واليهودى ، والعالم والجاهل والعامى والسوقى ، ولا بين الظالم والمظلوم ، وربما عوقب من لاجنى وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع ، ووجوهها بارزة ، تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ، ثم ارتحل عنها طالبًا عكا ، فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا اشتد خوفه ، وخرج من عكا هاربًا وتركها وحصونها ، فوصل إليها محمد بيك ودخلها من غير مانع ، وأذعنت له باقى البلاد ، ودخلوا تحت طاعته ، وخافوا سطوته ، وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه ، وما آل به إلى الموت والهلاك ، وأرسل بالبشائر إلى مصر والأمراء بالزينة ، فنودى بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة ، وعمل بها وقدات وشنكات وحراقات ، وأفراح ثلاثة أيام بلياليها ،وذلك فى أوائل ربيع الثانى [1] ، فعند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد ، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك ، وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[2] ، وذلك أنه لما تم له الأمر ، وملك البلاد المصرية والشامية، وأذعن الجميع لطاعته ، وقد كان أرسل إسماعيل اغا أخا عليّ بيك الغزاوى إلى اسلامبول يطلب إمرية مصر والشام ، وأرسل صحبته أموالاً وهدايا ، فأجيب إلى ذلك، وأعطوه التقاليد والخلع واليرق والداقم ، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلأ فرحًا وحُمّ بدنه فى الحال ، فأقام محمومًا ثلاثة أيام ، ومات ليلة الرابع ، ثامن ربيع الثانى [3] ، ووافى خبر موته إسماعيل أغا عندما تهيأ ، ونزل فى المراكب يريد المسير إلى مخدومه ، فانتقض الأمر، ورُدّت التقاليد ، وباقى الأشياء ، ولما تم له أمر يافا وعكا وباقى البلاد

---

(1) ١ ربيع الثانى ١١٨٩ هـ / ١ يونيه ١٧٧٥م .

(2) سورة الأنعام ، رقم (٦) ، آية رقم (٤٤) .

(3) ٨ ربيع الثانى ١١٨٩ هـ / ٨ يونيه ١٧٧٥م .

والشغور ، فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان ، فاجتمعوا إليه فى اليوم الذى نزل به ما نزل فى ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود ، وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية ، وبلاد السواحل ، وأمرهم بإرسال المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم ، وما سيفتح لهم ، ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر ، فعند ذلك اغتموا وعلموا أنهم لابراح لهم ، وأن أمله غير هذا ، وذهب كل إلى مخيمه يفكر فى أمره ، قال الناقل : « وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التى تمرض فيها ، وأكثرنا يعلم بمرضه ، ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه ، ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم فى اليوم الثالث ،إنه منحرف المزاج ، فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها ، نظرنا إلى صيوانه ، وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة فى حركة ، ثم زاد الحال ،وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضى ، وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم ،وجمع كبراءهم وتشاوروا فى أمرهم ، وأرضى خواطرهم خوفًا من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم فى بلاد الغربة ، وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم ، واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم صحبتهم ، لما تحقق عندهم أنهم إنْ دفنوه هناك فى بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه ، فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ، ووضعوه فى عربة ، وارتحلوا به طالبين الديار المصرية ، فوصلوا فى ستة عشر يومًا ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثانى [1] ، أو آخر النهار » ، فأرادوا دفنه بالقرافة ، وحضر الشيخ الصعيدى ، فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له قبراً فى الليوان الصغير الشرقى ، وبنوه ليلاً ، ولما أصبح النهار عملوا له مشهداً ، وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ومشى أمامه المشايخ ، والعلماء ، والأمراء ، وجميع الأحزاب والأوراد ، وأطفال المكاتب ، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود ، ستراً على رائحته ونتنه ، حتى وصلوا به إلى مدفنه ، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يومًا ، واستقر أتباعه أمراء مصر ، ورئيسهم إبراهيم بيك ومراد بيك ، وباقيهم الذين أمَّرهم فى حياته ، ومات عنهم : يوسف بيك ، وأحمد بيك الكلارجى ، ومصطفى بيك الكبير، وأيوب بيك الكبير ، وذو الفقار بيك ، ومحمد بيك طبال ، ورضوان بيك ، والذين تأمروا بعده : أيوب بيك الدفتردار ، وسليمان بيك الأغا ، وإبراهيم بيك

(١) ٢٤ ربيع الثانى ١١٨٨ هـ / ٤ يوليه ١٧٧٤م .

الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وقاسم بيك الموسقو ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ومراد بيك الصغير ، وسليم بيك أبو دياب ،ولاجين بيك ، وسيأتى ذكر أخبارهم .

واما من مات فى هذه السنة من الاعيان [1]

مات : الإمام الهمام ، شيخ مشايخ الإسلام ، عالم العلماء الأعلام ، إمام المحققين ، وعمدة المدققين ، الشيخ عليّ بن أحمد بن مكرم الله ، الصعيدى العدوى ، المالكى ، ولد ببنى عدى [2] ، كما أخبر عن نفسه ، سنة اثنتى عشرة ومائة وألف [3] ، ويقال له أيضًا المنسفيسى ، لأن أصوله منها ، وقدم إلى مصر ، وحضر دروس المشايخ ، كالشيخ عبد الوهاب الملوى ، والشيخ شلبى البرلسى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ عبد الله المغربى ، والسيد محمد السلمونى ، ثلاثتهم عن الخرشى ، وأقرانه ، وكسيدى محمد الصغير ، والشيخ إبراهيم الفيومى ، قال : « وبشرنى بالعلم حين قبلت يده ، وأنا صغير » ، ومحمد بن زكرى ، والشيخ محمد السجينى ، والشيخ إبراهيم شعيب المالكى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشيخ أحمد الديربى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ مصطفى العزيزى ، والشيخ محمد العشماوى ، والشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ أحمد الإسقاطى ، والبقرى ، والعماوى ، والسيد على السيواسى ، والمدابغى ، والدفرى ، والبليدى ، والحفنى ، وآخرين ، وبآخرة تلقن الطريقة الأحمدية عن الشيخ عليّ بن محمد الشناوى ، ودرس بالأزهر وغيره ، وقد بارك الله فى أصحابه طبقة بعد طبقة كما هو مشاهد ، وكان يحكى عن نفسه أنَّه طالما كان يبيت بالجوع فى مبدأ اشتغاله بالعلم ، وكان لايقدر على ثمن الورق ، ومع ذلك إنْ وجد شيئًا تصدق به ، وقد تكررت له بشارات حسنة ، مناما ويقظة إذ حكى شيئًا من ذلك ، قال : « هكذا كان الإمام مالك يخبر أصحابه بالرؤيا ، ويقول: « الرؤيا تسر ولا تضر » ، منها ما وقع لشيخنا العارف سيدى محمود الكردى ، قال : « رأيت النبى ﷺ فى المنام ، يقول : « عليّ الصعيدى خليفتى » ، فلما انتبهت ، وخطر ببالى الشيخ ، قلت عليّ الصعيدى غيره كثير ، فنمت فرأيته ثانيًا ، يقول : « عليّ الصعيدى هذا » ، ويشير للشيخ ، ورأى بعض الصلحاء النبى ﷺ فى المنام فى محراب الأزهر ، والطلبة

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٤١٤ ، طبعة بولاق «ذكر من مات فى هذه السنة من العلماء والأمراء» .
(٢) بنى عدى : إحدى قرى مركز منفلوط ، محافظة أسيوط .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٨٢ - ٨٣ .
(٣) ١١١٢ هـ / ١٨ يونيه ١٧٠٠ - ٧ يونيه ١٧٠١م .

يعرض عليه تقايد الأشياخ ، فلما رأى ما قيد عن الشيخ ، صار يقول بذل وانكسار : « ياعليّ ، وكررها » ، ورأى الشيخ نفسه فى المنام ، فقال له : « أجزنى قال أجزتك » ، وأمثال ذلك كثير ، ورأى مالكًا والشافعى فى مجلس تدريسه ، وشهد له بالمعرفة والصلاح أكثر من النصف من أهل عصره ، وقال العلامة الشيخ محمد الأمير : « ولقد سمعت شيخنا العفيفى - رضي الله عنه فى مرض موته - يقول الشيخ تاج والذى يحضره تاج ، أو كلامًا هذا معناه » ، وله مؤلفات دالة على فضله منها : « حاشية على ابن تركى » ، وأخرى على الزرقانى على العزية ، وأخرى على شرح أبى الحسن على الرسالة فى مجلدين ضخمين ، وأخرى على الخرشى ، وأخرى على شرح الزرقانى على المختصر ، وأخرى على الهدهدى على الصغرى ، وحاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى ، وأخرى على الأخضرى على السلم ، وأخرى على ابن عبد الحق على بسملة شيخ الإسلام ، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقى ، وغير ذلك ، وكان قبل ظهوره ، لم تكن المالكية تعرف الحواشى على شروح كتبهم الفقهية ، فهو أول من خدم تلك الكتب بها ، وله شرح على خطبة كتاب إمداد الفتاح على نور الإيضاح فى مذهب الحنفية للشيخ الشرنبلالى ، وكان رحمه الله شديد الشكيمة فى الدين ، يصدع بالحق ، ويأمر بالمعروف ، وإقامة الشريعة ، ويحب الاجتهاد فى طلب العلم ، ويكره سفاسف الأمور ، وينهى عن شرب الدخان ، ويمنع من شربه بحضرته ، وبحضرة أهل العلم تعظيمًا لهم ، وإذا دخل إلى منزل من منازل الأمراء ، ورأى من يشرب الدخان شنع عليه ، وكسر آلته ، ولو كانت فى يد كبير الأمراء ، وشاع عنه ذلك ، وعرف فى جميع الخاص والعام ، وتركوه بحضرته ، فكانوا عندما يرونه مقبلاً من بعيد نبه بعضهم بعضًا . ورفعوا شبكاتهم وأقصابهم ، وأخفوها عنه ، وإنْ رأى شيئًا منها أنكر عليهم ووبخهم وعنفهم وزجرهم ، حتى أنّ عليّ بيك فى أيام إمارته ، كان إذا دخل عليه فى حاجة أو شفاعة أخبروه قبل وصوله إلى مجلسه ، فيرفع الشبك من يده ، ويخفوه من وجهه ، وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره ، واتفق أنّه دخل عليه فى بعض الأوقات فتلقاه على عادته ، وقبل يده ، وجلس فسكت الأمير مفكراً فى أمر من الأمور ، فظن الشيخ إعراضه عنه ، فأخذته الحدة ، وقال مخاطبًا له باللغة الصعيدية : « يامين يامين يامن هو غضبك ورضاك على حد سواء ، بل غضبك خير من رضاك » ، وكرر ذلك ، وقام قائمًا وهو يأخذ بخاطره ، ويقول : « أنا لم أغضب من شيء » ، ويستعطفه ، فلم يجبه ، ولم

يجلس ثانيًا وخرج ذاهبًا ، ثم سأل عليّ بيك عن القضية التى أتى بسببها ، فأخبروه ، فأمر بقضائها ، واستمر الشيخ منقطعًا عن الدخول إليه مدة حتى ركب فى ليلة من ليالى رمضان مع الشيخ الوالد فى حاجة عند بعض الأمراء ، ومرا ببيت عليّ بيك ، فقال له : « ادخل بنا نسلم عليه » ، فقال ياشيخنا : « أنا لا أدخل » ، فقال : « لابد من دخولك معى » ، فلم تسعه مخالفته ، وانسر بذلك عليّ بيك تلك الليلة سروراً كثيراً ، ولما مات عليّ بيك ، واستقل محمد بيك أبو الذهب بإمارة مصر ، كان يجل من شأنه ويحبه ، ولا يرد شفاعته في شيء أبداً ، وكل من تعسر عليه قضاء حاجة ذهب إلى الشيخ ، وأنهى إليه قصته ، فيكتبها مع غيرها فى قائمة حتى تمتلىء الورقة ، ثم يذهب إلى الأمير بعد يومين أو ثلاثة ، فعندما يستقر فى الجلوس ، يخرج القائمة من جيبه ، ويقص ما فيها من القصص والدعاوى ، واحدة بعد واحدة ، ويأمره بقضاء كل منها ، والأمير لايخالفه ، ولا ينقبض خاطره فى شيء من ذلك ، وفى أثناء ذلك يقول له لاتضجر ولا تأسف على شيء يفوتك بغير حق فى الدنيا ، فإن الدنيا فانية ، كلنا نموت ، ويوم القيامة يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك ، وها نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة ، وإذا تلكأ فى شيء صرخ عليه ، وقال له : « اتق النار وعذاب جهنم » ، ثم يمسك يده ، ويقول له : « أنا خائف على هذه اليد الكويسة من النار » ، وأمثال ذلك ، ولما بنى الأمير المذكور مدرسته كان المترجم هو المتعين فى التدريس بها داخل القبة على الكرسى ، ابتدأ بها البخارى ، وحضره كبار المدرسين فيها وغيرهم ، ولم يترك درسه بالأزهر ولا بالبردبكية [1] ، وكان يقرأ قبل ذلك بمسجد الغريب [2] ، عند باب البرقية فى وظيفة جعلها له الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وكذلك وظيفة بعد الجمعة بجامع مرزة ببولاق ، وكان على قدم السلف فى الاشتغال والقناعة ، وشرف النفس ، وعدم التصنع ، والتقوى ، ولا يركب إلا الحمار ، ويواسى أهله وأقاربه ، ويرسل إلى فقرائهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للنساء والعصائب والمداسات وغير ذلك ، ولم يزل مواظبًا على الإقراء والإفادة حتى تمرض بخراج فى ظهره أيامًا قليلة ، وتوفى فى عاشر رجب من السنة [3] ، وصلى عليه بالأزهر بمشهد عظيم ،

(١) المدرسة البردكية : أنشأها الأمير بردك الأشرفى الدوادار فى آخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، بخط قناطر السباع تجاه الجامع الزينى . ·

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٦ .

(٢) مسجد الغريب : المعروف قديمًا بجامع البرقية ، ويقع بالقرب من باب البرقية ، عمره الأمير مغلطاى الفخرى أخو الأمير الماس الحاجب ، وكمل بناؤه فى محرم ٧٣٠ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٣٢٩ - ١٤ أكتوبر ١٣٣٠م ، وأقيمت فيه الصلاة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ص ١٤٢ .

(٣) ١٠ رجب ١١٨٩ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٧٥م .

ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى ، رحمه الله ، ولم يخلف بعد مثله ، ولم أعثر على شيء من مراثيه .

ومات : الإمام العلامه الفقية الصالح ، الشيخ أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيرى ، البراوى الشافعى ، ولد بمصر ، وبها نشأ وحفظ القرآن والمتون ، وتفقه على والده وغيره ، وحضر المعقول ، وتمهر وأنجب ودرس فى حياة والده ، وبعد وفاته تصدر للتدريس فى محله ، وحضره طلبة أبيه ، واتسعت حلقة درسه مثل أبيه ، واشتهر ذكره وانتظم فى عداد العلماء ، وكان نعم الرجل شهامة وصرامة ، وفيه صداقة وحب للإخوان ، توفى بطندتاء ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول [1] فجأة إذ كان ذهب للزيارة المعتادة ، وجيء به إلى مصر فغسل فى بيته وكفن ، وصلى عليه بالجامع الأزهر ، ودفن بتربة والده بالمجاورين .

ومات : الإمام الفاضل المسن ، الشيخ أحمد بن رجب بن محمد البقرى الشافعى ، المقرى ، حضر دروس كل من الشيخ المدابغى ، والحفنى ولازم الأول كثيراً ، فسمع منه البخارى بطرفيه ، والسيرة الشامية كلها ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار ، وكان سريع الفهم وافر العلم ، كثير التلاوة للقرآن ، مواظبًا على قيام الليل سفراً وحضراً ، ويحفظ أوراداً كثيرة وأحزابًا ، ويجيز بها ، وكان يحفظ غالب السيرة ، ويسردهامن حفظه ، ونعم الرجل كان متانة ومهابة ، توفى وهو متوجه إلى الحج فى منزلة النخل آخر يوم ، من شوال من السنة [2] ، ودفن هناك .

ومات : عالم المدينة ورئيسها ، الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، ولد بالمدينة ، ونشأ فى حجر والده ، واشتغل يسيراً بالعلم ، وأرسله والده إلى مصر فى سنة أربع وسبعين ومائة وألف [3] ، لمقتضى ، فتلقته تلامذة أبيه بالإكرام ، وعقد حلقة الذكر بالمشهد الحسينى ، وأقبلت عليه الناس ، ثم توجه إلى المدينة ، ولما توفى والده أقيم شيخًا فى محله ، ولم يزل على طريقته حتى مات فى رابع الحجة من السنة [4] ، عن ثمانين سنة .

ومات العلامة المعمر ، الصالح الشيخ ، أحمد الخليلى الشامى ، أحد المدرسين بالأزهر ، تلقى عن أشياخ عصره ، ودَرَّسَ وأفاد ، وكان به انتفاع للطلبة تام عام ، وألف إعراب الآجرومية وغيره ، توفى فى عاشر صفر من السنة [5] .

---

(1) ٣ ربيع الأول ١١٨٩ هـ / ٤ مايو ١٧٧٥م . (2) آخر شوال ١١٨٩ هـ / ديسمبر ١٧٧٥م .
(3) ١١٧٤ هـ / ١٣ اغسطس ١٧٦٠ - اغسطس ١٧٦١م . (4) ٤ ذى الحجة ١١٨٩ هـ / ٢٦ يناير ١٧٧٥م .
(5) ١٠ صفر ١١٨٩ هـ / ١٢ أبريل ١٧٧٥ .

ومات : الأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب ، تابع على بيك الشهير ، اشتراه أستاذه ، فى سنة خمس وسبعين [1] ، فأقام مع أولاد الخزنة أيامًا قليلة ، وكان إذ ذاك إسماعيل بيك خازنداراً ، فلما أمِّر إسماعيل بيك قلده الخازندارية مكانه ، وطلع مع مخدومه إلى الحج أوائل سنة ثمان وسبعين [2] ، وتأمر فى تلك السنة [3] ، وتقلد الصنجقية ، وعرف بأبى الذهب ، وسبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة ، صار يفرق البقاشيش ذهبًا ، وفى حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقراء والجعيدية[4] ، حتى دخل إلى منزله ، فعرف بذلك ، لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الإمريات ، واشتهر عنه هذا اللقب ، وشاع ، وسمع عن نفسه شهرته بذلك ، فكان لايضع فى جيبه إلا الذهب ، ولايعطى إلا الذهب ، ويقول « أنا أبو الذهب ، فلا أمسك إلاَّ الذهب » ، وعظم شأنه فى زمن قليل ، ونوه مخدومه بذكره ، وعيَّنه فى المهمات الكبيرة ، والوقائع الشهيرة ، وكان سعيد الحركات ، مؤيد العزمات ، لم يعهد عليه الخذلان فى مصاف قط ، وقد تقدمت أخباره ووقائعه فى أيام أستاذه عليّ بيك وبعده ، واستكثر من شراء المماليك والعبيد حتى اجتمع عنده فى الزمن القليل ما لا يتفق لغيره فى الزمن الكثير ، وتقلدوا المناصب والإمريات ، فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذه ، ثم خالف عليه ، وضم المشردين وغمرهم بالإحسان ، واستمال بواقى أركان الدولة ، واستلين الجميع جانبه، وجنحوا إليه ، وأحبوه ، وأعانوه وتعصبوا له ، وقاتلوا بين يديه حتى أزاحوا عليّ بيك ، وخرج هاربًا من مصر إلى الشام ، واستقر المترجم بمصر ، وساس الأمور ، وقلد المناصب ، وجبى الأموال والغلال ، وراسل الدولة العثمانية ، وأظهر لهم الطاعة ، وقلد مملوكه إبراهيم بيك إمارة الحج تلك السنة [5] ، وصرف العلائف ، وعوائد العربان ، وأرسل الغلال للحرمين والصرر ، وتحرك عليّ بيك للرجوع إلى مصر ، وجيش الجيوش ، فلم يهتم المترجم لذلك ، وكاد له كيداً ، بأن جمع القرانصة والذين يظن فيهم النفاق ، وأسر إليهم أن يراسلوا عليّ بيك ويستعجلوه فى الحضور ، وينمقوا مساوى المترجم ومنفرات، ويعدوه بالمخامرة معه ، والقيام بنصرته متى حضر ، وأرسلوها إليه بالشريطة السرية ، فراج عليه ذلك ، واعتقد صحته ، وأرسل إليهم بالجوابات ، وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع

(1) ١١٧٥ هـ / ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليه ١٧٦٢م . (2) ١ محرم ١١٧٨ هـ / ١ يوليه ١٧٦٤م .
(3) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦م .
(4) الجعيدية : هم الفتوات ويطلق عليهم الزعر والعياق والشطار .
(5) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦م .

مخدومهم ، وإشارته فعند ذلك ، قوى عزم علىّ بيك على الحضور ، وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية ، فخرج إليه المترجم ، ولاقاه بالصالحية ، وأحضره أسيراً كما تقدم ، ومات بعد أيام قليلة وانقضى أمره ، وارتاح المترجم من قبله ، وجمع باقى الأمراء المطرودين والمشردين ، وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم ، وقلدهم المناصب ، ورد إليهم بلادهم.وعوائدهم ، واستعبدهم بالإحسان والعطايا ، واستبدلهم العز بعد الذل والهوان ، وراحة الأوطان بعد الغربة والتشريد ، والهجاج فى البلدان ، فثبتت دولته ، وارتاحت النواحى من الشرور ، والتجاريد ، وهابته العربان ، وقطاع الطريق وأولاد الحرام ، وأمنت السبل ، وسلكت الطرق بالقوافل ، والبضائع ، ووصلت المجلوبات من الجهات القبلية والبحرية بالتجارات والمبيعات ، وحضر إلى مصر خليل باشا ، وطلع إلى القلعة على العادة القديمة ، وحضر للمترجم من الدولة المرسومات والخطابات ، ووصل إليه سيف وخلعه ، فلبس ذلك فى الديوان ، ونزل فى أبهة عظيمة ، وعظم شأنه ، وانفرد بإمارة مصر ، واستقام أمره ، وأهمل أمر أتباع أستاذه علىّ بيك ، وأقام أكثرهم بمصر بطالاً ، وحضر إلى مصر مصطفى باشا النابلسى من أولاد العضم [1] ، والتجأ إليه فأكرم نزله، ورتب له الرواتب ، وكاتب الدولة ، وصالح عليه ، وطلب له ولاية مصر ، فأجيب إلى ذلك ، ووصلت إليه التقاليد والداقم فى ربيع الثانى سنة ثمان وثمانين [2]، ووجه خليل باشا إلى ولاية جدة ، وسافر من القلزم فى جمادى الثانية [3] ، وتوفى هناك وفى أواخر سنة سبع وثمانين [4] ، وشرع فى بناء مدرسته التى تجاه الجامع الأزهر [5] ، وكان محلها رباع متخربة ، فاشتراها من أربابها وهدمها ، وأمر ببنائها على هذه الصفة ، وهى على أرنيك جامع السنانية الكائن بشاطىء النيل ببولاق ، فرتب لنقل الأتربة ، وحمل الجير والرماد والطين عدة كبيرة

---

(١) أولاد العضم : وصحة الاسم « العظم » ، أسرة سورية ظهرت كأسرة متنفذة منذ القرن السابع عشر ، وتولى عدد من أفراده إدارة ولايات بلاد الشام ، كما تولى بعضهم ولاية مصر .

(٢) ربيع الثانى ١١٨٨ هـ / ١١ يونيه - ٩ يوليه ١٧٧٤م .

(٣) جمادى الثانية ١١٨٩ / ٣٠ يوليه - ٢٧ أغسطس ١٧٧٥م .

(٤) آخر ذى الحجة ١١٨٧ هـ / ١٣ مارس ١٧٧٤م .

(٥) مدرسة محمد أبو الذهب : تقع بجوار الجامع الأزهر ، وأصل إنشائها برسم مدرسة ، ولما تم بناؤها فرشت جميعها بالحصر ، ومن فوقها البُسُط الرومى ، وقرر فيها الشيخ أحمد الدرديرى مفتى المالكية ، والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية ، والشيخ حسن الكفراوى مفتى الشافعية ، وترتب للتدريس فيها غالب المدرسين بالأزهر ، وانتهى أمر تأسيسها فى شعبان ١١٨٨هـ / ١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥ م ، صلى فيها الأمير والمشايخ والطلبة وأرباب الوظائف الجمعة . ووقف عليها أمانة قويسنا .

مبارك ، على : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠ .

من قطارات البغال ، وكـذلك الجمال لشيل الأحجار العظيمـة ، كل حجر واحد على جمل ، وطحنوا لها الجبس الحلوانى المـصيص ، ورموا أساسها فى أوائل شهر الحجة ختام السنة [1] ، المذكورة ، ولما تم عقد قبتها العظيمة ، وما حولها من القباب المعقودة على اللواوين ، وبيضوها ونقشوا داخل القبة بالألوان والأصباغ ، وعمل لها شبابيك عظيمة ، كلها من النحاس الأصفر المصنـوع ، وعمل بظاهرها فسحة مفروشة بالرخام المرمر ، وبوسطها حنـفية ، وحولها مساكن لمتصوفة الأتراك ، وبـداخلها عدة كراسى راحة ، وكذلك بـدورها العلوى ، وبأسـفل من ذلك ميضأة عـظيمة تمتلـىء بالماء من نوفرة بـوسطها تصـب فى صحن كبـير من الرخـام المصنوع ، نقـلوه إليها مـن بعض الأماكن القـديمة ، ويفيض منـه فيملأ الميضـأة ، وحول الميضأة عدة كـراسى راحة ، وأنشأ ساقية لذلك فحفروها ، وخرج مـاؤها حلواً ، فعد ذلك أيضًا من سعده ، مع أن جميع الآبـار والسواقى التى بـتلك الخطة ماؤها فـى غاية الملوحة ، وأنـشأ أسفل ذلك صهريجًا عظيمًا يملأ فى كل سنة من ماء النيل ، وحوضًا عظيمًا لسقى الدواب ، وعمل بأعلى الميضأة ثلاثة أماكن ، برسم جلـوس المفتين الثلاثة ، يجلسون بها حصة من النهار لإفادة النـاس بعد إملاء الدروس ، وقرر فيها الشيخ أحـمد الدردير ، مفتى المالكية ، والشيخ عبد الرحمن العريشى ، مفتى الحنفية ، والشيخ حسن الكفراوى ، مفتى الشافعيـة ، ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ، ومن فـوقها الأبسطة الرومى من داخل وخارج ، حتى فرجـات الشبابيك ، ومسـاكن الطباق ، ولـما استقر جلوس المفتين المذكورين بالثلاثة أماكن التى أعدت لـهم ، أضربهم الرائحة الصاعدة إليهم من المراحيض الـتى من أسفل ، وأعلمـوا الأمير بذلك ، فأمـر بإبطالها ، وبنـوا خلافها بعيداً عنـها ، وتقرر فى خطابتهـا الشيخ أحمد الراشدى ، وغالـب المدرسين بالأزهر مثل : الشيخ علـيّ الصعيدى ، مدرس البخارى ، والشيخ أحـمد الدردير ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد الرحمن العـريشى ، والشيخ حسن الكفراوى ، والشيخ أحمد يونس ، والشيخ أحمد السمنودى ، والشيخ عليّ الشنويهى ، والشيخ عبد الله اللبـان ، والشيخ محـمد الحفناوى ، والشـيخ محمد الـطحلاوى ، والشيـخ حسن الجداوى ، والشيخ أبى الحسن القلعى ، والشيخ البيلى ، والشيخ محمد الحريرى ، والشيخ منـصور المنصورى ، والشيخ أحمـد جاد الله ، والشيخ محمد المـصيلحى ، ودرسًا ليحيى أفندى شـيخ الأتراك ، وتقرر السيد عباس إمامًا راتبًا بـها ، وفى وظيفة

---

(١) أول ذى الحجة ١١٨٩ هـ / ٢٣ يناير ١٧٧٦م .

التوقيت الشيخ محمد الصبان ، وجعل بها خزانة كتب عظيمة ، وجعل خازنها محمد أفندى حافظ ، وينوب عنه الشيخ محمد الشافعى الجناحى ، ورتب للمدرسين الكبار فى كل يوم مائة وخمسين نصفا فضة ، ومن دونهم خمسون نصفا ، وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف فى كل يوم ، ومنهم من له أكثر وأقل ، وبقدر عدد الدراهم أرادب من البُر فى كل سنة ، ولما انتهى أمرها ، وصلى بها الجمعة فى شهر شعبان سنة ثمان وثمانين [1] ، فحضر الأمير المذكور ، واجتمع المشايخ والطلبة ، وأرباب الوظائف ، وصلوا بها الجمعة ، وبعد انقضاء الصلاة ، جلس الشيخ الصعيدى على الكرسى ، وأملى حديث : « مَن بنَى لله مَسْجِداً ولو كَمَفْحَصِ قَطاة بَنَى اللهُ لهُ بيتًا فى الجنة » فلما انقضى ذلك ، أحضرت الخلع والفراوى ، فألبس الشيخ الصعيدى ، والشيخ الراشدى الخطيب ، والمفتين الثلاثة فراوى سمور ، وباقى المدرسين فراوى نافا بيضاء ، وأنعم فى ذلك اليوم على الخدمة والمؤذنين ، وفرق عليهم الذهب والبقاشيش ، وتنافس الفقهاء والأشياخ والطلبة ، وتحاسدوا وتفاتنوا ، ووقف على ذلك أمانة قويسنا [2] وغيرها ، والحوانيت التى أسفل المدرسة، ولم يصرف ذلك إلا سنة واحدة ، فإن المترجم سافر فى أوائل سنة تسع وثمانين [3] إلى البلاد الشامية كما تقدم ومات هناك ، ورجعوا برمته ، وتأمر أتباعه وتقاسموا البلاد فيما بينهم ، ومن جملتها أمانة قويسنا الموقوفة ، فبرد أمر المدرسة ، وعوضوا عن ذلك الوكالة التى أنشأها عليّ بيك ببولاق ، لمصرف أجر الخدمة وعليق الأثوار ، بعدما أضعفوا المعاليم ونقصوها ، ووزعوا عليهم ذلك الإيراد القليل ، ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل منها غالب الوظائف والخدم إلى أنّ بطل التوقيت والآذان بل والصلاة فى أكثر الأوقات ، وأخلق فرشها وبسطها وعتقت وبلت وسرق بعضها ، وأغلق أحد أبوابها المواجهة للقبوة الموصل للمشهد الحسينى ، بل أغلقت جميعها شهوراً ، مع كون الأمراء أصحاب الحل والعقد ، أتباع الواقف ومماليكه ، لكن لما فقدت منهم القابلية ، واستولى عليهم الطمع والتفاخر والتنافس ، والتغاضى خوف الفشل ، وتفرق الكلمة مع الانحراف عن الأوضاع ، ظهر الخلل فى كل شىء حتى فى الأمور الموجبة لنظام دولتهم ، وإقامة ناموسهم ، كما يتضح ذلك

---

(١) شعبان ١١٨٨ هـ / ٧ أكتوبر - ٤ نوفمبر ١٧٧٤م .

(٢) قويسنا : قرية قديمة اسمها الأصلى «قوسنيا» ، وهى قاعدة مركز قويسنا ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٣) ١ محرم ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥م .

• فيما بعـد ، وبالجملة فإن المترجم ، كـان آخر من أدركنا من الأمراء المصـريين شهامة وصرامة ، وسعـداً وحزمًا وعزمًا ، وحكمًا وسماحـة وحلمًا ، وكان قريبًا لـلخير ، يحب العلـماء والصلحاء ، ويميل بـطبعه إليهم ، ويعتـقد فيهم ويعظمـهم ، وينصت لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ، ويكره المخالفين للدين ، ولم يشتهر عنه شيء من الموبقات والمحرمات ، ولا مايشينه فـى دينـه، أو يخل بمروءته ، بهى الطلعة ، جميل الصورة ، أبيض الـلون ، معتدل القامة والبـدن ، مسترسل اللحية مـهاب الشكل ، وقوراً محتشمًا ، قليل الكلام والالتفات ، ليس بمهذار ولا خوار ولا عَجول ، مبجلاً فى ركوبه وجلـوسه ، يباشر الأحكام بنـفسه ، ولولا ما فعله آخـراً من الإسراف فى قتل أهل يافا بإشارة وزرائـه لكانت حسناته أكثر من سيآته ، ولم يتـفق لأمير مثله فى كثرة الممـاليك ، وظهور شأنـهم فى المدة اليسيـرة ، وعظم أمرهم بعـده ، وانحرفت طباعهم عن قبول العدالة، ومالوا إلى طرق الجهالة ، واشتروا المماليك ، فنشئوا على

طرائقهم ، وزادوا عن سوابقهم ، وألفوا المظالم ، وظنوها مغانم ،

وتمادوا على الجور ، وتلاحقوا فى البغى على الفور ،

إلى أن حصل ما حصل ،ونزل بهم وبالناس مانزل ،

وسيتلى عليك من ذلك أنباء وأخبار ،

وما حل بالإقليم بسببهم من

الخراب والدمار

والله تعالى

أعلم

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى أوله سنة تسعين ومائة وألف [1] .

---

(١) ١١٩٠ هـ / ٢١ فبراير ١٧٧٦ - ٨ فبراير ١٧٧٧م .

كشافات الجزء الأول

من كتاب

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى

١ - كشاف الاعلام .

٢ - كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر .

٣ - كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة .

٤ - كشاف المصطلحات والوظائف .

★ رُتب هذا الكشاف ترتيبًا هجائيًا ، مع إغفال الـ ، ابن ، ابو .... ووجودها رسمًا واغفالها حكما . فمثلاً عند البحث عن كلمة ابن طولون ، يكون المدخل « طولون » ... إلخ .


كشاف الاعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ذ)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(لا)

(ى)

كشاف الأمم والجماعات والقبائل والعشائر

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ن)

(ي)

كشاف المصطلحات والوظائف

(ب)

(ت)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣١٤٩ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8647 - 3



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان مبارك





التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠ قرش